Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

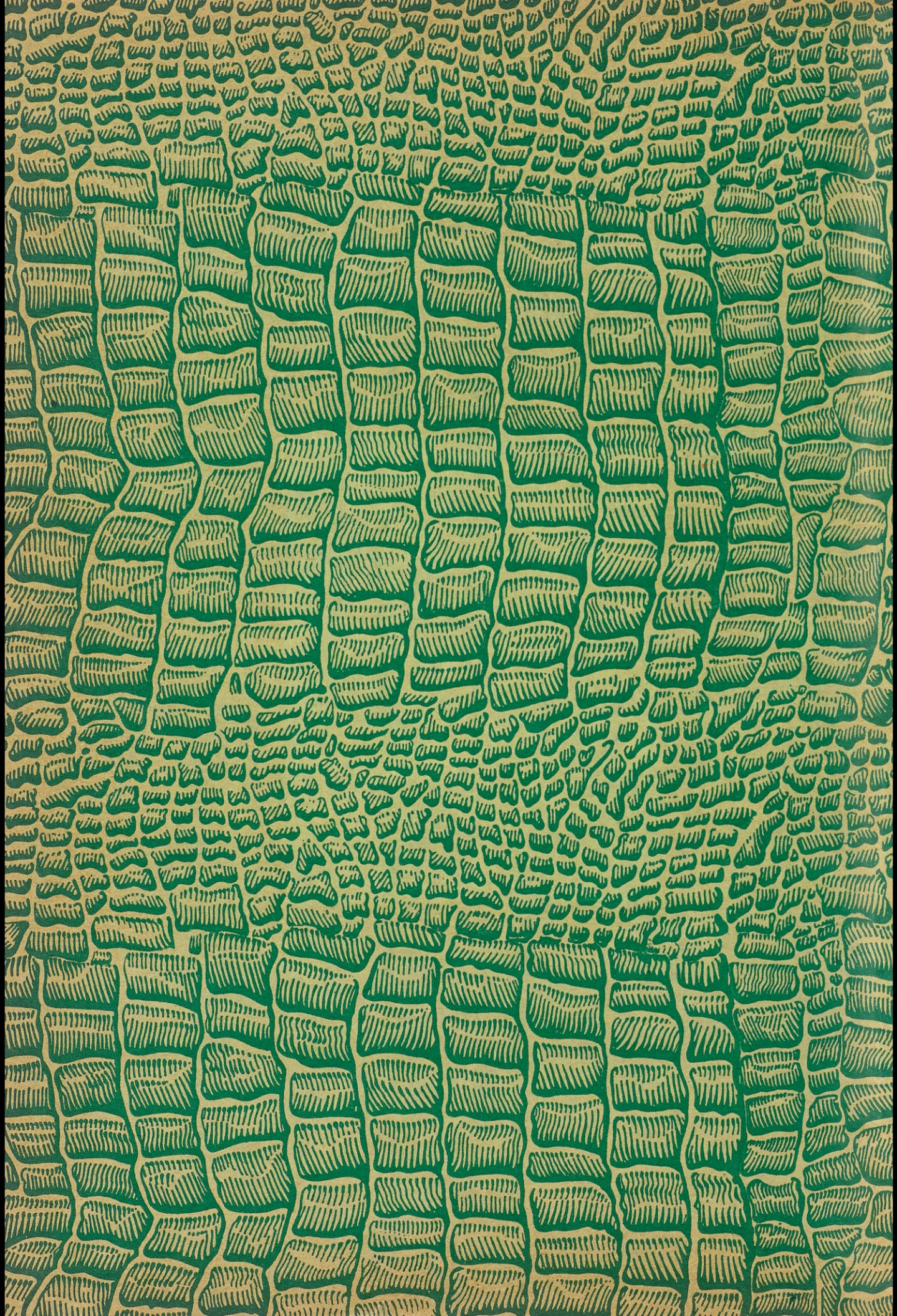

تفسير الخازن

وبهامشه البغوي

المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الأمة وعلم الأئمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن فرغ من تأليفه يوم الاربعاء العاشر من رمضان سنة ٧٢٥ هجرية تغمده الله برحمته آمين

﴿ وقد حلي هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمعالم التنزيل ﴾
﴿ تأليف الامام الجليل محيي السنة أبي محمد الحسين الفراء البغوى ﴾
﴿ عليه سحائب الرحمة والرضوان ﴾

﴿ قال فى كشف الظنون ﴾

(معالم التنزيل فى التفسير) للامام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى المتوفى سنة ٥١٦ نقل فيه بالاسناد عن مفسرى الصحابة والتابعين ومن بعدهم

الجزء السادس

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

893.7K84
DA7
V.6

﴿ تفسير سوره يس ﴾

مكية وهى ثلاث وثمانون اية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاث آلاف حرف عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القران عشر مرات أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده شيخ مجهول وعن معقل ابن يسارة قال قال النبي ﷺ اقرؤا على موتاكم يس أخرجه أبو داود وغيره ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله عز وجل (يس) قال ابن عباس هو قسم وعنه أن معناه يا إنسان بلغة طيء يعنى محمدا ﷺ وقيل ياسيد البشر وقيل هو اسم للقران (والقران الحكيم) اى ذى الحكمة لأنه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه (إنك لمن المرسلين) اى اقسم بالقران ان محمدا ﷺ لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) معناه وإنك على صراط مستقيم وقيل معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة (تنزيل العزيز الرحيم) يعنى القران تنزيل العزيز فى ملكه الرحيم بخلقه (لتنذر قوما ما أنذر اباؤهم) يعنى لم تنذر اباؤهم لأن قريشا لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ وقيل معناه لتنذر قوما ما أنذر اباؤهم من العذاب (فهم غافلون) أى عما يراد بهم من الايمان والرشد (لقد حق القول) اى وجب العذاب (على أكثرهم فهم لا يؤمنون) فيه اشارة إلى إرادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون لما سبق لهم من القدر بذلك، قوله عز وجل (إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) نزلت فى أبي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمد ﷺ يصلى ليرضخن رأسه بالحجارة فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده إلى عنقه

﴿سورة يس﴾
مكية وهى ثلاث وثمانون اية (بسم الله الرحمن الرحيم) (يس) ون قرأ باخفاء النون فيهما ابن عامر والكسائى وابو بكر وورش بخلف عنه فى نون والقلم والباقون يظهرون فيهما واختلفوا فى تأويل يس حسب اختلافهم فى حروف التهجى قال ابن عباس رضى الله عنهما قسم يروى عنه ان معناه يا إنسان بلغة طيء يعنى محمدا ﷺ وهو قول الحسن وسعيد بن جبير وجماعة وقال ابو العالية يارجل وقال ابو بكر الوراق ياسيد البشر (والقران الحكيم انك لمن المرسلين) اقسم الله بالقران بأن محمدا صلى الله عليه وسلم من المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) وهو خبر بعد خبر اى انك لمن المرسلين وإنك على صراط مستقيم وقيل معناه إنك لمن المرسلين الذين هم صراط مستقيم (تنزيل العزيز الرحيم) فرا ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص وتنزيل بنصب اللام كانه قال نزل تنزيلا وقرا الاخرون بالرفع اى هو تنزيل العزيز الرحيم (لتنذر قوما ما انذر اباؤهم) قيل هو ما للنفى اى لم تنذر اباؤهم لأن قريشا لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ ولزق وقيل ما بمعنى الذى اى لتنذر قوما بالذى انذر اباؤهم (فهم غافلون) عن الايمان والرشد (لقد حق القول) وجب العذاب (على اكثرهم فهم لا يؤمنون) هذا كقوله ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين (إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) نزلت فى أبي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك أن أبا جهل كان قد حلف لئن راى محمدا يصلى ليرضخن راسه بالحجر وهو يصلى فأتاه يوما وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه

انثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال رجل من بنى مخزوم أنا اقتله بهذا الحجر فأتاه فرجع وهو يصلى ليرميه بالحجر فأعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ماصنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بينى وبينه شىء كهيئة الفحل يخطر بذنبه لودنوت منه لأكلنى فأنزل الله تعالى انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا قال أهل المعانى هذا على طريق المثل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك قال الفراء معناه أنا حبسناهم عن الانفاق فى سبيل الله كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك معناه لا تمسكها عن النفقة (فهى الى الأذقان) وهى كناية عن الأيدى وإن لم يجر لها ذكر لأن الغل يجمع اليد إلى العنق معناه انا جعلنا فى أيديهم وأعناقهم اغلالا فهى إلى الأذقان (فهم مقمحون) المقمح الذى رفع رأسه وغض بصره يقال بعير قامح إذا روى من الماء فأقمح إذا رفع رأسه وغض بصره قال (٣) الأزهرى أرادان أيديهم لما غلت

ولزق الحجر بيده فلما رجع إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال رجل من بنى مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلى ليرميه بالحجر فاعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ماصنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بينى وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لودنوت منه لاكلنى فانزل الله تعالى انا جعلنا فى أعناقهم اغلالا قيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثل لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق فى سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل أنها وصف فى الحقيقة وهى ماسينزله الله عز وجل فى النار (فهى) يعنى الايدى (الى الاذقان) جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق (فهم مقمحون) اى رافعوا رؤسهم مع غض البصر وقيل أرادان الاغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعوا الرؤوس يرفع الاغلال لها (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) وخلفه بالاسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله ﷺ وهو قوله تعالى (فأغشيناهم) اى فاعميناهم (فهم لا يبصرون) اى سبيل الهدى (وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون) اى من يرد الله اضلاله لم ينفعه الانذار (انما تنذر من اتبع الذكر) يعنى انما ينفع انذارك من اتبع القران فعمل بما فيه (وخشى الرحمن بالغيب) اى خافه فى السر والعلن (فبشره بمغفرة) اى لذنوبه (واجر كريم) اى الجنة * قوله تعالى (إنا نحن نحيى الموتى) اى للبعث (ونكتب ماقدموا) اى من الاعمال من خير وشر (واثارهم) اى ونكتب ماسنوا من سنة حسنة اوسيئة (م) عن جرير بن عبدالله البجلى قال قال رسول الله ﷺ من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من أوزارهم شىء وقيل نكتب خطاهم الى المسجد عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال كانت بنو سلمة فى ناحية من المدينة فارادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الاية انا نحن نحيى الموتى ونكتب ماقدموا واثارهم فقال رسول الله ﷺ ان اثاركم تكتب فلم ينتقلوا أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (خ) عن أنس رضى الله عنه قال اراد بنو سلمة ان يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله ﷺ ان تعرى المدينة فقال يا بنى سلمة لا تحتسبون اثاركم فاقاموا قوله تعالى اى تخلى فتترى عراء وهو الفضاء من الارض الخالى الذى لا يستره شىء (م) عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فاراد بنو سلمة ان ينتقلوا

إلى أعناقهم رفعت الأغلال أذقانهم ورؤسهم فهم مرفوعوا الرؤوس برفع الأغلال اياها (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) قرأ حمزة والكسائى وحفص سدا بفتح السين وقرأ الآخرون بضمها (فاغشيناهم) فاعميناهم من التغشية وهى التغطية (فهم لا يبصرون) سبيل الهدى (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر) يعنى انما ينفع انذارك من اتبع الذكر اى القرآن فعمل بما فيه (وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم) حسن وهو الجنة (انا نحن نحى الموتى) عند البعث (ونكتب ما قدموا) من الاعمال من خير وشر (واثارهم) اى ماسنوا من سنة حسنة أو سيئة قال النبى ﷺ من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من أجورهم شىء ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شىء وقال قوم قوله نكتب ماقدموا واثارهم اى خطاهم الى المسجد روى عن ابى سعيد الخدرى قال شكت بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فانزل الله تعالى ونكتب ماقدموا واثارهم اخبرنا احمد بن عبدالله الصالحى حدثنا ابو سعيد محمد بن عيسى الصيرفى حدثنا ابو العباس الاصم حدثنا محمد بن هشام بن ملابس النميرى حدثنا مروان الفزارى حدثنا حميد عن أنس رضى الله عنه قال أراد بنو سلمة ان يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله ﷺ ان تعرى المدينة فقال يا بنى سلمة لا تحتسبون اثاركم فاقاموا اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن الله النعيمى انا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا محمد بن العلاء حدثنا ابو اسامة عن يزيد بن عبدالله ابى بردة عن ابى موسى قال قال النبى ﷺ اعظم الناس اجرا فى الصلاة أبعدهم فابعدهم ممشى والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام اعظم اجرا من

الذى يصلى ثم ينام قوله تعالى (وكل شىء احصيناه) لحفظنا وعددناه وبيناه فى (إمام مبين) وهو اللوح المحفوظ قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) يعنى اذكر لهم شبها مثل حالهم من قصة أصحاب القرية وهى انطاكية (إذ جاءها المرسلون) أى رسل عيسى عليه الصلاة والسلام قال العلماء بأخبار الأنبياء بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى أهل مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما فقالا رسولا عيسى يدعوكم من عبادة الأوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما اية قالا نعم نحن نشفى المريض ونبرىء الاكمه والأبرص باذن الله فقال الشيخ إن لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فأتى بهما إلى منزله فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله صحيحا ففشى الخبر فى المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك قال وهب كان اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم يعبد الأصنام قالوا فانتهى الخبر اليه فدعاهما فقال من أنتما قال رسولا عيسى قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر فقال لهما ألنا إله دون إلهتنا قالا نعم من أوجدك وإلهتك قال قوما حتى أنظر فى أمركما فتتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما فى السوق وقال وهب بعث عيسى هذين الرجلين إلى انطاكية فأتياها فلم يصلا إلى ملكها وطال مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبر وذكروا الله ففضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائتى جلدة قالوا فلما كذب الرسولان وضربا (٤) بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل

يعاشر حاشية الملك حتى انسو به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه فرضى عشرته وانس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك بلغنى انك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حيث دعوك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بينى وبين ذلك حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما قال فان رأى الملك دعاهما الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما الى ههنا قالا الله الذى خلق كل شىء وليس له شريك فقال لهما شمعون

قرب المسجد فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال لهم بلغنى أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال بنى سلمة دياركم تكتب اثاركم فقالوا ما يسرنا إذا تحولنا قوله بنى سلمة اى يا بنى سلمة وقوله دياركم اى الزموا دياركم (ق) عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم فابعدهم ممشى والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرا من الذى يصلى ثم ينام * قوله عز وجل (وكل شىء أحصيناه) اى حفظناه وعددناه وأثبتناه (فى إمام مبين) يعنى اللوح المحفوظ * قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا) يعنى صف لهم شبها مثال حالهم من قصة (أصحاب القرية) يعنى أنطاكية (إذ جاءهم المرسلون) يعنى رسل عيسى عليه الصلاة والسلام

﴿ ذكر القصة فى ذلك ﴾ قال العلماء بأخبار الأنبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى اهل انطاكية فلما قربا من المدينة رأى شيخا يرعى غنمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال الشيخ لهما معكما اية قالا نعم نشفى المريض ونبرىء الاكمه والابرص باذن الله قال الشيخ ان لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فاتى بهما إلى منزله فقام فى الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الأصنام اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعا بهما وقال من انتما قالا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيما جئتما قالا ندعوك عن عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا اله دون الهتنا

فصفاه وأوجزا فقال إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما اياتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من الطين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك إن أنت سألت الهتك حتى تصنع صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولالهتك فقال الملك ليس لى عنك سر ان إلهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون إذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلى كثيرا ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك المرسلين إن قدر إلهكم الذى تعبدانه على إحياء ميت امنا به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شىء فقال الملك إن ههنا ميتا مات منذ سبعة أيام ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وارم فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال إنى قد مت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فأدخلت فى سبعة أودية من النار وانا احذركم ما أنتم فيه امنوا بالله ثم مال فتحت لى ابواب السماء فنظرت فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار إلى صاحبيه فتعجب الملك لما علم فلما علم شمعون ان قوله اثر فى الملك خبره بالحال ودعاه إلى الإسلام فامن الملك وآمن قوم كثير وكفر اخرون وقيل ان ابنة للملك كانت قد توفيت ودفنت فقال شمعون للملك اطلب من هذين الرجلين ان يحييا ابنتك فطلب منهما الملك ذلك فقاما وصليا ودعوا وشمعون معهما فى السر فاحيا الله المرأة وانشق القبر عنها فخرجت وقالت اسلموا فانهما صادقان قالت ولا أظنكم تسلمون ثم طلبت من الرسولين ان يرداها الى مكانها فذرا ترابا على رأسها وعادت الى قبرها كما كانت وقال ابن اسحق عن كعب ووهب بل كفر الملك واجمع وهو قومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو على

باب المدينة الأقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى (إذ أرسلنا اليهم اثنين) وقال وهب اسمهما يوحنا وبولس (فكذبوهما فعززنا) يعنى فقوينا (بثالث) برسول ثالث وهو شمعون قرأ أبو بكر عن عاصم فعززنا بالتخفيف وهو بمعنى الأول كقولك شددنا وشددنا بالتخفيف والتثقيل وقيل أى فغلبناهم من قولهم من عز يزوقال كعب الرسول صادق وصدوق والثالث شلوم وإنما اضاف الله الارسال اليه لأن عيسى إنما بعثهم بأمره تعالى (فقالوا) جميعا لاهل انطاكية (انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شىء إن أنتم إلا تكذبون) ما انتم إلا كاذبون فيما تزعمون (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين قالوا إنا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك ان المطر حبس عنهم حين قدم الرسل عليهم فقالوا اصابنا هذا بشؤمكم (لئن لم تنتهوا لنرجمنكم) لنقتلنكم وقال قتادة بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم) يعنى شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم اى اصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس والضحاك حظكم من الخير والشر (لئن ذكرتم) أى وعظتم بالله وهذا استفهام محذوف الجواب ان ذكرتم وعظتم بالله تطيرتم بنا وقرأ أبو جعفر ان بفتح الهمزة المدينة ذكرتم بالتخفيف (بل انتم قوم مسرفون) مشركون مجاوزون الحد قوله عز وجل (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان نجارا يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من ابواب المسجد وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه فاذا أمسى قسمه نصفين نصفا لعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه ان قومه كذبوا الرسل وقصدوا

قالا نعم الذى اوجدك والهتك قال لهما قوما حتى أنظر فى امركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرجلين إلى انطاكية فاتياها فلم يصلا إلى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائتى جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما ليبصر هما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه وانس به واكرمه ورضى عشرته فقال للملك ذات يوم بلغنى أنك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعوا لك إلى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بينى وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما إلى ههنا فالا الله الذى خلق كل شىء وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه واوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما ايتكما قالا ما تمناه فأمر الملك حتى جاء بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذ بندقتين من طين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت إلهك حتى يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس لى عنك سر مكتوم فان الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلى ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر إلهكما الذى تعبدانه على احياء ميت آمن به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شىء فقال الملك ان ههنا ميتا قدمات منذ سبعة ايام ابن دهقان وأنا اخرته فلم ادفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال انى ميت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فادخلت فى سبعة اودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فامنوا بالله ثم قال فتحت ابواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان واشار بيده إلى صاحبيه فعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله قد أثر فى الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك واجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى (إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما) قال وهب اسمهما يحنا وبولس وقال كعب صادق وصدوق (فعززنا بثالث) يعنى قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وإنما اضاف الله تعالى الارسال اليه لأن عيسى عليه الصلاة والسلام إنما بعثهم باذن الله عز وجل (فقالوا) يعنى الرسل جميعا لأهل انطاكية (انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شىء) يعنى لم يرسل رسولا (إن أنتم إلا تكذبون) يعنى فيما تزعمون (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) يعنى وان كذبتمونا (وما علينا إلا البلاغ المبين) أى بالآيات الدالة على صدقنا (قالوا انا تطيرنا بكم) أى تشاءمنا منكم وذلك لأن المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا ذلك بشؤمكم (لئن لم تنتهوا) اى تسكتوا عنا (لنرجمنكم) يعنى لنقتلنكم وقيل بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم) يعنى شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعنى اصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر (لئن ذكرتم) معناه اطيرتم لأن ذكرتم ووعظتم (بل انتم قوم مسرفون) أى فى ضلالكم وشرككم متمادون فى غيكم * قوله عز وجل (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من ابواب المسجد وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه فاذا أمسى قسمه نصفين نصفا لعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه ان قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتل الرسل جاءهم

(قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون) قال قتادة كان حبيب فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فأظهر دينه فلما انتهى حبيب إلى الرسل قال لهم تسألون عن هذا اجرا قالوا لا فاقبل على قومه فقال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون فلما قال ذلك قالوا له وأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال (ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون) قرأ حمزة ويعقوب مالى باسكان الياء والآخرون بفتحها قيل أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع اليهم لأن الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر وفى الرجوع معنى الزجر وكان بهم اليق وقيل أنهم لما قال اتبعوا المرسلين أخذوه فرفعوه إلى الملك فقال له الملك أفأنت تتبعهم فقال ومالى لا أعبد الذى فطرنى يعنى وأى شىء لى إذا لم أعبد الخالق واليه ترجعون تردون عند البعث فيجزيكم بأعمالكم (أأتخذ من دونه الهة) استفهام بمعنى الانكار أى لا أتخذ من دونه الهة (إن يردن الرحمن بضر) بسوء ومكروه (لا تغن عنى) لا تدفع منى (شفاعتهم شيئا) اى لا شفاعة لها اصلا فتغنى (ولا ينقذون) من ذلك المكروه وقيل لا ينقذون من العذاب لو عذبنى الله ان فعلت ذلك (إنى إذا لفى ضلال مبين) خطأ ظاهر (إنى آمنت بربكم (٦) فاسمعون) يعنى فاسمعوا منى فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره قال السدى كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى قطعوه وقتلوه وقال الحسن خرقوا خرقا فى حلقه فعلقوه بسور من سور المدينة وقبره بانطاكية فادخله الله الجنة وهو حى فيها يرزق فذلك قوله (قيل ادخل الجنة) فلما افضى إلى الجنة (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) يعنى بغفران ربى لى (وجعلنى من المكرمين) تمنى أن يعلم قومه ان الله غفر له واكرمه ليرغبوا فى دين الرسل فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل لهم النقمة فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن اخرهم فذلك قوله (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) يعنى الملائكة (وما كنا منزلين) وما كنا نفعل هذا بل الامر فى اهلاكهم الحسرة كان ايسر مما يظنون وقيل معناه وما انزلنا على قومه من بعده أى على قوم حبيب من بعد قتله من جند وما كنا منزلين ننزلهم على الأمم إذا أهلكناهم كالطوفان والصاعقة والريح ثم بين عقوبتهم فقال تعالى (إن كانت إلا صيحة واحدة) وقرأ أبو جعفر صيحة واحدة بالرفع جعل الكون بمعنى الوقوع قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتى باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) ميتون (ياحسرة على العباد) قال عكرمة يعنى ياحسرتهم على أنفسهم والحسرة شدة الندامة وفيه قولان أحدهما يقول الله تعالى ياحسرة وندامة وكآبة على العباد يوم القيامة حين لم يؤمنوا بالرسل واليوم الاخر انه من قول الهالكين قال أبو العالية لما عاينوا العذاب قالوا ياحسرة أى ندامة على العباد يعنى على العباد أى الرسل الثلاثة حيث لم يؤمنوا بهم فتمنوا الايمان حين لم ينفعهم قال الازهر الحسرة لا تدعى ودعاؤها تنبيه المخاطبين وقيل العرب تقول ياحسرتى وياعجبا على طريق المبالغة والنداء عندهم بمعنى التنبيه فكأنه يقول أيها العجب هذا وقتك وأيتها الحسرة هذا أوانك حقيقة المعنى أن هذا زمان الحسرة والتعجب ثم بين سبب الحسرة والندامة

قتلهم جاءهم (قال ياقوم اتبعوا المرسلين) وقيل كان فى غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأجهر دينه وقال لهم اتسألون على هذا أجرا قالوا لا فاقبل على قومه وقال ياقوم اتبعوا المرسلين (اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون) أى لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والاخرة فلما قال ذلك قالوا له أوأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالهم فقال (ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون) قيل أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع اليهم لأن الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أجهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم اليق وقيل معناه وأى شىء لى إذا لم اعبد خالقى واليه تردون عند البعث فيجزيكم بأعمالكم (أأتخذ من دونه الهة) اى لا اتخذ من دونه الهة (ان يردن الرحمن بضر) أى بسوء ومكروه (لا تغن عنى) أى لا تدفع عنى (شفاعتهم شيئا) اى لا شفاعة لها فتغنى عنى (ولا ينقذون) أى من ذلك المكروه وقيل من العذاب (إنى إذا لفى ضلال مبين) أى خطا ظاهر (إنى امنت بربكم فاسمعون) أى فاشهدوا لى بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى اهلكوه وقبره بانطاكية فلما لقى الله تعالى (قيل) له (ادخل الجنة) فلما افضى إلى الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) تمنى أن يعلم قومه ان الله تعالى غفر له واكرمه ليرغبوا فى دين الرسل فلما قتل غضب الله عز وجل له فجعل لهم العقوبة فامر جبريل عليه الصلاة والسلام فصاح بهم واحدة فماتوا عن اخرهم فذلك قوله تعالى (وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) أى الملائكة (وما كنا منزلين) أى ما كنا لنفعل هذا بل الامر فى اهلاكهم ايسر مما تظنون ثم بين عقوبتهم فقال تعالى (إن كانت إلا صيحة واحدة) قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتى باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) أى ميتون (ياحسرة على العباد) يعنى يا لها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة ان يركب الانسان من شدة الندم مالا نهاية له حتى يبقى قلبه خيرا قيل تحسروا على أنفسهم لما عاينوا من العذاب حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تتحسر عليهم الملائكة حيث لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله تعالى ياحسرة على العباد يوم القيامة حيث لم يؤمنوا بالرسل ثم بين سبب تلك

فقال (ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون ألم يروا) ألم يخبروا يعنى اهل مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون) والقرن اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود (انهم اليه لا يرجعون) اى لا يعودون إلى الدنيا افلا يعتبرون بهم (وإن كل لما جميع) قرأ عاصم وحمزة لما بالتشديد ههنا وفى الزخرف والطارق وافق ابن عامر إلا فى الزخرف ووافق أبو جعفر فى الطارق وقرأ الاخرون بالتخفيف فمن شدد جعل ان بمعنى الجحد ولما بمعنى الا تقديره وما كل الا جميع ومن خفف جعل ان للتحقيق وما صلة مجازه كل جميع (لدينا محضرون وآية لهم الأرض الميتة أحييناها) بالمطر (وأخرجنا منها حبا) يعنى الحنطة والشعير وما اشبههما (فمنه يأكلون) اى من الحب (وجعلنا فيها جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها) فى الأرض (من العيون ليأكلوا من ثمره) اى من الثمر الحاصل بالماء (وما عملته) قرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عملت بغير ها وقرأ الاخرون عملته بالهاء أى يأكلون من الذى عملته (أيديهم) من الزرع والغرس والهاء عائدة إلى ما التى هى بمعنى الذى وقيل ما للنفى فى قوله ما عملته ايديهم اى وجدوها معمولة ولم تعمله ايديهم (٧) ولا صنع لهم فيها وهذا معنى قول الضحاك ومقاتل وقيل أراد العيون والانهار التى لم تعملها يد خلق مثل دجلة والفرات والنيل ونحوها (أفلا يشكرون) نعمة الله (سبحان الذى خلق الأزواج كلها) اى الاصناف كلها (مما تنبت الأرض) من الثمار والحبوب (ومن انفسهم) يعنى الذكور والأناث (ومما لا يعلمون) مما خلق من الاشياء من دواب البر والبحر (وآية لهم) تدل على قدرتنا (الليل نسلخ) ننزع ونكشط (منه النهار فاذاهم مظلمون) داخلون فى الظلمة ومعناه نذهب النهار ونجىء بالليل وذلك أن الأصل هى الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة

الحسرة فقال تعالى (وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون) قوله تعالى (ألم يروا) أى ألم يخبروا خطاب لأهل مكة (كم اهلكنا قبلهم من القرون) اى من الامم الخالية من اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود (انهم اليهم لا يرجعون) اى لا يعودون إلى الدنيا افلا يعتبرون بهم (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) يعنى ان جميع الامم يحضرون يوم القيامة (وآية لهم) يعنى تدلهم على كمال قدرتنا على إحياء الموتى (الأرض الميتة أحييناها) يعنى بالمطر (وأخرجنا منها) يعنى من الأرض (حبا) يعنى الحنطة والشعير وما اشبههما (فمنه يأكلون) يعنى من الحب (وجعلنا فيها) يعنى فى الأرض (جنات) يعنى بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره) يعنى من الثمر الحاصل بالماء (وما عملته أيديهم) يعنى من الزرع والغرس الذى تعبوا فيه وقرىء عملت بغير ها وقيل ما للنفى والمعنى ولم تعمله ايديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل اراد العيون والانهار التى لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة (أفلا يشكرون) يعنى نعمة الله تعالى (سبحان الذى خلق الأزواج كلها) يعنى الأصناف كلها (مما تنبت الارض) اى من الأشجار والثمار والحبوب (ومن أنفسهم) يعنى الذكر والانثى (ومما لا يعلمون) يعنى مما خلق الله تعالى من الأشياء فى البر والبحر من الدواب * قوله عز وجل (وآية لهم) يعنى تدلهم على قدرتنا (الليل نسلخ) أى ننزع ونكشط (منه النهار فاذاهم مظلمون) يعنى فاذاهم فى الظلمة وذلك ان الأصل هى الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة (والشمس تجرى لمستقر لها) يعنى إلى مستقر لها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير فى منازلها حتى تنتهى إلى مستقرها الذى لا تجاوزه ثم ترجع إلى أول منازلها وهو انها تسير حتى تنتهى إلى ابعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء وقرا ابن مسعود والشمس تجرى لا مستقر لها اى لا قرار ولا وقوف فهى جارية ابدا إلى يوم القيامة وقد صح عن النبى ﷺ فيما رواه ابو ذر قال سألت النبى ﷺ عن قوله والشمس تجرى لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفى رواية قال النبى ﷺ لابى ذر حين غربت الشمس اتدرى اين تذهب الشمس قال الله ورسوله اعلم قال انها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس

(والشمس تجرى لمستقر لها) أى إلى مستقر لها قيل إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيل الساعة وقيل أنها تسير حتى تنتهى إلى ابعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها لانها لا تجاوزها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء وقد صح عن النبى ﷺ انه قال مستقرها تحت العرش اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا الحميدى انا وكيع عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن ابيه عن ابى ذر قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله والشمس تجرى لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش أخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا الحميدى انا وكيع ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابيه عن ابى ذر قال قال رسول الله ﷺ لابى ذر حين غربت الشمس اتدرى اين تذهب قال قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها

(ذلك تقدير العزيز العليم) وروى عمر بن دينار عن ابن عباس والشمس تجرى لا مستقر لها وهى قراءة ابن مسعود أى لا قرار لها ولا وقوف فهى جارية ابدا ذلك تقدير العزيز العليم (والقمر قدرناه) اى قدرنا له قرا ابن كثير ونافع وأهل البصرة القمر برفع الراء لقوله وآية لهم الليل والشمس والقمر وقرأ الاخرون بالنصب لقوله قدرناه اى قدرنا القمر (منازل) وقد ذكرنا اسامى المنازل فى سورة يس فاذا صار القمر إلى آخر المنازل دق فذلك قوله (حتى عاد كالعرجون القديم) والعرجون عود العذق الذى عليه الشماريخ فاذا قدم عتق يبس وتقوس واصفر فشبه القمر فى دقته وصفرته فى آخر المنازل به (لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر) اى لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقصائه وهو قوله (٨) تعالى (ولا الليل سابق النهار) اى هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجىء احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل أحدهما فى سلطان الاخر لا يطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء واذا اجتمعا وأدرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة وقيل لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر اى تجتمع معه فى فلك واحد ولا الليل سابق النهار اى لا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما فاصل (وكل فى فلك يسبحون) يجرون (وآية لهم انا حملنا ذريتهم) قرأ أهل المدينة فى الشام ويعقوب ذرياتهم بجمع وقرأ الاخرون ذريتهم على التوحيد فمن جمع كسر التاء ومن لم يجمع نصبها والمراد بالذرية الاباء والاجداد واسم الذرية يقع على الاباء كما يقع على الاولاد (فى الفلك المشحون) اى المملوء واراد سفينة نوح وهؤلاء من نسل من حمل مع نوح وكانوا فى اصلابهم (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) قيل اراد به السفن التى عملت بعد سفينة نوح على هيئتها وقيل أراد بالسفن التى تجرى فى الأنهار فهى فى الانهار كالفلك الكبار فى البحار هذا قول قتادة والضحاك وغيرهما وروى عن ابن عباس انه قال وخلقنا لهم من مثله ما يركبون يعنى الابل فالابل فى البر كالسفن فى البحر (وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ) اى لا مغيث (لهم ولا هم ينقذون) ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا احد ينقذهم من عذابى (إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين) إلى انقضاء اجالهم يعنى إلا ان يرحمهم ويمتعهم إلى حين اجالهم (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم) قال ابن عباس ما بين ايديكم يعنى الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعنى من الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم وقائع الله فيمن كان قبلكم من الأمم وما خلفكم عذاب الاخرة وهو قول قتادة ومقاتل (لعلكم ترحمون) والجواب محذوف تقديره اذا قيل لهم هذا اعرضوا عنه دليله ما بعده

تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم أخرجاه فى الصحيحين قال الشيخ محيى الدين النووى اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدى فعلى هذا القول إذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع وقيل تجرى إلى وقت لها واصل لا تتعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وأما سجود الشمس فهو تمييز وإدراك يخلقه الله تعالى فيها وهو أعلم (ذلك) يعنى الذى ذكر من جرى الشمس على ذلك التقدير والحساب الذى يكل النظر عن استخراجه وتتحير الافهام عن استنباطه (تقدير العزيز) يعنى الغالب بقدرته على كل شىء مقدور (العليم) يعنى المحيط علما بكل شىء * قوله تعالى (والقمر قدرناه منازل) يعنى قدرنا له منازل وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة فى منزل منها لا يتعداه يسير فيها من ليله المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص فاذا كان فى اخر منازله رق وتقوس فذلك قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وهو العود الذى عليه شماريخ العذق إلى منبته من النخلة والقديم الذى أتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهائه إلى اخر منازله (لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر) يعنى لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) يعنى هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجىء أحدهما قبل وقته وقيل لا يدخل احدهما فى سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وأدرك أحدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه الشمس لا تجتمع مع القمر فى فلك واحد ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل (وكل فى فلك يسبحون) اى والشمس والقمر فى فلك يسيرون * قوله عز وجل (وآية لهم انا حملنا ذريتهم) يعنى اولادهم (فى الفلك المشحون) يعنى المملوء (وخلقنا لهم من مثله) يعنى مثل الفلك (ما يركبون) يعنى من الابل وهى سفائن البر وقيل أراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه السلام ومعنى الاية ان الله عز وجل حمل اباءهم الأقدمين فى أصلاب الذين كانوا فى السفينة فكانوا ذرية لهم ومنه قول العباس

بل نطفة تركب السفين وقد * الجم نسرا وأهله الغرق

وإنما ذكر ذريتهم لأنه ابلغ فى الامتنان عليهم وأبلغ فى التعجب من قدرته فعلى هذا القول يكون قوله من مثله أى من مثل ذلك الفلك ما يركبون أى من السفن والزوارق فى الأنهار الكبار والصغار (وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) يعنى لا مغيث لهم (ولا هم ينقذون) يعنى ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من عذابى (إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين) يعنى إلا أن يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضاء اجالهم (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم) قال ابن عباس ما بين ايديكم وقائع الله فيمن كان قبلكم من الأمم وما خلفكم عذاب الاخرة وقيل ما بين ايديكم يعنى الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم يعنى الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعنى من الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم يعنى وقائع الله تعالى بمن كان قبلكم من الأمم وما خلفكم يعنى الاخرة (لعلكم ترحمون)

(وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) أي دلالة على صدق محمد ﷺ (إلا كانوا عنها معرضين وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله) أعطاكم الله (قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم) أنرزق (من لو يشاء الله اطعمه) وذلك ان المؤمنين قالوا لكفار مكة انفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم انه لله وهو ما جعلوه الله من حروثهم وانعامهم قالوا انطعم انرزق من لو يشاء الله اطعمه رزقه ثم لم يرزقه مع قدرته عليه فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطي (٩) من حرمه الله وهذا الذي يزعمون لأن

أي لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب إذا محذوف تقديره وإذا قيل لهم اتقوا واعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى (وما تأتيهم من اية من ايات ربهم) أي دلالة على صدق محمد ﷺ (إلا كانوا عنها معرضين) قوله عز وجل (وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم) أي مما أعطاكم (الله) نزلت في كفار قريش وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة انفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله تعالى من أموالكم وهو ما جعلوه لله من حروثهم وأنعامهم (قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم) اي أنرزق (من لو يشاء الله أطعمه) اي رزقه قيل كان العاص بن وائل السهمي إذا سأله المسكين قال له اذهب إلى ربك فهو أولى مني بك ويقول قد منعه افاطعمه أنا ومعنى الاية انهم قالوا لو اراد الله ان يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لأن الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا واعطى الدنيا الغنى لا إستحقاقا وامر الغنى بالإنفاق لاحاجة إلى ماله ولكن ليبلو الغنى بالفقير فما فرض له من سال الغنى ولا اعتراض لأحد في مشيئة الله وحكمته في خلقه والمؤمن يوافق امر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء (إن انتم إلا في ضلال مبين) قيل هو من قول الكفار للمؤمنين ومعناه ما انتم إلا في خطأ بين باتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه وقيل هو من قول الله تعالى للكفار لما ردوا من جواب المؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) يعني يوم القيامة والبعث (ان كنتم صادقين) قال الله تعالى (ما ينظرون) يعني ينتظرون (إلا صيحة واحدة) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد النفخة الأولى (تأخذهم وهم يخصمون) يعني في أمر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون في الاسواق والمجالس وفي متصرفاتهم فتأتيهم الساعة اغفل ما كانوا عنها وقد صح في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها أخرجه البخاري وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا فأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس اللتحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج وقوله وهو يليط حوضه يعني يطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض ابله وأصله من اللوط وقوله أصغى ليتا الليت صفحة العنق ويصغي يعني أمال عنقه يسمع * وقوله تعالى (فلا يستطيعون توصية) اي لا يقدرون على الايصال بل أعجلوا عن الوصية فماتوا (ولا إلى أهلهم يرجعون) يعني لا يقدرون على الرجوع إلى أهلهم لان الساعة لا تمهلهم بشيء (ونفخ في الصور) هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة (ق) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ ما بين النفختين اربعون قالوا يا أبا هريرة اربعين يوما قال ابيت قالوا اربعين شهرا قال ابيت قالوا أربعين سنة قال ابيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء لا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة (فاذا هم من الاجداث) اى القبور (إلى ربهم ينسلون) اى يخرجون منها احياء (قالوا يا ويلنا من

الله اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وأمر الغنى بالإنفاق لاحاجة إلى ماله ولكن ليبلو الغنى بالانفاق لاحاجة إلى ماله ولكن ليبلو الغنى بالفقير فما أمر وفرض له في مال الغنى ولا اعتراض لأحد على مشيئة الله وحكمه في خلقه (إن انتم إلا في ضلال مبين) يقول الكفار للمؤمنين ما أنتم إلا في خطأ بين في اتباعكم محمد وترك ما نحن عليه (ويقولون متى هذا الوعد) أي القيامة والبعث (إن كنتم صادقين قال الله تعالى (ما ينظرون) أي ما ينتظرون (إلا صيحة واحدة) قال ابن عباس يريد النفخة الأولى (تأخذهم وهم يختصمون) يعني يختصمون في أمر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون في المجالس والأسواق قرأ حمزة يختصمون بسكون الخاء وتخفيف الصاد أي يغلب بعضهم بعضا بالخصام وقرأ الاخرون بتشديد الصاد أي يختصمون ادغمت التاء في الصاد ثم ابن كثير ويعقوب وورش يفتحون

(٢ - خازن - س) الخاء بنقل حركة التاء المدغمة اليها ويحزمها ابو جعفر وقالون ويروم فتحة الخاء أبو عمرو وقرأ الباقون بكسر الخاء ورويا ان النبي ﷺ قال لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد رفع رجل اكلته الى فيه فلا يطعمها قوله عز وجل (فلا يستطيعون توصية) اى لا يقدرون الايصاء قال مقاتل عجلوا عن الوصية فماتوا (ولا الى اهلهم يرجعون) ينقلبون والمعنى ان الساعة لا تمهلهم لشيء (ونفخ في الصور) وهي الاخيرة نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة (فاذا هم من الاجداث) اى القبور واحدها إجدث (الى ربهم ينسلون) يخرجون من القبور احياء ومنه قيل للولد نسل لخروجه من بطن أمه (قالوا يا ويلنا من

بعثنا من مرقدنا) قال أبي بن كعب وابن عباس وقتادة إنما يقولون هذه لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد النفخة الأخيرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل وقال أهل المعاني ان الكفار إذا عاينوا جهنم وانواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ثم قالوا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) أقروا حين لم ينفعهم الاقرار وقيل قالت الملائكة لهم هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد يقول الكفار هن بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (إن كانت) ما كانت (إلا صيحة واحدة) يعني النفخة الاخيرة (فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون إن أصحاب الجنة اليوم في شغل) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو في شغل بسكون الغين والباقون بضمها وهما لغتان مثل السحت والسحت واختلفوا في معنى الشغل قال ابن عباس في افتضاض الأبكار وقال وكيع بن الجراح في السماع وقال الكلبي في شغل عن أهل النار وعما هم فيه لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم وقال الحسن شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب وقال ابن كيسان في زيارة بعضهم بعضاً وقيل في ضيافة الله تعالى (١٠) (فاكهون) قرأ أبو جعفر فكهون حيث كان وافقه حفص في المطففين وهما لغتان مثل الحاذر والحذر اى ناعمون قال مجاهد والضحاك معجبون بما هم فيه وعن ابن عباس قال فرحون (هم وازواجهم) اى حلائلهم (في ظلال) قرا حمزة والكسائي ظلل بضم الظاء من غير الف جمع ظلة وقرا العامة في ظلال بالألف وكسر الظاء على جمع ظل (على الأرائك) يعني السرر في الحجال واحدتها اريكة قال ثعلب لا تكون اريكة حتى يكون عليها حجلة (متكئون) ذوو اتكاءة (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) يتمنون ويشتهون (سلام قولا من رب رحيم) اى يقول الله لهم ولا اخبرنا ابو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي انا اسحق احمد بن محمد

بعثنا من مرقدنا) قال ابن عباس إنما يقولون هذا لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد الثانية وعاينوا أهوال القيامة دعوا بالويل وقيل إذا عاين الكفار جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) اقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل قالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (إن كانت إلا صيحة واحدة) يعني النفخة الأخيرة (فاذا هم جميع لدينا محضرون) أي للحساب (فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) * قوله تعالى (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل) قال ابن عباس افتضاض الأبكار وقيل في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله تعالى وقيل في السماع وقيل شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب الاليم (فاكهون) قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه (هم وأزواجهم في ظلال) يعني اكنان القصور (على الأرائك) يعني السرر وفي الحجال (متكئون) يعني ذوو اتكاء تحت تلك الظلال (لهم فيها فاكهة) أي في الجنة (ولهم ما يدعون) يعني ما يتمنون ويشتهون والمعنى ان كل ما يدعون أي أهل الجنة يأتيهم (سلام قولا من رب رحيم) يعني يسلم الله عز وجل عليهم روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم ينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم وقيل تسلم الملائكة عليهم من ربهم وقيل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الأبدية (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) يعني اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل كافر في النار بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه ابدا الأبدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض * قوله عز وجل (ألم أعهد اليكم يا بني آدم) أي ألم آمركم وأوصيكم يا بني ادم (ان لا تعبدوا الشيطان) يعني لا تطيعوه فيما يوسوس ويزين لكم

ابراهيم الثعلبي أنا عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الملحمي الاصفهاني انا من الحسن بن ابي علي الزعفراني انا ابن ابي الشوارب انا أبو عاصم العبادانی انا الفضل الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب تعالى قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره بركة عليهم في ديارهم وقيل يسلم عليهم في ديارهم وقيل تسلم عليهم الملائكة من ربهم وقال مقاتل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم يا اهل الجنة من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الأبدية (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) قال مقاتل اعتزلوا اليوم من الصالحين قال ابو العالية تميزوا وقال السدي كونوا على حدة وقال الزجاج انفردوا عن المؤمنين قال الضحاك ان لكل كافر في النار بيتا يدخل ذلك البيت ويردم بابه بالنار فيكون فيه ابدا لا يرى ولا يرى (الم أعهد اليكم يا بني ادم) الم امركم يا بني ادم (ان لا تعبدوا الشيطان) اى لا تطيعوا الشيطان في معصية الله

إنه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (وان اعبدونى) اطيعونى ووحدونى (هذا صراط مستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا) قرأ اهل المدينة وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ يعقوب جبلا بضم الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ عامر وأبو عمرو بضم الجيم ساكنة الباء خفيفة اللام وقرأ الاخرون بضم الجيم والهاء خفيفة اللام وكلها لغات صحيحة ومعناها الخلق والجماعة أى خلقا كثيرا (افلم تكونوا تعقلون) ما أتاكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس ويقال لهم لما دنوا من النار (هذه جهنم التى كنتم توعدون) بها فى الدنيا (اصلوها) ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على افواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) هذا حين ينكر الكفار كفرهم وتكذيبهم الرسل بقولهم ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى أنا ابو الحسن محمد بن عمرو بن حفصويه السرخسى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة أنا ابو زيد حاتم بن محبوب انا عبد الجبار العلاء أنا سفيان عن سهيل بن ابى صالح عن ابيه عن ابى هريرة قال سأل الناس النبى ﷺ قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة قالوا لا قال فوالذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما قال فيلقى العبد فيقول اى يقول الله ألم اكرمك واسودك (١١) وأزوجك واسخر لك الخيل والإبل واذرك تترأس وتتربع فيقول بلى فيقول افظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول فانى قد انساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والإبل واذرك تتراس وتتربع وقال غيره عن سفيان تراس وتربع فى الموضعين قال فيقول بلى فيقول افظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول قد انساك كما نسيتنى ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب امنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول هنا اذا قال ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك ويتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعتذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى سخط الله أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن احمد الطاهرى انا جدى أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا محمد بن زكريا العذافرى انا إسحق بن ابراهيم الدبرى أنا عبد الرازق انا معمر عن بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال انكم تدعون فيفدم على أفواهكم بالفدام فاول يسأل عن أحدكم فخذه وكفه اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبى النضر حدثنى هاشم بن القاسم انا عبيد الله الاشجعى عن سفيان الثورى عن عبيد المكتب عن فضيل عن الشعبى عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال هل تدرون ممن اضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فانى لا أجيز على نفسى إلا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقى قال فتنطق بأعماله قال ثم تخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت انا ضل

من معصية الله (إنه لكم عدو مبين) اى ظاهر العداوة (وان اعبدونى) اى اطيعونى ووحدونى (هذا صراط مستقيم) اى لا صراط اقوم منه قوله تعالى (ولقد اضل منكم جبلا كثيرا) اى خلقا كثيرا (افلم تكونوا تعقلون) يعنى ما اتاكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار (هذه جهنم التى كنتم توعدون) يعنى بها فى الدنيا (اصلوها) يعنى ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) * قوله تعالى (اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) معنى الاية ان الكفار ينكرون ويجحدون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على افواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا ان اعضاءهم التى كانت عونا لهم على المعاصى صارت شاهدة عليهم وذلك ان إقرار الجوارح ابلغ من إقرار اللسان * فان قلت ما الحكمة فى تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة * قلت ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما راى وهو الفاعل إقرار على نفسه بما فعل (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سأل الناس رسول الله ﷺ فقالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا يارسول الله قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة قالوا لا قال فهو الذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم إلا كما تضارون فى رؤية احدهما قال فيلقى العبد به فيقول يعنى قل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك تراس وتربع فيقول بلى يارب فيقول افظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم انساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول يعنى قل اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك تراس وتربع فيقول بلى يارب فيقول افظننت انك ملاقى فيقول اليوم انساك كما نسيتنى ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول له يارب امنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول هنا اذا قال ثم يقول له الان نبعث شاهدنا عليك فيتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على وفيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقى

(ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) اى أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق وهو معنى الطمس كما قال الله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم يقول كما اعمينا قلوبهم لو شئنا اعمينا ابصارهم الظاهرة (فاستبقوا الصراط) فتبادروا إلى الطريق (فانى يبصرون) فكيف يبصرون وقد اعمينا أعينهم يعنى لو نشاء لأضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ هذا قول الحسن والسدى وقال ابن عباس وقتادة ومقاتل وعطاء معناه لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم فأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فأبصروا وأرشدهم فأنى يبصرون ولم أفعل ذلك بهم (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) يعنى مكانهم يريد لو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير فى منازلهم وقيل لو نشاء لجعلناهم حجارة وهم قعود فى منازلهم لا أرواح لهم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) يعنى إلى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع (ومن نعمره (١٢) نعمره ننكسه فى الخلق) قرأ عاصم وحمزة بالتشديد وقرأ الاخرون بفتح النون الاولى وضم الكاف مخففا اى نرده إلى ارذل العمر شبه الصبى فى اول الخلق وقيل ننكسه فى الخلق اى نضعف جوارحه بعد قوتها ونردها إلى نقصانها بعد زيادتها (افلا يعقلون) فيعتبروا ويعلموا ان الذى قدر على تصريف احوال الانسان يقدر على البعث بعد الموت قوله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) قال الكلبى ان كفار مكة قالوا ان محمدا شاعر او ما يقوله شعر فأنزل الله تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغى له اى ما يتسهل له ذلك وما كان يتزن له بيت من الشعر حتى إذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا اخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا ابو اسحق الثعلبى انا الحسين بن محمد الثقفى انا احمد ابن جعفر بن همدان ثنا يوسف بن عبد الله بن ماهان انا موسى بن اسمعيل انا حماد ابن سلمة عن على بن همدان ثنا يوسف بن أبى زيد عن الحسن ان رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت * كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال ابو بكر يا رسول الله ذلك إنما قال الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * فقال ابو بكر وعمر أشهد انك رسول الله يقول الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا ابو محمد عبد الرحمن بن ابى شريح انا ابو القاسم البغوى انا على بن الجعد انا شريك عن المقدام بن شريح عن ابيه قال قلت لعائشة اكان رسول الله ﷺ يتمثل لشىء من الشعر قالت كان يتمثل من شعر عبد الله بن رواحة قالت وربما قال * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * فانشد رسول الله ﷺ * ويأتيك من تزود بالاخبار * وقالت وربما قال ويأتيك بالاخبار من لم تزود وقال مقمر عن قتادة بلغنى ان عائشة سئلت هل كان النبى ﷺ يتمثل بشىء من الشعر قالت كان الشعر أبغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل بشىء من الشعر إلا ببيت اخى بنى قيس طرفة

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من تزود بالاخبار فقال ابو بكر رضى الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال إنى لست بشاعر ولا ينبغى لى

فتعلق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه قوله أى قل يعنى يا فلان قوله وأسودك اى اجعلك سيدا قوله واذرك تراس أى تتقدم على القوم بأن تصير رئيسهم وتربع اى تأخذ المرباع وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها وروى ترتع بتاء ين اى وتتنعم وتنبسط من الرتع قوله وذلك ليعذر من نفسه اى ليقيم الحجة عليها بشهادة أعضائه عليه (م) عن انس ابن مالك قال كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال هل تدرون مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب الم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فانى لا أجير على نفسى إلا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا أو بالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل قوله لاجيز أى لا أقيل شاهدا على قوله بعدا لكن وسحقا اى هلاكا قوله فعنكن كنت اناضل اى أجادل وأخاصم * قوله تعالى (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أى أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لأعمينا أعينهم الظاهرة كما أعمينا قلوبهم (فاستبقوا الصراط) اى فبادروا إلى الطريق (فانى يبصرون) اى كيف يبصرون وقد اعمينا اعينهم والمعنى ولو نشاء لأضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس يعنى لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم فأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة الى الهدى فابشروا وأرشدهم فانى يبصرون ولم يفعل ذلك بهم (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) يعنى ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير فى منازلهم وقيل لجعلناهم حجارة لا أرواح فيها (فما استطاعوا مضيا) اى لا يقدرون أن يبرحوا (ولا يرجعون) اى إلى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع (ومن نعمره ننكسه فى الخلق) أى نرده إلى أرذل العمر شبه الصبى فى اول الخلق وقيل تضعف جوارحه بعد قوتها وتنقصها بعد زيادتها وذلك ان الله تعالى خلق الانسان فى ضعف من جسده وخلو من عقل وعلم فى حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال إلى حال إلى أن بلغ أشده واستكمل قوته وعقله وعلم ماله وما عليه فاذا انتهى إلى الغاية واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد إلى ضعفه الاول فذلك نكسه فى الخلق (أفلا يعقلون) أى فيعتبرون ويعلمون ان الذى قدر على تصريف أحوال الانسان قادر على البعث بعد الموت * قوله عز وجل (وعلمناه الشعر وما ينبغى له) قيل ان كفار قريش قالوا إن محمدا شاعر وما يقوله شعر فأنزل الله تعالى تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغى له أى ما يسهل له ذلك وما يصلح منه بحيث لو أراد نظم شعر لم يأت له

ذلك كما جعلناه أميا لا يكتب ولا يحسن لتكون الحجة اثبت والشبهة أدحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وإن تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روى عن الحسن ان النبي ﷺ كان يتمثل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يا نبي الله إنما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * اشهد إنك رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له هذا حديث مرسل وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وقد قيل لها هل كان النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول *

ويأتيك بالأخبار من لم يتزود * أخرجه الترمذي وفي رواية لغيره ان عائشة رضى الله عنها سئلت هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه ولم يتمثل إلا بيت أخي بني قيس طرفة

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالأخبار فقال أبو بكر رضى الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال إني لست بشاعر ولا ينبغي لي * فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال بينما نحن مع النبي ﷺ إذا أصابه حجر فدمت أصبعه فقال

هل أنت إلا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

أخرجاه في الصحيحين ولهما من حديث أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال

اللهم أن العيش عيش الأخرة * فاكرم الأنصار والمهاجرة

وروى أن النبي ﷺ قال أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

قلت ما هذا إلا من كلامه الذي يرمى به من غير صنعة فيه ولا تكلف له إلا أنه اتفق كذلك من غير قصد اليه وان جاء موزونا كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون يدخل في وزن البحور ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى (إن هو إلا ذكر) يعني ما هو إلا ذكر من الله تعالى يعظ به الإنس والجن ليس بشعر لأنه ليس على أساليب الشعر ولا يدخل في بحوره (وقرآن مبين) أي أنه كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه بيان الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين وأقاويل الشعراء الكاذبين (لتنذر) أي يا محمد وقرىء بالياء اى القرآن (من كان حيا) يعني مؤمنا حي القلب لأن الكافر كالميت الذي لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول) أي وتجب حجة العذاب (على الكافرين) قوله عز وجل (أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا) اى تولينا خلقه بابداعنا له من غير إعانة احد في إنشائه كقول القائل عملت هذا بيدي إذا تفرد به ولم يشاركه فيه أحد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة التي لا يقدر عليها الا هو (أنعاما) انما خص الانعام بالذكر وان كانت الأشياء كلها من خلق الله تعالى وايجاده لأن النعم أكثر أموال العرب والنفع بها أعم (فهم لها مالكون) أي خلقناهم لأجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

أي لا أضبط رأس البعير والمعنى لم تخلق الأنعام وحشية نافرة من بني ادم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى (وذللناها لهم فمنها ركوبهم) أي الإبل (ومنها يأكلون) أي الغنم (ولهم فيها منافع) اى من اصوافها واوبارها واشعارها وجلودها ونسلها (ومشارب) اى من البانها (افلا يشكرون) أي رب هذه النعم (واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون) يعني الأصنام (لعلهم ينصرون) أي لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط (لا يستطيعون نصرهم) قال ابن عباس لا تقدر الأصنام على نصرهم ومنعهم

(إن هو) يعني ما القرآن (إلا ذكر) موعظة (وقرآن مبين) فيه الفرائض والحدود والأحكام (لينذر) قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب لتنذر بالتاء وكذلك في الاحقاف وافق ابن كثير في الاحقاف أي لتنذر يا محمد وقرأ الاخرون بالياء أي لينظر القرآن (من كان حيا) يعني مؤمنا حي القلب لان الكافر كالميت في انه لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول) ويجب حجة العذاب قوله (على الكافرين أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت ايدينا (تولينا خلقه بابداعنا من غير إعانة أحد (أنعاما فهم لها مالكون) ضابطون قاهرون اى لم يخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل هي مسخرة لهم وهي قوله (وذللناها لهم) سخرنا لهم (فمنها ركوبهم) أي ما يركبون وهي الإبل (ومنها يأكلون) من لحمانها (ولهم فيها منافع) أي من أصوافها واوبارها واشعارها ونسلها (ومشارب) من البانها (افلا يشكرون) رب هذه النعم (واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون) يعني لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط

(لا يستطيعون نصرهم) قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب

(وهم لهم جند محضرون) أى الكفار جند الأصنام يغضبون لها ويحضرونها فى الدنيا وهى لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا فى الاخرة يؤتى بكل معبود من دون الله تعالى ومعه اتباعه الذين عبدوه كانهم جند محضرون فى النار (فلا يحزنك قولهم) يعنى قول كفار مكة فى تكذيبك (إنا نعلم ما يسرون) فى ضمائرهم من التكذيب (وما يعلنون) من عبادة الأصنام أو ما يعلنون بالسنتهم من الأذى قوله تعالى (أولم ير الإنسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم) جدل بالباطل (مبين) بين الخصومة يعنى إنه مخلوق من نطفة ثم يخاصم فكيف لا يتفكر فى بدء خلقه حتى يدع الخصومة نزلت فى أبى بن خلف الجمحى خاصم النبى ﷺ فى إنكار البعث وأتاه بعظم قد بلى ففتته بيده فقال أترى يحيى الله هذا بعد مارم فقال النبى ﷺ نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله هذه الآيات (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) بدأ أمره ثم (قال من يحيى العظام وهى رميم) بالية ولم يقل رميمة لأنه معدول عن فاعلة وكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن أخواته كقوله وما كانت أمك بغيا أسقط الهاء لأنها كانت مصروفة عن باغية (قل يحييها الذى أنشأها) خلقها (أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) قال ابن عباس هما شجرتان يقال لأحدهما المرخ والأخرى العفار فمن اراد منهم النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضر اوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار باذن الله عز وجل تقول العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وقال الحكماء فى كل شجر نار الا العناب (فاذا انتم منه توقدون) تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان فقال (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر) قرأ يعقوب بقادر بالياء على الفعل (على ان يخلق مثلهم بلى) اى قل بلى هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) يخلق خلقا بعد خلق (العليم) بجميع ما خلق (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت) أى ملك (كل شىء واليه ترجعون) اخبرنا الامام ابو على الحسين بن محمد القاضى انا ابو الطاهر الزيادى انا ابو بكر محمد بن الحسين القطان حدثنا على بن الحسين الدرابجردى حدثنا عبد الله بن عثمان أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمى عن أبى عثمان وليس بالنهدى عن معقل بن يسار قال قال رسول الله ﷺ إقرؤا على موتاكم سورة يس ورواه محمد بن العلاء عن ابن المبارك وقال عن أبى عثمان وليس بالنهدى عن أبيه عن معقل بن يسار

﴿ سورة الصافات مكية وهى مائة وثمانون اية ﴾

من العذاب (وهم لهم جند محضرون) أى الكفار جند الأصنام يغضبون لها ويحضرونها فى الدنيا وهى لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا فى الاخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه اتباعه الذين عبدوه فى الدنيا كانهم جند محضرون فى النار (فلا يحزنك قولهم) يعنى قول كفار مكة فى تكذيبك يا محمد (إنا نعلم ما يسرون) اى فى ضمائرهم من التكذيب (وما يعلنون) اى من عبادة الاصنام وقيل ما يعلنون بالسنتهم من الأذى * قوله تعالى (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) أى من نطفة قذرة خسيسة (فاذا هو خصيم مبين) اى جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة اصله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته فى إنكاره البعث وكيف لا يتفكر فى بدء خلقه وأنه من نطفة قذرة ويدع الخصومة نزلت فى ابى بن خلف الجمحى خاصم النبى ﷺ فى إنكار البعث وأتاه بعظم قد رم وبلى ففتته بيده وقال أترى يحيى الله هذا بعد مارم فقال النبى ﷺ نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله تعالى هذه الايات (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) اى بدا امره (قال من يحيى العظام وهى رميم) أى بالية والمعنى وضرب لنا مثلا فى إنكار البعث بالعظم البالى حين فتته بيده وتعجب ممن يقول ان الله تعالى يحييه ونسى اول خلقه وانه مخلوق من نطفة (قل يحييها الذى أنشأها اول مرة) أى خلقها اول مرة وابتدأ خلقها (وهو بكل خلق) أى من الأبتداء والإعادة (عليم) أى يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شىء من خلق المبدا والمعاد (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) قال ابن عباس رضى الله عنهما هما شجرتان يقال لأحدهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والأخرى العفار بالعين المهملة فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضر وان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار بأذن الله تعالى تقول العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أى استكثر منها وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا وقال الحكماء فى كل شجر نار إلا العناب (فاذا أنتم منه توقدون) أى تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان فقال تعالى (أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى) أى هو القادر على ذلك (وهو الخلاق) يعنى يخلق خلقا بعد خلق (العليم) أى بجميع ما خلق (إنما أمره إذا أراد شيئا) أى أحداث شىء وتكوينه (ان يقول له كن) أن يكونه من غير توقف (فيكون) أى فيحدث ويوجد لا محالة (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء) أى هو مالك كل شىء والمتصرف فيه (واليه ترجعون) أى تردون بعد الموت والله أعلم

﴿ تفسير سورة والصافات مكية ﴾

وهى مائة واثنتان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة الاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والصافات صفا) قال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن وقتادة هم الملائكة فى السماء يصفون كصفوف الخلق فى الدنيا للصلاة اخبرنا عمر بن عبد العزيز القاشانى اخبرنا ابو عمر القاسم بن جعفر الهاشمى اخبرنا ابو على محمد بن العلاء احمد اللؤلؤى حدثنا ابو داود سليمان بن الاشعث حدثنا عبد الله بن محمد النفيلى حدثنا زهير قال سألت سليمان الأعمش عن حديث جابر بن سمرة فى الصفوف المقدمة فحدثنا عن المسيب بن رافع بن طرفة عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المقدمة ويتراصون فى الصف وقيل هم الملائكة تصف اجنحتها فى الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريده وقيل هى الطيور دليله قوله تعالى والطير صافات قوله تعالى (فالزاجرات زجرا) يعنى تزجر السحاب وتسوقه وقال قتادة هى زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبائح (فالتاليات ذكرا) هم الملائكة يتلون ذكر

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله عز وجل (والصافات صفا) قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق فى الدنيا للصلاة (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون فى الصف لفظ أبى داود وقيل هم الملائكة تصف أجنحتها فى الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل أراد بالصافات الطير تصف أجنحتها فى الهواء (فالزاجرات زجرا) يعنى الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هى زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح (فالتاليات ذكرا) يعنى الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القرآن وهذا كله قسم اقسم الله عز وجل بهذه الأشياء وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى (إن إلهكم لواحد) وذلك ان كفار مكة قالوا اجعل الالهة إلها واحدا فاقسم الله تعالى بهذه الأشياء إن إلهكم لواحد وإنما اقسم بهذه الأشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبده الاصنام فى قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما) يعنى أنه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك * وقوله (ورب المشارق) قيل اراد والمغارب فاكتفى باحداهما قيل السدى المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم فى مشرق وتغرب فى مغرب * فان قلت قد قال فى موضع اخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الايات * قلت أراد بالمشرق والمغرب الجهة التى تطلع فيها الشمس وتغرب وأراد بالمشرق مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدى وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب * قوله تعالى (إنا زينا السماء الدنيا) يعنى التى تلى الأرض وهى أدنى السموات إلى الارض (بزينة الكواكب) قال ابن عباس بضوء الكواكب لأن الضوء والنور من أحسن الصفات واكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب فى السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها أشكالها المتناسبة والمختلفة فى الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش غيرها وقيل ان الانسان إذا نظر فى الليلة المظلمة إلى السماء ورأى هذه الكواكب الزواهى مشرقة مثلألئة على سطح أزرق نظر غاية الزينة (وحفظا من كل شيطان مارد) اى وحفظنا السماء من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب (لا يسمعون إلى الملأ الاعلى) يعنى إلى الملائكة والكتبة لانهم سكان السماء وذلك

الله عز وجل وقيل هم جماعة قراء القرآن وهذا كله قسم اقسم الله تعالى به وجواب القسم قوله (إن إلهكم لواحد) وقيل فيه اضمار أى ورب الصافات والزاجرات والتاليات وذلك ان كفار مكة قالوا اجعل الآلهة إلها واحدا فاقسم الله بهؤلاء (رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) أى مطالع الشمس فان قيل قد قال فى موضع برب المشارق والمغارب وقال فى موضع رب المشرقين ورب المغربين وقال فى موضع رب المشرق والمغرب فكيف وجه التوفيق بين هذه الآيات قيل أما قوله رب المشرق والمغرب أراد به جهة المشرق وجهة المغرب وقوله رب المشرقين

أراد مشرق الشتاء ومشرق الصيف وأراد بالمغربين مغرب الشتاء ومغرب الصيف وقوله برب المشارق والمغارب أراد الله تعالى انه خلق للشمس ثلثمائة وستين كوة فى المشرق وثلثمائة وستين فى المغرب على عدد ايام السنة تطلع الشمس كل يوم من كوة منها وتغرب فى كوة منها لا ترجع إلى الكوة التى تطلع الشمس منها من ذلك اليوم إلى العام المقبل فهى المشارق والمغارب وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب كأنه أراد رب جميع ما شرقت عليه الشمس وغربت (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) قرأ عاصم برواية ابى بكر بزينة منونة الكواكب نصب أى بتزييننا الكواكب وقرأ حمزة وحفص بزينة منونة الكواكب خفضا على البدل أى بزينة بالكواكب أى زيناها بالكواكب وقرأ الاخرون بزينة الكواكب بلا تنوين على الاضافة قال ابن عباس بضوء الكواكب (وحفظا) أى وحفظناها حفظا (من كل شيطان مارد) متمرد يرمون بها (لا يسمعون) قرأ حمزة والكسائى وحفص يسمعون بتشديد السين والميم أى لا يتسمعون فادغمت التاء فى السين وقرأ الاخرون بسكون السين خفيف الميم (إلى الملأ الاعلى) اى الى الكتبة من الملائكة والملأ الاعلى هم الملائكة لانهم فى السماء ومعناه انهم لا يستطيعون الاستماع إلى الملأ

الأعلى (ويقذفون) يرمون (من كل جانب) من كل افاق السماء بالشهب (دحورا) يبعدون عن مجالس الملائكة يقال دحره دحرا ودحورا إذا طرده وابعده (ولهم عذاب واصب) دائم قال مقاتل دائم إلى النفخة الأولى لانهم يحرقون ويتخبلون (إلا من خطف الخطفة) اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة (فاتبعه) لحقه (شهاب ثاقب) كوكب مضيء قوى لا يخطئه يقتله أو يحرقه أو يخبله وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بانهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة ونيل المراد كراكب السفينة قال عطاء سمى النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقبا لأنه يثقبهم (فاستفتهم) يعنى سلهم يعنى أهل مكة (أهم أشد خلقاً أم من خلقنا) يعنى من السموات والأرض والجبال وهذا استفهام بمعنى التقرير اى هذه الاشياء اشد خلقا كما قال لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس وقال أأنتم أشد خلقا ام السماء وقيل ام من خلقنا يعنى من الأمم الخالية لأن من يذكر فيمن (١٦) يعقل يقول ان هؤلاء ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الأمم وقد أهلكناهم بذنوبهم فالذى

يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر خلق الإنسان فقال انا خلقناهم من طين لازب) يعنى جيد حراً لاصق يعلو باليد ومعناه اللازم ابدال الميم باء كانه يلزم اليد وقال مجاهد والضحاك منتن (بل عجبت) قرأ حمزة والكسائى بضم التاء وهى قراءة ابن مسعود وابن عباس والعجب من الله عز وجل ليس كالتعجب من الادميين كما قال فيسخرون منهم سخر الله منهم وقال عز وجل نسوا الله فنسيهم والعجب من الآدميين انكاره وتعظيمه والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء فى الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وجاء فى الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وسئل الجنيد عن هذه الاية فقال ان الله لا يعجب من شيء ولكن الله وافق رسوله لما عجب رسوله فقال لمبعوثون وان تعجب فعجب قولهم اى هو كما تقـــوله وقرا الاخرون بفتح التاء على خطاب النبى ﷺ اى عجبت من تكذيبهم اياك (ويسخرون) يعنى وهم يسخرون من تعجبك قال قتادة عجب النبى ﷺ من هذا القران حين أنزل وضلال بنى ادم وذلك أن النبى ﷺ كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به فعجب من ذلك النبى ﷺ فقال الله تعالى بل عجبت ويسخرون (واذا ذكروا لا يذكرون) يعنى اذا وعظوا بالقرآن لا يتعظـــون (واذا رأوا آية) قال ابن عباس ومقاتل يعنى انشقاق القمر (يستسخرون) يسخرون ويستهزؤن وقيل يستدعى بعضهم عن بعض السخرية (وقالوا ان هذا الا سحر مبين) يعنى سحر بين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا

إن الشياطين يصعدون إلى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به أولياءهم الأنس ويوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله تعالى (ويقذفون) أى يرمون بها (من كل جانب) أى أفاق السماء (دحورا) أى يبعدونهم مجالس الملائكة (ولهم عذاب واصب) اى دائم (إلا من خطف الخطفة) اى اختلس الكلمة من كلام الملائكة (فاتبعه) اى لحقه (شهاب ثاقب) أى كوكب مضيء قوى لا يخطئه بل يقتله ويحرقه أو يخبله وقيل سمى النجم الذى ترمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم * فان قلت كيف يمكن ان تذهب الشياطين إلى حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون إلى مقصودهم ثم يعودون إلى مثل ذلك * قلت إنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم أنهم لا يصلون اليه طمعا فى السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة * وقوله عز وجل (فاستفتهم) يعنى سل أهل مكة (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) يعنى من السموات والأرض والجبال وهو استفهام تقرير اى هذه الاشياء اشد خلقا وقيل ام من خلقنا يعنى من الامم الخالية والمعنى ان هؤلاء ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الأمم وقد أهلكناهم بذنوبهم فما الذى يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر خلق الانسان فقال (إنا خلقناهم من طين لازب) يعنى ادم من طين جيد حر لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين نتن (بل عجبت) قرىء بالضم على إسناد التعجب إلى الله تعالى وليس هو كالتعجب من الادميين لأن العجب من الناس محمول على إنكار الشيء وتعظيمه والعجب من الله تعالى محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وإن كانت حسنة فيترتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الإنكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء فى الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صورة وفى حديث آخر عجب ربكم من آلكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وقوله من آلكم الآل أشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن هذه الاية فقال ان الله لا يعجب من شيء ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم أى هو كما تقوله وقرىء بفتح التاء على انه خطاب للنبى ﷺ أى عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبى الله ﷺ من هذا القران حين انزل وضلال بنى ادم وذلك ان النبى ﷺ كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن وسخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبى ﷺ فقال الله تعالى بل عجبت (ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون) اى واذا وعظوا لا يتعظون (واذا رأوا آية) قال ابن عباس يعنى انشقاق القمر (يستسخرون) أى يستهزؤن وقيل يستدعى بعضهم بعضا الى أن يسخر (وقالوا ان هذا الا سحر مبين) أى بين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا

لمبعوثون أو آباؤنا الأولون) أي وأباؤنا الأولون (قل نعم) تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون والدخور أشد الصغار (فانما هي) أي قصة البعث أو القيامة (زجرة) اى صيحة واحدة) يعني نفخة البعث (فاذاهم ينظرون) أحياء (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) أي يوم الحساب ويوم الجزاء (هذا يوم الفصل) يوم القضاء وقيل يوم الفصل بين المحسن والمسيء (الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا) أي اشركوا اجمعوهم إلى الموقف للحساب والجزاء (وأزواجهم) اشياعهم واتباعهم وأمثالهم قال قتادة والكلبي كل من عمل مثل عملهم فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنا مع اهل الزنا وقال الضحاك ومقاتل وقرناءهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقال الحسن وازواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) في الدنيا يعني من الأوثان والطواغيت وقال مقاتل يعني ابليس وجنوده واحتج بقوله ان لا تعبدوا الشيطان (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) قال ابن عباس دلوهم إلى طريق النار وقال ابن كيسان قدموهم والعرب تسمي السابق هاديا (وقفوهم) واحبسوهم يقال وقفته وقفا فوقف وقوفا قال المفسرون لما سيقوا إلى النار حبسوا عند الصراط لأن

لمبعوثون او اباؤنا الأولون قل نعم وانتم داخرون) اى صاغرون (فانما هي زجرة واحدة) أي صيحة واحدة وهي نفخة البعث (فاذاهم ينظرون يعني احياء (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) يعني يوم الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) اى القضاء وقيل بين المحسن والمسيء (الذي كنتم به تكذبون) اى الدنيا (احشروا) اى اجمعوا (الذين ظلموا) اى اشركوا وقيل هو عام في كل ظالم (وأزواجهم) أى أشباههم وأمثالهم فكل طائفة مع مثلها فاهل الخمر مع اهل الخمر وأهل الزنا مع اهل الزنا وقيل ازواجهم اى قرناء من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل أزواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) اى في الدنيا يعني الاصنام والطواغيت وقيل إبليس وجنوده (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) قال ابن عباس اى دلوهم إلى طريق النار (وقفوهم اى احبسوهم (انهم مسؤولون) لما سيقوا إلى النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وافعالهم ويروى عنه عن لا إله إلا الله وروى عن ابي برزة ان رسول الله ﷺ قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن اربع عن عمره فيما (١) افناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما ابلاه وفي رواية عن شبابه فيما ابلاه اخرجه الترمذي وله عن انس ان رسول الله ﷺ قال من داع دعا إلى شيء إلا كان موقوفا يوم القيامة لازما به لا يفارقه وإن دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤولون (مالكم لا تناصرون) يعني تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم مالكم لا ينصر بعضكم بعضا وهذا جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى (بل هم اليوم مستسلمون) قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم (وأقبل بعضهم على بعض) يعني الرؤساء والاتباع (يتساءلون) يعني يتخاصمون (قالوا) يعني الرؤساء للاتباع (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) يعني من قبل الدين فتضلوننا وتروننا ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم ان الدين الذي يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم حلفتم لنا فوثقنا بأيمانكم وقيل عن اليمين يعني عن العزة والقدرة والقول الأول اصح (قالوا) يعني الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) يعني لم تكونوا على حق حتى فضلكم عنه بل كنتم على الكفر (وما كان لنا عليكم من سلطان) يعني قوة قدرة فنقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) يعني ضالين (فحق علينا) يعني وجب علينا جميعا (قول ربنا) يعني

السؤال عند الصراط لأن وقفوهم (انهم مسؤولون) قال ابن عباس عن جميع اقوالهم وأفعالهم وروى عنه عن لا إله إلا الله وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما ابن ادم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم (مالكم لا تناصرون) أي لا تتناصرون يقال لهم توبيخا مالكم لا ينصر بعضكم بعضا يقول لهم خزنة النار هذا جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر فقال الله تعالى (بل هم اليوم مستسلمون) قال ابن عباس خاضعون وقال الحسن منقادون يقال استسلم للشيء إذا انقاد له

(٣ - خازن - س) وخضع له والمعنى هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم (وأقبل بعضهم على بعض) يعني الرؤساء والاتباع (يتساءلون) يتخاصمون (قالوا) اى الاتباع للرؤساء (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) اى من قبل الدين فتضلوننا عنه وتروننا ان الدين ما تضلوننا به قاله الضحاك وقال مجاهد عن الصراط الحق واليمين عبارة عن الدين والحق كما اخبر الله تعالى عن إبليس ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم فمن اتاه الشيطان من قبل اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق وقال بعضهم كان الرؤساء يحلفون لهم أن ما يدعونهم إليه هو الحق فمعنى قوله تأتوننا عن اليمين اى من ناحية الايمان التي كنتم تحلفونها فوثقنا بها وقيل عن اليمين اى عن القوة والقدرة كقوله لآتأخذ منه باليمين والمفسرون على القول الأول (قالوا) اى الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) لم تكونوا على الحق فنضلكم عنه اى إنما الكفر من قبلكم (وما كان لنا عليكم من سلطان) من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) ضالين (فحق) وجب (علينا) جميعاً (قول ربنا) يعني كلمة العذاب وهي قوله لأملان جهنم من الجنة والناس اجمعين

(١) قوله فيما افناه الخ كذا في النسخ باثبات ألف ما الاستفهامية وهو قليل

(إنالذائقون) العذاب أى ان الضال والمضل جميعا فى النار (فأغويناكم) فأضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنا عليه (إنا كنا غاوين) ضالين قال الله (فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون) الرؤساء والاتباع (إنا كذلك نفعل بالمجرمين) قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها (ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنى النبى ﷺ قال الله عز وجل ردا عليهم (بل جاء) محمد (بالحق وصدق المرسلين) اى انه أتى بما أتى به الرسول قبله (إنكم لذائقون العذاب الاليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الشرك (إلا عباد الله المخلصين) الموحدين أولئك لهم رزق معلوم) يعنى بكرة وعشيا كما قال ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا

(فواكه) جمع الفاكهة وهى الثمار كلها رطبها ويابسها وهى كل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت

(وهم مكرمون) بثواب الله (فى جنات النعيم على سرر متقابلين) لا يرى بعضهم قفا بعض (يطاف عليهم بكاس) إناء فيه شراب ولا يكون كاسا حتى يكون فيه شراب والا فهو اناء (من معين) خمر جارية فى الانهار ظاهرة تراها العيون (بيضاء) قال الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن (لذة) يعنى اذيذة (للشاربين لا فيها غول) قال الشعبى لا تغتال عقولهم فتذهب بها قال الكلبى اثم وقال قتادة وجع البطن وقال الحسن صداع وقال اهل المعانى الغول فساد يلحق فى خفاء يقال اغتاله اغتيالا اذا فسد عليه امره فى خفية وخمرة الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقىء والبول ولا يوجد شىء من ذلك فى خمر الجنة (ولا هم عنها ينزفون) قرأ حمزة والكسائى ينزفون بكسر الزاى وافقهما عاصم فى الواقعة وقرأ الاخرون بفتح الزاى فيهما فمن فتح الزاى فمعناه لا يغلبهم على عقولهم ولا يسكرون يقال نزف الرجل فهو منزوف ونزيف إذا سكر الزاى فمعناه لا ينزف شرابهم يقال أنزف الرجل فهو منزف إذا فنيت خمره (وعندهم قاصرات الطرف) حابسات الاعين غاضات الجفون قصرن أعينهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم (عين) يعنى حسان الاعين يقال رجل أعين وامرأة عيناء ونساء عين (كانهن بيض) جمع البيضة (مكنون) مضمون مستور وإنما ذكر المكنون والبيض جمع لأنه رده إلى اللفظ قال الحسن شبههن ببيض النعامة تكنها بالريش من الريح والغبار حين خروجها فلونها ابيض فى صفرة ويقال هذا أحسن ألوان ان تكون المرأة بيضاء مشربة صفرة والعرب تشبهها ببيضة النعامة

كلمة العذاب وهو قول لأملان جهنم من الجنة والناس اجمعين (إنالذائقون) يعنى أن الضال والمضل جميعا فى النار (فأغويناكم) يعنى فأضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنا عليه (إنا كنا غاوين) اى ضالين قال الله تعالى (فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون) يعنى الرؤساء والأتباع (إنا كذلك نفعل بالمجرمين) قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين تعالى انهم إنما وقعوا فى ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى (انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) أى يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا ﷺ قال الله تعالى ردا عليهم (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) يعنى انه أتى بما أتى به الرسول قبله من الدين والتوحيد ونفى الشرك (إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) اى فى الدنيا من الشرك والتكذيب (إلا) أى لكن وهو استثناء منقطع (عباد الله المخلصين) اى الموحدين (أولئك لهم رزق معلوم) يعنى بكرة وعشيا وقيل حين يشتهونه يؤتون به وقيل به انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة رائحة وحسن منظم ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى (فواكه) جمع فاكهة وهى الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان أرزاق اهل الجنة كلها فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لأن أجسادهم خلقت للابد فكل ما يأكلونه على سبيل التلذذ ثم ان ذلك حاصل من الاكرام والتعظيم كما قال تعالى (وهم مكرمون) اى بثواب الله تعالى ثم وصف مساكنهم فقال تعالى (فى جنات النعيم على سرر متقابلين) يعنى لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال تعالى (يطاف عليهم بكاس من معين) كل اناء فيه شراب يسمى كاسا وإذا لم يكن فيه شراب فهو إناء وقد تسمى الخمر نفسها كاسا قال الشاعر * وكاسا شربت على لذة * ومعنى معين اى من خمر جارية فى الأنهار ظاهرة تراها العيون (بيضاء) يعنى ان خمر الجنة أشد بياضا من اللبن (لذة) اى لذيذة (للشاربين لا فيها غول) يعنى لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا اثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق فى خفاء وخمر الدنيا يحصل من أنواع الفساد ومنها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقىء والخمار والعربدة وغير ذلك ولا يوجد شىء من ذلك فى خمر الجنة (ولا هم عنها ينزفون) أى لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم ثم وصف أزواجهم فقال تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) اى حابسات الاعين عاضات العيون قصرن أعينهن على أزواجهن فلا ينظرون إلى غيرهم (عين) اى حسان الاعين عظامها (كانهن بيض مكنون) اى مصون مستور شبههن بيض

(فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يعنى أهل الجنة فى الجنة يسأل بعضهم بعضا عن حاله فى الدنيا (قال قائل منهم) يعنى من أهل الجنة (إنى كان لى قرين) فى الدنيا ينكر البعث قال مجاهد كان شيطانا وقال الاخرون كان من الانس وقال مقاتل كانا اخوين وقال الباقون كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهودا وهما اللذان قص الله تعالى خبرهما فى سورة الكهف فى قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين (يقول أئنك لمن المصدقين) بالبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكار (قال) الله تعالى لأهل الجنة (هل أنتم مطلعون) إلى النار وقيل يقول المؤمن لأخوانه من أهل الجنة هل أنتم مطلعون إلى النار لتنظر كيف منزلة أخى فيقول اهل الجنة انت اعرف به منا (فاطلع) قال ابن عباس إن فى الجنة كوى ينظر اهلها منها إلى النار فاطلع هذا المؤمن

بيض النعام لأنها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون لونها أبيض فى صفرة ويقال هذا من أحسن ألوان النساء وهو أن تكون المرأة بيضاء مشوبة بصفرة والعرب تشبه المرأة ببيض النعامة وتسميهن ببيضات الخدور * قوله عز وجل (فأقبل بعضهم على بعض) يعنى أهل الجنة فى الجنة (يتساءلون) أى يسأل بعضهم بعضا عن حاله فى الدنيا (قال قائل منهم) أى من أهل الجنة (إنى كان لى قرين) أى فى الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الأنس قيل كانا أخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله عز وجل خبرهما فى سورة الكهف فى قوله واضرب لهم مثلا رجلين (يقول أئنك لمن المصدقين) أى بالبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) أى مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكارى (قال) الله تعالى لأهل الجنة (هل أنتم مطلعون) أى إلى النار وقيل يقول المؤمن لإخوانه من اهل الجنة هل انتم مطلعون اى لننظر كيف منزلة اخى فى النار فيقول أهل الجنة أنت أعرف به منا (فاطلع) أى المؤمن قال ابن عباس أن فى الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى النار (فرآه فى سواء الجحيم) أى فرأى قرينه فى وسط النار سمى وسط الشىء لاستواء الجوانب منه (قال تالله إن كدت لتردين) أى والله لقد كدت أن تهلكنى وقيل تغوينى ومن أغوى إنسانا فقد أرداه وأهلكه (ولولا نعمة ربى) أى رحمة ربى وإنعامه على بالاسلام (لكنت من المحضرين) اى معك فى النار (افما نحن بميتين إلا موتتنا الاولى) اى فى الدنيا (وما نحن بمعذبين) قيل يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لهم لا فيقولون (إن هذا لهو الفوز العظيم) وإنما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم فى انهم لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لأنهم قد علموا أنهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن أعادوا الكلام ليزدادوا واسروا بتكراره وقيل يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى (لمثل هذا) اى المنزل والنعيم الذى ذكره فى قوله أولئك لهم رزق معلوم (فليعمل العاملون) هذا ترغيب فى ثواب الله تعالى وما عنده بطاعته * قوله تعالى (اذلك الذى ذكره لأهل الجنة من النعيم (خير نزلا) أى رزقا (أم شجرة الزقوم) التى هى نزل اهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره اهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على أشد كراهة وقيل هى شجرة تكون بأرض تهامه من أخبث الشجر (إنا جعلناها فتنة للظالمين) أى للكافرين وذلك أنهم قالوا كيف تكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش أن محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة أهل اليمن فأدخلهم أبو جهل بيته وقال ياجارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال أبو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) أى فى قعر النار وأغصانها ترتفع

(فرآه فى سواء الجحيم) فرأى قرينه فى وسط النار وإنما سمى وسط الشىء سواء لاستواء الجوانب منه (قال) له (تالله إن كدت لتردين) والله لقد كدت أن تهلكنى قال مقاتل والله لقد كدت أن تغوينى ومن أغوى انسانا فقد اهلكه (ولولا نعمة ربى) رحمته وانعامه على بالاسلام (لكنت من المحضرين) معك فى النار (أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى) فى الدنيا (وما نحن بمعذبين) قال بعضهم يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت أفما نحن بميتين فتقول لهم الملائكة لا فيقولون (إن هذا لهو الفوز العظيم) وقيل إنما يقولونه على جهة الحديث بنعمة الله عليهم فى أنهم لا يموتون ولا يعذبون وقيل يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون) يعنى لمثل هذا المنزل ولمثل هذا النعيم الذى ذكره من قوله اولئك لهم رزق معلوم إلى فليعمل العاملون (اذلك) يعنى ذلك الذى ذكر لاهل الجنة (خير نزلا ام شجرة الزقوم) التى هى نزل اهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره أهل على تناولها فهم يتزقمونه على أشد كراهية ومنه قولهم تزقم الطعام إذا تناوله على كره ومشقة (إنا جعلناها فتنة للظالمين) للكافرين وذلك انهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر (وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر فادخلهم أبو جهل بيته وقال ياجارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال تزقموا فهذا مايوعدكم به محمد فقال الله تعالى (إنها شجرة تخرج فى اصل الجحيم) قعر النار وقال الحسن اصلها فى قعر جهنم واغصانها ترتفع إلى دركاتها

(طلعها) ثمرها سمي طلعاً لطلوعه (كأنه رؤوس الشياطين) قال ابن عباس رضي الله عنهما هم الشياطين بأعيانهم شبه بها لقبحها لأن الناس إذا وصفوا شيئا بغاية القبح قالوا كانه شيطان وإن كانت الشياطين لا ترى لان قبح صورتها متصور في النفس وهذا معنى قول ابن عباس والقرظي وقال بعضهم أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانا وقيل هي شجرة قبيحة مرة منتنة تكون في البادية تسميها العرب رؤس الشياطين (فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون) والملء حشو الوعاء بما لا يحتمل الزيادة عليه (ثم إن لهم عليها لشوبا) خلطا ومزاجا (من حميم) من ماء حار شديد الحرارة يقال انهم إذا أكلوا الزقوم شربوا عليه الحميم فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوباله (ثم ان مرجعهم) بعد شرب الحميم (لالى الجحيم) وذلك انهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم كما يورد الابل الماء ثم يردون الى الجحيم دل عليه قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم ان وقرأ ابن مسعود ثم ان متقلبهم لالى الجحيم (انهم الفوا) وجدوا (اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون) يسرعون قال الكلبي يعملون مثل أعمالهم (ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين) من الأمم الخالية (ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الكافرين يعني كان عاقبتهم العذاب (الا عباد الله المخلصين) الموحدين نجوا من العذاب (ولقد نادانا نوح) دعا ربه على قومه فقال اني مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) نحن يعني اجبنا دعاءه واهلكنا قومه (ونجيناه واهله من الكرب العظيم) الغم العظيم الذي لحق قومه وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) واراد ان الناس كلهم من نسل نوح روى الضحاك عن ابن عباس قال لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم قال من سعيد بن المسيب كان ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وماهنالك (وتركنا عليه في الاخرين) يعني أبقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة (سلام على نوح في العالمين) يعني سلام عليه منا في العالمين وقيل يعني تركنا عليه في الاخرين ان يصلى عليه إلى يوم القيامة (إنا كذلك نجزي المحسنين) قال مقاتل جزاه الله باحسانه الثناء الحسن في العالمين (إنه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) يعني الكفار قوله تعالى (وإن من شيعته) يعني من اهل دينه وملته وسنته (لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم) مخلص من الشرك والشك

إلى دركاتها (طلعها) أي ثمرها سمي طلعا لطلوعه (كأنه رؤوس الشياطين) قال ابن عباس هم الشياطين باعيانها شبهها لقبحهم عند الناس * فان قلت قد شبهها بشيء لم يشاهد فكيف وجه التشبيه * قلت انه قد استقر في النفوس قبح الشياطين وإن لم يشاهدوا فكانه قيل ان اقبح الأشياء في الوهم والخيال رؤس الشياطين فهذه الشجرة يشبهها في قبح المنظر والعرب إذا رات منظرا قبيحا قالت كانه راس شيطان قال امرؤ القيس

أيقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

شبه سنان الرمح بأنياب الغول ولم يرها وقيل ان بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤوس الشياطين فشبهها بها وقيل أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمي الحيات القبيحة المنظر شيطانا (فانهم لآكلون منها) أي من ثمرها (فمالئون منها البطون) وذلك انهم يكرهون على اكلها حتى تمتلىء بطونهم (ثم ان لهم عليها لشوبا) أي خلطا ومزاجا (من حميم) أي من ماء شديد الحرارة يقال أنهم أكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم في بطونهم فصار شوبا لهم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) وذلك انهم يردون إلى الجحيم بعد شراب الحميم (انهم الفوا) أي وجدوا (اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون) أي يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم (ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين) اى من الامم الخالية (ولقد ارسلنا فيهم منذرين) أي وأرسلنا فيهم رسلا منذرين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) يعني الكافرين وكانت عاقبتهم العذاب (إلا عباد الله المخلصين) يعني الموحدين نجوا من العذاب والمعنى انظر كيف اهلكنا المنذرين إلا عباد الله المخلصين * قوله عز وجل (ولقد نادانا نوح) أي دعا ربه على قومه وقيل دعا ربه أن ينجيه من الغرق (فلنعم المجيبون) نحن اى دعانا فاجبناه واهلكنا قومه (ونجيناه واهله من الكرب العظيم) يعني من الغم الذي لحق قومه وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) يعني أن للناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال هم سام وحام ويافث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية اخرى سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث أبو الروم وقيل سام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج وماجوج وماهنالك (وتركنا عليه في الاخرين) يعني ابقينا له حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من انبياء والأمم إلى يوم القيامة (سلام على نوح في العالمين) يعني سلام عليه منا في العالمين وقيل تركنا عليه في الاخرين ان يصلى عليه إلى يوم القيامة (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي جزاه الله باحسانه الثناء الحسن في العالمين (إنه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) يعني الكفار * قوله عز وجل (وإن من شيعته) يعني من شيعة نوح (لابراهيم) يعني انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته (إذ جاء ربه بقلب سليم) أي مخلص من الشرك والشك وقيل

(إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) استفهام توبيخ (أئفكا آلهة دون الله تريدون) يعنى أتأفكون إفكا وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله (فما ظنكم برب العالمين) إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم (فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم) قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه وذلك أنه لو أراد أن يكايدهم فى أصنامهم ليلزمهم الحجة فى أنها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد وبجمع وكانوا يدخلون على أصنامهم ويفرشون لهم الفراش ويصنعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى عيدهم زعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لابراهيم الا تخرج غدا معنا إلى عيدنا فنظر إلى النجوم فقال إنى سقيم قال ابن عباس مطعون وكانوا يفرون من الطاعون فرارا عظيما قال الحسن مريض وقال مقاتل وجع وقال الضحاك ساسقم (فتولوا عنه مدبرين) إلى عيدهم فدخل إبراهيم على الأصنام فكسرها كما قال الله تعالى (فراغ إلى الهتهم) (٢١) مال اليها ميلة فى خفية ولا يقال راغ حتى يكون صاحبه مخيفا لذهابه ومجيئه (فقال) استهزاء بها (ألا تأكلون) يعنى الطعام الذى بين أيديكم (مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين) أى كان يضربهم بيده اليمنى لأنها اقوى على العمل من الشمال وقيل باليمين أى بالقوة وقيل أراد به القسم أى بالقسم الذى سبق منه وهو قوله وتالله لأكيدن أصنامكم (فاقبلوا اليه) أى إلى ابراهيم (يزفون) يسرعون وذلك أنهم أخبروا بصنيع ابراهيم بآلهتهم فاسرعوا اليه ليأخذوه وقرأ الأعمش وحمزة يزفون بضم الياء وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان وقيل بضم الياء اى يحملون دوابهم على الجد والاسراع (قال) لهم إبراهيم على وجه الحجاج (أتعبدون ما تنحتون) يعنى ما تنحتون بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) بأيديكم من الأصنام وفيه دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم) معظم النار قال مقاتل بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا فيه النار فطرحوه فيها (فارادوا به كيدا) شرا وهو أن يحرقوه (فجعلناهم الأسفلين) أى المهورين حيث سلم الله تعالى إبراهيم ورد كيدهم (وقال) يعنى إبراهيم (إنى ذاهب إلى ربى) أى مهاجر إلى ربى والمعنى اهجر دار الكفر واذهب إلا مرضات ربى قاله بعد الخروج من النار كما قال إنى مهاجر إلى ربى (سيهدين) إلى حيث امرنى بالمصير اليه وهو الشام قال مقاتل فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لى من الصالحين) يعنى هب لى ولدا صالحا من الصالحين (فبشرناه بغلام حليم) قيل بغلام فى صغره حليم فى كبره ففيه بشارة أنه نبى وأنه يعيش فيبتهى فى السن حتى يوصف بالحلم

من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس ما يحب لنفسه (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) استفهام توبيخ (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أى أتأفكون إفكا وهو أسوأ الكذب وتعبدون الهة سوى الله تعالى (فما ظنكم برب العالمين) أى إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم (فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم) قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون لئلا ينكروا عليه وذلك أنه أراد أن يكايدهم فى أصنامهم ليلزمهم الحجة فى أنها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد وبجمع فكانوا يدخلون على أصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى عيدهم وزعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لابراهيم الا تخرج معنا إلى عيدنا فنظر فى النجوم فقال إنى سقيم قال ابن عباس أى مطعون وكانوا يفرون من المطعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه متساقم وهو معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه فى سورة الأنبياء. وقيل أنه خرج معهم إلى عيدهم فلما كان ببعض الطريق التى نفسه وقال إنى سقيم اشتكى رجلى (فتولوا عنه مدبرين) أى الى عيدهم فدخل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الأصنام فكسرها وهو قوله تعالى (فراغ) أى مال (الى الهتهم) ميلة فى خفية (فقال) أى للاصنام استهزاء بها (ألا تأكلون) يعنى الطعام الذى بين أيكم (مالكم لا تنطقون فراغ) أى مال (عليهم ضربا باليمين) أى ضربهم بيده اليمنى لأنها اقوى من الشمال فى العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل أراد باليمين القسم وهو قوله وتالله لأكيدن أصنامكم (فاقبلوا اليه) يعنى إلى ابراهيم (يزفون) أى يسرعون وذلك أنهم أخبروا بصنع ابراهيم بالهتهم فاسرعوا اليه ليأخذوه (قال) لهم ابراهيم على وجه الحجاج (أتعبدون ما تنحتون) اى بأيديكم من الأصنام (والله خلقكم وما تعملون) اى وعملكم وقيل وخلق الذى تعملونه بأيديكم من الأصنام وفى الاية دليل على ان أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) قيل أنهم بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله تعالى (فارادوا به كيدا) يعنى شرا وهو أن يحرقوه (فجعلناهم الأسفلين) يعنى المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد كيدهم (وقال) يعنى ابراهيم (انى ذاهب الى ربى) يعنى مهاجر الى ربى وأهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار (سيهدين) يعنى الى حيث امرنى بالمصير اليه وهو أرض الشام فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لى من الصالحين) يعنى هب لى ولدا صالحا (فبشرناه بغلام حليم) قيل غلام فى صغره حليم فى كبره وفيه بشارة انه ابن وأنه يعيش وينتهى فى السن حتى يوصف

(فلما بلغ معه السعى) قال ابن عباس وقتادة يعنى المشى معه إلى الجبل وقال مجاهد عن ابن عباس لما شب حتى بلغ سعيه سعى إبراهيم والمعنى بلغ أن يتصرف معه ويعينه فى عمله قال الكلبى يعنى العمل لله تعالى وهو قول الحسن ومقاتل بن حيان وابن زيد قالوا هو العبادة لله تعالى واختلفوا فى سنه قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل كان ابن سبع سنين قوله تعالى (قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى اذبحك) واختلف العلماء من المسلمين فى هذا الغلام الذى أمر ابراهيم بذبحه بعد اتفاق أهل الكتابين على أنه اسحق فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس ومن التابعين واتباعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى وهى رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس قالوا وكانت هذه القصة بالشام وروى عن سعيد بن جبير قال رأى ابراهيم ذبح اسحق فى المنام فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى فلما أمره الله تعالى بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة وطويت له الأودية والجبال وقال آخرون هو اسمعيل واليه ذهب عبد الله بن عمر وهو قول سعيد بن المسيب والشعبى والحسن البصرى ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظى والكلبى وهى رواية عطا بن أبى رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدى اسمعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله ﷺ ومن ذهب إلى ان الذبيح اسحق احتج من القران بقوله فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى أمر بذبحه من بشر به وليس فى القرآن انه بشر بولد سوى اسحق كما قال فى سورة هود فبشرناها باسحق ومن ذهب إلى انه اسمعيل احتج بان الله تعالى ذكر البشارة باسحق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين دل على ان المذبوح غيره وايضا قال الله تعالى فى سورة هود فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما بشر باسحق بشره بابنه يعقوب فكيف يأمره بذبح اسحق وقد وعده بنافلة منه قال القرطبى سأل عمر بن عبد العزيز رجلا كان من علماء اليهود اسلم وحسن إسلامه اى ابنى إبراهيم امر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون اباكم الذى كان امر الله تعالى بذبحه ويزعمون انه اسحق بن إبراهيم ومن الدليل عليه ان قرنى الكبش كانا منوطين بالكعبة فى ايدى بنى اسمعيل إلى ان احترق البيت واحترق القرنان فى ايام ابن الزبير والحجاج قال الشعبى رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة وعن ابن اعباس قال والذى نفسى بيده لقد كان اول الاسلام وأن رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة وقد وحش يعنى يبس قال الاصمعى سالت اباعمرو بن العلاء عن الذبيح اسحق كان أو اسمعيل فقال يا اصمعى اين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة إنما كان اسماعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع ابيه واما قصة الذبح قال السدى لما دعا إبراهيم فقال رب هب لى من الصالحين وبشره قال هو إذا لله ذبيح فلما ولد بلغ معه السعى قيل له اوف بنذرك هذا هو السبب فى امر الله تعالى إياه بذبح ابنه فقال عند ذلك لاسحق انطلق فقرب قربانا الله تعالى فاخذ سكينا وحبلا فانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا ابت اين قربانك فقال يا بنى إنى فى المنام إنى اذبحك

بالحلم * قوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) قال ابن عباس يعنى المشى معه إلى الجبل وعنه أنه لما شب حتى بلغ سعيه سعى مع إبراهيم والمعنى بلغ أن يتصرف معه ويعينه فى عمله وقيل السعى العمل لله تعالى وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين (قال يا بنى إنى أرى فى المنام انى اذبحك) قيل انه لم يرى فى منامه انه ذبحه وإنما امر بذبحه وقيل بل راى انه يعالج ذبحه ولم ير إراقة دمه ورؤيا الأنبياء حق إذا راوا شيئا فعلوه واختلف العلماء من المسلمين فى هذا الغلام الذى أمر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق أهل الكتابين على أنه اسحق فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود والعباس ومن التابعين وهن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى واختلفت الروايات عن ابن عباس فروى عنه أنه اسحق وروى أنه إسمعيل ومن ذهب إلى أنه اسحق قال كانت هذه القصة بالشأم وروى عن سعيد بن جبير قال رأى ابراهيم ذبح اسحق فى المنام وهو بالشأم فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى أتى به للمنحر من منى فلما امره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر فى روحه واحدة طوبت له الأودية والجبال والقول الثانى أنه اسمعيل واليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبى ومجاهد والربيع بن انس ومحمد ابن كعب القرظى والكلبى ورواية عطاء بن أبى رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدى اسمعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله ﷺ واحتج من ذهب إلى أن الذبيح اسحق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى أمر بذبح من بشر به وليس فى القرآن أنه بشر ولد سوى اسحق كما قال تعالى فى سورة هود فبشرناها باسحق وقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين بعد قصة الذبح يدل على أنه تعالى إنما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد فى قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان أول الآية وآخرها يدل أن اسحق هو الذبيح وبما ذكر أيضا فى كتاب يعقوب إلى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب إلى ان الذبيح هو اسمعيل باذن الله تعالى ذكر البشارة باسحق بعد الفراغ من قصة الذبيح فقال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فدل على أن المذبوح غيره وأيضا فان الله تعالى قال فى سورة هود

(فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر) وقال محمد بن اسحق كان إبراهيم إذا زارها جر واسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ اسماعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عباده ربه وتعظيم حرماته أمر في المنام ان يذبحه وذلك انه راى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى في نفسه أي فكر من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحكم أم من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى رأى في المنام ثانيا فلما اصبح عرف أن ذلك من الله عز وجل فمن ثم سمي يوم عرفة قال مقاتل رأى ذلك ابراهيم ثلاث ليال متواليات فلما تيقن ذلك اخبر به ابنه فقال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قرأ حمزة والكسائي ترى بضم التاء وكسر الراء ماذا تشير وإنما أمره ليعلم صبره على أمر الله تعالى وعزيمته على طاعته وقرأ العامة بفتح التاء والراء إلا أبا عمرو فانه يميل الراء قال له ابنه يا أبت افعل ما تؤمر وقال ابن اسحق وغيره فلما امر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية ننطلق إلى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما أمر قال يا أبت افعل ما تؤمر (ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما)

هود فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فكيف يأمره بذبح اسحاق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسماعيل بالصبر دون اسحاق في قوله واسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرطبي سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود وكان أسلم وحسن اسلامه اي ابني ابراهيم امره الله تعالى بذبحه فقال اسماعيل ثم قال يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يا معشر العرب على أن يكون اباكم هو الذي أمر الله تعالى بذبحه ويدعون انه اسحاق ابوهم ومن الدليل ايضا ان قرني الكبش كانا معلقين على الكعبة في ايدي بني اسماعيل إلى ان احترق البيت في زمن ابن الزبير قال الشعبي رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد كان اول الاسلام وان راس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش يعني يبس وقال الاصمعي سالت اباعمر بن العلاء عن الذبيح اسحق كان او اسماعيل فقال يا اصمعي اين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة إنما كان اسماعيل وهو الذي بنى البيت مع ابيه والله تعالى اعلم ﴿ ذكر الاشارة إلى قصة الذبيح ﴾ قال العلماء بالسير واخبار الماضين لما دعا ابراهيم ربه فقال رب هب لي من الصالحين وبشر به قال إذا لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك هذا هو السبب في امر الله تعالى اياه بالذبح فقال لاسحق انطلق نقرب لله قربانا فاخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا ابت اين قربانك فقال يا بني إني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر وقال محمد بن اسحاق كان ابراهيم عليه السلام إذا زارها جر واسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى إذا بلغ اسماعيل معه السعي واخذ بنفسه ورجاه لما كان يؤمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته امر في المنام بذبحه وذلك انه راى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح تروى في نفسه اي فكر من الصباح إلى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن سمي ذلك اليوم يوم التروية فلما امسى راى في المنام ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمي ذلك اليوم يوم عرفة وقيل راى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمي ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك اخبر به ابنه فقال يا بني إني ارى في المنام اني أذبحك (فانظر ماذا ترى) اي من الراى على وجه المشاورة * فان قلت لم شاوره في امر قد علم انه حتم من الله تعالى وما الحكمة في ذلك * قلت لم يشاوره ليرجع إلى رايه وإنما شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على امر الله وعزيمته على طاعته ويثبت قدمه ويصبره إن جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى قبل نزوله * فان قلت لم كان ذلك في المنام دون اليقظة وما الحكمة في ذلك قلت ان الأمر كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد في المنام كالتوطئة له ثم تاكد حال النوم بأحوال اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان ذلك اقوى في الدلالة ورؤيا الأنبياء وحي وحق (قال يا ابت افعل ما تؤمر) يعني قال الغلام لأبيه افعل ما امرت به قال ابن اسحاق وغيره لما امر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق إلى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في الشعب اخبره بما امر الله به فقال افعل ما تؤمر (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) إنما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وانه لا حول عن معصية الله تعالى إلا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله (فلما اسلما) يعني انقادا وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اسلم ابنه واسلم الابن نفسه (وتله للجبين) يعني صرعه على الارض قال ابن عباس اضجعه على جبينه على الأرض فلما انقادا وخضعا لامر الله تعالى قال قتادة اسلم ابراهيم ابنه واسلم الابن نفسه (وتله للجبين) اي صرعه على الأرض قال ابن عباس اوضجعه على الأرض والجبهة بين الجبينين قالوا فقال له ابنه الذي اراد ذبحه ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح

عليها من دمى شيء فينقص أجرى وتراه امى فتحزن واستحد شفرتك واسرع مر السكين على حلقى ليكون اهون على فان الموت شديد وإذا أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى وان رأيت ان ترد قميصى على امى فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عنى فقال له إبراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ففعل إبراهيم ما أمر به ابنه ثم أقبل عليه فقبله وقدر بطه وهو يبكى والابن ايضا يبكى ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تحك السكين ويروى انه كان يجر الشفرة فى حلقه ولا يقطع فشحذها مرتين او ثلاثة بالحجر كل ذلك وهى لا تستطيع قال السدى ضرب الله تعالى صفحة من نحاس على حلقه قالوا فقال الابن عند ذلك يا ابت كبنى بوجهى على جبينى فانك إذا نظرت فى وجهى رحمتنى وأدلى كتك رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى وانا لا انظر إلى الشفرة فأجزع ففعل ذلك إبراهيم ثم وضع الشفرة على قفاه فانقلبت السكين ونودى ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروى ابو هريرة عن (٢٤) كعب الأحبار وابن إسحاق عن رجاله لما راى ابراهيم ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم افتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن منهم احدا إبدا فتمثل له الشيطان رجلا واتى ام الغلام فقال لها هل تدرين اين ذهب إبراهيم بابنك قالت ذهب به يحتطبان من هذا العشب قال لا والله ماذهب به إلا ليذبحه قالت كلا هو ارحم به واشد حبا له من ذلك قال انه يزعم ان الله قد أمره بذلك قالت فان كان ربه امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشى على اثر ابيه فقال يا غلام هل تدرى أين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا العشب قال والله ما يريد إلا ان يذبحك قال ولم قال زعم ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع منه الغلام اقبل على إبراهيم عليه السلام فقال له اين تريد ايها الشيخ قال اريد هذا الشعب لحاجة لى فيه والانقياد بذبح ابنك هذا فعرفه إبراهيم عليه السلام فقال إليك عنى ياعدو الله فوالله لأمضين لأمر ربى فرجع إبليس بغيظه لم يصب من إبراهيم وآله شيئا مما اراد وامتنعوا منه بعون الله تعالى وروى ابو الطفيل عن ابن عباس أن ابراهيم لما امر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه إبراهيم ثم ذهب إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله عز وجل فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه) الواو فى وناديناه مقحمة صلة مجازه ناديناه كقوله وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابت الجب وأوحينا اليه فنودى من الجبل (ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) ثم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال

فعل ذلك قال له ابنه يا ابت اشدد رباطى كيلا اضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا ينتضح عليها شيء من دمى فينقص اجرى وتراه امى فتحزن واستحد شفرتك واسرع من السكين على حلقى ليكون اهون على فان الموت شديد وإذا اتيت امى فاقرا عليها السلام منى وان رايت ان ترد قميصى على امى فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عنى فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون انت يا بنى على امر الله ففعل ابراهيم ما امره به ابنه ثم اقبل عليه يقبله وهو يبكى وقدر بطه والابن يبكى ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تحك شيئا ثم انه حدها مرتين او ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يستطيع ان يقطع شيئا قيل ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه والأول ابلغ فى القدرة وهو منع الحديد عن اللحم قالوا فقال الابن عند ذلك يا ابت كبنى لوجهى فانك إذا نظرت وجهى رحمتنى وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله تعالى وانا انظر إلى الشفرة فاجزع منها ففعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك ووضع السكين على قفاه فانقلبت ونودى يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا وروى عن كعب الاحبار وابن إسحق عن رجاله قال لما راى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم افتن عند هذا آل إبراهيم لا افتن منهم احدا ابدا فتمثل الشيطان فى صورة رجل واتى ام الغلام فقال لها هل تدرين اين ذهب إبراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب قال لا والله ماذهب به إلا ليذبحه قالت كلا هو ارحم به واشد حبا له من ذلك قال انه يزعم ان الله امره بذلك قالت ان كان ربه امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو يمشى على اثر ابيه فقال له يا غلام هل تدرى اين يذهب بك ابوك قال تحتطب لأهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد إلا ان يذبحك قال ولم قال ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره به ربه فسمعا وطاعة فما بمتنع الغلام اقبل على ابراهيم فقال له اين تريد ايها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لى فيه قال والله إنى لأرى الشيطان قد جاءك فى منامك فأمرك بذبح هذا فعرفه إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال اليك عنى ياعدو الله فوالله لأمضين لأمر ربى فرجع إبليس بغيظه لم يصب من إبراهيم وآله شيئا مما اراد وامتنعوا منه بعون الله تعالى وروى عن ابن عباس ان ابراهيم عليه الصلام والسلام لما اراد ان يذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه إبراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم ادركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لأمر الله عز وجل وهو قوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين (وناديناه) اى فنودى من الجبل (ان يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) اى حصل المقصود من تلك الرؤيا حيث ظهر منه كمال الطاعة

(إنا كذلك نجزى المحسنين) والمعنى انا كما عفونا عن إبراهيم عند ذبح ولده نجزى من أحسن فى طاعتنا قال مقاتل جزاه الله باحسانه فى طاعته العفو عن ذبح ابنه (إن هذا لهو البلاء المبين) الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ابنه وقال مقاتل البلاء ههنا النعمة وهى أن فدى ابنه بالكبش فان قيل كيف قال صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح قيل جعله مصدقا لأنه قد أتى بما أمكنه والمطلوب اسلامهما لأمر الله تعالى وقد فعلا وقيل كان رأى فى النوم معاجلة الذبح ولم يرإراقة الدم وقد فعل فى اليقظة ما رأى فى النوم ولذلك قال له صدقت الرؤيا قوله (وفديناه بذبح عظيم) فنظر إبراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن فقال هذا فداء لابنك فاذبحه فكبر جبريل وكبر الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه فأخذ إبراهيم الكبش فأتى به المنحر من منى فذبحه قال أكثر المفسرين (٢٥) كان ذلك الكبش رعى فى الجنة أربعين خريفا وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكبش الذى ذبحه إبراهيم هو الذى قربه ابن آدم قال سعيد بن جبير حق له أن يكون عظيما قال مجاهد سماه عظيما لانه متقبل وقال الحسين بن الفضل لانه كان من عند الله وقيل عظيم فى الشخص وقيل فى الثواب وقال الحسن مافدى اسمعيل إلا بتيس من الاروى اهبط عليه من ثبير (وتركنا عليه فى الاخرين) أى تركنا له فى الآخرين ثناء حسنا (سلام على إبراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) فمن جعل الذبيح اسماعيل قال بشره بعد هذه القصة باسحق نبيا جزاء لطاعته ومن جعل الذبيح اسحق قال بشر ابراهيم بنبوة

والانقياد لامر الله تعالى وكذلك الولد * فان قلت كيف قيل صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح وإنما كان تصديقها لو حصل منه الذبح * قلت جعله مصدقا لانه بذل وسعه ومجهوده وأتى بما أمكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو إسلامهما لامر الله تعالى وانقيادهما لذلك فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا (إنا كذلك نجزى المحسنين) يعنى جزاه الله باحسانه فى طاعته العفو عن ذبح ولده وو المعنى لما كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزى المحسنين فى طاعتنا (إن هذا لهو البلاء المبين) أى الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده (وفديناه بذبح عظيم) قيل نظر إبراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش املح أقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر إبراهيم وكبر جبريل وكبر الكبش فاخذه إبراهيم وأتى به المنحر من منى فذبحه قال أكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا رعى فى الجنة أربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذى ذبحه إبراهيم هو الذى قربه ابن ادم قيل حق أن يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمى عظيما لانه من عند الله تعالى وقيل لعظمه فى الثواب وقيل لعظمه رسمنه وقيل الحسن مافدى اسمعيل إلا بتيس من الاروى اهبط عليه من ثبير (وتركنا عليه فى الاخرين) أى تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده (سلام على إبراهيم كذلك نجزى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين) * قوله تعالى (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) أى بوجود اسحق وهذا على قول من يقول أن الذبيح هو اسمعيل ومعناه انه بشر باسحق بعد هذه القصة جزاء لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحق قال معنى الاية وبشرناه بنبوة اسحق وكذا روى عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبىء (وباركنا عليه) أى على إبراهيم فى أولاده (وعلى اسحق) أى يكون أكثر الانبياء من نسله (ومن ذريتهما محسن) أى مؤمن (وظالم لنفسه) أى كافر (مبين) أى ظاهر الكفر وفيه تنبيه على أنه لا يلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن * (قوله عز وجل (ولقد منبا على موسى وهرون) أى أنعمنا عليهما بالنبوة والرسالة (ونجيناهما وقومهما) أى بنى إسرائيل (من الكرب العظيم) أى الذى كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم وقيل أنجاهم من الغرق (ونصرناهم) أى موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) أى على القبط (واتيناهما الكتاب) أى التوراة (المستبين) المستقيم (وهديناهما الصراط المستقيم) أى دللناهما على طريق الجنة (وتركنا عليهما فى الآخرين) أى الثناء الحسن (سلام على موسى وهرون إنا كذلك نجزى المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين) * قوله عز وجل (وإن الياس لمن المرسلين) روى عن ابن مسعود أنه قال الياس هو إدريس وكذلك هو فى مصحفه وقال أكثر المفسرين هو نبى من أنبياء بنى اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران

اسحق رواه عكرمة عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبىء (وباركنا عليه) أى على إبراهيم فى أولاده (وعلى إسحق) يكون أكثر الانبياء من نسله (ومن ذريتهما محسن) أى مؤمن (وظالم لنفسه) أى كافر (مبين) أى ظاهر الكفر قوله تعالى (ولقد منننا على موسى وهرون) أنعمنا عليهم بالنبوة (ونجيناهما وقومهما) بنى إسرائيل (من الكرب العظيم) أى الغم العظيم وهو الذى كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم وقيل من الغرق (ونصرناهم) أى موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) على القبط (واتيناهما الكتاب المستبين) أى المستنير وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون إنا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) قوله تعالى (وان الياس لمن المرسلين) روى عن عبد الله بن مسعود قال الياس هو إدريس وفى مصحفه وأن إدريس لمن المرسلين وهذا قول عكرمة وقال الآخرون هو نبى من أنبياء بنى إسرائيل قال

ابن عباس هو ابن عم اليسع قال محمد بن اسحق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران وقال أيضا محمد بن إسحق والعلماء من أصحاب الأخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي صلى الله عليه وسلم عظمت الأحداث فى بنى اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله فبعث الله عز وجل إليهم الياس نبيا وكانت الأنبياء من بنى اسرائيل يبعثون بعد موسى بتجديد ما نسوا من التوراة وبنو إسرائيل كانوا متفرقين فى أرض الشام وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لما فتح الشام بواها بنى اسرائيل وقسمها بينهم فأحل سبطا منهم ببعلبك ونواحيها وهم السبط الذين كانوا متهم اليأس فبعثه الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له اجب قد أضل قومه وأجبرهم على عبادة الأصنام وكان يعبدهو وقومه صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة وجوه فجعل الياس يدعوهم الى الله عز وجل وهم لا يسمعون منه شيئا الا ما كان من امر الملك فانه صدقه وآمن به فكان الياس يقوم أمره ويسدده ويرشده وكان لاجب الملك هذا امرأة يقال لها ازبيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم فى غزاة أو غيرها وكانت تبرز للناس وتقضى بين الناس وكانت قتالة الأنبياء يقال هى التى قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من يدها ثلثمائة نبى كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت فى نفسها غير محصنة وكانت قد تزوجت سبعة من ملوك بنى اسرائيل وقتلت كلهم بالاغتيال وكانت معمرة يقال أنها ولدت سبعين ولدا وكان لاجب هذا جار صالح يقال له مزدكى وكانت له جنينة يعيش منها ويقبل على عمارتها ومرمتها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها وكان (٢٦) أجب الملك يحسن جوار صاحبها مزدكى ويحسن اليه وامرأته ازبيل تحسده لأجل تلك الجنينة وتحتال أن تغصبها منه لما تسمع الناس يكثرون ذكرها ويتعجبون من حسنها وتحتال أن تقتله والملك ينهاها عن ذلك ولا تجد عليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد وطالت غيبته فاغتنمته امرأته ازبيل ذلك فجمعت جمعا من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكى انه سب زوجها أجب فاجابوها اليه وكان فى حكمهم فى ذلك الزمان القتل على من سب الملك اذا قامت عليه البينة وآلى فأحضرت مزدكى وقالت له بلغنى أنك شتمت الملك فانكر مزدكى فاحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور فامرت بقتله وأخذت جنينته فغضب الله عليهم للعبد الصالح فلما قدم الملك من سفره أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت ولا أرانا نفلح بعده فقد جاورنا منذ زمان فاحسنا جواره وكففنا عنه الأذى لوجوب حقه علينا فختمت أمره باسوا الجوار فقالت انما غضبت وحكمت بحكمك فقال لها وأما كان يسعه حلمك فتحفظين له جواره قالت قد كان ما كان فبعث الله تعالى الياس الى اجب الملك وقومه وأمره أن يخبرهم ان الله تعالى قد غضب لوليه حين قتلوه ظلما وال على نفسه انهما إن لم يتوبا عن صنيعهما ويرد الجنينة على ورثة مزدكى أن يهلكهما يعنى أجب وامرأته فى جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعرى عظامهما من لحومهما ولا يتمتعان بها الا قليلا قال فجاء الياس وأخبره بما أوحى الله تعالى اليه فى أمره وامر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك استشد غضبه عليه ثم قال له يا الياس والله ما أرى ما تدعو اليه الا باطلا وما أرى فلانا وفلانا سمى ملوكا منهم قد عبدوا الأوثان الا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويتمتعون ملكين ما ينقص من دنياهم أمرهم الذى تزعم انه باطل وما ترى لنا عليهم من فضل قال وهم الملك بتعذيب الياس وقتله فلما احس الياس بالشر والمكر به رفضه وخرج عنه فلحق بشواهق الجبال وعاد الملك إلى عبادة بعل وارتقى الياس إلى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارة فيه ويقال انه بقى سبع سنين شريدا خائفا يأوى إلى الشعاب والكوف يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم فى طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره فلما تم سبع سنين اذن الله فى اظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فامرض الله عز وجل ابنا لاجب وكان أحب ولد اليه وأشبههم به فأده نف حتى يئس منه فدعا صنمه

﴿ ذكر الاشارة إلى القصة ﴾ قال محمد بن اسحق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبى عليه الصلاة والسلام عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكان الانبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى اسرائيل بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بنى اسرائيل وان سبطا منهم حصل فى قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الأصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم اهل بعلبك كان الياس يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به إلا كان من امر الملك فانه امن به وصدقه فكان الياس يقوم بامره ويسدده ويرشده وكان للملك امراة جبارة وكان يستخلفها على ملكه إذا غاب فغصبت من رجل مؤمن جنينة كان يتعيش منها فاخذتها وقتلته فبعث الله سبحانه وتعالى الياس إلى الملك وزوجته وامره ان يخبرهما أن الله عز وجل قد غضب لوليه حين قتل ظلما

بعلا وكانوا قد فتنوا ببعل وعظموه حتى جعلوا له أربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أنبياء وكان الشيطان يدخل فى جوف الصنم فيتكلم والاربعمائة يصغون باذانهم إلى ما يقول الشيطان ويوسوس إليهم الشيطان بشريعة من الضلالة فيبينونها للناس فيعملون بها ويسمونهم انبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب إليهم الملك أن يتشفعوا إلى بعل ويطلبوا لابنه من قبله الشفاء فدعوه فلم يجبهم ومنع الله الشيطان فلم يمكنه الولوج فى جوفه وهم مجتهدون فى التضرع إليه فلما طال عليهم ذلك قالوا لا لاجب أن فى ناحية الشام الهة أخرى فابعث إليها أنبياءك فلعلها تشفع لك إلى الهك بعل فانه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لأجابك قال ومن أجل ماذا غضب على وأنا أطيعه قالوا من أجل أنك لم تقتل الياس وفرطت فيه حتى تجاسر عليك وهو كافر بالهك قال اجب وكيف لى أن أقتل الياس وانا مشغول عن طلبه برجع ابنى وليس لالياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلو عوفى ابنى لفرغت لطلبه حتى أجده فاقتله فارضى إلهى ثم أنه بعث أنبياءه الاربعمائة إلى الآلهة التى بالشام يسألونها ان تشفع إلى صنم الملك ليشفى ابنه فانطلقوا حتى إذا كانوا بحيال الجبل الذى فيه الياس أوحى الله تعالى إلى الياس عليه السلام أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويكلمهم وقال الله لا تخف فانى ساصرف عنك شرهم والقى الرعب فى قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم ان الله تعالى أرسلنى إليكم وإلى من ورائكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم فارجعوا إليه وقولوا له إن الله تعالى يقول لك الست تعلم يا أجب انى انا الله لا إله إلا أنا اله بنى إسرائيل الذى خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فجهلك وقلة علمك حملك على ان تشرك بى وتطلب الشفاء لابنك من غيرى ممن لا يملكون لأنفسهم شيئا إلا ما شئت انى حلفت باسمى لأغضبنك فى ابنك ولا ميتنه فى فوره غدا حتى تعلم أن أحدا لا يملك له شيئا دونى فلما قال لهم هذا رجعوا وقد ملؤا منه رعبا فلما صاروا إلى الملك أخبروه بان الياس قد (٢٧) انحط عليهم وهو رجل نحيف طوال

وآلى على نفسه أنهما إن لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول أهلكهما فى جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقافين فيها ولا يتمتعان فيها إلا قليلا فجاء الياس فأخبر الملك بما أوحى الله اليه فى أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما أرى ما تدعونا إليه إلا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما حس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك إلى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوى إلى الشعاب والكهوف فبقى سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم فى طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الأمر على الياس وسكنى الكهوف فى الجبال وطال عصيان قومه ضاق بذلك ذرعا فأوحى الله تعالى إليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى أنت فيه ألست أمينى على وحى وحجتى فى أرضى وصفوتى من خلقى سلنى اعطك فانى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يا رب تميتنى وتلحقنى بآبائى فانى قد مللت بنى إسرائيل وملونى فأوحى الله تعالى يا الياس ما هذا باليوم الذى أعرى منك الأرض وأهلها وإنما صلاحها وقوامها بك وبأشباهك وإن كنتم قليلا ولكن سلنى أعطك فقال الياس ان لم تمتنى فاعطنى ثارى من بنى إسرائيل قال الله عز وجل وأى شىء تريد أن أعطك قال تملكنى خزائن

قد نحل وتمعط شعره وتقشر جلده عليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما صار معنا قذف له فى قلوبنا الهيبة والرعب فانقطعت ألسنتنا ونحن فى هذا العدد الكثير فلم نقدر على أن نكلمه ونراجعه حتى رجعنا إليك وقصوا عليه كلام الياس فقال أجب لا تنتفع بالحياة ما كان الياس حيا

وما يطاق إلا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه ذوى القوة والبأس وعهد إليهم عهده وامرهم بالاحتيال له والاغتيال به وان يطمعوه فى أنهم قد امنوا به هم ومن وراءهم ليستنهم إليهم ويغتربهم فيمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذى فيه الياس ثم تفرقوا فيه ينادونه بأعلى أصواتهم ويقولون يا نبى الله ابرز لنا وامنن علينا بنفسك فانا قد امنا بك وصدقناك وملكنا أجب وجميع قومنا وأنت امن على نفسك وجميع بنى إسرائيل يقرؤن عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت فامنا بك واجبناك إلى ما دعوتنا فهلم إلينا وأقم بين اظهرنا واحكم فينا فانا ننقاد لما امرتنا وننتهى عما نهيتنا وليس يسعك ان تتخلف عنا مع ايماننا وطاعتنا فارجع إلينا وكل هذا منهم مماكرة وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم وقعت فى قلبه وطمع فى إيمانهم وخاف الله ان هو لم يظهر لهم فالهمه الله التوقف والدعاء فقال اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فاذن لى فى البروز إليهم وإن كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم فما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا أجمعون قاله وبلغ أجب وقومه الخبر فلم يرتدع من همه بالسوء واحتال ثانيا فى أمر الياس وقيض له فئة اخرى مثل عدد أولئك اقوى منهم وامن من الحيلة والرأى فأقبلوا اى حتى توقلوا اى صعدوا قلل تلك الجبال متفرقين وجعلوا ينادون يا نبى الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطواته إنا لسنا كالذين اتوك قبلنا وإن أولئك فرقة نافقوا فصاروا إليك ليكيدوا بك من غير رأينا ولو علمنا بهم لقتلناهم ولكفيناك مؤنتهم فالان قد كفاك ربك امرهم واهلكهم وانتقم لك منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعا الله بدعوته الأولى فامطر عليهم النار فاحترقوا عن اخرهم وفى كل ذلك ابن الملك فى البلاء الشديد من وجعه فلما سمع الملك بهلاك اصحابه ثانيا ازداد غضبا على غضب وأراد أن يخرج فى طلب الياس بنفسه إلا انه شغله عن ذلك

مرض ابنه فلم يمكنه فوجه نحو الياس المؤمن الذى هو كاتب امرأته رجاء أن يأنس به الياس فينزل معه واظهر للكاتب انه لا يريد بالياس سوءا وإنما ظهر له لما طلع عليه من إيمانه وكان الملك مع اطلاعه على إيمانه مثنيا عليه لما هو عليه من الكفاية والأمانة وسداد الرأى فلما وجه نحوه ارسل معه فئة من أصحابه وأوعز إلى الفئة دون الكاتب أن يوثقوا الياس ويأتوا به إن أرادوا التخلف عنهم وان جاء مع الكاتب واثقا به لم يرعوه ثم أظهر من الكاتب الانابة وقال له انه قد ان لى أن اتوب وقد أصبتنا بلايا من حريق اصحابنا والبلاء الذى فيه ابنى وقد عرفت ان ذلك بدعوة الياس ولست امن أن يدعو على جميع من بقى منا فنهلك بدعوته فانطلق إليه وأخبره إنا قد تبنا وانبنا وانه لا يصلحنا فى توبتنا وما نريد من رضاء ربنا وخلع أصنامنا إلا أن يكون الياس بين اظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضى ربنا وأمر قومه فاعتزلوا الأصنام وقال له اخبر الياس انا قد خلعنا آلهتنا التى كنا نعبد وأرجينا أمرها حتى ينزل الياس فيكون هو الذى يحرقها ويهلكها بيده وكان ذلك مكرا من الملك فانطلق الكاتب والفئة حتى علا الجبل الذى فيه الياس ثم ناداه فعرف الياس صوته فتاقت نفسه إليه وكان مشتاقا إلى لقائه فأوحى الله تعالى اليه أن ابرز إلى أخيك الصالح فالقه وجدد العهد فبرز إليه وسلم عليه وصافحه وقال ما الخبر فقال المؤمن إنه قد بعثنى اليك هذا الجبار الطاغى وقومه وقص عليه ما قالوا ثم قال وإنى الخائف إن رجعت اليه ولست معى فيقتلنى فمرنى بما شئت افعله إن شئت انقطعت اليك وكنت معك وتركته وإن شئت جاهدته معك وإن شئت ترسلنى إليه بما تحب فأبلغه رسالتك وإن شئت دعوت ربك يجعل لنا من أمرنا رشدا وفرجا ومخرجا فأوحى الله تعالى إلى الياس ان كل شىء جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وان أجب ان اخبرته رسله إنك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اتهمه وعرف انه قد ادهن (٢٨) فى امرك فلم يأمن ان يقتله فانطلق معه فانى سأشغل عنكما آجب فأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم أميته على شر حال فاذا مات هو فارجع عنه قال فانطلق معهم حتى قدموا على آجب فلما قدموا شدد الله تعالى الوجع على ابنه وأخذ الموت يكظمه فشغل الله تعالى بذلك آجب واصحابه عن الياس فرجع الياس سالما إلى مكانه فلما مات ابن آجب وفرغوا من أمره وقل جزعه انتبه لالياس وسال عنه الكاتب الذى جاء به فقال له ليس لى علم به شغلنى عنه موت ابنك والجزع عليه ولم اكن احسبك إلا قد استوثقت منه فاعرض عنه آجب وتركه لما فيه من الحزن على ابنه فلما طال الامر على الياس من السكون فى الجبال واشتاق إلى الناس نزل من الجبل فانطلق حتى نزل بامرأة من بنى إسرائيل وهى أم يونس بن متى ذى النون استخفى عندها ستة أشهر ويونس بن متى مولود يرضع فكانت أم يونس تخدم بنفسها وتواسيه بذات يدها ثم ان الياس سئم ضيق البيوت بعد تعود فسحة الجبال فاحب اللحوق بالجبال فخرج وعاد إلى مكانه فجزعت أم يونس لفراقه فأوحشها فقده ثم لم تلبث إلا يسيرا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها فخرجت فى طلب الياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه فوجدته وقالت له إنى قد جعت بعدك لموت ابنى فعظمت فيه مصيبتى واشتد لفقده بلائى وليس لى ولد غيره فارحمنى وادع لى ربك جل جلاله ليحيى لى ابنى وإنى قد تركته مسجى لم أدفنه وقد أخفيت مكانه فقال لها الياس ليس هذا مما أمرت به وإنما أنا عبد مأمور اعمل بما يأمرنى ربى فجزعت المرأة وتضرعت فاعطف الله تعالى قلب الياس لها فقال لها متى مات ابنك قالت منذ سبعة أيام فانطلق الياس معها وسار سبعة أيام أخرى حتى انتهى إلى منزلها فوجد ابنها ميتا له أربعة عشر يوما فتوضأ وصلى ودعا فأحيا الله تعالى يونس بن متى فلما عاش وجلس وثب الياس وتركه وعاد إلى موضعه فلما طال عصيان قومه ضاق بذلك الياس ذرعا فأوحى الله تعالى إليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى أنت فيه ألست أمينى على وحيى وحجتى فى أرضى وصفوتى من خلقى فسلنى اعطك فانى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال تميتنى وتلحقنى بآبائى فانى قد

السماء سبع سنين فلا تسير عليهم سحابة إلا بدعوتى ولا تمطر عليهم قطرة إلا بشفاعتى فانه لا يذلهم إلا ذلك قال الله عز وجل يا الياس أنا أرحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال انا أرحم بخلقى من ذلك قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقى ولكن أعطيك ثار ك فثلاث سنين اجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فبأى شىء أعيش يا رب قال أسخر لك جيشا من الطير ينقل لك طعامك وشرابك من الريف والارض التى تقحط قال الياس وقد رضيت فأمسك الله عز وجل عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مستخفيا من قومه بوضع الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس أصاب بنى اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال لها أعندك طعام قالت نعم شىء من الدقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا من اين لك هذا قالت مر بى رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فوجدوه فهرب منهم ثم انه أوى إلى بيت امرأة من بنى اسرائيل ولها ابن يقال له اليسع بن أخطوب بن ضرفا وتهوأ خفت امره فدعا لابنها فعوفى من الضر الذى كان به واتبع اليسع الياس وامن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد كبر وأسن واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى اوحى إلى

ملت بنى إسرائيل وملونى فأوحى الله تعالى اليه يا الياس ماهذا باليوم الذى أعرى منك الأرض وأهلها وإنما قوامها وصلاحها بك وباشباهك وإن كنتم قليلا ولكن سلنى فاعطك قال الياس إن لم تمتنى فاعطنى ثارى من بنى اسرائيل قال الله تعالى فاى شىء تريد أن اعطيك قال تمسكنى من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشر عليهم سحابه إلا بدعوتى ولا تمطر عليهم قطرة إلا بشفاعتى فانهم لا يذلهم إلا ذلك قال الله تعالى يا الياس انا أرحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك قال فخمس سنين قال انا أرحم بخلقى من ذلك ولكنى أعطيك ثارك ثلاث سنين اجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فباى شىء أعيش قال اسخر لك جيشا من الطير ينقل اليك طعامك وشرابك من الريف والأرض التى لم تقحط قال الياس قد رضيت قال فأمسك الله تعالى عنهم المطر حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حالته مستخف من قومه يوضع له الرزق حيث ما كان وقد عرف ذلك قومه وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز فى بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فطلبوه ولقى منهم أهل ذلك المنزل شرا قال ابن عباس أصاب بنى إسرائيل ثلاث سنين القحط فر الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام قالت نعم شىء من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا من اين لك هذا قالت مر بى رجل من حاله كذا وكذا فوصفته فعرفوه فقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه أوى إلى بيت وامراة من بنى إسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب به ضر فآوته واخفت امرة فدعا له فعوفى من الضر الذى كان به واتبع اليسع الياس فآمن به وصدقه ولزمه وكان يذهب حيث ما ذهب وكان الياس قد أسن فكبر واليسع غلام شاب ثم الله تعالى أوحى إلى الياس انك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون والله اعلم ان الياس قال يارب دعنى اكن انا (٢٩) الذى أدعوا لهم واتهم بالفرج

الياس انك قد أهلكت كثير من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون أن الياس قال يارب دعنى أكن أنا الذى أدعو الهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم يرجعون عما هم فيه وينزعون عن عبادة غيرك فقيل له فجاء الياس إلى بنى إسرائيل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وإن هى لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت الله تعالى ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء فقالوا أنصفت فخرجوا باوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه البلاء فقالوا يا الياس انا قد أهلكنا فادع الله لنا فدعا الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الافاق ثم أرسل الله عز وجل عليهم المطر وأغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم فقيل فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج إلى موضع كذا فما جاءك من شىء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى (إذا كان بالموضع الذى أمر به أقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدى الياس فوثب عليه فانطلق به

مما هم فيه من البلاء لعلهم ان يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل لهم نعم فجاء الياس إلى بنى إسرائيل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وإن هى لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ودعوت الله تعالى ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنصفت فخرجوا باوثانهم فدعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ثم قالوا لالياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا لهم الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الافاق ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر فاغاثهم واحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه إلى موضع كذا وكذا فما جاءك من شىء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى إذا كانا بالموضع الذى أمر اقبل فرس من نار وقيل لونه كلون النار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تامرنى فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة علامدا استخلافه إياه على بنى إسرائيل فكان ذلك آخر العهد به فرفع الله تعالى الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فكساه الريش فكان انيسا ملكيا أرضيا سماويا وسلط الله تعالى على آجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل اجب وامراته أزبيل فى بستان مزدكى فلم تزل جيفتاهما ملقاتين فى تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبا الله تعالى اليسع وبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل وأوحى الله تعالى إلى اليسع وأيده فآمنت به بنو اسرائيل فكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع وروى السرى بن يحيى عن عبد العزيز بن رواد قال الخضر والياس يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم فى كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافى والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين

(إذقال لقومه ألا تتقون اتدعون) اتعبدون (بعلا) وهو اسم صنم لهم كانوا يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قال مجاهد وعكرمة وقتادة البعل الرب بلغة أهل اليمن (وتذرون أحسن الخالقين) فلا تعبدونه (الله ربكم ورب آبائكم الأولين) قرأ حمزة والكسائى وحفص ويعقوب الله ربكم ورب بنصب الهاء والباءين على البدل وقرأ الآخرون برفعهن على الاستئناف (فكذبوه فانهم لمحضرون) فى النار (إلا عباد الله المخلصين) من قومه فانهم نجوا من العذاب (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين) قرأ نافع وابن عامر ال ياسين بفتح الهمزة مشبعة وكسر اللام مقطوعة لأنها فى المصحف مفصولة وقرأ الآخرون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة فمن قرأ ال يس مقطوعة قيل أراد ال محمد ﷺ (٣٠) وهذا القول بعيد لأنه لم يسبق له ذكر وقيل أراد الياس والقراءة المعروفة بالوصل واختلفوا فيه فقد قيل الياسين لغة فى الياس مثل اسمعيل واسمعين وميكائيل وميكائين وقال الفراء هو جمع اراد الباسن واصحابه واتباعه من المؤمنين فيكون بمنزلة الاشعرين والأعجمين بالتخفيف وفى حرف عبدالله بن مسعود سلام على ادراسين يعنى ادريس واتباعه لأنه يقرأ وان ادريس لمن المرسلين (إذ قال لقومه ألا تتقون اتدعون بعلا) يعنى اتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قيل البعل الرب بلغة أهل اليمن (وتذرون) أى وتتركون عبادة (أحسن الخالقين) فلا تعبدونه (الله ربكم ورب اباءكم الأولين فكذبوه فانهم لمحضرون) اى فى النار (إلا عباد الله المخلصين) أى من قومه الذين امنوا به فانهم نجوا من العذاب (وتركنا عليه فى الاخرين سلام على الياسين) قرىء ال ياسين بالقطع قيل اراد ال محمد ﷺ وقيل ال القران لأن ياسين من أسماء القران وفيه بعد وقرا الياسين بالوصل ومعناه الياس واتباعه من المؤمنين (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) * قوله تعالى (وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين) اى الباقين فى العذاب (ثم دمرنا) اى اهلكنا (الآخرين وانكم) اى يا اهل مكة (لتمرون عليهم) اى على اثارهم ومنازلهم (مصبحين) اى فى وقت الصباح (وبالليل) يعنى وبالليل فى اسفاركم (افلا تعقلون) يعنى فتعتبرون بهم * قوله عز وجل (وان يونس لمن المرسلين) يعنى من جملة رسل الله تعالى (إذ ابق) يعنى هرب (الى الفلك المشحون) يعنى المملوء قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا وهى تقع على يونس فقال انا الابق وزج نفسه فى الماء وقيل انه لما وصل إلى البحر كانت معه امراته وابنان له فجاء مركب فاراد ان يركب معهم فقدم امراته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجاءت موجة

الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرنى فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بنى إسرائيل وكان ذلك اخر العهد به ورفع الله تعالى الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا أرضيا سماويا وسلط الله عز وجل على اجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل أجب وامرأته أزبيل فى الجنينة التى اغتصبتها امرأة الملك من ذلك المؤمن فلم تزل جثتاهما ملقيتين فى تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورميت عظامهما ونبا الله سبحانه وتعالى اليسع وبعثه رسولا إلى بنى اسرائيل وأوحى اليه وأيده فامنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى ان فارقهم اليسع روى السدى عن يحيى بن عبدالعزيز عن أبى رواد قال الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوفيان الموسم فى كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافى والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين (إذ قال لقومه ألا تتقون اتدعون بعلا) يعنى اتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قيل البعل الرب بلغة أهل اليمن (وتذرون) أى وتتركون عبادة (أحسن الخالقين) فلا تعبدونه (الله ربكم ورب اباءكم الأولين فكذبوه فانهم لمحضرون) اى فى النار (إلا عباد الله المخلصين) أى من قومه الذين امنوا به فانهم نجوا من العذاب (وتركنا عليه فى الاخرين سلام على الياسين) قرىء ال ياسين بالقطع قيل اراد ال محمد ﷺ وقيل ال القران لأن ياسين من أسماء القران وفيه بعد وقرا الياسين بالوصل ومعناه الياس واتباعه من المؤمنين (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) * قوله تعالى (وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين) اى الباقين فى العذاب (ثم دمرنا) اى اهلكنا (الآخرين وانكم) اى يا اهل مكة (لتمرون عليهم) اى على اثارهم ومنازلهم (مصبحين) اى فى وقت الصباح (وبالليل) يعنى وبالليل فى اسفاركم (افلا تعقلون) يعنى فتعتبرون بهم * قوله عز وجل (وان يونس لمن المرسلين) يعنى من جملة رسل الله تعالى (إذ ابق) يعنى هرب (الى الفلك المشحون) يعنى المملوء قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا وهى تقع على يونس فقال انا الابق وزج نفسه فى الماء وقيل انه لما وصل إلى البحر كانت معه امراته وابنان له فجاء مركب فاراد ان يركب معهم فقدم امراته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجاءت موجة

اخرى، (إذ ابق الى الفلك المشحون) يعنى هرب قال ابن عباس رضى الله عنهما ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فما تاخر عنهم العذاب خرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فاقترعوا ثلاثا فوقعت على يونس فقال يونس انا الابق وزج نفسه فى الماء وروى فى القصة لما وصل الى البحر كانت معه امراته وابنان له فجاء مركب فاراد ان يركب معهم فقدم امراته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب ثم جاءت موجة اخرى واخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فاخذ الابن الأصغر فبقى فريدا فجاء مركب اخر فركبه فقصد ناحية من القوم فلما مرت السفينة فى البحر ركدت فاقترعوا وقد ذكرنا القصة فى سورة يونس فذلك قوله عز وجل

(فساهم) فقارع والمساهمة القاء السهام على جهة القرعة (فكان من المدحضين) أى المقروعين (فالتقمه الحوت) ابتلعه (وهو مليم) آت بما يلام عليه (فلولا أنه كان من المسبحين) من الذاكرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقال وهب من العابدين وقال الحسن ما كانت له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا وقال الضحاك شكر الله تعالى له طاعته القديمة وقيل فلولا انه كان من المسبحين فى بطن الحوت قال سعيد بن جبير يعنى قوله لا إله إلا انت سبحانك انى كنت من الظالمين (للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون) لصار بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة (فنبذناه) طرحناه (بالعراء) يعنى على وجه الارض قال السدى بالساحل والعراء الارض الخالية عن الشجر والنبات (وهو سقيم) عليل كالفرخ المعط وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة واختلفوا فى مدة لبثه فى بطن الحوت فقال مقاتل بن حبان ثلاثة ايام وقال عطاء سبعة ايام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدى والكلبى ومقاتل ابن سليمان أربعين يوما وقال الشعبى التقمه ضحى ولفظه عشية (وانبتنا عليه) أى له وقيل عنده (شجرة من يقطين) يعنى القرع على قول جميع المفسرين وقال الحسن ومقاتل كل نبت يمد وينبسط على وجه الارض ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين قال مقاتل بن حيان فكان يونس يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوى فنام نومة فاستيقظ وقد يبست الشجرة فحزن حزنا شديدا واصابه اذى الشمس فجعل يبكى فبعث الله تعالى اليه جبريل وقال اتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة الف من امتك وقد اسلموا وتابوا فان قيل قال ههنا فنبذناه بالعراء وقال فى موضع آخر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء فهلما يدل على انه لم ينبذ قيل لو لا هناك يرجع إلى الذم معناه لو لا نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ولكن تداركه النعمة فنبذ وهو غير قوله (وارسلناه إلى مائة الف) قال قتادة ارسل إلى اهل نينوى من ارض الموصل قبل ان يصيبه ما اصابه وقوله وأرسلناه اى وقد أرسلناه مذموم وقيل كان ارساله بعد خروجه من بعد بطن الحوت الهم وقيل إلى قوم آخرين (او يزيدون) قال مقاتل والكلبى معناه بل يزيدون وقال الزجاج او هنا على اصلها ومعناه كيزيدون على تدبركم وظنكم كالرجل يرى قوما فيقول هؤلاء الف او يزيدون فالشك على تقدير المخلوقين والاكثرون على أن معناه ويزيدون واختلفوا فى مبلغ تلك الزيادة فقال ابن عباس ومقاتل كانوا عشرين الفا ورواه ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن بضعا وثلاثين الفا وقال سعيد بن جبير سبعين الفا

أخرى فأخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فأخذ الابن الأصغر فبقى فريدا فجاء مركب فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة فى البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل وقوف السفينة فيما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلأن يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالى (فساهم) اى فقارع (فكان من المدحضين) يعنى من المقروعين المغلوبين وقد تقدمت القصة فى سورة يونس والانبياء (فالتقمه الحوت) أى ابتلعه (وهو مليم) اى ات بما يلام عليه (فلولا انه كان من المسبحين) ات من الذاكرين الله عز وجل قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين قال الحسن ما كانت صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا فشكر الله تعالى له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكر الله تعالى فلما وقع فى الشدة فى بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك فقال فلولا أنه كان من المسبحين (للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون) وقيل لولا انه كان يسبح فى بطن الحوت بقوله لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون أى لصار بطن الحوت قبرا له إلى يوم القيامة * قوله عز وجل (فنبذناه) اى طرحناه انما اضاف النبذ إلى نفسه وإن كان الحوت هو النابذ لان أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى (بالعراء) أى بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل (وهو سقيم) اى عليل كالفرخ المعط وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة قيل أنه لبث فى بطن الحوت ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل أربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) يعنى القرع قيل ان كل نبت يمتد وينبسط على وجه الأرض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل انبتها الله تعالى له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل وفى شجر القرع فائدة وهى ان الذباب لا يجتمع عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على الارض لم يمكن أن يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوى فنام نومه ثم استيقظ ويبست الشجرة واصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكى فأرسل الله تعالى إليه جبريل وقال اتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف من أمتك قد أسلموا وتابوا (وأرسلناه إلى مائة ألف) قيل أرسله إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل ان يصيبه ما اصابه والمعنى وكنا ارسلناه إلى مائة الف فلما خرج من بطن الحوت امر ان يرجع اليهم ثانيا وقيل كان ارساله اليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز ان يكون ارساله إلى قوم آخرين غير القوم الاولين (او يزيدون) قال ابن عباس معناه ويزيدون

(فآمنوا) يعنى الذين أرسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب (فمتعناهم إلى حين) أى حين انقضاء آجالهم قوله تعالى (فاستفتهم) فاسأل يا محمد اهل مكة وهو سؤال توبيخ (الربك البنات ولهم البنون) وذلك ان جهينة وبنى سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا يقول جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين (ام خلقنا الملائكة اناثا) معناه اخلقنا الملائكة اناثا (وهم شاهدون) حاضرون خلقنا إياهم نظيره قوله اشهدوا خلقهم (الا انهم من افكهم) من كذبهم (ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى) قرا ابو جعفر لكاذبون اصطفى موصولا على الخبر عن قول المشركين وعند الوقف يبتديان اصطفى بكسر الالف وقراءة بقطع الالف لانها ألف استفهام دخلت على الف الوصل فحذفت الف الوصل وبقيت الف الاستفهام مفتوحة مثل استكبرت ونحوها (البنات على البنين مالكم كيف تحكمون) لله بالبنات ولكم بالبنين (٣٢) (أفلا تذكرون) أفلا تتعظون (ام لكم سلطان مبين) برهان بين على ان لله ولدا (فأتوا بكتابكم) الذى لكم فيه حجة (إن كنتم صادقين) فى قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قال مجاهد وقتادة واراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار وقال ابن عباس حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله وقال الكلبى قالوا لعنهم الله بل تزوج من الجن فخرج منها الملائكة تعالى الله عن ذلك وقد كان زعم بعض قريش أن الملائكة بنات الله فقال أبو بكر الصديق فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وقال الحسن معنى النسب انهم اشركوا الشياطين فى عبادة الله (ولقد علمت الجنة انهم (يعنى قائلى هذا القول (لمحضرون) فى النار ثم نزه نفسه عما قالوا فقال (سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين) هذا استثناء من المحضرين يعنى انهم لايحضرون قوله وهو عزوجل (فانكم) يقول لاهل مكة (وما تعبدون) من الاصنام (ما انتم عليه) على ما تعبدون (بفاتنين) بمضلين احد (إلا من هو صال الجحيم) إلا من قدر الله انه سيدخل النار اى سبق له فى علم الله الشقاوة قوله تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم) اى ما منا ملك إلا له مقام معلوم فى السموات يعبد الله فيه قال ابن عباس ما فى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى او يسبح وروينا عن ابى ذر عن النبى ﷺ قال اطت السماء وحق لها ان تئط والذى نفسى بيده مافيها موضع اربعة اصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله قال السدى إلا له مقام معلوم فى القربة والمشاهدة وقال ابو بكر الوراق إلا له مقام معلوم يعبد الله عليه كالخوف والرجاء والمحبة والرضا

وقيل معناه بل يزيدون وقيل او على أصلها والمعنى او يزيدون فى تقدير الرائى إذا رآهم قال هؤلاء مائة الف ويزيدون على ذلك فالشك على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس الأول واما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين الفا ويعضده ماروى عن ابى ابن كعب رضى الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى وارسلناه إلى مائة الف او يزيدون قال يزيدون عشرين الفا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقيل يزيدون بعضا وثلاثين ألفا وقيل سبعين الفا (فآمنوا) يعنى الذين ارسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب (فمتعناهم إلى حين) اى إلى انقضاء آجالهم * قوله عز وجل (فاستفتهم) اى فسل يا محمد اهل مكة وهو سؤال توبيخ (الربك البنات ولهم البنون) وذلك أن جهينة وبنى سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لأن العرب كانوا يستنكفون من البنات والشىء الذى يستنكف منه المخلوق كيف ينسب للخالق (أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون) اى حاضرون خلقنا اياهم (ألا انهم من افكهم) اى من كذبهم (ليقولون ولد الله) أى فى زعمهم (وانهم لكاذبون) أى فيما زعموا (اصطفى البنات) اى فى زعمكم (على البنين) وهو استفهام توبيخ وتقريع (مالكم كيف تحكمون) أى بالبنات لله ولكم بالبنين (افلا تذكرون) اى فلا تتعظون (ام لكم سلطان مبين) اى برهان بين على ان لله ولدا (فأتوا بكتابكم) يعنى الذى فيه حجة (إن كنتم صادقين) اى فى قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قيل اراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار قال ابن عباس هم حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله فقال لهم ابو بكر الصديق رضى الله عنه فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم اشركوا الشياطين فى عبادة الله تعالى وقيل هو قول الزنادقة الخير من الله والشر من الشيطان (ولقد علمت الجنة انهم) يعنى قائلى هذا القول (لمحضرون) أى فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما يقولون (إلا عباد الله المخلصين) هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لا يحضرون (فانكم) يعنى يا اهل مكة (وما تعبدون) اى من الاصنام (ما انتم عليه) اى على ما تعبدون (بفاتنين) أى بمضلين احدا (إلا من هو صال الجحيم) اى إلا من سبق له فى علم الله تعالى الشقاوة وانه سيدخل النار * قوله تعالى اخبارا عن حال الملائكة (وما منا إلا له مقام معلوم) يعنى ان جبريل قال للنبى ﷺ وما منا معشر الملائكة ملك إلا له مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس ما فى السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلى أو يسبح وروى أبو ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اطت السماء وحق لها أن تئط والذى نفسى بيده مافيها موضع اربع اصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذى

(وإنا لنحن الصافون) قال قتادة هم الملائكة صفوا أقدامهم وقال الكلبي صفوف الملائكة في السماء للعبادة كصفوف الناس في الأرض (وإنا لنحن المسبحون) اى المصلون المنزهون الله عن السوء يخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ انهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وانهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار ثم أعاد الكلام إلى الأخبار عن المشركين فقال (وإن كانوا) أي وقد كانوا يعني أهل مكة (ليقولون) لام التأكيد (لو ان عندنا ذكرا من الأولين) يعني كتابا مثل كتاب الاولين (لكنا عباد الله المخلصين فكروا به) اى فلما اتاهم ذلك الكتاب كفروا به (فسوف يعلمون) هذا تهديد لهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) وهي قوله كتب الله لاغلبن أنا ورسلي (أنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) اى حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة (فتول) اعرض (عنهم حتى حين) قال ابن عباس يعني الموت وقال مجاهد يوم بدر وقال السدى حتى يأمرك بالقتال وقيل إلى أن يأتيهم عذاب الله قال (٣٣) مقاتل بن حيان نسختها اية القتال

وهو طرف من حديث قيل الاطيط أصوات الاقتاب وقيل أصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث ما في السماء من الملائكة قد أثقلها حتى اطت وهذا مثل مؤذن بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثم أطيط وقيل معنى الاله مقام معلوم اى في القرب والمشاهدة وقيل يعبد الله مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا (وإنا لنحن الصافون) يعني الملائكة صفوا أقدامهم في عبادة الله تعالى كصفوف الناس في الصلاة في الارض (وإنا لنحن المسبحون) اى المصلون لله تعالى وقيل المنزهون لله تعالى عن كل سوء يخبر جبريل النبي ﷺ انهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وانهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار قوله عز وجل (وإن كانوا ليقولون) يعني كفار مكة قبل بعثه النبي ﷺ (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) يعني كتابا مثل كتاب الاولين (لكنا عباد الله المخلصين) اى لأخلصنا العبادة لله (فكفروا به) اى فلما اتاهم الكتاب كفروا به (فسوف يعلمون) فيه تهديد لهم قوله عز وجل (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) يعني تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم (انهم لهم المنصورون) اى بالحجة البالغة (وان جندنا) اى حزبنا المؤمنين (لهم الغالبون) اى لهم النصرة في العاقبة (فتول) اى اعرض (عنهم حتى حين) قال ابن عباس يعني الموت وقيل إلى يوم بدر وقيل حتى امرك بالقتال وهذه منسوخة باية القتال وقيل الى ان يأتيهم العذاب (وابصرهم) اى إذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) اى ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عز وجل (افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل) يعني العذاب (بساحتهم) اى بحضرتهم وقيل بفنائهم (فساء صباح المنذرين) اى فبئس صباح الكافرين الذين انذروا العذاب (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرات ثم كرر ذكر ما تقدم تأكيد الوعيد العذاب فقال تعالى (وتول عنهم حتى حين) وقيل المراد من الاية الاولى ذكر احوالهم في الدنيا وهذه ذكر احوالهم في الاخرة فعلى هذا القول يزول التكرار (وابصر) اى العذاب اذا نزل بهم (فسوف يبصرون) ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحان ربك رب العزة) اى الغلبة والقدرة وفيه إشارة إلى كمال القورة وانه القادر على جميع الحوادث عما يصفون) اى عن اتخاذ الشركاء والاولاد (وسلام على المرسلين) اى الذين بلغوا عن الله عز وجل التوحيد والشرائع لان اعلى مراتب البشر ان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا جرم يجب على كل احد الاقتداء بهم والاهتداء بهداهم (والحمد لله رب العالمين) اى على هلاك الاعداء ونصرة

(وأبصرهم) إذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) ذلك فقالوا متى هذا العذاب فقال الله عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل) يعني العذاب (بساحتهم) قال مقاتل بحضرتهم وقيل بفنائهم قال الفراء العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم (فساء صباح المنذرين) فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا بالعذاب أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب أخبرنا مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ حين خرج إلى خيبر أتاها ليلا وكان إذا جاء قوما بليل لم يغز حتى يصبح قال فلما أصبح خرجت يهود خيبر بمساحيها ومكاتلها فلما راى النبي

ﷺ قالوا محمد والله محمد والخميس فقال رسول الله ﷺ خربت خيبر انا إذا نزل بساحة قوم فساء صباح المنذرين ثم كرر ما ذكرنا تأكيدا لوعيد العذاب فقال (وتول عنهم حتى حين وابصر) العذاب إذا نزل بهم (فسوف يبصرون) ثم نزه نفسه فقال (سبحان ربك رب العزة) الغلبة والقوة (عما يصفون) من اتخاذ الصاحبة والاولاد (وسلام على المرسلين) الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء عليهم السلام اخبرنا ابو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي انا ابو اسحق الثعلبي اخبرني فنجويه اخبرنا احمد بن جعفر بن حمدان حدثنا ابراهيم بن سهلوية حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن ثابت بن ابي صفية عن اصبغ بن بناتة عن علي قال من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿ سورة ص مكية وهى ثمان وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (ص) قيل هو قسم وقيل هو اسم للسورة كما ذكر نافى سائر حروف التهجى فى اوائل السور وقال محمد بن كعب القرظى ص مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد وقال الضحاك معناه صدق الله وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما صدق محمد ﷺ (والقران ذى الذكر) اى ذى البيان قال ابن عباس ومقاتل وقال الضحاك ذى الشرف دليله قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وهو قسم واختلفوا فى جواب القسم قيل جوابه قد تقدم وهو قوله ص اقسم الله بالقران أن محمدا قد صدق وقال الفراء ص معناها وجب وحق فهى جواب قوله والقران كما تقول نزل والله وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقران ذى الذكر ما الامر كما يقول الكفار ودل على هذا المحذوف قوله تعالى (بل الذين كفروا) وقال قتادة موضع القسم قوله بل الذين كفروا كما قال والقرآن المجيد بل عجبوا وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا (فى عزة وشقاق) والقران ذى الذكر وقال الاخفش جوابه قوله تعالى إن كل إلا كذب الرسل كقوله تالله إن كنا وقوله والسماء والطارق (٣٤) إن كل نفس وقيل جوابه قوله ان هذا لرزقنا وقال الكسائى قوله إن ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا ضعيف لأنه تحلل بين هذا القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقال القتيبى بل لتدارك كلام ونفى آخر ومجاز الاية أن الله أقسم بص والقرآن ذى الذكر إن الذين كفروا من أهل مكة فى عزة حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق خلاف وعداوة لمحمد ﷺ وقال مجاهد فى عزة تغابن (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعنى من الأمم الخالية (فنادوا) استغاثوا عند نزول العذاب وحول النقمة (ولات حين مناص) أى ليس حين نزول العذاب بهم حين فرار والمناص مصدر ناص ينوص وهو الفرار والتأخير يقال ناص ينوص اذا تأخر وباص يبوص إذا تقدم أولات بمعنى ليس بلغة اهل اليمن وقال النحويون هى لا زيدت فيها التاء كقولهم رب وربت وثم وثمت واصلها هاء وصلت بلا فقالوا لاه كما قالوا ثمة فجعلوها فى الوصل تاء والوقف عليه بالتاء عند الزجاج وعند الكسائى بالهاء لاه وذهب جماعة إلى أن التاء زيدت فى حين والوقف على ولا ثم يبتدىء بحين وهو اختيار أبى عبيد وقال كذلك وجدت فى مصحف عثمان وهذا كقول أبى وجزة السعدى

العاطفون تحين ما من عاطف * والمطعمون زمان ما من مطعم

وفى حديث ابن عمر وسأله رجل عن عثمان فذكر مناقبه ثم قال اذهب بها فلان إلى أصحابك يريد الان قال ابن عباس رضى الله عنهما كان كفار مكة إذا قالوا فاضطروا فى الحرب قال بعضهم لبعض مناص اى اهربوا وخذوا حذركم فلما انزل الله بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله تعالى ولات حين مناص أى ليس الحين حين هذا القول (وعجبوا) يعنى الكفار الذين ذكرهم الله عز وجل فى قوله بل الذين كفروا (إن جاءهم منذر منهم) يعنى رسولا من أنفسهم ينذرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الالهة إلها واحدا) وذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن

الأنبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال من حب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن اخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة ص ﴾

ويقال لها سورة داود عليه الصلاة والسلام وهى مكية وهى ست وقيل ثمان وثمانون اية وسبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة وثلاثة الاف وسبعة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله عز وجل (ص) قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد ﷺ (والقران ذى الذكر) قال ابن عباس اى ذى البيان وقيل ذى الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص اقسم الله سبحانه وتعالى بالقران ان محمدا ﷺ لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقران ذى الذكر ما الامر كما تقول الكفار دل على هذا المحذوف * قوله تعالى (بل الذين كفروا) وقيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره بل الذين كفروا (فى عزة وشقاق) والقرآن ذى الذكر وقيل جوابه ان كل إلا كذب الرسل وقيل جوابه إن هذا لرزقنا وقيل إن ذلك لحق تخاصم اهل النار وهذا ضعيف لانه تحلل بين القسم وهذا الجواب اقاصيص واخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفى اخر ومجاز الاية ان الله تعالى اقسم بص والقران ذى الذكر بل الذين كفروا من اهل مكة فى عزة اى حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق اى خلاف وعداوة لمحمد ﷺ (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) يعنى من الامم الخالية (فنادوا) اى استغاثوا عند نزول العذاب وحول النقمة (ولات حين مناص) يعنى ليس الحين حين فرار وتأخر قال ابن عباس كان كفار مكة إذا قالوا فاضطروا فى الحرب قال بعضهم لبعض مناص يعنى اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله عز وجل ولات حين مناص يعنى ليس الحين حين هذا القول (وعجبوا) يعنى كفار مكة (إن جاءهم منذر منهم) يعنى رسولا من انفسهم ينذرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) * قوله عز وجل (اجعل الالهة إلها واحدا) وذلك ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه

المغيرة للملا من قريش وهم الصناديد والأشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن المغيرة قال لهم امشوا إلى ابي طالب فاتوا أباطالب وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد عمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا قد اتيناك لتقضي بيننا وبين اخيك فارسل ابو طالب إلى النبي ﷺ فدعاه فقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله ﷺ ماذا يسألوني قالوا ارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال رسول الله ﷺ اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله أبوك لنعطينكها وعشر أمثالها فقال رسول الله ﷺ قولوا لا إله إلا الله فنفروا من ذلك وقاموا وقالوا أجعل الالهة إلها واحدا كيف يسع الخلق كلهم إله واحد (إن هذا لشيء عجيب) اي عجيب والعجب والعجاب واحد كقولهم رجل كريم وكرام وكبير وكبار وطويل وطوال وعريض وعراض (وانطلق الملا منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم) اى انطلقوا من مجلسهم الذى كانوا فيه عند ابي طالب ويقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا على الهتكم اى اثبتوا على

عبادة الهتكم (ان هذا لشيء يراد) أى لامر يراد بنا وذلك ان عمر لما اسلم وحصل للمسلمين قوة لمكانه قالوا إن هذا الذى نراه من زيادة أصحاب محمد لشيء يراد بنا وقيل يراد باهل الأرض وقيل يراد بمحمد ان يملك علينا (ما سمعنا بهذا) اى بهذا الذى يقوله محمد من التوحيد (فى الملة الاخرة) قال ابن عباس والكلبي ومقاتل يعنون فى النصرانية لانها آخر الملل وهم لا يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة وقال مجاهد وقتادة يعنون ملة قريش ودينهم الذى هم عليه (ان هذا إلا اختلاق) كذب وافتعال (أأنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) وليس بأكبرنا ولا أشرفنا يقوله اهل مكة قال الله عز وجل (بل هم فى شك من ذكرى) أى وحيى وما أنزلت (بل لما يذوقوا عذاب) اى لم يذوقوا عذابى ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول (أم عندهم) اعندهم (خزائن رحمة ربك) يعنى نعمة ربك مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤا نظيره أهم يقسمون رحمت ربك اى نبوة ربك (العزيز الوهاب) العزيز فى ملكه الوهاب وهب النبوة لمحمد ﷺ (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) اى ليس لهم ذلك (فليرتقوا فى الاسباب) اى ان ادعو شيئا من ذلك فليصعدوا فى الاسباب التى توصلهم إلى السماء فليأتوا منها بالوحى إلى من يختارون قال مجاهد وقتادة اراد بالاسباب ابواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء وكل ما يوصلك إلى شيء من باب او طريق فهو سببه وهذا امر توبيخ وتعجيز (جند ماهنالك) اى هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ماهنالك وماصلة (مهزوم) مغلوب (من الاحزاب) اى من جملة الاجناد يعنى قريشا قال قتادة اخبر الله تعالى نبيه ﷺ وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين وقال سيهزم الجمع ويولون الدبر فجاء تأويلها يوم بدر وهناك إشارة إلى بدر ومصارعهم من الاحزاب اى من جملة الاحزاب اى هم من القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا واهلكوا ثم قال معزيا لنبيه ﷺ

أسلم فشق ذلك على قريش وفرح المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملا من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن المغيرة امشوا إلى ابي طالب فاتوا إلى ابي طالب وقولوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وإنما اتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فأرسل اليه ابو طالب فدعا به فلما أتى النبي ﷺ قال له يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله ﷺ وماذا يسألونني قالوا ارفض الهتنا وندعك وإلهك فقال رسول الله ﷺ أتعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك لنعطينكها وعشرة امثالها فقال رسول الله ﷺ قولوا لا إله إلا الله فنفروا من ذلك وقالوا اجعل الالهة إلها واحدا كيف يسع الخلق إله واحد (ان هذا لشيء عجاب) اى عجب (وانطلق الملا منهم) أى من مجلسهم الذى كانوا فيه عند ابي طالب (ان امشوا) اى يقول بعضهم لبعض امشوا (واصبروا على الهتكم) اى اثبتوا على عبادة الهتكم (ان هذا لشيء يراد) اى الامر يراد بنا وذلك ان عمر رضى الله عنه لما اسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا ان هذا الذى نراه من زيادة اصحاب محمد ﷺ لشيء يراد بنا وقيل يراد بأهل الارض وقيل يراد بمحمد ﷺ ان يملك علينا (ما سمعنا بهذا) يعنى بالذى يقوله محمد من التوحيد (فى الملة الآخرة) قال ابن عباس يعنون النصرانية لانها آخر الملل وانهم لا يوحدون الله بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهى دينهم الذى هم عليه (ان هذا إلا اختلاق) أى كذب وافتعال (أأنزل عليه الذكر) يعنى القران (من بيننا) اى يقول اهل مكة ليس هو بأكبرنا ولا اشرفنا فقال الله تعالى (بل هم فى شك من ذكرى) اى وحى وما انزلت (بل لما يذوقوا عذاب) يعنى لو ذاقوا ملا قالوا هذا القول (أم عندهم خزائن رحمة ربك) يعنى مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤا (العزيز) اى فى ملكه (الوهاب) الذى وهب النبوة لمحمد ﷺ ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما) اى ليس لهم ذلك (فليرتقوا فى الاسباب) يعنى ان ادعوا شيئا من ذلك فليصعدوا فى الاسباب التى توصلهم إلى السماء ليأتوا منها بالوحى إلى من يختارون وقيل أراد بالاسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء وهذا امر توبيخ وتعجيز (جند ماهنالك) اى هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ماهنا لك (مهزوم) اى مغلوب (من الاحزاب) يعنى ان قريشاً من جملة الاجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا واهلكوا اخبر الله سبحانه وتعالى نبيه

(كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد) قال ابن عباس ومحمد بن كعب ذو البناء المحكم وقيل أراد ذو الملك الشديد الثابت وقال القتيبي تقول العرب هم في عز ثابت الاوتاد ثم شديد وقال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد واصل هذا ان بيوتهم كانت تثبت بالاوتاد وقال الضحاك ذو القوة والبطش وقال عطية والجنود والجموع الكثيرة يعني انهم كانوا يقوون امره ويشدون ملكه كما يقوى الوتد الشيء وسميت الاجناد اوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم وهو رواية عطية عن ابن عباس وقال الكلبي ومقاتل الاوتاد جمع الوتد وكانت له اوتاد يعذب الناس عليها وكان إذا غضب على احد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل يد ورجل منه الى سارية ويتركه كذلك في الهواء بين السماء والارض حتى يموت وقال مجاهد ومقاتل ابن حيان كان يمد الرجل مستلقيا على الارض ثم يشد يديه ورجليه ورأسه على الارض بالاوتاد وقال السدي كان يمد الرجل ويشده بالاوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات وقال قتادة وعطاء كانت له أوتاد وارسان وملاعب يلعب عليها بين يديه (وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة اولئك الاحزاب) الذين تحزبوا على الانبياء واعلم أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الاحزاب (ان كل) ما كل (إلا كذب الرسل فحق عقاب) وجب عليهم ونزل بهم عذابي (وما ينظر) ينتظر (هؤلاء) يعني كفار مكة (إلا صيحة واحدة وهي نفخة الصور (مالها من فواق) قرأ حمزة والكسائي فواق بضم الفاء وقرأ الاخرون بفتحها وهما لغتان فالفتح لغة قريش والضم لغة تميم قال ابن عباس وقتادة من رجوع أي ما يرد ذلك الصوت فيكون له رجوع وقال مجاهد نظرة وقال الضحاك مثنوية أي صرف ورد والمعنى ان تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف وفرق بعضهم بين الفتح والضم فقال الفراء وأبو عبيدة الفتح بمعنى الراحة والافاقة كالجواب من الاجابة وذهبا بها الى افاقة المريض من علته والفواق بالضم ما بين الحلبتين وهو أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فواق أي ان العذاب لا يمهلهم بذلك القدر وقيل هما ايضا مستعاران من الرجوع لان اللبن يعود إلى الضرع بين الحلبتين وإفاقة المريض رجوعه إلى الصحة (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي أحصت كل شيء قال الكلبي لما نزلت في الحاقة فاما من اوتي كتابه بيمينه قالوا عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب وقال سعيد بن جبير يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقال الحسن وقتادة ومجاهد والسدي يعني عقوبتنا ونصيبنا من العذاب وقال عطاء قاله النضر بن الحارث وهو قوله اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وعن مجاهد قال قطنا حسابنا ويقال لكتاب الحساب قط وقال أبو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز قال الله تعالى (اصبر على ما يقولون) اي على ما يقوله الكفار من تكذيبك (واذكر عبدنا داود ذا الايد) قال ابن عباس أي القوة في العبادة اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني انا ابو جعفر الريائي ثنا حميد بن زنجويه ثنا ابو نعيم ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن اوس عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ إن احب الصيام إلى الله صيام داود

صلى الله عليه وسلم وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر هنالك إشارة إلى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه ﷺ (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذي الاوتاد) قال ابن عباس ذو البناء المحكم وقيل ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هو في عز ثابت الاوتاد يريدون بذلك أنه دائم شديد وقال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل ذو قوة وأصل هذا أن بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما والجنود والجموع الكثيرة يعني أنهم يقرون أمره ويشدون ملكه كما يقوى الوتد الشيء وسميت الاجناد اوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم وقيل الاوتاد جمع الوتد وكانت له اوتاد يعذب الناس عليها فكان إذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل طرف منه إلى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وأحبال وملاعب يلعب عليها بين يديه (وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة اولئك الاحزاب) أي الذين تحزبوا على الانبياء فاعلم الله تعالى أن مشركي قريش حزب من اولئك الاحزاب (إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) اي ان اولئك الطوائف والايام الخالية لما كذبوا انبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين إذا نزل بهم العذاب وفي الآية زجر وتخويف للسامعين (وما ينظر) أي ينتظر (هؤلاء) اي كفار مكة (إلا صيحة واحدة مالها من فواق) أي رجوع والمعنى ان تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) أي حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من العقوبة قاله النضر بن الحرث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي حضرت كل شيء قيل لما نزلت في الحاقة فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا (قبل يوم الحساب) وقيل قطنا اي حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط كتاب الجوائز قال الله عز وجل لنبيه ﷺ (اصبر على ما يقولون) أي على ما يقول الكفار من التكذيب (واذكر عبدنا داود ذا الايد) قال ابن عباس ذا القوة في العبادة (ق) عن عبد الله بن عمرو

(إنه أواب) رجاع إلى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره قال ابن عباس مطيع قال سعيد بن جبير مسبح بلغة الحبش (إنا سخرنا الجبال معه) كما قال وسخرنا مع داود الجبال (يسبحن) بتسبيحه (بالعشي والإشراق) قال الكلبي غدوة وعشية والاشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن أبي شيبة ثنا الحسن بن حيوة ثنا أبو أمية محمد بن إبراهيم ثنا الحجاج بن نصير أنا أبو بكر الهذلي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس في قوله بالعشي والإشراق قال كنت أمر بهذه الآية ولا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ دخل علينا فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال يا أم هانئ هذه صلاة الاشراق قوله عز وجل (والطير) أي وسخرنا له الطير (محشورة) مجموعة اليه تسبح معه (كل له أواب) مطيع رجاع إلى طاعته بالتسبيح وقيل أواب معه أي مسبح (٣٧) (وشددنا ملكه) أي قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان اشد ملوك الأرض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أنا محمد بن خالد بن الحسن ثنا داود بن سليمان ثنا محمد ابن حميد أنا محمد بن الفضل انا داود بن أبي الفرات عن علي بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود عليه السلام أن هذا غصبني بقرا فسأله داود فجحد فقال للآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الذي استعدى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أثبت فأوحى اليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى الله اليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة فأرسل داود اليه فقال إن الله أوحى إلي أن أقتلك فقال تقتلني بغير بينة قال داود نعم والله لأنفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال له لا تعجل حتى أخبرك إني والله ما اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فلذلك اخذت فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني إسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله عز وجل وشددنا ملكه (وآتيناه الحكمة) يعني النبوة والاصابة في الامور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل علم الحكم والتبصر في القضاء وقال علي بن ابي طالب هو ان البينة على المدعي واليمين على من انكر لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به ويروى ذلك عن ابي بن كعب قال فصل الخطاب الشهود والايمان وهو قول مجاهد وعطاء بن ابي رباح وروى عن الشعبي ان فصل الخطاب هو قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه اما بعد اذا اراد بالشروع في كلام آخر واول من قاله

عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ان احب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما واحب الصلاة الى الله صلاة داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذا القوة في الملك (انه اواب) اي رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله عز وجل وقيل مسبح بلغة الحبشة (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) اي بتسبيحه اذا سبح (بالعشي والإشراق) اي غدوة وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله بالعشي والاشراق قال كنت امر بهذه الاية لا ادري ماهي حتى حدثتني ام هانئ بنت ابي طالب ان النبي ﷺ دخل علينا فدعا بوضوء فتوضا ثم صلى الضحى فقال يا ام هانئ ان هذه صلاة الاشراق قلت والذي اخرجاه في الصحيحين من حديث ام هانئ في صلاة الضحى قالت يا ام هانئ ذهبت الى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة بنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قلت ام هانئ بنت ابي طالب فقال مرحبا يا ام هانئ فلما فرغ من غسله قام وصلى ثمان ركعات ملتحفا بثوب قالت ام هانئ وذلك ضحى ولهما عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال ما حدثنا احد انه راى رسول الله ﷺ يصلي الضحى غير ام هانئ فانها قالت ان رسول الله ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم ار صلاة قط اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود قوله تعالى (والطير) اي وسخرنا له الطير (محشورة) اي مجموعة اليه تسبح معه (كل له اواب) اي رجاع الى طاعته مطيع له بالتسبيح معه (وشددنا ملكه) اي قويناه بالحرس والجنود وقال ابن عباس كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل وروى عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل ادعى على رجل من عظمائهم عند داود عليه الصلاة والسلام فقال هذا غصبني بقرة فساله داود فجحده فسال الاخر البينة فلم يكن له البينة فقال لهما داود قوما حتى انظر في امركما فاوحى الله الى داود في منامه ان اقتل المدعى عليه فقال هذه رؤيا ولست اعجل عليه حتى اتثبت فاوحى اليه مرة اخرى فلم يفعل فاوحى اليه الثالثة ان يقتله او تاتيه العقوبة فارسل اليه داود فقال ان الله عز وجل اوحى الي ان اقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال داود نعم والله لانفذن امر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى اخبرك اني والله ما اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك اوخذت فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه (واتيناه الحكمة) يعني النبوة والاصابة في الامور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس يعني بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والتبصر

داود عليه السلام قوله عز وجل (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب) هذه الآية فى إمتحان داود عليه السلام واختلف العلماء بأخبار الأنبياء عليهم السلام فى سببه فقال قوم كان سبب ذلك أنه عاية السلام تمنى يوما من الأيام منزلة ابائه إبراهيم واسحق ويعقوب وسأل ربه أن يمتحنه كما امتحنهم ويعطيه من الفضل مثل ما أعطاهم فروى السدى والكلبى ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم فى بعض وقالوا كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوما يقضى فيه بين الناس ويوما يخلو فيه لعبادة ربه ويوما لنسائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم واسحق ويعقوب فقال يارب أرى الخير كله قد ذهب به ابائى الذين كانوا قبلى فأوحى الله اليه أنهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى إبراهيم بنمرود وذبح ابنه وابتلى اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال رب لو ابتليتنى بمثلى ما ابتليتهم صبرت أيضا فأوحى الله اليك انك مبتلى فى شهر كذا وفى يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم الذى وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ (٣٨) الزبور فبينا هو كذلك إذ جاءه الشيطان قد تمثل فى صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وقيل كان جناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فاعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بنى اسرائيل فينظروا إلى قدرة الله فلما قصد اخذها طارت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت فى كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث من يصيدها فابصر امرأة فى بستان على شط بركة لها تغتسل هذا قول الكلبى وقال السدى رآها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظله فنقضت شعرها فغطت بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل هو تشابع بنت شابع امرأة اوريا بن حنانا وزوجها فى غزاة بالبقاء مع ايوب بن صورا بن أخت داود وذكر بعضهم أنه احب ان يقتل اوريا ويتزوج امرأته فكان ذنبه هذا القدر وذكر بعضهم انه كتب داود إلى ابن اخته ايوب ان ابعث اوريا إلى لياخذها موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه او يستشهد فبعثه وقدمه ففتح له فكتب إلى داود بذلك الكتب اليه ايضا ان ابعثه إلى عدو كذا وكذا فبعثه ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب اليه ايضا ان بعثه إلى عدو كذا وكذا اشد منه باسا فبعثه فقتل فى المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهى ام سليمان عليهما السلام وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال كان ذلك ذنب داود انه التمس من الرجل ان ينزل له عن امرأته قال اهل التفسير كان ذلك مباحا لهم غير ان الله تعالى لم يرض له ذلك لأنه كان ذلك رغبة فى الدنيا وازدياد للنساء وقد اغناه الله عنها بما اعطاه من غيرها وروى عن الحسن فى سبب امتحان داود عليه السلام انه كان قد جزأ الدهر اجزاء يوما لنسائه ويوما للعبادة ويوما للقضاء بين بنى اسرائيل ويوما لبنى اسرائيل يذكرهم

بالقضاء وقال على بن أبى طالب هو أن البينة على المدعى واليمين على من أنكر لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال أبى بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقيل أن فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أما بعد إذا أراد الشروع فى كلام اخر وأول من قاله داود عليه الصلاة والسلام *قوله عز وجل (وهل أتاك) اى وقد أتاك يا محمد (نبأ الخصم) أى خبر الخصم فاستمع له نقصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأخبار العجيبة والتشويق إلى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع (إذ تسوروا المحراب) أى صعدوا وعلوا المحراب أى بالبيت الذى كان يدخل فيه داود يشتغل بالطاعة والعبادة والمعنى أنهم أتوا المحراب من سوره وهو أعلاه فى الاية قصة امتحان داود عليه الصلاة والسلام واختلف العلماء بأخبار الأنبياء فى سبب ذلك وسأذكر ما قاله المفسرون ثم أتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه السلام عما لا يليق بمنصبه ﷺ لأن منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فلا ينسب اليها إلا ما يليق بها واما ما قاله المفسرون (١) أن داود عليه الصلاة والسلام تمنى يوما من الايام منزلة ابائه إبراهيم واسحق ويعقوب وذلك انه كان قد قسم الدهر ثلاثة ايام يوم يقضى فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه عز وجل ويوم لنسائه واشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم واسحق ويعقوب فقال يارب ارى الخير كله قد ذهب به ابائى الذين كانوا قبلى فأوحى الله إليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بنمرود وذبح ابنه وابتلى اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود عليه الصلاة والسلام رب لو ابتليتنى بمثل ما ابتليتهم صبرت ايضا فاوحى الله عز وجل اليه انك مبتلى فى شهر كذا فى يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذى وعده الله به دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان وقد تمثل له فى صورة حمامة ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فاعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بنى إسرائيل لينظروا إلى قدرة الله تعالى فلما قصد اخذها طارت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسه فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت فى كوة فذهب

(١) قوله واما ما قاله المفسرون الخ لم يذكر جوابه وقد ذكره صاحب الكشاف فقال بعد ذكر القصة فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الأنبياء اه

ويذاكرونهم ويبكونهم ويبكونه فلما كان يوم بنى إسرائيل ذكروه فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنباً فاضمر داود فى نفسه انه سيطيق ذلك وقيل أنهم ذكروا فتنة النساء فاضمر داود فى نفسه انه ان ابتلى اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق ابوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد واكب على التوراة فبيناهو يقرأ إذ دخلت عليه حمامة من ذهب كما ذكرنا قال وكان قد (٣٩) بعث زوجها على بعض جيوشه

ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث من يصيدها له فأبصر امرأة فى بستان على شاطىء بركة تغتسل وقيل راها تغتسل على سطح لها فرآها من أجمل النساء خلقا فعجب من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل هى تشابع بنت شابع امرأة اوريا بن حنانا وزوجها فى غزاة بالبلقاء مع ايوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود إلى ابن أخته ان ابعث أوريا إلى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب اليه ان ابعثه إلى عدو كذا وكذا أشد منه بأسا فبعثه ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب اليه ان ابعثه الى عدو كذا وكذا اشد منه بأسا فبعثه فقتل فى المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهى أم سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل ان داود احب ان يقتل اوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه وقال ابن مسعود وكان ذنب داود أنه التمس من الرجل ان ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مباحا لهم غير ان الله عز وجل لم يرض لداود ذلك لأنه رغبة فى الدنيا وازديادا من النساء وقد أغناه الله تعالى عنها بما اعطاه من غيرها وقيل فى سبب امتحان داود انه كان جزأ الدهر اجزاء يوما لنسائه ويوما للعبادة ويوما للحكم بين بنى اسرائيل ويوما يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بنى اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب ذنباً فأضمر داود فى نفسه انه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فأضمر داود فى نفسه انه ان ابتلى اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق عليه الأبواب وأمر أن لا يدخل عليه احد واكب على قراءة التوراة فبيناهو يقرأ إذ دخلت عليه حمامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث إلا يسيرا حتى بعث الله عز وجل الملكين إليه وقيل ان داود عليه السلام مازال يجتهد فى العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس منهم قال اخبرونى بأى شىء انتم موكلون قالوا نكتب صالح أعمالك ونرافقك ونصرف عنك السوء فقال فى نفسه ليت شعرى كيف اكون لو خلونى ونعسى وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فأوحى الله تعالى إلى الملكين ان يعتزلاه ليعلم انه لا غنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد فى العبادة إلى ان ظن انه قد غلب نفسه فاراد الله تعالى ان يعرفه ضعفه فارسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل ان داود قال لبنى اسرائيل لأعدلن بينكم ولم يستثن فابتلى وقيل انه اعجبه عمله فابتلى فبعث الله اليه ملكين فى صورة رجلين وذلك فى يوم عبادته فطلبا ان يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فما شعر إلا وهما بين يديه جالسان وهو يصلى يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل اتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب (اذ دخلوا على داود ففزع منهم) اى خاف منهما حين هجما عليه فى محرابه بغير اذنه فقال لهما من ادخلكما على (قالوا لا تخف خصمان) اى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) اى تعدى وخرج عن الحد جئناك لتقضى بيننا * فان قلت اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغى منهما والملائكة لا يبغى بعضهم على بعض * قلت هذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغى من احدهما والمعنى رأيت خصمين بغى احدهما على الاخر (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) اى لا تجر فى حكمك (واهدنا الى سواء الصراط) اى ارشدنا الى طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال احدهما (ان هذا اخى) على دينى وطريقتى لا من

فكتب اليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا إذا سار إليه قتل ففعل فاصيب فتزوج امرأته قالوا فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث إلا يسيرا حتى بعث الله اليه ملكين فى صورة رجلين فى يوم عبادته فطلبا أن يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسوروا المحراب عليه فما شعر وهو يصلى إلا وهما بين يديه جالسين يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل أتاك نبأ الخصم خبر الخصم إذ تسوروا المحراب صعدوا وعلوا يقال تسورت الحائط والسور إذا علوته وإنما جمع الفعل وهما اثنان لأن الخصم اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ومعنى الجمع فى الاثنين موجود لأن معنى الجمع ضم شىء إلى شىء هذا كما قال الله تعالى فقد صغت قلوبكما (إذ دخلوا على داود ففزع منهم) خاف منهما حين هجما عليه فى محرابه بغير اذنه فقال ما ادخلكما على (قالوا لا تخف خصمان) أى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) جئناك لتقضى بيننا فان قيل كيف قال بغى بعضنا على بعض وهما ملكان لا يبغيان قيل معناه رأيت خصمين بغى احدهما على الاخر وهذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغى من احدهما (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أى لا تجر يقال شط الرجل شططا واشط اشطاطا اذا جار فى حكمه ومعناه مجاوزة الحد واصل الكلمة من شطت الدار واشطت اذا بعدت (واهدنا الى سواء الصراط) ارشدنا الى طريق الصواب والعدل فقال داود لهما تكلما فقال احدهما (ان هذا أخى) اى على دينى وطريقتى

له تسعة وتسعون نعجة) يعنى امرأة (ولى نعجة واحدة) أى امرأة واحدة والعرب تكنى بالنعجة عن المرأة قال الحسين بن الفضل هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن هناك نعاج ولا بغى فهو كقوله لهم ضرب زيد عمرا أو اشترى بكر دارا ولا ضرب هنالك ولا شراء (فقال اكفلنيها) قال ابن عباس اعطنيها قال مجاهد انزل لى عنها وحقيقته ضمها إلى فاجعلنى كافلها وهو الذى يعولها وينفق عليها والمعنى طلقها لاتزوجها (وعزنى) وغلبنى (فى الخطاب) اى فى القول وقيل قهرنى لقوة ملكه قال الضحاك يقول ان تكلم كان افصح منى وان حارب كان ابطش منى وحقيقة المعنى ان الغلبة كانت له لضعفى فى يده وان كان الحق معى وهذا كله تمثيل لأمر داود مع اوريا زوج المرأة التى تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضمها إلى نسائه (قال) اى قال داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) أى بسؤاله نعجتك ليضمها إلى نعاجه فان قيل كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه قيل معناه ان كان الأمر كما تقول فقد ظلمك وقيل قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول (وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض) يظلم بعضهم بعضا (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يظلمون أحدا (٤٠) (وقليل ماهم) اى قليل هم وما صلة يعنى الصالحين الذين لا يظلمون قليل قالوا فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما الى صاحبه فضحك وصعد إلى السماء فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه وذلك قوله (وظن داود) أيقن وعلم (إنما فتناه) انما ابتليناه وقال السدى باسناده أن أحدهما لما قال ان هذا أخى الاية قال داود للاخر ما تقول فقال ان لى تسعا وتسعين نعجة ولأخى نعجة واحدة وانا اريد ان آخذها منه فاكفل نعاجى مائة وهو كاره قال اذا لا ندعك وان رمت ذلك ضربت منك هذا وهذا يعنى طرف الأنف وأصله والجبهة فقال يا داود انت احق بذلك حيث لم يكن لأوريا الا امرأة واحدة ولك تسع وتسعون امرأة فلم تزل تعرضه للقتل حتى قتل وتزوجت امرأته فنظر داود فلم ير أحد فعرف ما وقع فيه وقال القائلون بتنزيه الأنبياء فى هذه القصة ان ذنب داود انما كان انه تمنى ان تكون به امرأة اوريا حلالا له فاتفق غزو اوريا وتقدمه فى الحرب وهلاكه فلما بلغ قتله داود لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده اذا هلك ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله وقيل كان ذنب داود ان اوريا كان خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك اوريا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة اخبرا ابو سعيد الشريحى انا ابو اسحق الثعلبى قال وبما يصدق ما ذكرنا عن المتقدمين ما اخبرنى عقيل ابن محمد بن احمد الفقيه ان المعافى بن زكريا القاضى ببغداد اخبره عن محمد بن جرير الطبرى قال حدثنى يونس بن عبد الأعلى الصيرفى انا ابن وهب اخبرنى بن لهيعة عن ابى صخر عن يزيد الرقاشى عن انس بن مالك رضى الله عنه سمعه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبى حين نظر الى المرأة فاهم ان يجمع على بنى اسرائيل وأوصى لصاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدى التابوت فلم يرجع حتى يقتل او ينهزم

جهة النسب (له تسع وتسعون نعجة) يعنى امرأة (ولى نعجة واحدة) أى امرأة واحدة والعرب تكنى بالنعجة عن المرأة هذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن هناك نعاج ولا بغى (فقال اكفلنيها) قال ابن عباس اى أعطينها وقيل معناه أنزل عنها وضمها إلى واجعلنى كافلها والمعنى طلقها لأتزوجها (وعزنى فى الخطاب) يعنى غلبنى وقهرنى فى القول لأنه افصح منى فى الكلام وان حارب كان أبطش منى لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له على لضعفى فى يده وان كان الحق معى وهذا كله تمثيل لأمر داود مع اوريا زوج المرأة التى تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضمها داود إلى نسائه (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) اى بضمها إلى نعاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الاخر * قلت معناه ان كان الأمر كما تقول فقد ظلمك وقيل إنما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول (وان كثيرا من الخلطاء) أى الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض) أى يظلم بعضهم بعضا (إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يظلمون أحدا (وقليل ماهم) اى هم قليل وما صلة والمعنى ان الصالحين الذين لا يظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر احدهما إلى صاحبه وضحك وصعد إلى السماء فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه فذلك قوله تعالى (وظن داود) اى أيقن وعلم (انما فتناه) أى ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا فى صورتهما وعرجا وهم يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود انه إنما عنى به وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبى صلى الله عليه وسلم حين نظر المرأة فهم ففظع على بنى إسرائيل أوصى صاحب البعث فقال إذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدى التابوت لم يرجع حتى يقتل او يهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه واكلت الأرض من جبهته وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب رب إن لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلق من بعده فجاء جبريل من بعد أربعين ليلة فقال يا داود إن الله تعالى قد غفر لك الهم الذى هممت

عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل المكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد ومكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض من جبينه وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلة ابعد ما بين المشرق والمغرب رب إن ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلق من بعده فجاءه جبريل من بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الله قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود إن الرب قادر على أن يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال يا رب دمى الذى عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وإن شئت لأفعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال سألت الله يا داود عن الذى أرسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول فان ذلك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عنه وروى عن ابن عباس وعن كعب الأحبار ووهب بن منبه قالوا جميعا ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه فتحولا عن صورتيهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود إنما (٤١) عنى به فخر ساجدا أربعين يوما

به فقال داود أن الرب قادر على أن يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال رب دمى الذى عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وإن شئت لافعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ما شاء الله تعالى ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال سألت الله يا داود عن الذى ارسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله تعالى يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول الله تعالى فان لك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عن دمك فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير فى قصة امتحان داود

﴿فصل فى تنزيه داود عليه السلام وعليه السلام عما لا يليق به وما ينسب اليه﴾ اعلم ان من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق أن ينسب اليه ما لو نسب الى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه فكيف يجوز أن ينسب الى بعض أعلام الانبياء والصفوة الامناء ذلك روى سعيد بن المسيب والحرث الاعور عن على بن ابى طالب رضى الله عنه أنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء وقال القاضى عياض لا يجوز ان يلتفت الى ما سطره الاخباريون من اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شىء من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص عليه الله فى قصة داود وظن داود ان ما فتناه وليس فى قصة داود واوريا خبر ثابت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم وهذا فى الذى ينبغى ان يعول عليه من امر داود وقال الامام فخر الدين حاصل القصة يرجع الى السعى فى قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع فى زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل ان يظن بداود عليه الصلاة والسلام هذا وقال غيره أن الله تعالى أثنى على داود وقيل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل ان يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس فى كلامه لاستهجنه العقلاء وقالوا أنت فى مدح شخص كيف تجرى ذمه اثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا فى كلامه القديم * فان قلت فى الاية على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود أنما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأناب وقوله فغفرنا له ذلك * قلت ليس فى هذه الألفاظ شىء مما يدل على ذلك وذلك لأن مقام النبوة أشرف المقامات

لا يرفع رأسه إلا لحاجة ولو وقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه فى سجوده سبحان الملك الأعظم الذى يبتلى الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور إلهى أنت خليت بينى وبين عدوى إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت بى سبحان خالق النور إلهى أنت خلقتنى وكان من سابق علمك ما أنا اليه صائر سبحان خالق النور إلهى الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطىء سبحان خالق النور إلهى بأى عين أنظر اليك يوم القيامة

 وإنما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور إلهى بأى قدم امشى امامك وأقوم بين يديك يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور إلهى من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده سبحان خالق النور إلهى انا الذى لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور إلهى أنا الذى لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق سوط جهنم سبحان خالق النور إلهى الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصاب سبحان خالق النور إلهى قد تعلم سرى وعلانيتى فاقبل عذرى سبحان خالق النور إلهى برحمتك اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهواى سبحان خالق النور إلهى أعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبى التى أوبقتنى سبحان خالق النور إلهى قد قررت إليك بذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزنى يوم الدين سبحان خالق النور قال مجاهد مكث اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه وغطى رأسه فنودى يا داود أجائع فتطعم أو ظمآن فتسقى او عار فتكسى فأجيب فى غير ما طلب قال فنحب نحبة هاج لها العود فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله التوبة والمغفرة قال وهب إن داود اتاه نداء إنى قد غفرت لك قال يا رب كيف

وأنت لاتظلم أحدا قال اذهب إلى قبر أوريا فناده فأنا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى ياأوريا فقال لبيك من هذا الذى قطع عنى لذتى وأيقظنى قال أنا داود قال ماجاء بك يانبى الله قال أسألك أن تجعلنى فى حل مما كان منى اليك قال وما كان منك إلى قال عرضتك للقتل قال قد عرضتنى للجنة فأنت فى حل فأوحى الله اليه ياداود ألم تعلم انى حكم عدل لاأقضى بالغيب الا علمته انك قد تزوجت امراته قال فرجع اليه فناداه فاجابه فقال من هذا الذى قطع عنى لذتى قال انا داود قال يانبى الله اليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن إنما فعلت ذلك بك لمكان امراتك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه فلم يجبه وعاودوه فلم يجبه فقام عن قبره وجعل يحثوا التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور والويل لداود إذا نصب الميزان بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود حين يؤخذ بذقنه فيدفع إلى المظلوم سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار سبحان خالق النور فاتاه نداء من السماء ياداود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبى لم يعف عنى قال ياداود اعطيه من الثواب يوم القيامة مالم ترعيناه ولم تسمع اذناه فاقول له رضيت عن عبدى

داود فيقول يارب من اين لى هذا ولم يبلغه عملى فاقول هذا عرض من عبدى داود فاستوهبك منك فيهبك لى قال يارب الان قد عرفت انك قد غفرت لى فذلك قوله (فاستغفر ربه وخر راكعا) اى ساجدا عبر بالركوع عن السجود لأن كل واحد منهما فيه انحناء قال الحسين بن الفضل سالنى عبدالله بن طاهر عن قوله وخر راكعا هل يقال للراكع خر قلت لا ومعناه خر بعدما كان راكعا اى ساجدا

وأعلاها فيطالبون بأكمل الاخلاق والأوصاف واسناها فاذا نزلوا من ذلك إلى طبع البشرية عاتبهم الله تعالى على ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين * فان قلت فعلى هذا القول والاحتمال فامعنى الامتحان فى الآية * قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم فى هذه القصة إلى أن داود عليه الصلاة والسلام مازاد على أن قال الرجل انزل عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وقيل أن داود تمنى أن تكون امرأة اوريا له فاتفق ان اوريا هلك فى الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله تعالى وقيل ان اوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته فاغتم لذلك اوريا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسعة وتسعون امرأة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزنى فى الخطاب فدل هذا على أن الكلام كان بينهما فى الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج اوريا لها فعوتب داود بسببين أحدهما خطبته على خطبة أخيه والثانى إظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذى استغفر منه ليس هو بسبب أوريا والمرأة وإنما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام الاخر وقيل هو قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب اليه والله اعلم * وقوله عز وجل (فاستغفر ربه) أى سأل ربه الغفران (وخر راكعا) اى ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه وخر ساجدا بعدما كان راكعا والله تعالى أعلم بمراده

(فصل) اختلف العلماء فى سجدة ص هل هى من عزائم السجود فذهب الشافعى رحمه الله تعالى الى انها ليست من عزائم سجود التلاوة قال لانها توبة نبى فلا توجد سجدة التلاوة وقال ابو حنيفة هى من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الاية على أن الركوع يقوم مقام السجود فى سجود التلاوة وعن أحمد فى سجدة ص روايتان وقد ثبت أن النبى ﷺ سجد فيها (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبى ﷺ سجد فيها قال مجاهد قلت لابن عباس أسجد فى ص فقرأ ومن ذريته داود وسليمان حتى أتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن امن ان يقتدى بهم فسجدها داود فسجدها رسول الله ﷺ وللنسائى عن ابن عباس ان النبى ﷺ سجد فى ص وقال سجدها داود توبة فنسجدها شكرا عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قرأ رسول الله ﷺ سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان فى يوم اخر وقراها فلما بلغ السجدة تشوف الناس لسجوده فقال رسول الله ﷺ انما هى توبة نبى ولكنى رايتكم تشوفتم فنزل وسجد وسجدوا اخرجه أبو داود قوله تشوف الناس يعنى تهيؤا وتأهبوا واستعدوا للسجود وعن ابن عباس قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله رايتنى الليلة وأنا نائم كأنى أصلى خلف شجرة فسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها تقول اللهم اكتب لى بها اجرا وحط عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه

(وأناب) أى رجع وتاب (فغفرنا له ذلك) يعنى ذلك الذنب (وإن له) بعد المغفرة (عندنا) يوم القيامة (لزلفى) لقربة ومكانة (وحسن مآب) أى حسن مرجع ومنقلب وقال وهب بن منبه إن داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ونهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين إسرائيل (٤٣) ويوم لنسائه ويوم يسبح فى الفيافى والجبال والسواحل ويوم يخلو فى دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه فيساعدونه على ذلك فاذا كان يوم نياحته يخرج فى الفيافى فيرفع صوته بالمزامير فيبكى ويبكى معه الشجر والرمال والطير والوحش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجىء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير فيبكى ويبكى معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل من بكائهم الاودية ثم يجىء إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير فيبكى وتبكى معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء والسباع فاذا امسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده فيدخل الدار التى فيها المحاريب فيبسط له ثلاثا فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجىء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفى أيديهم العصى فيجلس فى تلك المحاريب ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان مع أصواتهم فلا يزال يبكى حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجىء ابنه سليمان فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ثم يمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر ما ترى فلو عدل بكاء داود ببكاء أهل الدنيا لعدله قال وهب ما رفع داود رأسه حتى قال له الملك أول أمرك تب وآخره مغفرة ارفع رأسك فرفع رأسه فمكث حياته لا يشرب ماء الا مزجه بدموعه ولا يأكل طعاما الا بلة بدموعه

وسلم قرأ سجدة ثم سجد فقال مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجر أخرجه الترمذى قال المفسرون سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا لحاجة او لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه فى سجوده سبحان الملك الأعظم الذى يبتلى الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور إلهى خليت بينى وبين عدوى إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت بى سبحان خالق النور إلهى انت خلقتنى وكان فى سابق علمك ما أنا اليه صائر سبحان خالق النور إلهى الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور إلهى بأى عين أنظر اليك يوم القيامة وإنما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور إلهى بأى قدم اقوم أمامك يوم القيامة يوم تزل اقدام الخاطئين سبحان خالق النور إلهى من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده سبحان خالق النور إلهى انا لا اطيق حر شمسك فكيف اطيق حر نارك سبحان خالق النور إلهى انا لا أطيق صوت رعدك فكيف اطيق صوت جهنم سبحان خالق النور إلهى الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصابه سبحان خالق النور إلهى كيف تستتر الخطاؤن بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور إلهى قد تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى سبحان خالق النور إلهى اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى سبحان خالق النور إلهى أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبى التى أوبقتنى سبحان خالق النور إلهى فررت اليك بذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولا تحزنى يوم الدين سبحان خالق النور وقيل مكث داود أربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودى يا داود اجائع انت فتطعم اظمآن انت فتسقى امظلوم أنت فتنتصر فاجيب فى غير ما طلب ولم يجب فى ذكر خطيئته بشىء فحزن حتى هاج ما حوله من العشب فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله تعالى له التوبة والمغفرة قال وهب ان داود اتاه نداء انى قد غفرت لك قال يارب كيف وانت لا تظلم أحدا قال اذهب الى قبر اوريا فناده وأنا اسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى يا اوريا فقال من هذا الذى قطع على لذتى وايقظنى قال أنا داود قال ما جاء بك يا نبى الله قال أسألك أن تجعلنى فى حل مما كان منى اليك قال وما كان منك الى قال عرضتك للقتل قال بل عرضتنى للجنة فانت فى حل فاوحى الله تعالى اليه يا داود الم تعلم أنى حكم عدل لا اقضى بالغيب الا اعلمته أنك قد تزوجت امرأته قال فرجع فناداه فاجابه فقال من هذا الذى قطع على لذتى وايقظنى قال انا داود قال ما جاء بك يا نبى الله أليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه مرة فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود اذا وضعت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فاتاه نداء من السماء يا داود وقد غفرت لك ذنبك وزحمة بكائك واستجبت دعاءك واقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبى لم يف عنى قال يا داود أعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم ترعينا ه ولم تسمع اذناه فأقول له رضيت عبدى فيقول يارب من أين لى هذا ولم يبلغه عملى فأقول هذا عوض من عبدى داود فاستوهبك منه فهبك لى قال يارب الان قد عرفت أنك قد غفرت لى فذلك قوله فاستغفر ربه وخر راكعا (وأناب) أى رجع (فغفرنا له ذلك) أى الذنب (وان له عندنا) أى يوم القيامة بعد المغفرة (لزلفى) يعنى لقربة ومكانة (وحسن مآب) يعنى حسن مرجع ومنقلب قال وهب

وذكر الأوزاعي مرفوعا إلى رسول الله ﷺ إن مثل عيني داود كقربتين ينقطان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الأرض قال وهب لما تاب الله على داود قال يارب غفرت لي فكيف لي لا أنسى خطيئتي فأستغفر منها وللخاطئين إلى يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فارفع فيها طعاما ولا شرابا إلا بكى إذا رآها وما كان خطيبا للناس إلا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ إذا دعا فاستغفر للخاطئين قبل نفسه وقال قتادة عن الحسن كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا إلى داود الخاطيء فلا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال كان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود إذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله فلا يشدها إلا الأسر وإذا ذكر رحمة الله تراجعت وفي القصة ان الوحوش (٤٤) والطير كانت تستمع إلى قراءته فلما فعل كانت لا تصغي إلى قراءته فروى أنها

قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك

ابن منبه أن داود عليه الصلاة والسلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين بني إسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح في الجبال والفيافي والساحل ويوم يخلو في داره فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج إلى الفيافي ويرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ثم يجيء إلى الجبال ويرفع صوته ويبكي فتبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الأودية ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته ويبكي فتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطين الماء فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه أن اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه الصلاة والسلام بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر ما ترى فلو عادل بكاء داود بكاء أهل الدنيا لعدله وعن الأوزاعي مرفوعا إلى النبي ﷺ ان مثل عيني داود عليه الصلاة والسلام كالقربتين ينقطان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الأرض قال وهب لما تاب الله تعالى على داود قال يارب أغفرت لي فكيف لي ان لا أنسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله تعالى خطيئته في يده اليمنى فارفع فيها طعاما ولا شرابا إلا بكى إذا رآها وما قام خطيبا في الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا واستغفر بالخاطئين قبل نفسه وعن الحسن قال كان داود عليه الصلاة والسلام بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطيء ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا اكل الخاطئين قال وكان داود عليه الصلاة والسلام قبل الخطيئة يقوم

وأخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا سليمان بن حرب وابو النعمان قالا ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها واخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن عبد الله ثنا محمد ابن عبيد الطنافسي عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس من أين سجدت قال أوما تقرأ ومن ذريته داود وسليمان إلى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وكان داود ممن أمر نبيكم أن يقتدي به فسجدها داود فسجدها رسول الله ﷺ أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة محمد بن زيد بن خنيس ثنا الحسن بن محمد بن عبد الله ابن أبي يزيد قال لي ابن جريج أخبرني عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله اني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها عندك أجرا وحط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود قال الحسن قال ابن جريج قال لي جدك قال ابن عباس فقرأ النبي ﷺ سجدة ص فسمعته وهو يقول مثل ما اخبره الرجل عن قول الشجر

نصف

قوله عزوجل (ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض) تدبر أمور العباد بأمرنا (فاحكم بين الناس بالحق) بالعدل (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) اى بان تركوا الايمان بيوم الحساب وقال الزجاج بتركهم العمل لذلك اليوم وقال عكرمة والسدى فى الآية تقديم وتأخير تقديره لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا أى تركوا القضاء بالعدل (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب (ذلك ظن الذين كفروا) يعنى اهل مكة هم الذين ظنوا انهما خلقا لغير شىء وانه لا بعث ولا حساب (فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض) قال مقاتل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى فى الآخرة من الخير ما يعطون فنزلت هذه الاية (أم نجعل المتقين كالفجار) اى المؤمنين كالكفار وقيل أراد بالمتقين اصحاب محمد ﷺ اى لا نجعل ذلك (كتاب أنزلناه اليك) (٤٥) أى هذا الكتاب أنزلناه اليك (مبارك) كثير خيره ونفعه (ليدبروا) يعنى ليتدبروا (آياته) وليتفكروا فيها وقرأ ابو جعفر ليتدبروا بتاء واحدة وتخفيف الدال قال الحسن تدبر آياته اتباعه (وليتذكر) ليتعظ (اولوا الألباب) قوله عزوجل (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) قال الكلبى غزا سليمان أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم الف فرس وقال مقاتل ورث من ابيه داود الف فرس وقال عوف عن الحسن بلغنى انها كانت خيلا أخرجت من البحر لها أجنحة قالوا فصلى سليمان الصلاة الاولى وقعد على كرسيه وهى تعرض عليه فعرضت عليه تسعمائة فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك فاغتم لذلك هيبة لله فقال ردوها على فردوها عليه فأقبل يضرب سوقها واعناقها بالسيف تقربا إلى الله عزوجل وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وإن كان حراما علينا وبقى منها مائة فرس فالذى فى ايدى الناس من الخيل يقال انه من نسل تلك

نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود إذا ذكر عقاب الله انخلعت أوصاله فلا يشدها إلا الاسر وإذا ذكر رحمة الله تراجعت وقيل ان الوحوش والطير كانت تستمع إلى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغى إلى قراءته وقيل انها قالت ياداود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك * قوله عزوجل (ياداود إنا جعلناك خليفة فى الارض) اى امر لتدبر الناس بأمرنا فاذا الحكم فيهم (فاحكم بين الناس بالحق) أى بالعدل (ولا تتبع الهوى) اى لا تعمل مع ما تشتهى إذا خالف امر الله تعالى (فيضلك عن سبيل الله) اى عن دين الله وطريقه (إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) اى بما تركوا الإيمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل فى القضاء * قوله تعالى (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب وقيل معناه ما خلقناهما عبثا لا لشىء (ذلك ظن الذين كفروا) يعنى أهل مكة هم الذين ظنوا إنما خلقناهم لغير شىء وانه لا بعث ولا حساب (فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) قيل ان كفار قريش قالوا للمؤمنين إنما نعطى فى الاخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الاية (ام نجعل المتقين) يعنى الذين اتقوا الشرك وهم اصحاب محمد ﷺ (كالفجار) يعنى الكفار والمعنى لا نجعل الفريقين سواء فى الاخرة (كتاب أنزلناه اليك) اى هذا كتاب يعنى القران أنزلناه اليك (مبارك) اى كثير خيره ونفعه (ليدبروا اياته) أى ليتدبروا ويتفكروا فى أسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر اياته اتباعه فى أوامره ونواهيه (وليتذكر) اى وليتعظ (أولوا الالباب) يعنى ذووا العقول والبصائر * قوله تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) قيل ان سليمان عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ما اصاب وهو الف فرس وقيل ورثها من ابيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها اجنحة فصلى سليمان عليه الصلاة والسلام الصلاة الاولى التى هى الظهر وقعد على كرسيه وهى تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فأقبل يضرب سوقها واعناقها بالسيف تقربا إلى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وإن كان حراما علينا وبقى منها مائة فرس فالذى فى ايدى الناس من الخيل يقال انه من نسل تلك

(فقال إنى أحببت حب الخير) أى آثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل والعرب تعاقب بين الراء واللام فتقول خلت الرجل وخرته أى خدعته وسميت الخيل خيرا لأنه معقود بنواصيها الخير الأجر والمغنم قال مقاتل يعنى المال فهى الخيل التى عرضت عليه (عن ذكر ربى) يعنى عن الصلاة وهى صلاة العصر (حتى توارت بالحجاب) أى توارت الشمس بالحجاب اى استترت بما يحجبها عن الأبصار يقال الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة والشمس (٤٦) تغرب من ورائه (ردوها على) اى ردوا الخيل على فردوها (فطفق مسحا بالسوق والأعناق)

قال ابو عبيدة طفق يفعل مثل مازال يفعل والمراد بالمسح القطع فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل واكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لان نبى الله لم يكن يقدم على محرم ولم يكن يتوب عن ذنب بذنب اخر وقال محمد بن اسحق لم يعنفه الله على عقر الخيل إذ كان ذلك أسفا على مافاته من فريضة ربه عز وجل وقال بعضهم انه ذبحها وتصدق بلحومها وكان الذبح على ذلك الوجه مباحا فى شريعته وقال قوم معناه انه حبسها فى سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بكى الصدقة وقال الزهرى وابن كيسان انه كان يمسح سوقها واعناقها بيده يكشف الغبار عنها حبا لها وشفقة عليها وهذا قول ضعيف والمشهور هو الاول وحكى عن على انه قال فى معنى قوله ردوها على يقول سليمان بأمر الله عز وجل للملائكة الموكلين بالشمس ردوها على يعنى الشمس فردوها عليه حتى صلى العصر فى وقتها وذلك انه كان يعرض عليه الخيل لجهاد عدو حتى توارت بالحجاب فخرج

الماثة فلما عقرها الله تعالى أبدله الله تعالى خيرا منها وأسرع وهى الريح تجرى بأمره كيف شاء وقوله تعالى إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد قيل هى الخيل القائمة على ثلاث قوائم مقيمة الرابعة على طرف الحافر من رجل أو يد وقيل الصافن القائم وجاء فى الحديث من سره ان يقوم له الناس صفوفا فليتبوأ مقعده من النار اى قياما الجياد اى الخيار السراع فى الجرى واحده جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق (فقال انى أحببت حب الخير) اى اثرت حب الخير واراد بالخير الخيل سميت به لأنه معقود فى نواصيها الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعنى المال ومنه الخيل التى عرضت عليه (عن ذكر ربى) يعنى صلاة العصر (حتى توارت) اى استترت الشمس (بالحجاب) اى مايحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (ردوها على) أى ردوا الخيل على (فطفق مسحا بالسوق) جمع ساق (والاعناق) اى جعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وكان ذلك مباحا لأن نبى الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب اخر وهو عقر الخيل وقال محمد بن إسحق لم يعنفه الله تعالى على عقره الخيل إذا كان ذلك أسفا على مافاته من فريضة ربه عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها فى سبيل الله تعالى وكوى سوقها وأعناقها بكى الصدقة وحكى عن على رضى الله تعالى عنه انه قال معنى ردوها على يقول بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها على فردوها عليه فصلى العصر فى وقتها قال الامام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق لالفاظ القران ان تقول أن رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما انه كذلك فى ديننا ثم ان سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج إلى غزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر انى لا أحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وإنما احبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربى ثم انه عليه الصلاة والسلام أمر بادعائها وإجرائها حتى توارت بالحجاب اى غابت عن بصره ثم امر برد الخيل اليه وهو قوله ردوها على فلما عادت اليه نطفق يمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح امور الاول تشريف لها لكونها من أعظم الاعوان فى دفع العدو الثانى انه أراد أن يظهر انه فى ضبط السياسة والمملكة يبلغ إلى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها من غير فكان يمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها مايدل على المرض فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق عليه لفظ القران ولا يلزمنا شىء من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا ههنا مقامان المقام الاول ان يدعى ان لفظ الآية لايدل على شىء من تلك الوجوه التى ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرنا ظهورا لايرتاب عاقل فيه المقام الثانى ان يقال هب ان لفظ الاية يدل عليه الا انه كلام ذكر الناس وان الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات * قوله عز وجل (ولقد فتنا سليمان) اى اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ماذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه فى البحر وكان الله تعالى قد أتى سليمان فى ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شىء فى بر ولا بحر إنما يركب اليه الريح

قوله عز وجل (ولقد فتنا سليمان) اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ماذكر محمد بن اسحق عن وهب بن منبه قال سمع سليمان عليه السلام بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون بها ملك عظيم الشأن لم يكن الناس اليه سبيلا لمكانه وكان الله قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شىء فى بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة يحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل

بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها واصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها إلى الاسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه واحبها حبا لم يحبه شيء من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذى لا يرقا قالت أن ابى اذا ذكره واذكر ملكه وما كان فيه وما اصابه فيحزننى ذلك قال سليمان فقد ابدلك الله به ملكا هو اعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك للاسلام وهو خير من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكنى إذا ذكرته أصابنى ما ترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لى صورته فى دارى التى أنا فيها أراها بكرة وعشيا لرجوت ان يذهب ذلك حزنى وان يسلينى عن بعض ما أجد فى نفسى فأمر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنكر منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فازرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التى كان يلبس ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه فى ولائدها حتى تسجد له ويسجدن له كما كانت تصنع به فى

فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها واصاب فيما اصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها إلى الاسلام فاسلمت على خفاء منها وقلة فقه واحبها حبا لم يحبه شيئا من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذى لا يرقا قالت انى اذكر ابى واذكر ملكه وما كان فيه وما اصابه فيحزننى ذلك فقال سليمان فقد ابدلك الله ملكا هو اعظم من ملكه وسلطانا اعظم من سلطانه وهداك إلى الاسلام وهو خير من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكنى إذا ذكرته أصابنى ما تراه من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا لى صورته فى دارى التى انا فيها اراها بكرة وعشيا لرجوت ان يذهب ذلك حزنى وان يسلى عنى بعض ما أجد فى نفسى فأمر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة ابيها فى دارها حتى لا تنكر منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت إلى ابيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته ثياب مثل ثيابه التى كان يلبسها ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه فى ولائدها فتسجد له ويسجدن معها كما كانت تصنع فى ملكه وتروح فى كل عيشة ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك اربعين صباحا وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا له وكان لا يرد عن ابواب سليمان اى ساعة اراد دخول شيء من بيوته دخل حاضرا سليمان او غائبا فاتاه فقال يا نبى الله كبر سنى ورق عظمى ونفد عمرى وقد حان منى الذهاب وقد احببت ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من انبياء الله تعالى واثنى عليهم بعلمى فيهم واعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير امرهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من انبياء الله تعالى واثنى على كل نبى بما فيه وذكر ما فضله الله تعالى به حتى انتهى إلى سليمان فقال ما كان احكمك واصغرك واورعك فى صغرك وافضلك فى صغرك واحكم امرك فى صغرك وابعدك عن كل ما يكره الله تعالى فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان فى نفسه من ذلك حتى ملىء غضبا فلما دخل سليمان داره ودعاه فقال يا آصف ذكرت من مضى من انبياء الله تعالى فأثنيت عليهم خيرا فى كل زمانهم وعلى كل حال من امرهم فلما ذكرتنى جعلت تثنى على خيرا فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من امرى فى كبرى فما الذى احدثت فى اخر عمرى فقال آصف ان غير الله

ملكه وتروح كل عشية بمثل ذلك وكان سليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحا وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن ابواب سليمان اى ساعة اراد دخول شيء من بيوته حاضرا كان سليمان او غائبا فاتاه فقال يا نبى الله كبر سنى ورق عظمى ونفد عمرى وقد حان منى الذهاب فقد احببت ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من أنبياء الله واثنى عليهم بعلمى فيهم واعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من انبياء الله تعالى فاثنى على كل نبى بما فيه فذكر ما فضله الله حتى انتهى إلى سليمان فقال ما احكمك فى صغرك واورعك فى صغرك وافضلك فى صغرك واحكم امرك فى صغرك وابعدك من كل ما تكره فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان عليه السلام فى نفسه من ذلك حتى ملاه غضبا فلما دخل سليمان داره ارسل اليه فقال يا آصف ذكرت من مضى من انبياء الله فاثنيت عليهم خيرا فى كل زمانهم وعلى كل حال من امرهم فلما ذكرتنى جعلت تثنى على بخير فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من امرى فى كبرى فما الذى احدثت فى اخر امرى فقال ان غير الله ليعبد فى دارك منذ اربعين صباحا فى هوى امراة فقال فى دارى فقال فى دارك فقال إنا لله وإنا اليه راجعون لقد عرفت انك ما قلت الذى قلت ذلك إلا عن شيء بلغك ثم رجع سليمان إلى داره وكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المراة وولائدها ثم امر بثياب الظهيرة فاتى بها وهى ثياب لا تنزل لها إلا الابكار ولا تنسج إلا الابكار ولا تغسل إلا الابكار لم تمسسها امراة وقد رات الدم ثم لبسها ثم خرج إلى فلاة من الارض وحده فأمر برماد ففرش له ثم اقبل تائبا إلى الله عز وجل حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه يبكى ويدعو ويستغفر مما كان فى داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع إلى داره

وكانت له ام ولد يقال لها الأمينة كان إذا دخل مذهبه أو اراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فاتاه الشيطان صاحب البحر واسمه صخر على صورة سليمان لا تنكر منه شيئا فقال خاتمى أمينة فناولته إياه فجعله فى يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والجن والانس وخرج سليمان فأتى الأمينة وقد تغيرت حاله وهيئته عند كل من رآه فقال يا امينة خاتمى قالت من انت قال انا سليمان بن داود قالت كذبت فقد جاء سليمان فاخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بنى إسرائيل فيقول انا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا إلى هذا المجنون اى شىء يقول يزعم انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع إحدى سمكتين بأرغفة وشوى الأخرى فأكلها فمكث بذلك أربعين صباحا عدة ما كان عبد الوثن فى داره فانكر اصف وعظماء بنى اسرائيل حكم عدو الله الشيطان فى تلك الأربعين فقال أصف

يامعشر بنى اسرائيل هل رأيتم من يعبد فى داره منذ أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال سليمان فى دارى قال فى دارك قال فانا لله وإنا اليه راجعون قد عرفت انك ما قلت الذى قلت إلا عن شىء بلغك ثم رجع سليمان إلى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الظهيرة فأتى بها وهى ثياب لا يغزلها إلا الأبكار ولا ينسجها إلا الابكار ولا يغسلها إلا الابكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا إلى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به فى ثيابه تذللا إلى الله تعالى وتضرعا اليه يبكى ويدعو ويستغفر مما كان فى داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع إلى داره وكانت له ام ولد يقال لها أمينة كان إذا دخل الخلاء أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فأتاها شيطان اسمه صخر المارد فى صورة سليمان لا تنكر منه شيئا فقال خاتمى أمينة فناولته إياه فجعله فى يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فأتى أمينة وقد تغيرت حالته وهيأته عند كل من راه فقال يا أمينة خاتمى قالت من انت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بنى اسرائيل فيقول انا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا إلى هذا المجنون اى شىء يقول يزعم انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع إحدى سمكتيه بارغفة ويشوى الاجرى فيأكلها فمكث على ذلك أربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن فى داره ثم أن آصف وعظماء بنى اسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان فى تلك المدة فقال اصف يامعشر بنى اسرائيل هل رايتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيت قالوا نعم فقال امهلونى حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرون من خاصة أمره ما أنكرنا فى عامة الناس وعلانيتهم فدخل على نسائه فقال ويحكن هل أنكرتن من ابن داود ما أنكرنا فقلن اشده ما يدع امراة منا فى دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال إنا لله وإنا اليه راجعون قال الحسن ما كان الله

على نسائه فسألهن فهل انكرتن منه فى خاصة امره ما انكرنا فى عامة امر الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال ويحكن هل انكرتن من امر ابن داود ما انكرنا فقلن اشده ما يدع منا امراة فى دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال إنا لله وإنا اليه راجعون إن هذا لهو البلاء المبين ثم خرج على بنى اسرائيل فقال ما فى الخاصة اعظم مما فى العامة فلما مضى اربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى إذا كان العشى اعطاه سمكتيه وأعطاه السمكة التى اخذت الخاتم فخرج سليمان بسمكتيه سبحانه

فباع التى ليس فى بطنها بالارغفة ثم عمد إلى السمكة الاخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه فى جوفها فاخذه فجعله فى يده ووقع ساجدا وعكفت عليه الطير والجن واقبل عليه الناس وعرف الذى كان قد دخل عليه لما كان قد احدث فى داره فرجع إلى ملكه واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين فقال ائتونى بصخر فطلبته الشياطين حتى اخذته فاتت به فجاؤا له بصخرة فنقرها فأدخله فيها ثم سد عليه بأخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص ثم امر به فقذف فى البحر هذا حديث وهب وقال الحسن ما كان الله ليسلط الشيطان على نسائه وقال السدى كان سبب قصة سليمان انه كان له مائة امراة وكانت امراة منهن يقال لها جرادة هى اثر نسائه وآمنهن عنده وكان يأتمنها على خاتمه إذا اتى حاجته فقالت له يوما ان اخى كان بينه وبين فلان خصومة وانا احب ان تقضى له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله لزوجته نعم فاعطاها خاتمه ودخل المخرج فجاء الشيطان فى صورته فاخذه وجلس على

مجلس سليمان وخرج سليمان فسألها خاتمه فقالت ألم تأخذه قال لا وخرج مكانه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فأنكر الناس حكمه فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماؤهم حتى دخلوا على نسائه فقالوا أناقد أنكرنا هذا فان كان سليمان فقد ذهب عقله فبكى النساء عند ذلك فاقبلوا حتى أحد قرابه ونشروا التوراة فقرؤها فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب إلى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت وأقبل سليمان حتى انتهى إلى صياد من البحر وهو جائع قد اشتد جوعه فاستطعمه من صيده وقال إني أنا سليمان فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجه فجعل يغسل دمه على شاطىء البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وأعطوه سمكتين مما قدر عندهم فشق بطونهما وجعل يغسلها فوجد خاتمه في بطن أحدهما فلبسه فرد الله عليه ملكه وبهاءه وحامت عليه الطير فعرف القوم أنه سليمان فقاموا يعتذرون مما صنعوا فقال ما أؤاخذكم على غدركم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا أمر كائن لا بد منه فلما أتى مملكته أمر جنيا أتى بالشيطان الذي أخذ خاتمه وجعله في صندوق من حديد (٤٩) ثم أطبق عليه واقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه وأمر به فالقي في البحر وهو حي كذلك حتى تقوم الساعة وفي بعض الروايات أن سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاعاده سليمان إلى يده فسقط فايقن سليمان بالفتنة فاتى أصف فقال لسليمان انك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك في يدك أربعة عشر يوما ففر إلى الله تائبا وإني أقوم مقامك وأسير بسيرتك الى أن يتوب الله عليك ففر سليمان هاربا إلى ربه وأخذ اصف الخاتم فوضعه في أصبعه فثبت فهو الجسد الذي قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا فاقام اصف في ملكه يسير بسيرته أربعة عشر يوما إلى أن رد الله على

سبحانه وتعالى ليسلط الشيطان على نساء نبيه ﷺ قال وهب ثم ان اصف خرج على بني إسرائيل فقال ما في الخاصه اشد مما في العامة فلما مضى اربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فقلعته سمكة فاخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما امسى أعطاه سمكتيه فباع سليمان احداهما بارغفة وبقر بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن واقبل الناس عليه وعرف الذي كان دخل عليه لما كان احدث في داره فرجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين ان ياتوه بصخر فطلبوه حتى اخذوه فاتى به فادخله في جوف صخرة وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذفوه في النحر وقيل في سبب فتنة سليمان عليه الصلاة والسلام ان جرادة كانت ابر نسائه عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان اخي بينه وبين فلان خصومة فاحب ان تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابلى بقوله نعم وذكر نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فاعاد في يده فسقط وكان فيه ملكه فايقن سليمان بالفتنة فاتاه اصف فقال انك مفتون بذلك والخاتم لا يتماسك في يدك فقال انك مفتون بذلك والخاتم لا يتماسك في يدك ففر إلى الله تعالى تائبا فاني اقوم مقامك واسير بسيرتك الى ان يتوب الله عليك ففر سليمان إلى الله تعالى تائبا واعطى اصف الخاتم فوضعه ويده فثبت في يده فاقام اصف في ملك سليمان بسيرته اربعة عشر يوما إلى ان رد الله تعالى على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره واعاد الخاتم في يده فثبت فهو الجسد الذي القي على كرسيه وروى عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة ايام فاوحى الله تعالى اليه احتجبت عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر في امور عبادي فابتلاه الله تعالى وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثله وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا والذي ذهب إليه المحققون ان سبب فتنة ما اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ قال سليمان لأطوفن الليلة على

(٧-خازن-س) سليمان ملكه فجلس على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت وروى عن سعيد بن المسيب قال أحتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فاوحى الله اليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر في أمور عبادي فابتلاه الله عز وجل وذكر حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه كما روينا وقيل قال سليمان يوما لاطوفن الليلة على نسائي كلهن فتاتي كل واحدة بابن يجاهد في سبيل الله ولم يستثن فجامعهن فاخرج له منهن إلا شق مولود فجاءت به القابلة فالقته على كرسيه فذلك قوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا أبو اليمان انا شعيب ثنا ابو الزناد عن الأعرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امراة كلهن تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ونسي فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امراة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وقال طاوس عن ابي هريرة لاطوفن الليلة بمائة امراة قال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي واشهر الأقاويل ان الجسد الذي القي على كرسيه هو صخر الجني فذلك قوله عز وجل

وألقينا على كرسيه جسدا ثم ناب) أى رجع إلى ملكه بعد أربعين يوما فلما رجع (قال رب اغفر لى وهب ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى) قال مقاتل وابن كيسان لا يكون لأحد من بعدى قال عطاء بن أبى رباح يريد هب لى ملكا لا يسلبنيه فى آخر عمرى وتعطيه غيرى كما استلبته فى ما مضى من عمرى (انك أنت الوهاب) قيل سأل ذلك ليكون آية لنبوته ودلالة على رسالته ومعجزة وقيل سأل ذلك ليكون علما على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه وورد إليه ملكه وزاده فيه وقال مقاتل بن حيان كان لسليمان ملكا ولكنه أراد بقول لا ينبغى لأحد من بعدى تسخير الرياح والطير والشياطين (٥٠) بدليل ما بعده أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل بن بشار ثنا محمد بن زياد عن شعبة عن محمد بن زياد عن ابى هريرة عن النبى عن ﷺ قال ان عفريتا من الجن تفلت البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله منه فأخذته فاردت ان اربطه على سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخى سليمان رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فرددته خاسئا قوله عز وجل (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء) لينة ليست بعاصفة (حيث أصاب) حيث اراد تقول العرب اصاب الصواب فأخطأ الجواب تريد اراد الصواب (والشياطين) يعنى سخرنا له الشياطين (كل بناء) يبنون له ما يشاء من محاريب وتماثيل (وغواص) يستخرجون له اللآلى من البحر وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر (واخرين مقرنين فى الأصفاد) مشدودين فى القيود يعنى وسخرنا له اخرين يعنى مردة الشياطين سخروا له حتى قرنهم فى الأصفاد (هذا عطاؤنا) يعنى قلنا له هذا عطاؤنا (فامنن او امسك) المن هو الاحسان الى من تشيئه ومن لا تشيئه معناه اعط من شئت وامسك عمن شئت (بغير حساب) لا حرج عليك فيما اعطيت وفيما امسكت قال الحسن ما انعم الله على احد نعمة إلا عليه تبعة إلا سليمان فانه اعطى اجرا وان لم يعط لم يكن عليه تبعة وقال مقاتل هذا فى امر الشياطين يعنى خل من شئت منهم وامسك من شئت فى وثاقك لا تبعة عليك فيما يتعاطاه

تسعين امرأة كلهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون وفى رواية لأطوفن بمائة امرأة فقال له الملك قل إن شاء الله فلم يقل ونسى قال العلماء والشق هو الجسد الذى ألقى على كرسيه وهى عقوبته ومحنته لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرلك وغلب عليه من التمنى وقيل نسى أن يستثنى كما صح فى الحديث لينفذ أمر الله ومراده فيه قيل أن المراد بالجسد الذى ألقى على كرسيه أنه ولد له ولدا فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض أن عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك سليمان فأمن السحاب فحمله فكان يربيه فى السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل فى بعض مهماته إذ ألقى ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه فى ذلك فتنبه لخطته فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل (وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) اى ارجع إلى ملكه بعد الأربعين يوما وقيل أناب إلى الاستغفار وهو قوله (قال رب اغفر لى) اى سأل ربه المغفرة (وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى) أن لا يكون لأحد من بعدى وقيل لا تسلبنيه فى باقى عمرى وتعطيه غيرى كما سلبته منى فيما مضى من عمرى (انك أنت الوهاب) * فان قلت قول سليمان لا ينبغى لأحد من بعدى مشعر بالحسد والحرص على الدنيا * قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا نفاسة بها ولكن قصد فى ذلك أن لا يسلط عليه الشيطان مرة أخرى وهذا على قول من قال أن الشيطان استولى على ملكه وقيل سأل ذلك ليكون علما وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودلالة على قبول توبته حيث أجاب الله تعالى دعاءه وورد ملكه اليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه أحب أن يخص بخاصية كما خص داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى وابراء الأكمه والابرص فسأل شيئا يختص به كما روى فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال أن عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى فرددته خاسئا قوله تعالى (فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء) اى لينة ليست بعاصفة (حيث اصاب) اراد (والشياطين) يعنى وسخرنا له الشياطين (كل بناء) اى يبنون له ما يشاء (وغواص) يعنى يستخرجون له اللآلىء من البحر وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر (واخرين) اى وسخرنا له اخرين وهم مردة الشياطين (مقرنين فى الاصفاد) يعنى مشدودين فى القيود سخروا له حتى قرنهم فى الأصفاد (هذا عطاؤنا) اى قلنا له هذا عطاؤنا (فامنن) اى حيث إلى من شئت (او امسك) يعنى عمن شئت (بغير حساب) اى لا حرج عليك فيما اعطيت ولا فيما امسكت قال الحسن ما انعم الله تعالى على احد نعمة إلا عليه تبعة الا سليمان فانه اعطى اجر وإن لم يعط لم تكن عليه تبعة وقيل هذا فى امر الشياطين يعنى هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه وامسك يعنى احبس من شئت

(وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قوله عز وجل (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب) بمشقة وضر قرأ أبو جعفر بنصب بضم النون والصاد قرأ يعقوب بفتحهما وقرأ الاخرون بضم النون وسكون الصاد ومعنى الكل واحد قال قتادة ومقاتل بنصب فى الجسد (وعذاب) فى المال وقد ذكرنا قصة أيوب ومدة ابتلائه فى سورة الأنبياء عليهم السلام فلما انقضت مدة بلائه قيل له (اركض برجلك) اضرب رجلك الأرض ففعل فنبعت عين ماء (هذا مغتسل) فامره الله ان يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض الأرض برجله الأخرى فنبعت عين أخرى ماء عذب نارد فشرب منها (٥١) فذهب كل داء كان بباطنه فقوله هذا

منهم فى العمل وقيل فى الوثاق لا تبعة عليك فيما تعاطاه (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) لما ذكر الله تعالى ما انعم به عليه فى الدنيا اتبعه بما انعم به عليه فى الاخرة ، قوله عز وجل (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب) أى بمشقة (وعذاب) أى ضر وذلك فى المال والجسد وقد تقدمت قصة ايوب (اركض) يعنى انه لما انقضت مدة ابتلائه قيل له اركض أى اضرب (برجلك) يعنى الأرض ففعل فنبعت عين ماء عذب (هذا مغتسل بارد) امره الله تعالى ان يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فركض برجله الأرض مرة فنبعت عين ماء عذب اخرى فشرب منه فذهب كل داء كان فى باطنه فذلك قوله عز وجل (وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا) أى إنما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضيل والرحمة لا على اللزوم (وذكرى لأولى الألباب) يعنى سلطنا البلاء عليه فصبر ثم ازلناه عنه وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوى العقول والبصائر (وخذ بيدك ضغثا) يعنى ملء كفك من حشيش أو عيدان أو ريحان (فاضرب به ولا تحنث) وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فافتاه فى ضربها وسهل له الأمر وأمره بأن ياخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل ولم يحنث فى يمينه وهل ذلك لايوب خاصة ام لا فيه قولان احدهما انه عام وبه قال ابن عباس وعطاء بن ابى رباح والثانى انه خاص بأيوب قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن ان يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه ضربة واحدة فقال مالك والليث بن سعد واحمد لا يبر وقال ابو حنيفة والشافعى إذا ضربه ضربة واحدة فاصابه كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الاية (إنا وجدناه صابرا) يعنى على البلاء الذى ابتليناه به (نعم العبد انه أواب) قوله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم وإسحق ويعقوب) يعنى اذكر صبرهم فابراهيم القى فى النار فصبر وإسحق اضجع للذبح فى قول فصبر ويعقوب ابتلى بفقد ولده وذهاب بصره فصبر (اولى الايدى) قال ابن عباس أولى القوة فى طاعة الله تعالى (والابصار) يعنى فى المعرفة بالله تعالى وقيل المراد باليد اكثر الأعمال او بالبصر أقوى الادوات فعبر بهما عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وللانسان قوتان عالمية وعاملية وأشرف ما يصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى وأشرف ما يصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالأيدى والأبصار (إنا اخلصناهم) يعنى اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين (بخالصة ذكرى الدار) قيل معناه احلصناهم بذكرى الاخرة فليس لهم ذكرى غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها واخلصناهم بحب الاخرة وذكراها وقيل كانوا يدعون إلى الاخرة وإلى الله تعالى وقيل اخلصوا بخوف الاخرة وهو الخوف الدائم فى القلب وقيل اخلصناهم بافضل ما فى الاخرة (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) يعنى من الذين اختارهم الله تعالى واتخذهم صفوة وصفاهم من الأدناس والأكدار (واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل) اى اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم (وكل من الاخيار) قوله عز وجل (هذا ذكر) اى الذى يتلى عليكم ذكر

مغتسل (بارد) يعنى الذى اغتسل منه بارد (وشراب) أراد الذى شرب منه (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب وخذ بيدك ضغثا) وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش (فاضرب به ولا تحنث) فى يمينك وكان قد حلف ان يضرب امرأته مائة سوط فامره الله ان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار ويضربها ضربه واحدة إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب واذكر عبادنا) قرأ ابن كثير عبدنا على التوحيد وقرأ الاخرون عبادنا بالجمع (إبراهيم وإسحق ويعقوب أولى الأيدى) قال ابن عباس أولى القوة فى طاعة الله (والأبصار) فى المعرفة بالله أى البصائر فى الدين قال قتادة ومجاهد أعطوا قوة فى العبادة وبصرا فى الدين (إنا أخلصناهم) اصطفيناهم (بخالصة ذكرى الدار) قرا اهل المدينة بخالصة مضافا وقرا الاخرون بالتنوين فمن اضاف فمعناه اخلصناهم بذكر الدار الاخرة وان يعملوا لها والذكرى بمعنى الذكر قال مالك بن دينار نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها واخلصناهم بحب الاخرة وذكرها وقال قتادة كانوا يدعون إلى الاخرة والى الله عز وجل وقال السدى اخلصوا بخوف الاخرة وقيل معناه اخلصناهم بأفضل ما فى الاخرة قال ابن زيد ومن قرا بالتنوين فمعناه بخلة خالصة وهى ذكرى الدار فيكون ذكرى الدار بدلا عن الخالصة وقيل اخلصناهم جعلناهم مخلصين بما اخبرنا عنهم من الاخرة (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر) اى هذا الذى يتلى عليكم ذكر وقيل ذكر اى شرف وذكر جميل تذكرون به

(وإن للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) أى أبوابها مفتحة لهم (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشروب وعندهم قاصرات الطرف أتراب)مستويات الأسنان بنات ثلاثة وثلاثين سنة واحدها ترب وعن مجاهد قال متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن (هذا ما توعدون) قرأ ابن كثير يوعدون بالياء هنا وفى ق يعنى ما يوعد المتقون وافق أبو عمرو ههنا وقرأ الباقون بالتاء فيهما يعنى قل للمؤمنين هذا ما توعدون (ليوم الحساب) أى فى يوم الحساب (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) فناء وانقطاع (هذا) يعنى الأمر هذا (وإن للطاغين) للكافرين (لشر مآب) مرجع (جهنم يصلونها) يدخلونها (فبئس المهاد هذا) يعنى هذا العذاب (فليذوقوه حميم وغساق) قال الفراء يعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه والحميم الماء الحار الذى انتهى حره وغساق قرأ حمزة والكسائى وحفص وغساق حيث كان بالتشديد وخففها الآخرون فمن شدد جعله إسماعلى نحو الخباز والطباخ ومن خفف جعله إسماعلى فعال نحو العذاب واختلفوا فى معنى الغساق قال ابن عباس هو الزمهرير (٥٢) يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها قال مقاتل ومجاهد هو الذى انتهى برده وقيل هو المنتن بلغة الترك وقال قتادة هو ما يغسق اى ما يسيل من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وفروج الزناة من قولهم غسقت عينه إذا انصبت والغسقان الانصباب (واخر) قرأ أهل البصرة واخر بضم الالف على جمع اخرى مثل الكبرى والكبر واختاره ابو عبيدة لأنه نعته بالجمع فقال أزواج وقرأ الآخرون بفتح الهمزة مشبعة على الواحد (من شكله) مثله أى مثل الحميم والغساق (أزواج) أى اصناف اخر من العذاب (هذا فوج مقتحم معكم) قال ابن عباس هذا هو ان القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للكفار هذا يعنى الاتباع فوج جماعة مقتحم معكم النار اى داخلوها كما انتم دخلتموها والفوج القطيع من الناس وجمعه افواج والاقتحام الدخول فى الشىء رميا بنفسه فيه قال الكلبى انهم يضربون بالمقامع حتى يوقعوا انفسهم فى النار خوفا من تلك المقامع فقالت القادة (لا مرحبا بهم) يعنى بالاتباع (إنهم صالوا النار) اى داخلوها كما صلينا (قالوا) فقال الاتباع للقادة (بل انتم لا مرحبا بكم) والمرحب والرحب السعة تقول العرب مرحبا واهلا وسهلا اى اتيت رحبا وسعة وتقول لا مرحبا بك اى لا رحبت عليك الأرض (انتم قدمتموه لنا) يقول الاتباع للقادة انتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتم وسننتموه لنا وقيل انتم قدمتم هذا العذاب لنا بدعائكم ايانا إلى الكفر (فبئس القرار) اى فبئس دار القرار جهنم (قالوا) يعنى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا) اى شرعه وسنه لنا (فزده عذابا ضعفا فى النار) اى ضعف العذاب فى النار قال ابن مسعود يعنى حيات وافاعى (وقالوا) يعنى صناديد قريش وهم فى النار (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم) فى الدنيا (من الاشرار) يعنون بذلك فقراء المؤمنين عمارا وخبابا وصهيبا وبلالا وسلمان رضى الله عنهم ثم ذكروا انهم كانوا يسخرون من هؤلاء فقالوا

وقيل شرف وقيل جميل جميل تذكرون به (وإن للمتقين لحسن مآب) أى حسن الرجع ومنقلب يرجعون وينقلون اليه فى الاخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) قيل تفتح أبوابها لهم بغير فتح بيد بل بالأمر يقال لها انفتحى انغلقى (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب) أى مستويات الأسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل متخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن (هذا ما توعدون ليوم الحساب) يعنى قيل للمؤمنين هذا ما توعدون وقيل هذا ما يوعد به المتقون (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) أى دائم ماله من نفاد وانقطاع بل هو دائم كلما أخذ منه شىء عاد مثله فى مكانه * قوله تعالى (هذا) أى الأمر الذى ذكرناه (وإن للطاغين) يعنى الكافرين (لشر مآب) يعنى لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى (جهنم يصلونها) أى يدخلونها (فبئس المهاد) أى الفراش (هذا فليذوقوه حميم وغساق) معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقيل ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين فى جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه (وآخر من شكله) يعنى مثل الحميم والغساق (أزواج) أى اصناف آخر من العذاب (هذا مقتحم معكم) قال ابن عباس هو ان القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنى جماعة الأتباع مقتحم معكم النار أى داخلوها كما دخلتموها أنتم قيل أنهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بأنفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة (لا مرحباً بهم) اى الاتباع (انهم صالوا النار) أى داخلوها كما صليناها نحن (قالوا) أى قال الاتباع للقادة (بل أنتم لا مرحبا بكم) لا رحبت بكم الأرض والعرب تقول مرحباً وأهلاً وسهلا أى أتيت رحبا وسعة (أنتم قدمتموه لنا) يعنى وتقول الأتباع للقادة أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه أنتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم إيانا الى الكفر (فبئس القرار) أى فبئس دار القرار جهنم (قالوا) يعنى الأتباع (ربنا من قدم لنا هذا) أى شرعه وسنه لنا (فزده عذاباً ضعفاً فى النار) اى ضعف عليه العذاب فى النار قال ابن عباس حيات وافاعى (وقالوا) يعنى كفار قريش وصناديدهم وأشرافهم وهم فى النار (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم) أى فى الدنيا (من الاشرار) يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب

(اتخذناهم سخريا) قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائى من الاشرار اتخذناهم وصل ويكسرون الألف عند الابتداء وقرأ الآخرون بقطع الألف وفتحها على الاستفهام قال اهل المعانى القراءة الأولى أولى لأنهم علموا انهم اتخذوهم سخريا فلا يستقيم الاستفهام وتكون ام على هذه القراءة بمعنى بل ومن فتح الألف قال هو على اللفظ لا على المعنى ليعادل ام فى قوله ام زاغت عنهم الأبصار قال الفراء هذا من

وصهيب وبلال وسلمان وإنما سموهم أشرارا لأنهم كانوا على خلاف دينهم (اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار) يعنى ان الكفار إذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مالنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار ام دخلوها فزاغت عنهم الابصار اى ابصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه أم هم فى النار ولكن احتجبوا عن ابصارنا وقيل معناه أم كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت ابصارنا تزيغ عنهم فى الدنيا فلا نعدهم شيئا (ان ذلك) اى الذى ذكر (الحق) ثم بين ذلك فقال تعالى (تخاصم أهل النار) اى فى النار وإنما سماه تخاصما لأن قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا بكم من ناب الخصومة * قو عز وجل (قل) اى يا محمد لمشركى مكة (إنما أنا منذر) أى مخوف (وما من إله إلا الله الواحد) يعنى الذى لا شريك له فى ملكه (القهار) اى الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم ارفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى (رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار) فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بانه يغفر الذنوب وان عظمت ويرحم (قل هو نبأ عظيم) يعنى القرآن قاله ابن عباس وقيل يعنى القيامة (أنتم عنه معرضون) أى لا تتفكرون فيه فتعلموا صدقى فى نبوتى وان ما جئت به لم أعلمه إلا بوحى من الله تعالى (ما كان لى من علم بالملأ الأعلى) يعنى الملائكة (إذ يختصمون) يعنى فى شأن آدم حين قال الله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة قال اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء * فان قلت كيف يجوز ان يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم ان جعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله تعالى لا تليق ولا تمكن * قلت لا شك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة لجواز المجاز فلهذا السبب جسن اطلاق لفظ المخاصمة (ان يوحى إلى) اى إنما علمت هذه المخاصمة بوحى من الله تعالى إلى (إلا إنما أنا نذير مبين) يعنى إلا إنما أنا نبى أنذركم وأبين لكم ما تأتونه وتجتنبونه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ أتانى ربى فى احسن صورة قال احسبه قال فى المنام فقال يا محمد هل تدرى فيم يختص الملأ الاعلى قلت لا قال فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى او قال فى نحرى فعلمت ما فى السموات وما فى الارض قال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ إلا على قلت نعم فى الكفارات والكفارات المكث فى المساجد بعد الصلوات والمشى على الاقدام إلى الجماعات واسباغ الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يا محمد إذا صليت فقل اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا اردت بعبادك فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفى روايه فقلت لبيك وسعديك فى المرتين وفيها فعلمت ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب

﴿فصل فى الكلام على معنى هذا الحديث﴾ والعلماء فى هذا الحديث وفى أمثاله من احاديث الصفات مذهبان أحدهما وهو مذهب السلف امراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن أمثاله مع الاعتقاد بأن الله تعالى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير المذهب والثانى هو تأويل الحديث وقيل الكلام على معنى الحديث نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقى هذا حديث مختلف فى اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن خالد بن الحلاج عن عبد الرحمن

الاستفهام الذى معناه التوبيخ والتعجب (ام زاغت) اى مالت (عنهم الابصار) ومجاز الآية مالنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار ام دخلوها فزاغت عنهم ابصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل ام هم فى النار ولكن احتجبوا عن ابصارنا فقال ابن كيسان يعنى ام كانوا خيرا منا ولكن نحن لا نعلم وكانت أبصارنا تزيغ عنهم فى الدنيا فلا نعدهم شيئا (إن ذلك) الذى ذكرت (لحق) ثم بين فقال (تخاصم أهل النار) أى تخاصم أهل النار فى النار لحق (قل) يا محمد لمشركى مكة (إنما انا منذر) مخوف (وما من إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار) قوله (قل) يا محمد (هو) يعنى القرآن (نبأ عظيم) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل هو يعنى القيامة لقوله عم يتساءلون عن النبأ العظيم (أنتم عنه معرضون ما كان لى من علم بالملأ الاعلى) يعنى الملائكة (إذ يختصمون) يعنى فى شأن آدم عليه السلام حين قال الله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (إن يوحى إلى إلا إنما أنا نذير مبين) قال الفراء إن شئت جعلت إنما فى موضع رفع اى ما يوحى إلى إلا الانذار وإن شئت جعلت المعنى ما يوحى إلى إلا انى نذير مبين وقرأ أبو جعفر إنما بكسر الالف لأن الوحى قول أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انا ابو منصور السمعانى ثنا ابو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال مر بنا خالد بن الحلاج فدعاه مكحول فقال يا ابا ابراهيم حدثنا حديث

عبد الرحمن بن عائش قال سمعت عبد الرحمن بن عائش الحضرمي يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي في أحسن صورة فقال فيهم يختصم الملأ الأعلى يا محمد قلت أنت أعلم (٥٤) اي رب مرتين قال فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السماء والارض قال ثم تلا هذه الاية وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال فيم يختصم الملا الاعلى يا محمد قلت في الكفارات قال وما هن قلت المشي على الاقدام الى الجماعات والجلوس في المساجد خلف الصلوات وابلاغ الوضوء اماكنه المكاره قال ومن يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته امه ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان يقوم بالليل والناس نيام قال قل اللهم اني اسألك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني وتتوب علي واذا اردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون فقال ﷺ تعلموهن فوالذي نفسي بيده انهن لحق قوله عز وجل (اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين) يعني ادم عليه السلام (فاذا سويته) اتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت) ألف استفهام دخلت على الف الوصل (أم كنت من العالين) المتكبرين استفهام من توبيخ وانكار يقول استكبرت بنفسك حتى أبيت السجود أم كنت من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم

ابن عائش عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبي كثير عن زيد ابن سلام عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ ورواه موسى بن خلف العمي عن يحيى عن زيد عن جده مطورو هو ابو سلام هن ابن السكسكي عن مالك بن يخامر وقيل فيه غير ذلك وروه أبو أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس وقال فيه احسبه قال في المنام ورواه قتادة عن ابي قلابة عن خالد بن الحلاج عن ابن عباس قال البخاري عبد الرحمن بن عائش الحضرمي له حديث واحد إلا انهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقي وقد روى من طريق كلها ضعاف وفي ثبرته نظروا حسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفهما ما يدل على أن ذلك كان في المنام فاما تاويله فان الصورة هي التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز ان يكون الباري تبارك وتعالى مصورا ولا ان يكون له صورة لان الصورة مختلفة والهيئات متضادة ولا يجوز اضافة ذلك إليه سبحانه وتعالى فاستحال أن يكون مصورا وهو الخالق الباري المصور فقوله أتاني ربي في أحسن صورة يحتمل وجهين احدهما وانا في احسن صورة كانه زاد جمالا وكمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفه لنا ان الله تعالى زين خلقته وحسن صورته عند رؤيته لربه وانما التغيير وقع بعد لشدة الوحي وثقله الوجه الثاني ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك إلى الله تعالى والمعنى أنه رآه في أحسن صفاته من الانعام عليه والاقبال والاتصال إليه وانه تلقاه بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال في صفات الله تعالى انه جميل ومعناه انه مجمل في افعاله وذلك نوع من الاحسان والاكرام فذلك من حسن صفات الله تعالى وقد يكون حسن الصورة ايضا يرجع إلى صفاته العلية من التناهي في العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث على هذا تعريفنا ما تزايد من معارفه ﷺ عند رؤية ربه عز وجل فاخبره عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله ﷺ فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فتأويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع في لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وإنعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه مالا يعرفه احد حتى وجد برد النعمة والمعرفة في قلبه ذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما في السموات وما في الارض باعلام الله تعالى إياه وإنما أمره إذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون إذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة او مباشرة او نقص وهذا هو اليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه وإذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان في المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة بنا إلى التأويل ورؤية الباري عز وجل في المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائي وسبب اختصام الملأ الاعلى وهم الملائكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث في ايها افضل وسميت هذه الخصال لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب تسمية الشيء باسم لازمه وإنما سماه خاصمة لأنه ورد مورد سؤال وجواب وذلك وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله تعالى أعلم * قوله عز وجل (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين) اي آدم (فاذا سويته) أي أتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي) أضاف الروح إلى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولان الروح هي جوف شريف قدسي يسري في بدن الانسان سريان الضوء في الفضاء وكسريان منار في الفحم (فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر) أي تعظم (وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي) اي توليت خلقه (استكبرت) اى تعظمت بنفسك عن السجود له (ام كنت من العالين) اى

(قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها) أى من الجنة وقيل من السموات وقال الحسن وابو العالية أى من الخلقة التى أنت فيها قال الحسن بن الفضل هذا تأويل صحيح لأن إبليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله خلقته فاسود وقبح بعد حسنه (فانك رجيم) مطرود (وان عليك لعنتى إلى يوم الدين قال رب فانظرنى إلى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) وهو النفخة الاولى (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول) قرأ عاصم وحمزة ويعقوب فالحق برفع القاف على الابتداء وخبره محذوف تقديره الحق منى ونصب الثانية أى وانا اقول الحق قاله مجاهد وقرأ الاخرون (٥٥) بنصبهما واختلفوا فى وجههما قيل

من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فأجاب ابليس بقوله (قال أنا خير منه) يعنى لو كنت مساويا له فى الشرف لكان يقبح أن اسجد له فكيف وانا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين وأفضل منه وأخطأ إبليس فى القياس لأن مآل النار إلى الرماد الذى لا ينتفع به والطين أصل كل ما هو نام ثابت كالانسان والشجرة المثمرة ومعلوم أن الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل وقيل هب ان النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وأفضل بخاص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون أفضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة (قال فاخرج منها) أى من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التى كان فيها وذلك لأن ابليس تجبروا فتخر بالخلقة فغير الله تعالى خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته (فانك رجيم) أى مطرود (وان عليك لعنتى إلى يوم الدين) * فان قلت إذا كان الرجم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق * قلت الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة والسماء وتحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون ابلغ وحصل الفرق وزال التكرار * فان قلت كلمة إلى الانتهاء الغاية وقوله إلى يوم الدين يقتضى انقطاع اللعنة عنه عند مجىء يوم الدين * قلت معناه ان اللعنة باقية عليه فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة من انواع العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكانها انقطعت عنه (قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعنى النفخة الأولى (قال فبعزتك لأغوينهم اجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول) اى انا اقول الحق وقيل الأول قسم يعنى فبالحق وهو الله تعالى اقسم بنفسه (لأملان جهنم منك) اى بنفسك وذريتك (وممن تبعك منهم اجمعين) يعنى من بنى ادم (قل ما أسئلكم عليه) أى على تبليغ الرسالة (من أجر) أى جعل (وما انا من المتكلفين) اى المتقولين بالقران من تلقاء نفسى وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف له (ق) عن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله اعلم قال الله تعالى لنبيه ﷺ قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين لفظ البخارى (إن هو) يعنى القران (إلا ذكر) اى موعظة (للعالمين) اى للخلق اجمعين (ولتعلمن) يعنى انتم يا اهل مكة (نبأه) اى خبر صدقه (بعد حين) قال ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقى علم بذلك إذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن ابن ادم عند الموت فأتيك الخبر اليقين والله تعالى أعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الزمر ﴾

نزلت بمكة إلا قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم وقوله تعالى الله نزل احسن الحديث وقيل

نصب الأول على الاغراء كانه قال الزم الحق والثانى بايقاع القول عليه أى أقول الحق وقيل الأول قسم أى فبالحق وهو الله عز وجل فانتصب بنزع الخافض وهو حرف الصفة وانتصاب الثانى بايقاع القول عليه وقيل الثانى تكرار القسم اقسم الله بنفسه (لأملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قل ما أسئلكم عليه) على تبليغ الرسالة (من أجر) جعل (وما انا من المتكلفين) المتقولين القران من تلقاء نفسى وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلفه اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسماعيل ثنا قتيبة ثنا جرير عن الأعمش عن ابى الضحى عن مسروق قال دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال يا ايها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم قال الله تعالى لنبيه قل ما أسئلكم عليه من أجر وما انا من المتكلفين قوله (إن هو) ماهو يعنى القران (إلا ذكر) موعظة (للعالمين) للخلق اجمعين (ولتعلمن) انتم يا كفار مكة (نبأه) خبر صدقه (بعد حين) قال ابن عباس وقتادة بعد الموت وقال عكرمة يعنى يوم القيامة وقال الكلبى من بقى علم ذلك إذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد موته قال الحسن ابن ادم عند الموت يأتيك الخبر اليقين

﴿ سورة الزمر مكية ﴾

إلا قوله قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم الآية فمدنية وهى خمس وسبعون اية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (تنزيل الكتاب) أى هذا تنزيل الكتاب وقيل تنزيل الكتاب مبتدأ وخبره (من الله العزيز الحكيم) أى تنزيل الكتاب من الله لا من غيره (إنا انزلنا إليك الكتاب بالحق) قال مقاتل لم ينزله باطلا لغير شىء (فاعبد الله مخلصا له الدين) الطاعة (ألا لله الدين الخالص) قال قتادة شهادة لا إله إلا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص إلا الله وقيل الدين الخالص من الشرك هو لله (والذين اتخذوا من دونه) أى من دون الله (أولياء) يعنى الأصنام (ما نعبدهم) أى قالوا ما نعبدهم (إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وكذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس قال قتادة وذلك انهم كانوا إذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والأرض قالوا الله فيقال لهم فما معنى عبادتكم الأوثان قالوا ليقربونا إلى الله زلفى أى قربى وهو اسم (٥٦) اقيم فى مقام المصدر كانه قال إلا ليقربونا إلى الله تقريباً ويشفعوا لنا عند الله (ان الله يحكم بينهم) يوم القيامة (فيما هم فيه يختلفون) من امر الدين (إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار) لا يرشد لدينه من كذب فقال ان الالهة لتشفع وكفى باتخاذ الالهة دونه كذبا وكفرا (لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى) لاختار (مما يخلق ما يشاء) يعنى الملائكة كما قالوا لو أردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ثم نزه نفسه فقال (سبحانه) تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارته (هو الله الواحد القهار خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) قال قتادة يغشى هذا كما قال يغشى الليل النهار وقيل يدخل احدهما على الاخر كما قال يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وقال الحسن والكلبى ينقص من الليل فيزيد فى النهار وينقص من النهار فيزيد فى الليل فما نقص من الليل دخل فى النهار وما نقص من النهار دخل فى الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة عشرة ساعة واصل التكوير اللف والجمع ومنه كور العمامة (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ألا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة) يعنى ادم (ثم جعل منها زوجها) يعنى حواء (وانزل لكم من الانعام) معنى الانزال ههنا الاحداث والإنشاء كقوله تعالى انزلنا عليكم لباسا يوارى وقيل انه انزل الماء الذى هو سبب نبات القطن الذى يكون منه اللباس وسبب النبات الذى تبقى به الانعام وقيل وانزل لكم من الانعام جعلها لكم نزلا ورزقا (ثمانية ازواج) اصناف من تفسيرها فى سورة الانعام

قل يا عبادى الذين امنوا اتقوا ربكم عوضا عن قوله الله نزل أحسن الحديث وقيل فيها ثلاث ايات مدنيات من قوله قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم إلى قوله لا تشعرون وهى اثنتان وقيل خمس وسبعون اية وألف ومائة واثنتان وسبعون كلمة وأربعة الاف وتسعمائة وثمانية احرف

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (تنزيل الكتاب) أى هذا الكتاب وهو القران تنزيل (من الله العزيز الحكيم) اى لا من غيره (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) اى نزله باطلا لغير شىء (فاعبد الله مخلصا له الدين) اى الطاعة (ألا لله الدين الخالص) أى شهادة أن لا إله إلا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعنى الخالص من الشرك وماسوى الخالص ليس بدين الله الذى أمر به لأن رأس العبادات الاخلاص فى التوحيد واتباع الأوامر واجتناب النواهى (والذين اتخذوا من دونه) اى من دون الله (أولياء) يعنى الأصنام (ما نعبدهم) أى قالوا ما نعبدهم (الا ليقربونا الى الله زلفى) يعنى قربة وذلك أنهم كانوا إذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والأرض ومن ربكم قالوا الله فقيل لهم فما معنى عبادتكم الأصنام فقالوا ليقربونا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) أى من أمر الدين (ان الله لا يهدى) اى لا يرشد لدينه (من هو كاذب) اى من قال ان الالهة تشفع له (كفار) أى باتخاذه الالهة دون الله تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى) اى لاختار (مما يخلق ما يشاء) يعنى الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحانه) أى تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارة قدسه (وهو الواحد) أى فى ملكه الذى لا شريك له ولا ولد (القهار) أى الغالب الكامل القدرة * قوله تعالى (خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) يعنى يغشى هذا وهذا وقيل يدخل أحدهما على الاخر وقيل ينقص من أحدهما ويزيد فى الاخر فما نقص من الليل زاد فى النهار وما نقص من النهار زاد فى الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشر ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر أحدهما على الاخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى) يعنى الى يوم القيامة (الا هو العزيز الغفار) معناه ان خلق هذه الاشياء العظيمة يدل على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان (خلقكم من نفس واحدة) يعنى ادم (ثم جعل منها زوجها) يعنى حواء ولما ذكر الله تعالى ايات قدرته فى خلق الحيوان فقال تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية ازواج) يعنى الابل والبقر والغنم والمعز والمراد بالأزواج الذكر والانثى من هذه الأصناف وفى تفسير الانزال وجوه قيل انه هنا بمعنى الأحداث والانشاء وقيل ان الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وهو ينزل من السماء فكان التقدير انزل الماء الذى تعيش به الانعام وقيل ان أصول هذه الأصناف خلقت فى الجنة

(يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة كما قال الله تعالى ولقد خلقكم أطوارا (فى ظلمات ثلاث) قال ابن عباس وظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة (ذلكم الله) اى الذى خلق هذه الأشياء (ربكم له الملك لا إله إلا هو فانى تصرفون) عن طريق الحق بعد هذا البيان (إن تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) قال ابن عباس والسدى لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال الله تعالى إن عبادى ليس لك عليهم سلطان فيكون عاما فى اللفظ وخاصا فى المعنى كقوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض العباد وأجراه قوم على العموم وقالوا لا يرضى لأحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده الكفر ان يكفروا به ويروى ذلك عن قتادة وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضى لله عز وجل وان كان بارادته (وان تشكروا) (٥٧) تؤمنوا بربكم وتطيعوه (يرضه لكم)

الجنة ثم أنزلت إلى الأرض (يخلقكم فى بطون أمهاتكم) لما ذكر الله تعالى أصل خلق الانسان ثم أتبعه بذكر الأنعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الانسان والحيوان وهى كونها مخلوقة فى بطون الأمهات وإنما قال فى بطون أمهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الانسان على سائر الخلق (خلقا من بعد خلق) يعنى نطفة ثم علقة ثم مضغة (فى ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن (ذلكم الله ربكم) اى الذى خلق هذه الأشياء ربكم (له الملك) اى لا لغيره (لا إله إلا هو) أى لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم إلا الله تعالى (فأنى تصرفون) أى عن طريق الحق بعد هذا البيان قوله عز وجل (إن تكفروا فان الله غنى عنكم) يعنى انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر إلى نفسه نفعا او ليدفع عن نفسه ضررا وذلك لأنه تعالى غنى عن الخلق على الاطلاق فيمتنع فى حقه جر المنفعة ودفع المضرة لانه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصانا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا أنه غنى عن جميع العالمين فلو كفروا وأصروا عليه فان الله تعالى غنى عنهم ثم قال الله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) يعنى انه قال تعالى وإن كان لا ينفعه إيمان ولا يضره كفر إلا انه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم إن عبادى ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما فى اللفظ خاصا فى المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض عباد الله وأجراه قوم على العموم وقال لا يرضى لأحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده ان يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضى لله تعالى وان كان بارادته لان الرضا عبارة عن مدح الشىء والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثنى عليه ولا يكون فى ملكه إلا ما أراد وقد لا يرضى به ولا يمدح عليه وقد بان الفرق بين الارادة والرضا (وإن تشكروا) اى تؤمنوا بربكم وتطيعوه (يرضه لكم) فيثيبكم عليه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) تقدم بيانه (ثم إلى ربكم مرجعكم) أى فى الاخرة (فينبئكم بما كنتم تعملون) اى فى الدنيا (انه عليم بذات الصدور) يعنى بما فى القلوب * قوله تعالى (وإذا مس الانسان ضر) اى بلاء وشدة (دعا ربه منيبا) اى راجعا (اليه) مستغيثا به (ثم إذا خوله) اى اعطاه (نعمة منه نسى) اى ترك (ما كان يدعو اليه من قبل) والمعنى نسى الضر الذى كان يدعو الله إلى كشفه (وجعل لله أندادا) يعنى الاصنام (ليضل عن سبيله) أى ليرد عن دين الله تعالى (قل) اى لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) اى فى الدنيا إلى انقضاء اجلك (إنك من اصحاب النار) قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وقيل فى ابى حذيفة المخزومى وقيل هو عام فى كل كافر (أمن هو قانت) قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل مجازه الذى جعل لله اندادا أخيرا أم هو قانت وقيل معنى الاية تمتع بكفرك انك من اصحاب النار ويا من هو قانت أنت من أصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت فى أبى بكر وعمر وعن ابن عمر أنها نزلت فى عثمان وقيل أنها نزلت فى ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الاية عامة فى كل قانت

فيثنيكم عليه قرأ أبو عمر يرضه لكم ساكنة الهاء ويختلسها اهل المدينة وعاصم وحمزة والباقون بالاشباع (ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه) راجعا اليه مستغيثا به (ثم إذا خوله نعمة منه) أعطاه نعمة منه (نسى) ترك (ما كان يدعو اليه من قبل) اى نسى الضر الذى كان يدعو الله إلى كشفه (وجعل لله أندادا) يعنى الاوثان (ليضل عن) دين الله (سبيله) ليزل عن دين الله (قل) لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) فى الدنيا (إلى أجلك (إنك من أصحاب النار) قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وقال مقاتل نزلت فى أبى حذيفة بن المغيرة المخزومى وقيل عام فى كل كافر (أمن هو قانت) قرأ ابن كثير ونافع وحمزة أمن

بتخفيف الميم وقرأ الاخرون بتشديدها فمن شدد فله وجهان أحدهما أن تكون الميم فى أم صلة فيكون معنى الكلام استفهاما وجوابه محذوفا مجازه امن هو قانت كمن هو غير قانت كقوله أفمن شرح الله صدره للاسلام يعنى كمن لم يشرح صدره والوجه الاخر أنه عطف على الاستفهام مجازه الذى جعل لله أندادا أخيرا أم هو قانت ومن قرأ بالتخفيف فهو ألف استفهام دخلت على معناه هذا كالذى جعل لله اندادا وقيل الألف فى أمن بمعنى حرف النداء تقديره يا من هو قانت والعرب تأتى بالألف كما تنادى بالياء فتقول ابنى فلان ويا بنى فلان فيكون معنى الاية قل تمتع بكفرك قليلا إنك من اصحاب النار يا من هو قانت

(اناء الليل) انك من أهل الجنة قاله ابن عباس وفي رواية عطاء نزلت في أبي بكر الصديق وقال الضحاك نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعن ابن عمر أنها نزلت في عثمان وعن الكلبي أنها نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان والقانت المقيم على الطاعة قال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وآناء الليل ساعاته (ساجدا وقائما) يعني في الصلاة (يحذر الاخرة) يخاف الاخرة (ويرجو رحمة ربه) يعني كمن لا يفعل شيئا من ذلك (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) قيل الذين يعلمون عمار والذين لا يعلمون أبو حذيفة المخزومي (انما يتذكر أولوا الالباب قل ياعباد الذين امنوا اتقوا ربكم) بطاعته واجتناب معاصيه (للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة) اى امنوا وأحسنوا العمل حسنه يعني الجنة قاله مقاتل وقال السدي في هذه الدنيا حسنة يعني الصحة والعافية (وارض الله واسعة) قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقال سعيد بن جبير من امر بالمعاصي ببلدة فليهرب منها إلى غيرها (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه للاذى وقيل نزلت في جعفر بن ابي طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم البلاء وصبروا وهاجروا قال علي رضي الله عنه كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرين فانه يحثى لهم حثيا ويروى يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب قال الله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل اني امرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) مخلصا له التوحيد لا أشرك به شيئا (وأمرت لان أكون أول المسلمين) من هذه الامة (قل اني اخاف إن عصيت ربي) وعبدت غيره (عذاب يوم عظيم) وهذا حين دعي الى دين ابائه

وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه (اناء الليل) اى ساعات الليل اوله ووسطه واخره (ساجدا وقائما) اى في الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وانه افضل منه وذلك لان الليل استر فيكون ابعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع إلى المطلوب الاصلي وهو الخشوع في الصلاة ومعرفة من يصلي له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه اشق على النفس فيكون الثواب فيه اكثر (يحذر) اى يخاف (الاخرة ويرجو رحمة ربه) قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهو انه قال في مقام الخوف يحذر الاخرة فلم يضف الحذر اليه تعالى وقال في مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه وهذا يدل على ان جانب الرجاء اكمل واولى ان ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ما روى عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك قال ارجو الله يارسول الله واخاف ذنوبي فقال رسول الله ﷺ لا يجتمعان في قلب عبد مثل هذا الموطن الا اعطاه الله تعالى ما يرجو منه وامنه مما يخاف اخرجه الترمذي (قل هل يستوى الذين يعلمون) اى ما عند الله من الثواب والعقاب (والذين لا يعلمون) ذلك وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه والذين لا يعلمون أبو حذيفه المخزومي وقيل افتتح الله الاية بالعمل وختمها بالعلم لأن العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصلا للانسان دل ذلك على كماله وفضله (إنما يتذكر اولوا الالباب) قوله تعالى (قل ياعباد الذين امنوا اتقوا ربكم) اى بطاعته واجتناب معاصيه (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) يعني للذين امنوا وحسنوا العمل حسنة يعني الجنة وقيل الصحة والعافية في هذه الدنيا (وارض الله واسعة) قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل من أمر بالمعاصي في بلد فليهرب منه وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقيل نزلت في جعفر بن ابي طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم البلاء وصبروا وهاجروا (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال علي بن ابي طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرين فانه يحثى لهم حثيا وروى انه يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا لو ان اجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به اهل البلاء من الفضل * قوله عز وجل (قل) يا محمد (إني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين) اى مخلصا له التوحيد اى لا اشرك به شيئا (وامرت لان اكون اول المسلمين) أي من هذه الامة قيل امره اولا بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم امره ثانيا بعمل الجوارح لان شرائع الله تعالى لا تستفاد إلا من الرسول ﷺ وهو المبلغ فكان هو اول الناس شروعا فيها فخص الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بهذا الامر لينبه على ان غيره احق بذلك فهو كالترغيب لغيره (قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) وذلك ان كفار قريش قالوا للنبي ﷺ ما حملك على هذا الذي اتينا به الا تنظر الى ملة ابيك وجدك وقومك فتاخذ بها فانزل الله تعالى هذه الايات ومعنى الاية زجر الغير عن المعاصي لانه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خائفا حذرا من المعاصي فغيره اولى بذلك

(قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه) أمر توبيخ وتهديد كقوله اعملوا ما شئتم (قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) أزواجهم وخدمهم (يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين) قال ابن عباس وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلا في الجنة وأهلا فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الأهل بان يفرق بينه وبين أهله وذلك هو الخسران المبين (لهم من فوقهم ظلل من النار) أطباق سرادقات من النار ودخانها (ومن تحتهم ظلل) فراش ومهاد من نار إلى أن ينتهي إلى القمر سمى الأسفل ظللا لأنها ظلل لمن تحتهم نظيرها قوله عز وجل لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش (ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت) الاوثان (أن يعبدوها وانابوا إلى الله) رجعوا إلى عبادة الله (لهم البشرى) في الدنيا بالجنة وفي العقبى بالمغفرة (فبشر عبادي الذين يستمعون القول) القران (فيتبعون أحسنه) قال السدي احسن ما يومرون به فيعملونه وقيل هو ان الله ذكر في القران الانتصار من الظالم وذكر العفو والعفو احسن الأمرين وقيل ذكر العزائم وقيل يستمعون القران وغير القران فيتبعون القران وقال عطاء عن ابن عباس امن ابو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاءه عثمان وعبد الرحمن ابو عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد فسالوه فاخبرهم بايمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وكله حسن (اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب) وقال ابن زيد نزلت والذين اجتنبوا الطاغوت الايتان في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا إله إلا الله زيد بن عمرو بن نفيل وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والاحسن قوله لا إله إلا الله (افمن حق عليه كلمة العذاب) قال ابن عباس رضي الله عنهما من سبق في علم الله انه من اهل النار وقيل كلمة العذاب قوله لأملان جهنم وقيل كلمة العذاب قوله هؤلاء في النار ولا ابالي

(قل الله أعبد مخلصا له ديني) * فان قلت ما معنى التكرار في قوله قل إني أمرت ان أعبد الله مخلصا له الدين وفي قوله قل الله أعبد مخلصا ديني * قلت هذا ليس بتكرار لأن الأول الاخبار بأنه مأمور من جهة الله تعالى بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثاني أنه اخبار بأنه أمر يخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا تعبد أحدا غيره مخلصا له دينه لأن قوله أمرت ان أعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله أعبد يفيد الحصر والمعنى الله اعبد ولا أعبد أحدا غيره ثم اتبعه بقوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) ليس أمرا بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله (قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم واهليهم) يعني أزواجهم وخدمهم (يوم القيامة) قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى جعل لكل إنسان منزلا واهلا في الجنة فمن عمل بطاعة الله تعالى كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله تعالى دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله تعالى فخسر نفسه واهله لا منزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الأهل بأن يفرق بينه وبين أهله (ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار) اى اطباق وسرادقات (ومن تحتهم ظلل) اى فراش ومهاد وقيل احاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب * فان قلت الظلة ما فوق الانسان فكيف سمى ما تحته بالظلة * قلت فيه وجوه الاول انه من باب اطلاق اسم الضدين على الاخر الثاني ان الذي تحته من النار يكون ظلة لاخر تحته في النار لأنها دركات الثالث ان الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الايذاء والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة (ذلك يخوف الله عباده) اى المؤمنين لأنهم إذا سمعوا حال الكفار في الاخرة خافوا فأخلصوا التوحيد والطاعة لله عز وجل وهو قوله تعالى (يا عباد فاتقون) اى فخافون * قوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت) يعني الاوثان (ان يعبدوها وأنابوا إلى الله) اى رجعوا إلى عبادة الله تعالى بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره (لهم البشرى) اى في الدنيا وفي الاخرة أما في الدنيا فالثناء عليهم بصالح اعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر واما في الاخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة فني كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان (فبشر عبادي الذين يستمعون القول) يعني القران (فيتبعون أحسنه) ان أحسن ما يؤمرون به فيعملون به وهو ان الله تعالى ذكر في القران الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه والعفو احسن الأمرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القران وغيره من الكلام فيتبعون القران لأنه كله حسن وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما أسلم ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه جاء عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فأخبرهم بايمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل نزلت هذه الاية في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا إله إلا الله وهم زيد بن عمرو وابو ذر وسلمان الفارسي (اولئك الذين هداهم الله) يعني الى عبادته وتوحيده (واولئك هم اولوا الالباب فمن حق عليه كلمة العذاب) قال ابن عباس سبق في علم الله

(أفأنت تنقذ من النار) أى لا تقدر عليه قال ابن عباس يريد أبا لهب وولده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) أى منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل ارفع منها (تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) اى وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن اسمعيل حدثنى عبد العزيز بن عبد الله حدثنى مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن ابى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال ان اهل الجنة يتراءون اهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الافق (٦٠) من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يارسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله عز وجل (الم تر أن الله انزل من السماء ماء فسلكه (ادخل ذلك الماء (ينابيع) عيونا وركايا (فى الارض) قال الشعبى كل ماء فى الارض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) بالماء (زرعا مختلفا الوانه) احمر واصفر واخضر (ثم يهيج) ييبس (فتراه) بعد خضرته ونضرته (مصفرا ثم يجعله حطاما) فتاتا متكسرا (ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب) قوله عز وجل أفمن شرح الله صدره للاسلام) وسعه لقبول الحق (فهو على نور من ربه) كمن اقسى الله قلبه اخبرنا ابو سعيد احمد بن إبراهيم الشريحى انا أبو اسحق احمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى انا ابن فنجويه ثنا عبد الله بن محمد بن شيبة ثنا أبو جعفر محمد بن الحسن الموصلى ببغداد أنا أبو فروة واسمه يزيد بن محمد حدثنى ابى عن ابيه ثنا زيد بن ابى انيسة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال تلا رسول الله ﷺ أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يارسول الله مشتمل الله كيف انشراح صدره قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يارسول الله وما علامة ذلك قال الانابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين) قال مالك بن دينار ماضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب وماغضب الله عز وجل على قوم إلا نزع منهم الرحمة قوله عز وجل (الله نزل احسن الحديث

تعالى انه فى النار وقيل كلمة العذاب قوله لأملان جهنم وقيل قوله هؤلاء فى النار ولا أبالى (أفأنت تنقذ من فى النار) اى لا تقدر عليه قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد ابا لهب وولده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) أى منازل فى الجنة رفيعة فوقها منازل هى أرفع منها (تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) اى وعدهم تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه (ق) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال إن اهل الجنة يتراؤن اهل الغرف من فوقهم كما تراؤن الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا يارسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر أى الباقى فى الافق أى فى ناحية المشرق والمغرب * قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أى أدخل ذلك الماء (ينابيع فى الارض) أى عيونا وركايا ومسالك ومجارى فى الارض كالعروق فى الجسد قال الشعبى كل ماء فى الارض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) أى بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) أى مثل أصفر وأخضر وأحمر وأبيض وقيل أصنافه مثل البر والشعير وسائر أنواع الحبوب (ثم يهيج) أى ييبس (فتراه) أى بعد خضرته ونضرته (مصفرا ثم يجعله حطاما) أى فتاتا متكسرا (إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب) * قوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره) أى وسعه (للاسلام) وقبول الحق كمن طبع الله تعالى على قلبه فلم يهتد (فهو على نور من ربه) أى على يقين وبيان وهداية روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن مسعود قال تلا رسول الله ﷺ أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يارسول الله كيف انشراح صدره قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يارسول الله فما علامات ذلك قال الانابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) القسوة جمودة وصلابة تحصل فى القلب * فان قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية * قلت إنهم كلما تلى ذكر الله على الذين يكذبون به قست قلوبهم عن الايمان به وقيل إن النفس إذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فان سماعها لذكر الله لا يزيدها إلا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القران يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يريد الكافرين إلا قسوة قال مالك ابن دينار ماضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وماغضب الله تعالى على قوم إلا نزع منهم الرحمة (أولئك فى ضلال مبين) قيل نزلت هذه الاية فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وفى أبى بن خلف وقيل فى على وحمزة وفى أبى لهب وولده وقيل فى رسول الله ﷺ وفى أبى جهل * قوله عز وجل (الله نزل أحسن الحديث) يعنى القران وكونه أحسن الحديث لوجهين أحدهما من جهة اللفظ والاخر من جهة المعنى اما الأول فلان القران من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل هو نوع يخالف الكل فى اسلوبه واما الوجه الثانى وهو كون القرآن من أحسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف

كتابا متشابها) يشبه بعضه بعضا فى الحسن ويصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف (مثانى) يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والأمر والنهى والاخبار والاحكام (تقشعر) تضطرب وتشمئز (منه جلود الذين يخشون ربهم) والاقشعرار تغير فى جلد الانسان عند الوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أى قلوب الذين يخشون ربهم (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أى لذكر الله أى إذا ذكرت ايات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله وإذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم كما قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وحقيقة المعنى اما ان قلوبهم تقشعر من الخوف وتلين عند اخبرنا ابو سعيد الشريحى أنا أبو إسحق الثعلبى أخبرنى الحسين بن محمد ثنا محمد بن موسى بن محمد بن على ثنا محمد بن عبد عبدوس بن كامل ثنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى ثنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن الهادى عن محمد ابن ابراهيم التيمى عن أم كلثوم بنت عمر عن العباس ابن عبد المطلب قال قال رسول الله ﷺ إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها أخبرنا أبو سعيد الشريحى انا ابو اسحق الثعلبى اخبرنى الحسين بن محمد ثنا احمد بن جعفر بن حمدان ثنا موسى ابن اسحق الانصارى ثنا محمد بن معاوية ثنا الليث بن سعد ثنا يزيد بن عبد الله بن الهاد بهذا الاسناد وقال اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله حرمة الله على النار قال قتادة هذا نعت اولياء الله نعتهم الله بان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك فى اهل البدع وهو من الشيطان اخبرنا ابو سعيد الشريحى انا ابو اسحق الثعلبى أنا الحسين بن محمد ابن فنجويه ثنا ابن شيبة ثنا حمدان بن داود ثنا سلمة بن شبيب ثنا خلف بن سلمة ثنا هشيم عن حصين عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتى اسماء بنت أبى بكر كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون إذا قرىء القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال فقلت لها أن ناسا اليوم اذا قرىء عليهم القرآن خر أحدهم مغشياً عليه فقالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه عن سلمة ثنا يحيى ثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحى أنا ابن عمر مر رجل من أهل العراق ساقطا فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرىء عليه القرآن او سمع ذكر الله سقط قال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل فى جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ﷺ وذكر عن ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرىء عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم ان يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى اخره فان رمى بنفسه فهو صادق

مشتمل على أخبار الماضين وخص الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار (كتابا متشابها) اى يشبه بعضه بعضا فى الحسن ويصدق بعضه بعضا (مثانى) اى يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهى والاخبار والاحكام (تقشعر) اى تضطرب وتشمئز (منه جلود الذين يخشون ربهم) والمعنى تاخذهم قشعريرة وهى تغيير يحدث فى جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أى قلوب الذين يخشون ربهم (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) اى لذكر الله تعالى قيل اذا ذكرت ايات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت ايات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى أن جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء وروى عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله ﷺ اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفى رواية حرمه الله تعالى على النار قال بعض العارفون السيارون فى بيداء جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم جمال من عالم الجمال عاشوا وقال قتادة هذا نعت اولياء الله الذى نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك فى اهل البدع وهو من الشيطان وروى عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتى أسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنهما كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرىء عليهم القران قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينيهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت ان ناسا اليوم اذا قرىء عليهم القران خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرىء عليه القران او سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل فى جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب محمد ﷺ وذكر عن ابن سيرين الذين يسرعون اذا قرىء عليهم القران فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القران من أوله الى اخره فان رمى بنفسه فهو صادق * فان قلت لما ذكرت الجلود وحدها اولا فى جانب الخوف ثم قرنت معها القلوب ثانيا فى الرجاء * قلت اذا ذكرت الخشية التى محلها القلوب اقشعرت الجلود مرد ذكر ايات الوعيد فى اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى امره على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم دقيل ان المكاشفة فى مقام الرجاء اكمل منها فى مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب

(ذلك) يعنى احسن الحديث (هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل فماله من هاد افمن يتقى بوجهه سوء العذاب) اى شدته (يوم القيامة قال مجاهد يجر وجهه فى النار قال عطاء يرمى به فى النار منكوسا فأول شىء منه تمسه النار وجهه قال مقاتل هو أن الكافر يرمى به فى النار مغلولة يداه إلى عنقه وفى عنقه صخرة مثل جبل عظيم من الكبريت فتشتعل النار وهو معلق فى عنقه فحرها ووهجها على وجه لا يطيق دفعها عن وجهه للاغلال التى فى عنقه ويده ومجاز الآية افمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو امن من العذاب (وقيل) يعنى تقول الخزنه (للظالمين ذوقوا ما كنتم (٦٢) تكسبون) اى وباله (كذب الذين من قبلهم) من قبل كفار مكة كذبوا الرسل (فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى وهم آمنون غافلون من العذاب (فاذاقهم الله الخزى) العذاب والهوان (فى الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) يتعظون (قرانا عربيا) نصب على الحال (غير ذى) عوج) قال ابن عباس غير مختلف قال مجاهد غير ذى لبس قال السدى غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن أنس وحكى عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق (لعلهم يتقون) الكفر والتكذيب (ضرب الله مثلا رجلا) قال الكسائى نصب رجلا لانه تفسير للمثل (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم يقال رجل شكس شرس إذا كان سىء الخلق مخالفا للناس لا يرضى بالانصاف (ورجلا سلما لرجل) قرأ أهل مكة والبصرة سالما بالألف خالصا له لا شريك ولا منازع له فيه وقرأ الآخرون سلما يتربصون بفتح اللام من غير الف وهو الذى لا ينازع فيه من قولهم هو لك سلم اى مسلم لا منازع لك فيه (هل يستويان مثلا) هذا مثل ضربه الله عز وجل للكافر الذى يعبد الهة شتى والمؤمن الذى لا يعبد إلا الله الواحد وهذا استفهام انكار اى لا يستويان ثم قال (الحمد لله) اى لله الحمد كله دون غيره من المعبودين (بل اكثرهم لا يعلمون) ما يصيرون اليه والمراد بالأكثر الكل (إنك ميت) أى ستموت (وإنهم ميتون) اى ستموتون وقال الفراء والكسائى الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقه الروح ولذلك لم يخفف ههنا

ولأن الجلد (ذلك) أى القرآن الذى هو أحسن الحديث (هدى الله يهدى به من يشاء) أى هو الذى يشرح الله به صدره لقبول الهداية (ومن يضلل الله) أى يجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية (فماله من هاد) أى يهديه * قوله عز وجل (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) يعنى شدته (يوم القيامة) قيل يجر على وجهه فى النار وقيل يرمى به فى النار منكوسا فأول شىء تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر يرمى به منكوسا فى النار مغلولة يداه إلى عنقه وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشعل النار فى تلك الصخرة وهى فى عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التى فى يديه ومعنى الاية افمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو امن من العذاب (وقيل للظالمين) اى تقول لهم الخزنة (ذوقوا ما) اى وبال ما (كنتم تكسبون) أى فى الدنيا من المعاصى (كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة كذبوا الرسل (فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى وهم غافلون آمنون من العذاب (فاذاقهم الله الخزى) اى العذاب والهوان (فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) قوله عز وجل (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) اى يتعظون (قرانا عربيا) اى فصيحا اعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته (غير ذى عوج) اى منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن انس وحكى عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولا مخلوق (لعلهم يتقون) أى الكفر والتكذيب * فان قلت ما الحكمة فى تقديم التذكر فى الاية الأولى على التقوى فى هذه الآية * قلت سبب تقديم التذكير ان الانسان إذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشىء واختلط بمعناه واتقاه واحترز منه قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) اى متنازعون مختلفون سيئة اخلاقهم والشكس السىء الخلق للناس لا يرضى بالانصاف (ورجلا سلما لرجل) يعنى خالصا له لا شريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب يا محمد لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون فى رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعى أنه عبده وهم يتجاذبونه فى مهن شتى فاذا عنت لهم حاجة يتدافعونه فهو متحير فى أمره لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى ايهم يعتمد فى حاجاته وفى رجل آخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعين خادمه فى حاجاته فأى هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذى يعبد آلهة شتى والمؤمن الذى يعبد الله وحده فكان حال المؤمن الذى يعبد إلها واحدا أحسن وأصلح من حال الكافر الذى يعبد آلهة شتى وهو قوله تعالى (هل يستويان مثلا) وهذا استفهام انكار اى لا يستويان فى الحال والصفة قال تعالى (الحمد لله) اى لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت أنه لا إله إلا الواحد الحق بالدلائل الظاهرة والأمثال الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البينات وظهور هذه الدلالات (بل اكثرهم لا يعلمون) ان المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له * قوله تعالى (إنك ميت) اى ستموت (وإنهم ميتون) اى سيموتون وذلك انهم كانوا

(ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال ابن عباس يعني المحق المبطل والظالم والمظلوم أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا ابن مالك ثنا ابن حنبل حدثنا أبي ثنا ابن نمير ثنا محمد يعني ابن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوام قال لما نزلت على رسول الله ﷺ ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه قال الزبير والله أن الأمر لشديد وقال ابن عمر عشنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هذه الاية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم ودينا وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد ودينا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن إخوان فلما قتل عثمان قال أهذه خصومتنا أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح ثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد (٦٣) العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد

يتربصون برسول الله ﷺ موته فاخبره الله تعالى ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني وقيل نعى إلى نبيه نفسه واليكم انفسكم وللعنى انك ميت وانهم ميتون وإن كنتم احياء فانكم في عداد الموتى (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال ابن عباس يعني لمحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامه عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله اتكون علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا قال نعم فقال ان الأمر إذا لشديد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضي الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الاية نزلت فينا وفي أهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم ودينا واحد وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها فينا نزلت وعن ابي سعيد الخدري في هذه الاية قال كنا نقول ربنا واحد ودينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان كان يوم اصفين وشد بعضنا على بعض بالسيف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت هذا الاية ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن إخوان فلما قتل عثمان قالى اهذه خصومتنا (خ) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض او مال فليتحلله اليوم من قبل ان لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيات صاحبة فحملت عليه (م) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذت من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار * قوله تعالى (فمن اظلم ممن كذب على الله) فزعم ان له ولدا او شريكا (وكذب بالصدق اذ جاءه) اى بالقران وقيل بالرسالة اليه (اليس في جهنم مثوى) اى منزلة ومقام (للكافرين) * قوله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق) اى والذي

ثنا ابن ابي ذئب عن سعيد المقبري عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له اخذ من سياته فحملت عليه اخبرنا إبو عبد الله محمد بن الفصيل الخرقي انا ابو الحسن الطبري انا عبد الله محمد بن الفصيل الخرقي أنا ابو الحسن الطبري انا عبد الله بن عمر الجوهري انا احمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قالوا المفلس فينا من لا درهم ولا متاع قال إن المفلس من امتي من يأتي

يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وقد كان شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيقضى هذا من حسناته وهذا من حسناته قال فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرب في النار قوله عز وجل (فمن اظلم ممن كذب على الله) فزعم ان له ولدا او شريكا (وكذب بالصدق) بالقران (إذ جاءه الليس في جهنم مثوى) منزل ومقام (للكافرين) استفهام بمعنى التقرير (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال ابن عباس والذي جاء بالصدق يعني رسول الله ﷺ جاء بلا إله إلا الله وصدق به الرسول ايضا بلغه الى الخلق وقال السدي والذي جاء بالصدق جبريل جاء بالقران وصدق به محمد ﷺ تلقاه بالقبول وقال الكلبي وابو العالية والذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ وصدق قه ابو بكر رضي الله عنه وقال قتادة ومقاتل والذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ وصدق به هم المؤمنون لقوله عز وجل أولئك هم المتقون وقال عطاء والذي جاء بالصدق الأنبياء وصدق به الاتباع وحينئذ يكون الذي بمعنى الذين كقوله تعالى مثل كمثل الذي استوقد نارا ثم قال اذهب الله بنورهم وقال الحسن هم المؤمنون وصدقوا به في الدنيا وجاؤا به في الاخرة وفي قراءة عبد الله بن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به

(أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عندربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) يستر ها عليهم المغفرة (ويجزيهم أجرهم بأحسن الذين كانوا يعملون) قال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوى قوله عز وجل (أليس الله بكاف عبده) يعنى محمدا ﷺ وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائى عباده بالجمع يعنى الأنبياء عليهم قصدهم قومهم بالسوء كما قال وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه فكفاه الله شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك أنهم خوفوا النبى ﷺ معرة معاداة الأوثان وقالوا لتكفن عن شتم الهتنا أو ليصيبنك منهم خبل (٦٤) أو جنون (ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام) منيع فى ملكه منتقم من اعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر) بشدة وبلاء هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة) بنعمة وبركة (هل هن ممسكات رحمته) قرا اهل البصرة كاشفات وممسكات بالتنوين من ضره ورحمته بنصب الراء والتاء وقرا الاخرون بلا تنوين وجر الراء والتاء على الاضافة قال مقاتل فسالهم النبى ﷺ عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله ﷺ (قل حسبى الله) ثقتى به واعتمادى عليه (عليه يتوكل المتوكلون) يثق به الواثقون (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) أى ينزل عليه عذاب دائم (إنا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل) بحفيظ ورقيب لم توكل بهم ولا تؤخذ بهم قوله عز وجل (الله يتوفى الأنفس) أى الارواح (حين موتها) فيقبضها عند فناء اكلها وانقضاء آجالها وقوله حين موتها يريد موت اجسادها (والتى لم تمت) يريد يتوفى الانفس التى لم تمت (فى منامها) والتى تتوفى عند النوم هى النفس التى يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان احداهما نفس الحياة وهى التى تفارقه عند الموت فتزول بزوالها النفس والاخرى نفس التمييز وهى التى تفارقه إذا نام وهو بعد النوم يتنفس

صدق وقال ابن عباس الذى جاء بالصدق هو رسول الله ﷺ جاء بلا إله إلا الله وصدق به هو رسول الله ﷺ أيضا أبلغه الى الخلق وقيل الذى جاء بالصدق هو جبريل عليه الصلاة والسلام جاء بالقران وصدق به محمد رسول الله ﷺ وقيل الذى جاء بالصدق رسول الله ﷺ وصدق به أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذى جاء بالصدق الأنبياء وصدق به الأتباع وقيل الذى جاء بالصدق اهل القران وهو الصدق يجيبون به يوم القيامة وقد أدوا حقه فهم الذين صدقوا به (أولئك هم المتقون) اى الذين اتقوا الشرك (لهم ما يشاؤن عند ربهم) اى من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) أى فى أقوالهم وافعالهم (ليكفر الله عنهم اسوا الذى عملوا) أى يستره عليهم بالمغفرة (ويجزيهم أجرهم باحسن الذى كانوا يعملون) اى يجزيهم بمحاسن افعالهم ولا يجزيهم بمساويها * قوله عز وجل (اليس الله بكاف عبده) يعنى محمدا ﷺ وقرىء عباده يعنى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك انهم خوفوا النبى ﷺ مضرة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون (ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز) اى منيع فى ملكه (ذى انتقام) اى منتقم من أعدائه (ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) يعنى أن هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق فان فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فان من تأمل عجائب السموات والأرض وما فيهما من أنواع الموجودات علم بذلك انها من ابتداع قادر حكيم ثم أمره الله تعالى ان يحتج بان ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها على جلب خير ودفع ضر وهو قوله تعالى (قل افرأيتم ما تدعون من دون الله) يعنى الاصنام (إن أرادنى الله بضر) أى بشدة وبلاء (هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة) اى بنعمة وخير وبركة (هل هن ممسكات رحمته) فسألهم النبى ﷺ عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله ﷺ (قل حسبى الله) أى هو ثقتى وعليه اعتمادى (عليه يتوكل المتوكلون) أى عليه يثق الواثقون (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) اى اجتهدوا فى أنواع مكركم وكيدكم وهو امر تهديد وتقريع (إنى عامل) أى بما أمرت به من إقامة الدين (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أى انا او انتم (ويحل عليه عذاب مقيم) أى دائم وهو تهديد وتخويف (أنا انزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (للناس بالحق) أى ليهتدى به كافة الخلق (فمن اهتدى فلنفسه) أى ترجع فائدة هدايته إليه (ومن ضل فانما يضل عليها) أى يرجع وبال ضلالته عليه (وما انت عليهم توكيل) أى لم توكل بهم ولم تؤاخذ عنهم قيل هذا منسوخ بآية القتال * قوله تعالى (الله يتوفى الانفس) أى الارواح (حين موتها) أى فيقبضها عند فناء اكلها وانقضاء اجالها وهو مرت الاجساد (والتى لم تمت فى منامها) والنفس التى يتوفاها عند النوم وهى التى يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان نفس هى

(فيمسك التي قضى عليها الموت) فلا يردها إلى الجسد قرأ حمزة والكسائي قضى بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء الموت رفع على ما لم يسم فاعله وقرأ الآخرون بفتح القاف والضاد الموت نصب لقوله عز وجل الله يتوفى الأنفس (ويرسل الأخرى) ويرد الأخرى وهي التي لم يقض عليها الموت إلى الجسد (إلى أجل مسمى) إلى أن يأتي وقت موته ويقال للانسان نفس وروح فعند النوم يخرج النفس ويبقى الروح وعن علي قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده باسرع من لحظة ويقال ان أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله فاذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها اخبرنا عبد (٦٥) الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أحمد ابن يونس ثنا زهير ثنا عبد الله بن عمر حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا اوى احدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وإن ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (إن في ذلك لايات لقوم يتفكرون) لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في امساك ما يمسك من الأرواح وارسال ما يرسل منها قال مقاتل لعلامات لقوم يتفكرون في امر البعث يعني ان توفى نفس النائم وارسالها بعد التوفي دليل على البعث (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل) يا محمد (أولو

التي تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الأخرى هي التي تكون بها التمييز وهي التي تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس (فيمسك التي قضى عليها الموت) أي فلا يردها الى جسدها (ويرسل الاخرى) أي يرد النفس التي لم يقض عليها الموت إلى جسدها (إلى أجل مسمى) أي الى ان يأتي وقت موتها وقيل ان للانسان نفسا ورحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال علي بن أبي طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عادت الروح الى الجسد بأسرع من لحظة وقيل ان ارواح الاحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله تعالى فاذا ارادت الرجوع الى أجسادها امسك الله تعالى ارواح الاموات عنده وأرسل ارواح الاحياء الى اجسادها الى حين انقضاء مدة اجالها (ق) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا آوى احدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين * فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا * قلت المتوفى في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح باذن الله تعالى ولملك الموت اعوان وجنود من الملائكة ينتزعون الروح من سائر البدن فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت (ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون) اي في البعث وذلك ان توفي نفس النائم وارسالها بعد التوفي دليل على البعث وقيل ان في ذلك دليلا على قدرتنا حيث لم نغلط في امساك ما نمسك من الأرواح وارسال ما نرسل منها * قوله تعالى (ام اتخذوا من دون الله شفاء) يعني الاصنام (قل) يا محمد (اولو كانوا) يعني الالهة (لا يملكون شيئا) اي من الشفاعة (لا يعقلون) اي انكم تعبدونهم وإن كانوا بهذه الصفة (قل لله الشفاعة جميعا) اي لا يشفع احد الا باذنه فمكان الاشتغال بعبادته اولى لانه هو الشفيع في الحقيقة وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده (له ملك السموات والأرض) اي لا ملك لأحد فيهما سواه (ثم اليه ترجعون) اي في الاخرة * قوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت) اي نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت (قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة) قيل ان اشمأز القلب من عظم غمه وعيظه انقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه اثر ذلك مثل الغبرة والظلمة (وإذا ذكر الذين من دونه) يعني الاصنام (اذا هم يستبشرون) يفرحون والاستبشار ان يمتلىء القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل * قوله عز وجل) قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم (انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) اي من امر الدنيا (م) عن ابي سلمة

كانوا) وإن كانوا يعني الالهة (لا يملكون شيئا) من الشفاعة (ولا يعقلون) انكم تعبدونهم وجواب هذا محذوف تقديره وان كانوا بهذه الصفة تتخذونهم (قل لله الشفاعة جميعا) قال مجاهد لا يشفع احد الا باذنه (له ملك السموات والأرض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمأزت) نفرت وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل انقبضت عن التوحيد وقال قتادة استكبرت واصل الاشمئزاز النفور والاستكبار (قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة وإذا ذكر الذين من دونه) يعني الاصنام (اذا هم يستبشرون) يفرحون قال مجاهد ومقاتل وذلك حين قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم فألقى الشيطان في أمنيته تلك الغرانيق العلى ففرح به الكفار (قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) اخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد

القاضى أنا أبو نعيم الاسفرايني أنا عوانة ثنا السلمى ثنا النضر بن محمد ثنا عكرمة بن عمار أنا يحيى بن ابى كثير ثنا أبو سلمة قال سألت عائشة رضى الله عنها بم كان رسول الله ﷺ يفتتح من الصلاة من الليل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلفت فيه من الحق باذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم قوله عز وجل (ولو أن للذين ظلموا ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) قال مقاتل ظهر لهم حين بعثوا مالم يحتسبوا فى الدنيا أنه نازل بهم فى الاخرة قال السدى ظنوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله مالم يحتسبوا وروى ان محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له فى ذلك فقال أخشى أن يبدو لى مالم أحتسب (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) أى مساوى أعمالهم من الشرك والظلم بأولياء الله (وحاق بهم ما كانوا به) يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر) شدة (دعانا ثم إذا خولناه) أعطيناه (نعمة منا قال إنما أوتيته على علم) أى على علم من الله إنى له أهل وقال مقاتل (٦٦) على خير علم الله عندى وذكر الكناية لأن المراد من النعمة (بل هى) يعنى تلك النعمة فتنة استدراج من الله وامتحان وبلية وقيل بل الكلمة التى قالها فتنة (ولكن اكثرهم لا يعلمون) انه استدراج وامتحان (قد قالها الذين من قبلهم) قال مقاتل يعنى قارون فانه قال انما اوتيته على علم عندى (فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) فما اغنى عنهم الكفر من العذاب شيئا (فاصابهم سيئات ما كسبوا) اى جزاؤها يعنى العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين) بفائتين لان مرجعهم الى الله عز وجل (اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء) أى يوسع الرزق لمن يشاء (ويقدر)

ابن عبد الرحمن قال سألت عائشة رضى الله تعالى عنها بأى شىء كان نبى الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل قالت كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلفت فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم * قوله عز وجل (ولو أن للذين ظلموا ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) يعنى ظهر لهم حين بعثوا مالم يحتسبوا انه نازل بهم فى الاخرة وقيل ظنوا ان لهم حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى أنهم كانوا يتقربون إلى الله تعالى بعبادة الأصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله مالم يحتسبوا وروى ان محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له فقال اخشى ان يبدوا لى مالم اكن احتسب (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) يعنى مساوى أعمالهم من الشرك والظلم أولياء الله تعالى (وحاق) يعنى نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر) يعنى شدة (دعانا ثم إذا خولناه) يعنى أعطيناه (نعمة منا قال إنما أوتيته على علم) يعنى من الله تعالى علم أنى له أهل وقيل على خير علمه الله عنده (بل هى فتنة) يعنى تلك النعمة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية (ولكن اكثرهم لا يعلمون) يعنى انها استدراج من الله تعالى (قد قالها الذين من قبلهم) يعنى قارون فانه قال انما اوتيته على علم عندى (فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يعنى فما اغنى الكفر من العذاب شيئاً (فاصابهم سيئات ما كسبوا) يعنى جزاؤها وهو العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال تعالى (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين) اى بفائتين لأن مرجعهم الى الله تعالى أولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء) اى يوسع الرزق لمن يشاء (ويقدر) اى يقتر ويقبض على من يشاء (ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون) اى يصدقون قوله تعالى (قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى سبب نزول هذه الاية ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا واتهكوا الحرمات فاتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد ان الذى تقول وتدعو اليه لحسن تخبرنا بان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله إلها اخر الى قوله فاولئك

أى يقتر على من يشاء (إن فى ذلك لايات لقوم يؤمنون) قوله عز وجل (قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك كانوا قتلوا واكثروا وزنوا واكثروا فاتوا النبى ﷺ وقالوا إن الذى تدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملناه كفارة فنزلت هذه الاية وقال عطاء بن ابى رباح عن ابن عباس رضى الله عنهما بعث رسول الله ﷺ إلى وحشى يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعونى الى دينك وانت تزعم ان من قتل واشرك وزنى يلق اثاما يضاعف له العذاب وانا قد فعلت ذلك كله فانزل إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد لعلى لا اقدر عليه فهل غير فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فقال وحشى ارانى بعد فى شبهة فلا ادرى يغفر لى ام لا فانزل الله تعالى قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشى نعم هذا فجاء واسلم فقال المسلمون هذا خاصة ام للمسلمين عامة فقال بل للمسلمين عامة وروى عن ابن عمر قال نزلت هذه الاية فى عياش بن ابى

ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فأنزل الله هذه الآيات فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها إلى عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فاسلموا وهاجروا وروى مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال كنا معاشر اصحاب رسول الله ﷺ نرى أو نقول ليس بشيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ماهذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا إذا رأينا من أصاب شيئا منها قلنا قد هلك فنزلت هذه الآية فكففنا عن القول في ذلك وكنا إذا رأينا أحدا أصاب منها شيئا خفنا عليه وإن لم يصب منها شيئا رجوناه وأراد بالاسراف ارتكاب الكبائر وروى عن ابن مسعود أنه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على رأسه فقال يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرأ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الحموي أنا أبو اسحق ابراهيم بن خزيم الشاشي ثنا عبد الله بن حميد ثنا حيان بن هلال وسليمان بن حرب وحجاج بن منهال قالوا ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن بشار ثنا ابن عدي عن شبة عن قتادة عن ابي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعا وتسعين انسانا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله فقال هل من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله إلى هذه ان تقربي وأوحى إلى هذه ان تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغفر له ورواه مسلم بن الحجاج عن محمد بن المثنى العنبري عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة بهذا الاسناد وقال فدل على راهب فأتاه فقال أنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله وكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال أنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى إذا كان نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاتاهم ملك من صورة ادمي فجعلوه بينهم حكما فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى إلى الأرض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة اخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد انا ابو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن ابي الزناد عن الأعرج عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال قال رجل لم يعمل خيرا قط لاهله إذا مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه احدا من العالمين قال فلما مات فعلوا ما امرهم فأمر الله البحر فجمع ما فيه وامر البر فجمع ما فيه ثم قال له لما فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وانت اعلم فغفر له اخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله بن ابي توبة انا ابو طاهر محمد بن احمد بن الحارث انا ابو الحسين محمد بن يعقوب الكسائي انا عبد الله بن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن عكرمة عن عمار ثنا ضمضم ابن حوشب قال دخلت المدينة فنادى شيخ فقال يا يماني تعالى وما اعرفه فقال لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك ابدا ولا يدخلك الله الجنة قلت ومن انت يرحمك الله قال ابو هريرة قال فقلت ان هذه الكلمة يقولها احدنا لبعض اهله إذا غضب او لزوجته او لخادمه قال فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول ان رجلين كانا في بني اسرائيل متحابين احدهما مجتهد في العبادة والآخر كان مذنبا فجعل يقول له اقصر عما انت فيه قال فيقول خلني وربي قال حتى وجده يوما على ذنب استعظمه فقال اقصر فقال خلني وربي ابعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك ابدا ولا يدخلك الله الجنة ابدا قال فبعث الله اليهما ملكا فقبض ارواحهما فاجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اتستطيع ان تحظر على عبدي رحمتي فقال لا يا رب فقال اذهبوا به إلى النار قال ابو هريرة والذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة اوبقت دنياه وآخرته

يبدل الله سيئاتهم حسنات قال يبدل شركهم إيمانا وزناهم احصانا ونزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله اخرجه النسائي وعن ابن عباس أيضا قال بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي يدعوه إلى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم ان من قتل او اشرك اوزنى يلق اثاما يضاعف له العذاب وانا فعلت ذلك كله فانزل الله تعالى إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا اقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي ارانى بعد شبهة فلا ادري ايغفر لي ام لا فانزل الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم هذا فجاء فاسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال نزلت هذه الآيات في عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد اسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا ابدا قوم اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فانزل الله تعالى هذه الاية فكتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيده ثم بعث بها إلى عياش بن ابي

ربيعة الوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فاسلموا جميعا وهاجروا وعن ابن عباس أيضا قال كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أو نقول ليس شيء من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ماهذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا إذا رأينا من أصاب شيئا منها قلنا هلك فنزلت هذه الاية فكففنا على القول في ذلك وكنا إذا رأينا من أصحابنا من أصاب شيئا من ذلك خفنا عليه وإن لم يصب منها شيئا رجونا له وقوله اسرفوا على أنفسهم أي تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم قيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لا تقنطوا من رحمة الله أي لا تيأسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله امن الكبائر (إن الله يغفر الذنوب جميعا أنه هو الغفور الرحيم) * فان قلت حمل هذه الآية على ظاهرها يكون إغراء بالمعاصي وإطلاقا في الأقدام عليها وذلك لا يمكن * قلت المراد منها التنبيه على انه لا يجوز ان يظن العاصي أنه لا مخلص له من العذاب فان اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله إذ لا احد من العصاة إلا ومتى تاب زال عقابه وصار من اهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا اي إذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل ان يتوب فهو موكل إلى مشيئة الله تعالى فان شاء غفر له وغفا عنه وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل احد وخوف العقاب مطلوب فلعل الله تعالى يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله اعلم

﴿فصل في ذكر احاديث تتعلق بالآية﴾ روى ابن مسعود رضي الله عنه انه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على راسه فقال لم تقنط الناس ثم قرا قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا عن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان النبي ﷺ قال كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل هل من توبة فاتى راهبا فسأله فقال هل لي من توبة قال لا فقتله وجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فادركه الموت فضرب صدره تخوفا فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله تعالى إلى هذه ان تقربي واوحى الله الى هذه ان تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجد اقرب إلى هذه بشبر فغفر له لفظ البخاري ولمسلم قال فدل على راهب فاتاه فقال له ان رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا له فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن اعلم اهل الأرض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى إذا كان نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله إلى هذه ان تقربي وإلى هذه ان تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجده ادنى الى الأرض الذي اراد فقبضته ملائكة الرحمة (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ كان رجل اسرف على نفسه وفي رواية لم يعمل خيرا قط وفي رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه إذا مت فاحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح فوالله لئن قدر على ربي ليعذبني عذابا ما عذبه احدا فلما مات فعل به ذلك فامر الله تعالى الأرض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت فاذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يارب او قال مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت النبي ﷺ يقول كان في بني اسرائيل رجلان متحابان احدهما مذنب والاخر في العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى الاخر على ذنب فيقول له اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلني وربي ابعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر لك الله وقال لا يدخلك الجنة فقبض الله ارواحهما

قوله عز وجل (إن يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) اخبرنا عبد الرحمن بن ابي بكر القفال انا ابو مسعود محمد ابن احمد بن يونس الخطيب ثنا محمد بن يعقوب الاصم ثنا ابو قلابة ثنا ابو عاصم ثنا زكريا بن اسحق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى إلا اللمم قال رسول الله ﷺ إن تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما

قوله عز وجل (وأنيبوا إلى ربكم) أقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة (وأسلموا له) وأخلصوا له التوحيد (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) يعني القرآن والقرآن كله حسن ومعنى الاية ما قاله الحسن التزموا طاعته واجتنبوا معصيته فان في القرآن ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الادون لئلا يرغب فيه وذكر الأحسن لتؤثره قال السدى لاحسن ما أمر الله به في الكتاب (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس) (يعني لئلا تقول نفس كقوله وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم يعني لئلا تميد بكم قال المبرد أي بادروا واحذروا أن تقول نفس وقال الزجاج خوف أن (٦٩) تصيروا إلى حال تقولون هذا القول

فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب تبارك وتعالى للمجتهد أكنت على الا في يدى قادرا وازقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للاخر اذهبوا به إلى النار قال أبو هريرة تكلم والله بكلمة أو بقيت دنياه واخرته أخرجه أبو داود عن أنس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم انك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذي قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها وقراب الارض بضم القاف هو ما يقارب ملاها * قوله عز وجل (وأنيبوا الى ربكم) اى رجعوا اليه بالتوبة والطاعة (وأسلموا له) أى اخلصوا له التوحيد (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم تنصرون) اى لا تمنعون منه واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) يعني القران ذكر القبيح ليجتنب وذكر الادون لئلا يرغب الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه أنزل في القران ذكر القبيح ليجتنب وذكر الأدون لئلا يرغب فيه وذكر الحسن لتؤثره وتاخذ به وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ (من قبل يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون) يعني غافلين عنه (ان تقول نعس) اى لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا أن تقول وقيل خوف ان تصيروا الى حال ان تقولن نفس (ياحسرتى) اى يا ندمى ويا حزتى والتحسر الاغتمام والحزن على مافات (على مافرطت فى جنب الله) يعنى على ماقصرت فى طاعة الله وقيل فى امر الله وقيل فى حق الله وقيل على ما ضيعت فى ذات الله وقيل معناه على ما قصرت فى الجانب الذى يؤدى الى رضا الله تعالى (وإن كنت لمن الساخرين) أى المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها (او تقول لو أن الله هدانى) اى ارشدنى الى دينه وطاعته (لكنت من المتقين) اى الشرك (او تقول حين ترى العذاب) اى عيانا (لو ان لى كرة) أى رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) اى الموجدين، ثم اجاب الله تعالى هذا التأويل بأن الاعذار زائلة والتعليل باطل وهو قوله تعالى (بلى قد جاءتك آياتى) يعنى القرآن (فكذبت بها) اى قلت ليست من الله (واستكبرت) اى تكبرت عن الايمان بها) وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) اى زعموا ان له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء الينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل (وجوههم مسودة) قيل هو سواد مخالف لسائر انواع السواد (اليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) (اى عن الايمان * قوله تعالى * (وينجى الله الذين اتقوا) اى الشرك (بمفازتهم) اى الطرق التى تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرىء بمفازاتهم ان ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار (لا يمسهم السوء) اى لا يصيبهم المكروه (ولا هم يحزنون الله خالق كل شىء) اى مما كائن هو او يكون فى الدنيا

(ياحسرتى) يا ندامتا والتحسر الاغتمام على ما فات وأراد ياحسرتى على الاضافة لكن العرب تحول ياء الكناية ألفا فى الاستغاثة فتقول ياويلتى ويا ندامتا وربما الحقوا بها الياء بعد الالف ليدل على الاضافة وكذلك قرأ أبو جعفر ياحسرتاى وقيل معنى قوله باحسرتاه يا أيتها الحسرة هذا وقتك (على مافرطت فى جنب الله) قال الحسن قصرت فى طاعة الله وقال مجاهد فى أمر الله وقال سعيد بن جبير فى حق الله وقيل ضيعت فى ذات الله وقيل معناه قصرت فى الجانب الذى يردنى إلى رضاء الله والعرب تسمى الجنب جانبا (وإن كنت لمن الساخرين) المستهزئين بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر باهل طاعته (أو تقول لو أن الله هدنى لكنت من المتقين أو

تقول حين ترى العذاب) عيانا (لو أن لى كرة) رجعه إلى الدنيا (فأكون من المحسنين) الموحدين يقال لهذا القائل (بلى قد جاءتك آياتى) يعنى القران (فكذبت بها) وقلت إنها ليست من الله (واستكبرت) تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) فزعموا أن له ولدا وشريكا (وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) عن الايمان (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) قرأ حمزة والكسائى وأبو بكر بمفازاتهم بالألف على الجمع أى بالطرق التى تؤديهم إلى الفوز والنجاة وقرأ الاخرون بمفازتهم على الواحد لأن المفازة بمعنى الفوز أى ينجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة قال المبرد المفازة مفعلة من الفوز والجمع حسن كالسعادة والسعادات (لا يمسهم السوء) لا يصيبهم المكروه (ولا هم يحزنون الله خالق كل شىء

وهو على كل شيء وكيل) أي الأشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها (له مقاليد السموات والأرض) يعني مفاتيح خزائن السموات والأرض واحدها مقلاد مثل مفتاح ومقليد مثل منديل ومناديل وقال قتادة ومقاتل مفاتيح السماوات والأرض بالرزق والرحمة وقال الكلبي خزائن المطر وخزائن النبات (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) قوله عز وجل (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) قال مقاتل وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائه قرأ أهل الشام تأمروني بنونين خفيفتين على الأصل وقرأ أهل المدينة بنون واحدة خفيفة على الحذف وقرأ الاخرون بنون واحدة مشددة على الأدغام (ولقد أوحي اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) يعني الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله ﷺ والمراد منه غيره وقيل هذا أدب من الله عز وجل لنبيه وتهديد لغيره لأن الله تعالى عصمه من الشرك (ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) لا نعامه عليك وله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره) ما عظموه (٧٠) حق عظمته حين أشركوا به أن يرعن عظمته فقال (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا آدم ثنا شيبان عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال جاء حبر من الاحبار إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على اصبع والأرضين على اصبع والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع فيقول انا الملك فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ورواه مسلم بن الحجاج عن بن عبيد الله بن يونس عن فضل بن عياض عن منصور وقال والجبال والشجر على اصبع وقال ثم يهزهن هزا فيقول انا الملك انا الله اخبرنا احمد بن إبراهيم الشريحي انا احمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي اخبرني الحسين بن فنجويه ثنا عمر بن الخطاب ثنا عبد الله بن الفضل ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا ابو اسامة عن عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله انا عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي الارضين ثم يأخذهن بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون هذا حديث صحيح اخرجه مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة اخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله بن ابي تربة الكشميهني ثنا ابو طاهر محمد بن احمد بن الحارث ثنا محمد بن يعقوب الكسائي انا عبد الله بن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن مبارك عن يونس عن الزهري حدثني سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض

والاخرة (وهو على كل وكيل) يعني أن الأشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها (له مقاليد السموات والأرض) يعني مفاتيح خزائن السموات والأرض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس قيل هو فارس معرب قال الراجز

لم يؤذها الديك بصوت تغريد * ولم يعالج غلقها باقليد

والمعنى أن الله تعالى مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الله الذي لا يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات (والذين كفروا بآيات الله) أي جحدوا بآياته الظاهرة الباهرة (أولئك هم الخاسرون) * قوله عز وجل (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) وذلك أن كفار قريش دعوة إلى دين آبائه فوصفهم بالجهل لأن الدليل القاطع قد قام بانه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل (ولقد أوحي اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) أي الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله ﷺ والمراد به غيره لان الله عز وجل عصم نبيه ﷺ من الشرك وفيه تهديد لغيره (ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) يعني لا نعامه عليك * قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) يعني ما عظموه حق عظمته حين اشركوا به غيره ثم اخبر عن عظمته فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ قال يا محمد أن الله يضع السماء على أصبع والارض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والانهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول انا الملك فضحك رسول الله ﷺ وقال وما قدروا الله حق قدره وفي رواية والماء والثرى عل أصبع ثم يهزهن وفيه أن رسول الله ﷺ وقال وما قدروا الله حق قدره حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له ثم قرا وما قدروا الله حق قدره الاية (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي الارضين بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وفي رواية يقول انا الله ويقبض اصابعه ويبسطها ثم يقول

قوله عز وجل (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض) أي ماتوا من الفزع وهي النفخة الأولى (إلا من شاء الله) اختلفوا في الذين استثناهم عز وجل وقد ذكرناهم في سورة النمل قال الحسن إلا من شاء الله يعني الله وحده (ثم نفخ فيه) أي في الصور (أخرى) أي مرة أخرى (فاذا هم قيام ينظرون) من قبورهم ينتظرون أمر الله فيهم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا محمد ابن معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة قوله عز وجل

أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وفي رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى اني اقول اساقط هو برسول الله ﷺ لفظ مسلم وللبخاري ان الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات بيمينه ويقول أنا الملك (خ) عن أبي هريره رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يقبض الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الأرض قال ابو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف إلى الله عز وجل من صفة اليدين شمال لأن الشمال محمل النقص والضعف وقد روي كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة إنما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ماجاءت ولا نكيفها وتنتهي إلى حيث انتهى الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ماوصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه * قوله عز وجل (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض) أي ماتوا من الفزع وهي النفخة الأولى (إلا ماشاء الله) تقدم في سورة النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن إلا من شاء الله يعني الله وحده (ثم نفخ فيه) أي في الصور (أخرى) مرة أخرى وهي النفخة الثانية (فاذا هم قيام) أي من قبورهم (ينظرون) اي ينتظرون أمر الله فيهم (ق) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبو هريرة ابيت قالوا أربعون شهرا قال أبو هريرة ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء لا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة * قوله تعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها) وذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يضارون في نوره كما لا يضارون في الشمس في اليوم الصحو وقيل بعدل ربها واراد بالأرض عرصات القيامة (ووضع الكتاب) اي كتاب الأعمال وقيل اللوح المحفوظ لأن فيه اعمال جميع الخلق من المبدأ إلى المنتهى (وجيء بالنبيين) يعني ليكونوا شهداء على أممهم (والشهداء) قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد ﷺ وقيل يعني الحفظة (وقضي بينهم بالحق) أي بالعدل (وهم لا يظلمون) أي لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم (ووفيت كل نفس ماعملت) أي ثواب ماعملت (وهو أعلم بما يفعلون) يعني أنه سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لا يحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد * قوله تعالى (وسيق الذين كفروا إلى جهنم) يعني سوقا عنيفا (زمرا) افواجا بعضهم على أثر بعض كل أمة على حدة وقيل جماعات متفرقة واحدتها زمرة (حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها) يعني السبعة وكانت قبل مغلقة (وقال لهم خزنتها) يعني توبيخا وتقريعا (ألم يأتكم رسل منكم) أي من أنفسكم ومن جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) أي وجبت (على الكافرين) وهي قوله تعالى لأملأن جهنم

(وأشرقت الأرض) أضاءت (بنور ربها) بنور خالقها وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو وقال الحسن والسدي بعدل ربها وأراد بالأرض عرصات القيامة (ووضع الكتاب) أي كتاب الأعمال (وجيء بالنبيين والشهداء) قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد ﷺ وقال عطاء يعني الحفظة يدل عليه قوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (وقضي بينهم بالحق) أي بالعدل (وهم لا يظلمون) أي لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم (ووفيت كل نفس ما عملت) أي ثواب ما عملت (وهو أعلم بما يفعلون) قال عطاء يريد اني عالم بأفعالهم لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد (وسيق الذين كفروا إلى جهنم) سوقا عنفيا (زمرا) أفواجا بعضها على إثر بعض كل أمة على حدة قال ابو عبيدة والأخفش زمراً اي جماعات في تفرقة واحدتها زمرة (حتى إذا جاؤها فتحت ابوابها) السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك قرا اهل الكوفة فتحت وفتحت بالتخفيف وقرا الآخرون بالتشديد على التكثير (وقال لهم خزنتها) توبيخاً وتقريعا لهم (الم يأتكم رسل منكم) من انفسكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت) وجبت (كلمة العذاب على العذاب على الكافرين) وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين

(قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها) قال الكوفيون هذه الواو زائدة حتى تكون جوابا لقوله حتى إذا جاؤها كما في سوق الكفار وهذا كما قال الله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء أي ضياء والواو زائدة وقيل الواو واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فادخل الواو لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم وحذفها في الآية الأولى لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم فاذا لم تجعل الواو زائدة في قوله وفتحت أبوابها اختلفوا في جواب قوله حتى إذا قيل جوابه قوله جاؤها وقال لهم خزنتها والواو فيه ملغاة تقديره حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها قال لهم خزنتها وقال

من الجنة والناس أجمعين (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) * قوله عز وجل (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) * فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما * قلت المراد بسوق أهل النار طردهم إلى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالأسير إذا سيق إلى الحبس أو القتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنهم يذهبون اليها راكبين والمراد بذلك السوق إسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين (حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها) * فان قلت قال في أهل النار فتحت بغير واو وهبا زاد حرف الواو فما الفرق * قلت فيه وجوه أحدها انها زائدة الثاني أنها واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فأدخل الواو لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذف الواو في الاية الأولى لبيان أبواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة في ذلك أن أهل الجنة إذا جاؤها ووجدوا أبوابها مفتحة حصل لهم السرور والفرح بذلك وأهل النار إذا رأوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا لبيان أن أبواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لأن أبواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية * فان قلت حتى إذا جاؤها شرط فاين جوابه * قلت فيه وجوه أحدها أنه محذوف والمقصود من الحذف أن يدل على أنه بلغ في الكمال إلى حيث لا يمكن ذكره الثاني أن الجواب هو قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو الثالث تقديره فادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها للدلالة الكلام عليه (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) أي ابشروا بالسلامة من كل الآفات (طبتم) قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم (فادخلوها خالدين) وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا سيقوا إلى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من أحداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الأخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على ابواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) أي بالجنة (وأورثنا الأرض) أي أرض الجنة تتصرف فيها كما تشاء تشبيها بحال الورث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله تعالى (نتبوأ) أي ننزل (من الجنة) أي في الجنة (حيث نشاء) * فان قلت فما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره * قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى غيره وقيل أن أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة قبل الأمم فينزلون فيها حيث شاؤا ثم تنزل الأمم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل (فنعم أجر العاملين) أي ثواب المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أي محدقين محيطين بحافته وجوانبه (يسبحون بحمد ربهم) وقيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم (وقضي بينهم بالحق) بين أهل الجنة وأهل النار بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) يعني

الزجاج القول عندي أن الجواب محذوف تقديره حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم يريد أن خزانة الجنة يسلمون عليهم ويقولون طبتم قال ابن عباس طاب لكم المقام قال قتادة هم إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا ادخلوا الجنة فقال لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وروى عن علي عليه السلام قال سيقوا إلى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيغتسل المؤمن من أحداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتلقته الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض) أي أرض الجنة وهو قوله عز وجل ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون (نتبوأ) تنزل (من الجنة حيث نشاء) قال الله تعالى (فنعم أجر العاملين) ثواب المطيعين (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أي محدقين محيطين بالعرش الطيفين بحوافيه أي بحوانبه (يسبحون بحمد ربهم) قيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف متروك في ذلك اليوم (وقضي بينهم بالحق) أي قضي بين أهل الجنة والنار بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) يقول أهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم

يقوله

(سورة المؤمن خمس وثمانون آية مكية)

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن موسى ثنا إسرائيل عن ابى اسحق عن ابى الاحوص عن عبد الله قال ان مثل القران كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذ هبط على روضات دمثال فقال عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب منه وأعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل عظم القران وان مثل هؤلاء الروضات الدمثال مثل ال حم القران اخبرنا أبو سعيد الشريحي انا ابو اسحق الثعلبي انا ابو محمد الرومي ثنا أبو العباس السراج انا قتيبة ثنا بن لهيعة عن يزيد بن ابى حبيب الجراح بن الجراح حدثه عن ابن عباس قال لكل شيء لباب ولباب القران الحواميم وقال ابن مسعود إذا وقعت فى ال حم وقعت فى روضات اتانق فهن وقال سعد بن (٧٣) إبراهيم كن ال الحواميم يسمين العرائس

يقول أهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدأ الله ذكر الخلق بالحمد فى قوله الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وختم بالحمد فى آخر الامر وهو استقرار الفريقين فى منازلهم فنبه بذلك على تحميده فى بداءة كل أمر وخاتمته والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر)

وهى مكية قيل غير آيتين وهما قوله تعالى الذين يجادلون فى ايات الله والتى بعدها وهى خمس وثمانون اية والف ومائة وتسعة وتسعون كلمة وأربعة الاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال ان مثل صاحب القران كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على رضات دمثال فقال عجبت من الغيث الاول فهذا أعجب منه وأعجب فقيل له أن مثل هذه الروضات الدمثال مثل ال حم فى القران وعن ابن عباس قال لكل شيء لباب ولباب القران الحواميم وقال ابن مسعود إذا وقعت فى ال حم وقعت فى روضات الجنة أتأنق فيهن وقال سعد بن ابراهيم كن آل حم تسمى العرائس (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عزوجل (حم) قال ابن عباس رضى الله عنهما حم اسم الله الاعظم وعنه قال الروحم ون حروف اسمه الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح أسمائه حليم وحميد وحى وحكيم وحنان والميم أسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل معناه حم بضم الحاء أى قضى ماهو كائن (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أى الغالب القادر وقيل الذى لامثل له (العليم) أى بكل المعلومات (غافر الذنب) يعنى سائر الذنب (وقابل التوب) يعنى التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله (شديد العقاب) لمن لايقول لا إله إلا الله (ذى الطول) يعنى السعة والغنى وقيل ذى الفضل والنعم وأصل الطول الانعام الذى تطول مدته على صاحبه (لا إله إلا هو) يعنى هو الموصوف بصفات الوحدانية التى لايوصف بها غيره (اليه المصير) أى مصير العباد اليه فى الاخرة قوله تعاله (ما يجادل) يعنى ما يخاصم ويحاجج فى آيات الله يعنى فى دفع ايات الله بالتكذيب والانكار إلا الذين كفروا قال ابو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون فى القرآن قوله تعالى مايجادل (فى آيات الله إلا الذين كفروا) وقوله وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال ان جددجا الافى القرآن كفر أخرجه أبوداود وقال المراء فى القران كفر وعن عمرو بن شعيب عن أبيه على جده قال رسول الله ﷺ قوما يتمارون فقال إنما هلك من كان قبلكم بهذا

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عزوجل (حم) قد سبق الكلام فى حروف التهجى قال السدى عن ابن عباس حم اسم الله الأعظم وروى عكرمة عنه قال الروحم ونون حروف الرحمن مقطعة وقال سعيد بن جبير وعطاء الخراسانى الحاء افتتاح اسمائه حكيم حميد حى حليم حنان والميم افتتاح أسمائه ملك مجيد منان وقال الضحاك والكسائى معناه قضى ما هو كائن كانه أشار إلى ان معناه حم بضم الحاء وتشديد الميم وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر حم بكسر الحاء والباقون بفتحها (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب) ساتر الذنب (وقابل التوب) يعنى التوبة مصدر تاب يتوب توبا وقيل التوب جمع توبة مثل دومة ودوم وحومة وحوم قال ابن

(١٠ - خازن - س) عباس غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله (شديد العقاب) لمن لايقول لا إله إلا الله (ذى الطرل) ذى الغنى عمن لايقول لا إله إلا الله قال مجاهد ذى الطول ذى السعة والغنى وقال الحسن ذو الفضل قال قتادة ذو النعم وقيل ذو القدرة وأصل الطول الانعام الذى تطول مدته على صاحبه (لا إله إلا هو اليه المصير مايجادل فى ايات الله) فى دفع ايات الله بالتكذيب والانكار (إلا الذين كفروا) قال أبو العالية ايتان ما أشدهما على الذين يجادلون فى القران مايجادل فى ايات الله الا الذين كفروا وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد اخبرنا أبو سعيد الشريحى انا أبو اسحق الثعلبى انا عبد الله بن احمد ثنا محمد بن خالد انا داود بن سليمان انا عبد الله بن حميد ثنا الحسين بن على الجعفى عن زائدة عن ليث عن سعد بن إبراهيم عن أبى سلمة

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال ان دجالا في القران كفر أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسمعيل بن محمد الصفار ثنا احمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله ﷺ قوما يتمارون في القرآن فقال إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم فكلوه إلى عالمه قوله تعالى (فلا يغررك تقلبهم في البلاد) تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة أمرهم العذاب نظيره قوله عز وجل لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد (كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم) وهم الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه والعرب تسمي الأسير أخيذا (وجادلوا بالباطل ليدحضوا) ليبطلوا (به الحق) الذي جاء به الرسل ومجادلتهم مثل قولهم إن أنتم إلا بشر مثلنا ولولا أنزل علينا الملائكة ونحو ذلك (فأخذتهم كيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك) يعني كما حقت كلمة العذاب على الأمم المكذبة حقت (على الذين كفروا من قومك (أنهم أصحاب النار) قال الأخفش لانهم أو بأنهم أصحاب النار قوله عز وجل (الذين يحملون العرش ومن حوله) حملة العرش سبعين

ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وإنما أنزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت إلى رسول الله ﷺ يوما فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب (فلا يغررك تقلبهم) يعني تصرفهم (في البلاد) للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة أمرهم العذاب (كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم) يعني الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه (وجادلوا) يعني خاصموا (بالباطل ليدحضوا) يعني ليبطلوا (به الحق) الذي جاءت به الرسل (فأخذتهم فكيف كان عقاب) يعني أنزلت بهم من الهلاك ما هموا هم بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابي إياهم أليس كان مهلكا مستأصلا (وكذلك حقت) أي وجبت (كلمة ربك) يعني كما وجبت كلمة العذاب على الأمم المكذبة حقت (على الذين كفروا) يعني من قومك (إنهم) يعني بأنهم (أصحاب النار) قوله عز وجل (الذين يحملون العرش) قيل حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أردفهم الله تعالى بأربعة أخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم أشرف الملائكة وأفضلهم لقربهم من الله عز وجل على صورة الأوعال وجاء في الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان منها على وجهه مخافة ان ينظر إلى العرش فيصعق وجناحان يهفوبهما في الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتمجيد ما بين اظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان اقدامهم في تخوم الأرضين والأرضون والسموات إلى حجزهم تسبيحهم سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقيل ان أرجلهم في الأرض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من التي تليها والتي تليها أشد خوفا من التي تليها وروى جابر عن النبي ﷺ قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود وأما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده انه قال ان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية كخفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام ويكسى العرش كل يوم ألف لون من النور لا يستطيع ان ينظر إليه خلق من خلق الله تعالى والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبني العرش سبعون ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لأهل السماء كما ان الكعبة قبلة لأهل الأرض قوله (ومن حوله) يعني الطائفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش

سبعين والطائفون به وهم الكروبيون وهم سادة الملائكة قال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة مائة عام ويروى ان اقدامهم في تخوم الأرض والأرضون والسموات إلى حجزتهم وهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقال ميمرة بن عبد ربه أرجلهم في الأرض السفلى

ورؤسهم تحت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من اهل السماء التي تليها والتي تليها أشد خوفا من التي تليها وقال مجاهد بين الملائكة والعرش سبعون حجابا من نور وروى محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لي أن احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقيه مسيرة سبعمائة عام وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده انه قال ان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين الف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب من نور وحجاب من ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقال وهب بن منبه أن حول العرش سبعون الف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويقبل هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون الف صف قيام أيديهم إلى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما اعظمك وأجلك انت الله لا إله غيرك انت الاكبر الخلق كلهم (٧٥) لك راجعون ومن وراء هؤلاء مائة الف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلا وهو يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلثمائة عام وما بين شحمة أذنه إلى عاتقه أربعمائة عام واحتجب الله من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در أبيض وسبعين حجابا من ياقوت أحمر وسبعين حجابا من زبرجد أخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد ومالا يعلمه إلا الله عز وجل * قوله تعالى (يسبحون بحمد ربهم) أي ينزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق (ويؤمنون به) اى يصدقون بانه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له * فان قلت قدم قوله يسبحون بحمد ربهم على قوله ويؤمنون به ولا يكون التسبيح إلا بعد الايمان فما فائدة قوله ويؤمنون به * قلت فائدته التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بني ادم (ويستغفرون للذين آمنوا) أي يسألون الله تعالى المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم أولا تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم في احد بشيء يكرهه أن يستغفر له (ربنا) أي ويقولون ربنا (وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله تعالى بما هو أهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك

سبعين الف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم إلى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا إله غيرك انت الاكبر والخلق كلهم اليك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة الف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلا يسبح بتحميد لا يسبحه الاخر ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلثمائة عام وما بين شحمة أذنه إلى عاتقه أربعمائة عام واحتجب الله عز وجل من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در أبيض وسبعين حجابا من ياقوت أحمر وسبعين حجابا من زبرجد أخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد ومالا يعلمه إلا الله عز وجل * قوله تعالى (يسبحون بحمد ربهم) أي ينزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق (ويؤمنون به) اى يصدقون بانه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له * فان قلت قدم قوله يسبحون بحمد ربهم على قوله ويؤمنون به ولا يكون التسبيح إلا بعد الايمان فما فائدة قوله ويؤمنون به * قلت فائدته التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بني ادم (ويستغفرون للذين آمنوا) أي يسألون الله تعالى المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم أولا تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم في احد بشيء يكرهه أن يستغفر له (ربنا) أي ويقولون ربنا (وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله تعالى بما هو أهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك

وسبعين حجابا من برد ومالا يعلمه إلا الله تعالى قال ولكل واحد من حملة العرش ومن حوله أربعة وجوه وجه ثور ووجه أسد ووجه نسر ووجه انسان ولكل واحد منهم أربعة أجنحة أما جناحان فعلى وجهه مخافة ان ينظر إلى العرش فيصعق واما جناحان فيهفو بهما كما يهفو هذا الطائر بجناحيه إذا حركه ليس لهم كلام إلا التسبيح والتحميد قوله عز وجل (يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به) يصدقون بانه واحد لا شريك له اخبرنا عبد الواحد المليحي انا ابو منصور السمعاني ثنا ابو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عمر بن عبد الرقاشي ثنا جعفر بن سليمان ثنا هرون بن رباب ثنا شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وكانهم ينظرون ذنوب بني ادم قوله عز وجل (ويستغفرون للذين امنوا ربنا) اى يقولون ربنا (وسعت كل شيء رحمه وعلما) قيل نصب على التفسير وقيل على النقل أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) دينك

(وقهم عذاب الجحيم) قال مطرف انصح عباد الله للمؤمنين هم الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح) آمن (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم) قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبي اين امي اين ولدي اين زوجتي فيقال إنهم لم يعملوا مثل عملك فيقول إني كنت أعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة (وقهم السيئات) العقوبات (ومن تق السيئات) أي ومن تقة السيئات يعني العقوبات وقيل جزاء السيئات (يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) قوله عز وجل (إن الذين كفروا ينادون) (٧٦) يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعاينوا

أي دينك (وقهم عذاب الجحيم) قال مطرف أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من اباءهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم) قيل إذا دخل المؤمن الجنة قال اين أبي واين امي واين ولدي وأين زوجتي فيقال انهم لم يعملوا عملك فيقول اني كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة فاذا اجتمع بأهله في الجنة كان اكمل لسروره ولذته (وقهم السيئات) أي عقوبات السيئات بأن تصونهم عن الأعمال الفاسدة التي توجب العقاب (ومن تق السيئات يومئذ) يعني من تقه في الدنيا (فقد رحمته) يعني في القيامة (وذلك هو الفوز العظيم) يعني النعيم الذي لا ينقطع في جوار مليك لا تصل العقول إلى كنه عظمته وجلاله * قوله تعالى (إن الذين كفروا ينادون) يعني يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فقال لهم (لمقت الله) يعني إياكم في الدنيا (اكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الايمان فتكفرون) اي اليوم عند حلول العذاب بكم (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا أمواتا في اصلاب اباءهم فأحياهم الله تعالى في الدنيا ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان وقيل اميتوا في الدنيا ثم أحيوا في القبر للسؤال ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا للبعث في الاخرة وذلك انهم عدوا اوقات البلاء والمحنة وهي اربعة الموتة الأولى ثم الحياة في القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث فأما الحياة الأولى التي هي من الدنيا فلم يعدها لأنها ليست من اقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهي حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتين وهي الموتة الأولى في الدنيا ثم الموتة الثانية في القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا حياة السؤال لقصر مدتها (فاعترفنا بذنوبنا) يعني انكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سألوا الرجعة بقولهم (فهل إلى خروج) اي من النار (من سبيل) والمعنى فهل إلى رجوع إلى الدنيا من سبيل لنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط من الخروج وإنما قالوا ذلك تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل إليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى (ذلكم بانه إذا دعي الله وحده كفرتم) معناه فأجيبوا ان لا سبيل إلى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم إذا دعي الله وحده كفرتم يعني إذا قيل لا إله إلا الله أنكرتم ذلك (وان يشرك به) اي غيره (تؤمنوا) اي تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله العلي) اي الذي لا أعلى منه (الكبير) اي الذي لا اكبر منه * قوله عز وجل (هو الذي يريكم اياته) اي عجائب مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته (وينزل لكم من السماء رزقا) اي المطر الذي هو سبب الارزاق (وما يتذكر) اي يتعظ بهذه الايات (إلا من ينيب) اي يرجع إلى الله تعالى في جميع اموره (فادعوا الله مخلصين له الدين) اي الطاعة والعبادة

أكبر من مقتكم انفسكم إذ تدعون إلى الايمان فتكفرون) يعني لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم اليوم انفسكم عند حلول العذاب بكم (قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة والضحاك كانوا امواتا في اصلاب اباءهم فأحياهم الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيامة فهما موتتان وحياتان وهذا كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال السدي اميتوا في الدنيا ثم احيوا في قبورهم للسؤال ثم اميتوا في قبورهم ثم احيوا في الاخرة (فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) اي الدنيا فنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك نظيره هل إلى مرد من سبيل قال الله تعالى (ذلكم بأنه إذا دعا الله وحده كفرتم) وفيه متروك ولو استغني عنه لدلالة الظاهر عليه مجازه فاجيبوا ان لا سبيل إلى ذلك وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم إذا دعي الله وحده كفرتم اي إذا قيل لا إله إلا الله انكرتم وقلتم اجعل الآلهة الها واحدا (وإن يشرك به) غيره (تؤمنوا) تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله العلي الكبير) الذي لا أعلى منه ولا اكبر (هو الذي يريكم اياته وينزل لكم من السماء رزقا) اي المطر الذي هو سبب الأرزاق (وما يتذكر) وما يتعظ بهذه الآيات (الا من ينيب) يرجع الى الله تعالى في جميع أموره (فادعوا الله مخلصين له الدين) الطاعة والعبادة

(ولو كره الكافرون رفيع الدرجات) رافع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة (ذو العرش) خالقه ومالكه (يلقى الروح) ينزل الوحي سماه روحا لأنه تحيا به القلوب كما تحيا به الأبدان بالأرواح (من امره) قال ابن عباس من قضائه وقيل من قوله وقال مقاتل بأمره (على من يشاء من عباده لينذر) أي لينذر النبي بالوحي (يوم التلاق) وقرأ يعقوب بالتاء أي لتنذر أنت يا محمد يوم التلاق يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض قال قتادة ومقاتل يلتقي فيه الخلق والخالق قال ابن زيد يتلاقى العباد وقال ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم والخصوم وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي فيه المرء مع عمله (يوم هم بارزون) خارجون من قبورهم (٧٧) ظاهرون لا يستترهم شيء (لا يخفى على الله منهم) من أعمالهم وأحوالهم (شيء) ويقول الله تعالى في ذلك اليوم بعد فناء الخلق (لمن الملك اليوم) فلا أحد يجيبه فيجيب بنفسه فيقول (لله الواحد القهار) الذي قهر الخلق بالموت (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته (لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب وانذرهم يوم الآزفة) يعني يوم القيامة سميت بذلك لأنها قريبة إذ كل ما هو آت قريب نظيره قوله عز وجل ازفت الازفة اى قربت القيامة (إذ القلوب لدى الحناجر) وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر فهي لا تعود إلى أماكنها وهي لا يخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا (كاظمين) مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به (ما للظالمين من حميم) قريب ينفعهم (ولا شفيع يطاع) فيشفع فيهم (يعلم خائنة الأعين) أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل قال مجاهد نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه (وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه) يعني الاوثان (لا يقضون بشيء) لانها لا تعلم شيئا ولا تقدر على شيء قرأ نافع وابن عامر تدعون بالتاء وقرأ الاخرون بالياء (إن الله هو السميع البصير أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة) قرأ ابن عامر منكم بالكاف وكذلك هو في مصاحفهم (وآثارا في الارض) فلم ينفعهم ذلك

(ولو كره الكافرون) * قوله تعالى (رفيع الدرجات) أي رافع درجات الأنبياء والأولياء والعلماء في الجنة وقيل معناه المرتفع اى انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته في صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغني عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء اليه (ذو العرش) اى خالقه ومالكه والفائدة في تخصيص العرش بالذكر لانه أعظم الأجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان أعظم كانت دلالته على كمال القدرة أقوى (يلقى الروح) يعني ينزل الوحي سماه روحا لأن به تحيا الأرواح كما تحيا الأبدان بالأرواح (من امره) قال ابن عباس من قضائه وقيل بأمره وقيل في قوله (على من يشاء من عباده) يعني الأنبياء (لينذر يوم التلاق) يعني لينذر النبي ﷺ بالوحي يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض وقيل يلتقي الخلق والخالق وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي المرء مع عمله وقيل يلتقي الظالم والمظلوم (يوم هم بارزون) اى خارجون من قبورهم ظاهرون لا يستترهم شيء (لا يخفى على الله منهم شيء) أي من أعمالهم وأحوالهم فان قلت إن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في سائر الأيام فما وجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون في الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم وتخفى عليه أعمالهم وهم في ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه في الدنيا (لمن الملك اليوم) أي يقول الله عز وجل في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا أحد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول (لله الواحد القهار) اى الذي قهر الخلق بالموت وقيل إذا حضر الأولون والآخرون في يوم القيامة نادى منادٍ لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق في يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه في الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة في العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه في الدنيا (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يعني يجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته (لا ظلم اليوم) اى ان الخلق آمنون في ذلك اليوم من الظلم لأن الله تعالى ليس بظلام للعبيد (إن الله سريع الحساب) أي أنه تعالى لا يشغله حساب عن حساب بل يحاسب الخلق كلهم في وقت واحد * قوله تعالى (وانذرهم يوم الآزفة) يعني يوم القيامة سميت آزفة لقرب وقتها وكل ما هو آت فهو قريب (إذ القلوب لدى الحناجر) وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر فلا هي تعود إلى أماكنها ولا هي تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا (كاظمين) أي مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا حتى يضيق القلب عنه (ما للظالمين من حميم) اى من قريب ينفعهم (ولا شفيع) اى يشفع لهم (يطاع) اى فيهم (يعلم خائنة الأعين) أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل وقيل هو نظر الأعين لما نهى الله عنه (وما تخفي الصدور) اى يعلم مضمرات القلوب (والله يقضي بالحق) اى يحكم بالعدل (والذين يدعون من دونه) يعني الأصنام (لا يقضون بشيء) لأنها لا تعلم شيأ ولا تقدر على شيء (إن الله هو السميع) أي لأقوال الخلق (البصير) بأفعالهم (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وأثارا في الأرض) اى المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا

(فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله واق) يدفع عنهم العذاب (وذلك) أى ذلك العذاب الذى نزل بهم (بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله أنه قوى شديد العقاب ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا) يعنى فرعون وقومه (اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه) قال قتادة هذا غير القتل الأول لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام أعاد القتل عليهم فعناه أعيدوا عليهم القتل (واستحيوا نساءهم) ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرته (وما كيد الكافرين) وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم (إلا فى ضلال) أى يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله عز وجل (وقال فرعون) لملئه (ذرونى اقتل موسى) وإنما قال هذا لأنه كان فى خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتله خوفا من الهلاك (وليدع ربه) أى وليدع موسى (٧٨) ربه الذى يزعم أنه أرسله الينا فيمنعه منا (إنى أخاف أن يبدل) أن يغير (دينكم) الذى

من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم (فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) أى يدفع عنهم العذاب (ذلك) أى ذلك العذاب الذى نزل بهم (بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله أنه قوى شديد العقاب) قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا) يعنى فرعون وقومه (اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه) قيل هذا القتل غير القتل الأول لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام أعاد القتل عليهم فعناه أعيدوا عليهم القتل (واستحيوا نساءهم) أى استحيوا النساء ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام ومظاهرته (وما كيد الكافرين) أى ومامكر فرعون وقومه واحتيالهم (إلا فى ضلال) يعنى ويذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله تعالى (وقال فرعون) أى لملئه (ذرونى أقتل موسى) وإنما قال فرعون هذا لأنه كان فى خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وإنما منعوه عن قتله لأنه كان فيهم من يعتقد بقلبه أنه كان صديقا وقيل قالوا لا نقتله فانه هو ساحر ضعيف فلا يقدر أن يغلب سحرنا وأن قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه (وليدع ربه) أى وليدع موسى ربه الذى يزعم أنه أرسله الينا فيمنعه منا (إنى أخاف ان يبدل دينكم) يعنى يقول فرعون أخاف أن يغير دينكم الذى أنتم عليه (وأن يظهر فى الأرض الفساد) يعنى ذلك تغيير الدين وتبديله وعباده غيره (وقال موسى) يعنى لما توعده فرعون بالقتل (إنى عذت بربى وربكم) يعنى أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يأت فى دفع الشدة إلا بأن استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم أن صانه الله عن كل بلية (من كل متكبر) أى متعظم عن الايمان (لا يؤمن بيوم الحساب) * قوله عز وجل) وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم إيمانه) قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بنى إسرائيل فعلى هذا يكون معنى الاية وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من ال فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزبيل عند ابن عباس واكثر العلماء وقال اسحق كان اسمه جبريل وقيل حبيب (أتقتلون رجلا أن يقول) اى لان يقول (ربى الله) وهذا استفهام انكار وهو اشارة إلى التوحيد * وقوله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) فيه إشارة إلى تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه (وإن يك كاذبا فعليه كذبه) أى لا يضركم ذلك إنما يعود وبال كذبه عليه (وإن يك صادقا) يعنى فكذبتموه (يصبكم بعض الذى يعدكم) قيل معناه يصبكم الذى يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على اصلها ومعناه كانه قاله على طريق الاحتجاج أقل مافى صدقه أن يصيبكم بعض الذى يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل (إن الله لا يهدى) يعنى إلى دينه (من هو مسرف كذاب) اى

اتم عليه (او ان يظهر فى الأرض الفساد) وقرا يعقوب واهل الكوفة او ان يظهر وقرا الاخرون وان يظهر وقرا اهل المدينة والبصرة وحفص يظهر بضم الياء وكسر الهاء على التعدية الفساد نصب لقوله ان يبدل دينكم حتى يكون الفعلان على نسق واحد وقرا الاخرون بفتح الياء لل الهاء على للزوم الفساد رفع واراد بالفساد تبديل الدين وعبادة غيره (وقال موسى) لما توعده فرعون بالقتل (إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم إيمانه) واختلفوا فى هذا المؤمن قال مقاتل والسدى كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذى حكى الله عنه فقال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى وقال قوم كان اسرائيليا ومجاز الاية وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من ال فرعون وكان

على

اسمه حزبيل عند ابن عباس واكثر العلماء وقال ابن اسحق كان اسمه جبريل وقيل كان اسم الرجل الذى امن من ال فرعون حبيبا (اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله) لان يقول ربى الله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) اى بما يدل على صدقه (وإن يك كاذبا فعليه كذبه) لا يضركم ذلك (وإن يك صادقا) فكذبتموه وهو صادق (يصبكم بعض الذى يعدكم) قال ابو عبيد المراد بالبعض الكل اى ان قتلتموه وهو صادق أصابكم ماوعدكم من العذاب قال الليث بعض ههنا صلة يريد يصبكم الذى يعدكم وقال اهل المعانى هذا على الظاهر فى الحجاج كانه قال اقل ماصدقه ان يصيبكم بعض الذى يعدكم وفى بعض ذلك هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل (إن الله لا يهدى) إلى دينه (من هو مسرف) مشرك (كذاب) على الله اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا على بن عبد الله ثنا الوليد بن مسلم حدثنى الأوزاعى حدثنى يحيى بن ابى كثير حدثنى محمد بن ابراهيم التيمى حدثنى عروة

ابن الزبير قال قلت لعبدالله بن عمرو بن العاص اخبرنى باشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال بينا رسول الله ﷺ يصلى بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابى معيط فاخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه به خنقا شديدا فاقبل ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال انتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض) غالبين فى ارض مصر (فمن ينصرنا من باس الله) من يمنعنا من عذاب الله (إذ جاءنا) والمعنى لكم الملك اليوم فلا تعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبى فانه لا مانع من عذاب الله ان حل بكم (قال فرعون ما اريكم) من الرأى والنصيحة (إلا ارى) لنفسى وقال الضحاك ما اعلمكم إلا ما اعلم (وما اهديكم إلا سبيل الرشاد) ما ادعوكم إلا إلى طريق الهدى (وقال الذى امن ياقوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) يعنى مثل عادتهم فى الاقامة على التكذيب حتى اتاهم العذاب (وما الله يريد ظلما للعباد) اى لا يهلكهم قبل ايجاب الحجة عليهم (وياقوم انى اخاف عليكم يوم التناد) يوم القيامة يدعى كل اناس بامامهم وينادى بعضهم بعضا فينادى اصحاب الجنة اصحاب النار واصحاب النار اصحاب الجنة وينادى اصحاب الاعراف وينادى بالسعادة والشقاوة الان فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وفلان ابن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وينادى حين يذبح الموت ياأهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت وقرا ابن عباس والضحاك يوم التناد بتشديد الدال اى يوم التنافر وذلك انهم هربوا فندوا فى الأرض كما تند الابل إذا شردت عن اربابها وقال الضحاك وكذلك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه فذلك قوله تعالى والملك على ارجائها وقوله يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا (يوم تولون مدبرين) منصرفين عن موقف الحساب الى النار وقال مجاهد فارين غير معجزين (ما لكم من الله من عاصم) يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل) يعنى يوسف بن يعقوب من قبل موسى (بالبينات) يعنى قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له (حتى إذا هلك) مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) اى

على الله تعالى (خ) عن عروة بن الزبير قال سألت عبدالله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ فقال بينا رسول الله ﷺ يصلى بفناء الكعبة إذ اقبل عقبة بن ابى معيط فاخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه فى عنقه وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم * قوله عز وجل (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض) يعنى غالبين فى الارض اى ارض مصر (فمن ينصرنا) يعنى يمنعنا (من باس الله ان جاءنا) والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبى فانه لا مانع من عذاب الله تعالى ان حل بكم (قال فرعون ما اريكم) اى من الراى والنصيحة (إلا ما ارى) يعنى لنفسى (وما اهديكم الا سبيل الرشاد) اى ما ادعوكم إلا إلى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى ان مؤمن ال فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه ان يحل به ما حل بالامم قبله بقوله (وقال الذين امن ياقوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) يعنى مثل عادتهم فى الاقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب (وما الله يريد ظلما للعباد) يعنى لا يهلكهم إلا بعد اقامة الحجة عليهم (وياقوم إنى اخاف عليكم يوم التناد) يعنى يوم القيامة سمى يوم التناد لانه يدعى فيه كل أناس بامامهم وينادى بعضهم بعضا فينادى أصحاب الجنة أصحاب النار وينادى اصحاب النار اصحاب الجنة وينادى فيه بالسعادة والشقاوة الا ان فلان ابن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وفلان ابن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادى حين يذبح الموت ياأهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت وقيل ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادى الكافر ياليتنى لم أوت كتابيه وقيل يوم التنافر من ند البعير إذا نفر وهرب وذلك انهم إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون إلى المكان الذى كانوا فيه (يوم تولون مدبرين) يعنى منصرفين عن موقف الحساب إلى النار (ما لكم من الله عاصم) يعنى يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فما له من هاد) يعنى يهديه (ولقد جاءكم يوسف) يعنى يوسف بن يعقوب (من قبل) يعنى من قبل موسى (بالبينات) يعنى قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار قيل مكث فيهما يوسف عشرين سنة نبيا وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون اخر (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى انهم بقوا شاكين فى نبوته لم ينتفوا بتلك البينات التى جاءهم بها (حتى إذا هلك) يعنى مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) يعنى أقمتم على كفركم وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة وإنما قالوا ذلك على سبيل التشهى والتمنى من غير حجة ولا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم أساسا فى تكذيب الأنبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم لو يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وإنما هو

فتم على كفركم وظننتم أن الله لا يجد الحجة (كذلك يضل الله من هو مسرف) مشرك (مرتاب) شاك (إن الذين يجادلون فى آيات الله) قال الزجاج هذا تفسير للمسرف المرتاب يعنى الذين يجادلون فى آيات الله أى فى إبطالها بالتكذيب (بغير سلطان) حجة (أتاهم) من الله (كبر مقتا) أى كبر ذلك الجدال مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قرأ أبو عمرو وابن عامر قلب بالتنوين وقرأ الاخرون بالاضافة دليله قراءة عبد الله بن مسعود على كل قلب كل متكبر جبار (وقال فرعون) لوزيره (ياهامان ابن لى صرحا) والصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وان بعد واصله من التصريح وهو الاظهار (لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات) يعنى طرقها وأبوابها من سماء إلى سماء (فاطلع إلى إله موسى) قراءة العامة برفع العين نسقا على قوله أبلغ الأسباب وقرأ حفص عن عاصم بنصب العين وهى قراءة حميد الأعرج (٨٠) على جواب لعل بالفاء (وإنى لأظنه) يعنى موسى (كاذبا) فيما يقولون ان له ربا غيرى وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قرأ أهل الكوفة ويعقوب وصد بضم الصاد نسقا على قوله زين لفرعون قال ابن عباس صده الله عن سبيل الهدى وقرأ الاخرون بالفتح اى صد فرعون الناس عن السبيل (وما كيد فرعون الا فى تباب) يعنى وما كيده ابطال ايات الله وآيات موسى الا فى خسار وهلاك (وقال الذى امن ياقوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد) طريق الهدى (ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) متعة تنتفعون بها مدة ثم تنقطع (وان الاخرة هى دار القرار) التى تزول (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب)

تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى التكذيب لرسالته (كذلك يضل الله من هو مسرف) يعنى فى شركه وعصيانه (مرتاب) يعنى فى دينه (الذين يجادلون فى ايات الله) قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعنى الذين يجادلون فى ابطال ايات الله بالتكذيب (بغير سلطان) أى بغير حجة وبرهان (أتاهم) من الله (كبر) أى ذلك الجدال (مقتا عند الله وعند الذين امنوا كذلك يطبع الله على كل قلب ميكبر جتار) قوله عز وجل (وقال فرعون) يعنى (ياهامان ابن لى صرحا) يعنى بناء ظاهرا لا يخفى على الناظرين وإن بعد وقد تقدم ذكره فى سورة القصص (لعلى ابلغ الأسباب اسباب السموات) يعنى فارقها وابوابها من سماء إلى سماء (فاطلع إلى إله موسى وانى لأظنه) يعنى موسى (كاذبا) أى فيما يدعى ويقول ان ربا غيرى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قال ابن عباس رضى الله عنهما صده الله تعالى عن سبيل الهدى وقرىء وصد بالفتح أى وصد فرعون الناس السبيل (وما كيد فرعون إلا فى تباب) أى وما كيده فى ابطال ايات موسى إلا فى خسار وهلاك * قوله تعالى (وقال الذى امن ياقوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد) أى طريق الهدى (ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) أى متعة ينتفعون بها مدة تنقطع (وإن الاخرة هى دار القرار) (يعنى التى لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة لا منفعة فيها وان الاخرة باقية دائمة والباقى خير من الفانى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والاخرة خزفا باقيا لكانت الاخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والاخرة ذهب باق (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها) قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصى فجزاؤه العقوبة بقدرها (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يعنى لا تبعه عليهم فيما يعطون فى الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا بغير تقتير (ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى إلى النار) معناه انا ادعوكم الى الايمان الذين يوجب النجاة من النار وانتم تدعوننى الى الشرك يوجب النار ثم فسر ذلك فقال (تدعوننى لأكفر بالله واشرك به ما ليس به علم) أى لا أعلم ان الذى تدعوننى اليه إله وما ليس به اله كيف يعقل جعله شريكا للاله الحق وما بين أنهم يدعونه الى الكفر والشرك بين ان يدعوهم إلى الايمان بقوله (وأنا أدعوكم الى العزيز) أى فى انتقامه ممن كفر (الغفار) أى لذنوب أهل التوحيد (لا جرم) يعنى حقا (ان ما تدعوننى اليه) يعنى الصنم (ليس له دعوة فى الدنيا ولا الاخرة) يعنى ليست له استجابة دعوة لأحد فى الدنيا ولا فى الاخرة وقيل ليست له دعوة الى عبادته فى الدنيا ولا فى الاخرة لأن

الأصنام

قال مقاتل لا تبعه عليهم فيما يطول فى الجنة من الخير (ويا قوم مالى أدعوكم إلى النجاة) يعنى ما لكم كما تقول العرب مالى أراك حزينا أى ما لك يقول أخبرونى عنكم كيف هذه الحال أدعوكم الى النجاة من النار بالايمان بالله (وتدعوننى الى النار) الى الشرك الذى يوجب النار ثم فسر فقال (تدعوننى لا كفر بالله واشرك به ما ليس لى به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار) العزيز فى انتقامه ممن كفر الغفار لذنوب أهل التوحيد (لا جرم) حقا (ان ما تدعوننى اليه) أى الى الوثن (ليس له دعوة الدنيا ولا فى الاخرة) قال السدى لا يستجيب لاحد فى الدنيا ولا فى الاخرة يعنى ليست له استجابة دعوة وقيل ليست له دعوة الى عبادته فى الدنيا لان الاوثان لا تدعى الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفى الاخرة تتبرأ من عابديها

(وأن مردنا إلى الله) مرجعنا إلى الله فيجازى كلا بما يستحق (وأن المسرفين) المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) إذ عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر (وأفوض أمرى إلى الله) وذلك أنهم توعدوه لمخالفته دينهم (ان الله بصير بالعباد) يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله عز وجل (فوقاه الله سيئات ما مكروا) ما أرادوا به من الشر قال قتادة نجا مع موسى وكان قبطيا (وحاق) نزل (بال فرعون سوء العذاب) الغرق فى الدنيا والنار فى الاخرة وذلك قوله (النار) هى رفع على البدل من السوء (يعرضون عليها غدوا وعشيا) صباحا ومساء قال ابن مسعود أرواح آل فرعون فى أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى النار ويقال يا آل فرعون هذه مأواكم حتى تقوم الساعة وقال قتادة ومقاتل والسدى والكلبى تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا مادامت الدنيا اخبرنا ابو الحسن السرخسى انا زاهر بن أحمد انا (٨١) ابو اسحق الهاشمى أنا ابو مصعب

الأصنام لا تدعى الربوبية ولا تدعو إلى عبادتها وفى الاخرة تتبرأ من عابديها (وان مردنا إلى الله) يعنى مرجعنا إلى فيجازى كلا بما يستحقه (وان المسرفين) يعنى المشركين (هم اصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) اى إذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر (وافوض امرى إلى الله) اى اردامرى إلى الله وذلك انهم توعدوه لمخالفته دينهم (إن الله بصير بالعباد) يعنى يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله تعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا) يعنى ما أرادوا به من الشر قيل انه نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام وكان قبطيا (وحاق) اى نزل (بال فرعون سوء العذاب) اى الغرق فى الدنيا والنار فى الاخرة وذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) اى صباحا ومساء. قال ابن مسعود ارواح آل فرعون فى أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا مادامت الدنيا ويستدل بهذه الاية على اثبات عذاب القبر اعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه (ق) عن عبد الله بن عمر ان رسول الله ﷺ قال إن احدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وإن كان من اهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى إليه يوم القيامة ثم اخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى (ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون) اى يقال لهم ادخلوا يا ال فرعون (اشد العذاب) قال ابن عباس ألوان من العذاب غير الذى كانوا يعذبون بها منذ غرقوا * قوله تعالى (وإذ يتحاجون) اى واذكر يا محمد لقومك إذ يختصمون اى اهل النار (فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا) اى فى الدنيا (فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا) اى الرؤساء والقادة (انا كل فيها) يعنى نحن وانتم (إن الله قد حكم بين العباد) اى قضى علينا وعليكم (وقال الذين فى النار) اى حين اشتد عليهم العذاب (لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا) اى الخزنة (اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) يعنى لا عذر لكم بعد مجىء الرسل (قالوا بلى) اى اعترفوا بذلك (قالوا فادعوا) يعنى انتم انا لا ندعو لكم لأنهم علموا انه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى (وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) اى يبطل ويضل ولا ينفعهم * قوله عز وجل (انا لننصر رسلنا والذين امنوا فى الحياة الدنيا) قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الأعداء فى الدنيا والاخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم الله بالقهر على من عاداهم

عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة فمن أهل النار فمن أهل النار فيقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة ثم اخبر الله عن مستقرهم يوم القيامة فقال (ويوم تقوم الساعة أدخلوا) قرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وأبو بكر الساعة أدخلوا بحذف الألف والوصل وبضمها فى الابتداء وضم الخاء من الدخول اى يقال لهم أدخلوا يا (آل فرعون أشد العذاب) وقرأ الاخرون أدخلوا بقطع الألف وكسر الخاء من الادخال اى يقال للملائكة

(١١ - خازن - س) ادخلوا ال فرعون اشد العذاب قال ابن عباس يريد الوان العذاب غير الذى كانوا يعذبون به منذ غرقوا (وإذ يتحاجون فى النار) اى اذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون يعنى اهل النار فى النار (فيقول الضعفاء للذين استكبروا (انا كنا لكم تبعا) فى الدنيا (فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار) والتبع يكون واحدا وجمعا فى قول اهل البصرة واحده تابع وقال اهل الكوفة هو جمع لا واحد له وجمعه اتباع (قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين فى النار) حين اشتد عليهم العذاب (لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا) اى خزنة جهنم لهم (اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا) انتم اذا ربكم اى انا لا ندعو لكم لأنهم علموا انه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) اى يبطل ويضل ولا ينفعهم قوله عز وجل (انا لننصر رسلنا والذين امنوا فى الحياة الدنيا) قال ابن عباس بالغلبة والقهر

وقال الضحاك بالحجة وفى الاخرة بالعذاب وقيل بالانتقام من الأعداء فى الدنيا وفى الاخرة وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين فهم منصورون بالحجة على من خالفهم وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوأهم وإهلاك اعداؤهم ونصرهم بعد ان قتلوا بالانتقام من اعدائهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل قتل به سبعون الفا فهم منصورون باحد هذه الوجوه (ويوم يقوم الاشهاد) اى يوم القيامة يقوم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) ان اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم وان تابوا لم ينفعهم (ولهم اللعنة) البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) اى جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) قال مقاتل الهدى من الضلالة يعنى التوراة (وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب) التوراة (هدى وذكرى لأولى الألباب فاصبر) يا محمد على اذاهم (ان وعد الله) فى اظهار دينك وإهلاك أعدائك (حق) قال الكلبى نسخت آية القتال آية الصبر (واستغفر لذنبك) هذا تعبد من الله ليزيده به درجة ولصير سنة لمن بعده (وسبح بحمد ربك) صلى شاكرا لربك (بالعشى والابكار) قال الحسن يعنى صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس (إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم ان فى صدورهم) ما فى قلوبهم والصدر موضع القلب فكنى به عن القلب لقرب الجوار (الا كبر) قال ابن عباس ما يحملهم على تكذيبك الا ما فى صدورهم من الكبر والعظمة (ماهم ببالغيه) قال مجاهد ماهم ببالغى مقتضى ذلك الكبر لأن الله عز وجل مذلهم قال ابن قتيبة ان فى صدورهم إلا تكبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع فى ان يغلبوه وماهم ببالغى ذلك قال اهل التفسير نزلت فى اليهود وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج فى اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى (فاستعذ بالله) اى من فتنة الدجال (انه هو السميع) يعنى لأقوالهم (البصير) يعنى بأفعالهم * قوله عز وجل (لخلق السموات والأرض) اى مع عظمها (اكبر من خلق الناس) اى من اعادتهم بعد الموت والمعنى انهم مقرون ان تعالى خلق السموات والأرض وذلك اعظم فى الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) اى أن الكفار لا يعلمون حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم معنى اكبر من خلق الناس اى أعظم من خلق الدجال ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعنى اليهود الذين يخاصمون فى امر الدجال اعداء هم

وأهلك بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل به سبعين ألفا (ويوم يقوم الاشهاد) يعنى وننصرهم يوم القيامة يوم يقوم الاشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) أى إن اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم (ولهم اللعنة) أى البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يعنى جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) اى النبوة وقيل التوراة (وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب) اى التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة على انبيائهم (هدى وذكرى لأولى الألباب) * قوله تعالى (فاصبر) اى يا محمد على اذاهم (إن وعد الله حق) اى فى اظهار دينك وإهلاك أعدائك قال الكلبى نسخت آية القتال آية الصبر (واستغفر لذنبك) اى الصغائر وهذا على قول من يجوزها على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل يعنى على ترك الأولى والأفضل وقيل على ما صدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغائر على الأنبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى لنبيه ﷺ ليزيده درجة ولتصير سنة لغيره من بعده وذلك لان مجامع الطاعات محصورة فى قسمين التوبة عما لا ينبغى والاشتغال بما ينبغى والأول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثانى الاشتغال بالطاعات وهو قوله تعالى (وسبح بحمد ربك) اى نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك (بالعشى والابكار) يعنى صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس (إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم) اى كفار قريش (ان فى صدورهم) اى ما فى قلوبهم (إلا كبر) قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك إلا ما فى صدورهم من الكبر والعظمة (ماهم ببالغيه) يعنى ببالغى مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان فى صدورهم الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وماهم ببالغى ذلك وقيل نزلت فى اليهود وذلك انهم قالوا للنبى ﷺ ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج فى اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى (فاستعذ بالله) اى من فتنة الدجال (انه هو السميع) يعنى لأقوالهم (البصير) يعنى بأفعالهم * قوله عز وجل (لخلق السموات والأرض) اى مع عظمها (اكبر من خلق الناس) اى من اعادتهم بعد الموت والمعنى انهم مقرون ان تعالى خلق السموات والأرض وذلك اعظم فى الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) اى أن الكفار لا يعلمون حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم معنى اكبر من خلق الناس اى أعظم من خلق الدجال ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعنى اليهود الذين يخاصمون فى امر الدجال اعداء هم

المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج فى آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى (فاستعذ بالله) من فتنة الدجال (انه هو السميع البصير لخلق السموات والأرض) مع عظمها (اكبر) اعظم فى الصدور (من خلق الناس) أى من اعادتهم بعد الموت (ولكن اكثر الناس) يعنى الكفار (لا يعلمون) حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم اكبر اى اعظم من خلق الدجال ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى اليهود الذين يخاصمون فى أمر الدجال وروى عن هشام بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما بين خلق ادم الى قيام الساعة خلق اكبر فتنة من الدجال اخبرنا ابو سعيد عبد الله بن احمد الطاهرى انا جدى عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار انا محمد بن زكريا العذافرى أنا اسحق بن ابراهيم الدبرى ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت كان رسول الله ﷺ فى بيتى فذكر الدجال فقال ان يديه ثلاث سنين تمسك السماء فيها أول سنة ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والأرض ثلثى نباتها والثالثة تمسك السماء

قطرها كله والأرض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلك وأن من أشد فتنته أنه يأتى الأعرابى فيقول أرأيت أن أحييت لك ابلك أليس تعلم أنى ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو أبله كاحسن ما يكون ضروعا وأعظمه اسنمة قال ويأتى الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت ان أحييت لك أباك وأخاك الست تعلم أنى ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو أبيه ونحو أخيه قالت ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته ثم رجع القوم فى اهتمام وغم مما حدثهم قالت فأخذ بلحمتى الباب فقال مهيم أسماء فقلت يارسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وأنا حى فأنا حجيجه وإلا فان ربى خليفتى على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يارسول الله وانا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين ويومئذ قال يجزيهم ما يجزى أهل السماء من (٨٣) التسبيح والتقديس وبهذا الاسناد

﴿فصل فى ذكر الدجال﴾ (م) عن هشام بن عروة قال سمعت النبى ﷺ يقول ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال معناه أكبر فتنة وأعظم شوكة من الدجال (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ ذكر الدجال فقال أنه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافئة ولابى داود والترمذى عنه قال قام النبى ﷺ فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال إنى أنذركموه وما من نبى إلا وقد أنذره قومه لقد انذره نوح قومه ولكنى سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس باعور (ق) عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من نبى إلا وقد أنذر قومه الأعور الكذاب إلا انه اعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر وفى رواية لمسلم بين عينيه كافر ثم تهجى ك ف ر يقرؤه كل مسلم عن اسماء بنت يزيد الأنصارية قالت كان النبى ﷺ فى بيتى فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة سنة تمسك السماء ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والأرض ثلثى نباتها تمسك السماء قطرها والأرض نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ضرس من البهائم إلا هلكت ومن اشد فتنته انه يأتى الاعرابى فيقول ارايت ان احييت لك ابلك الست تعلم انى ربك قال فيقول بلى فيتمثل الشيطان نحو ابله كاحسن ما تكون ضروعا واعظمه اسنمة ويأتى الرجل قد مات اخوه ومات ابوه فيقول ارايت ان احييت لك اخاك وابالا الست تعلم انى ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو اخيه ونحو ابيه قالت ثم خرج النبى ﷺ لحاجته ثم رجع القوم فى اهتمام وغم مما حدثهم قالت واخذ بلحمتى الباب فقال مهيم اسماء فقلت يارسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال أن يخرج وانا حى فانا حجيجه وإلا فان ربى خليفتى على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يارسول الله وانا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزى اهل التسبيح والتقديس وفى رواية عنها قالت قال النبى ﷺ يمكث الدجال فى الأرض أربعين سنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة فى النار هذا حديث أخرجه البغوى بسنده والذى جاء فى صحيح مسلم قال قلنا يارسول الله مالبثه فى الأرض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كأيامكم هذه قلنا يارسول الله فذاك اليوم الذى كسنة اتكفينا له صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استذرته الريح وفى رواية ابى داود عنه فمن ادركه منكم فليقرا عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقى دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله (ق) عن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ

اخبرنا معمر عن ابن خيثم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله ﷺ يمكث الدجال فى الأرض اربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة فى النار اخبرنا ابو سعيد الطاهرى انا جدى عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافرى أنا اسحق الدبرى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر قال قام رسول الله ﷺ فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال أنى لانذركموه وما من نبى إلا أنذر قومه لقد أنذر نوح قومه ولكنى سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه تعلمون انه أعور وإن الله ليس بأعور أخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل

ثنا جويرية عن نافع عن عبد الله قال ذكر الدجال عند النبى ﷺ فقال إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه وأن المسيح الدجال اعور العين اليمنى كان عينه عنبة طافية أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر الجرجانى أنا عبد الغافر بن محمد الفارسى أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا على بن حجر ثنا شعيب بن صفوان عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن حراش عن عقبة بن عمر وأبى مسعود الأنصارى قال انطلقت معه إلى حذيفة بن اليمان فقال له عقبة حدثنى ما سمعت من رسول الله ﷺ فى الدجال قال أن الدجال يخرج وأن معه ماء ونارا فأما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق وأما الذى يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه نارا فانه ماء عذب طيب فقال عقبة وانا قد سمعته تصديقا لحذيفة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل حدثنى ابراهيم بن المنذر ثنا ابن الوليد حدثنا ابن عمرو

ثنا اسحق حدثنى أنس بن مالك عن (٨٤) النبى ﷺ قال ليس من بلد إلا سيطأه الدجال إلا مكة والمدينة ليس من نقابها نقب إلا عليه الملائكة

صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق اخبرنا ابو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى انا ابو الحسن على بن عبدالله الطيسفونى انا عبد الله بن عمر الجوهرى ثنا احمد بن على الكشميهنى ثنا على بن حجر ثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال يأتى المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر احد ثم تصرف الملائكة وجهة قبل الشام وهناك يهلك اخبرنا ابو سعيد الطاهرى انا جدى عبد الصمد البزار انا محمد بن زكريا العذافرى انا اسحق الدبرى ثنا عبد الرازق انا معمر عن هرون العبدى عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ يتبع الدجال من امتى سبعون الفا عليهم السجان ويرويه ابو امامة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال مع الدجال يومئذ سبعون الف يهودى كلهم ذو تاج وسيف محلى قوله تعالى (وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ما تتذكرون) قرا اهل الكوفة تتذكرون بالتاء وقرا الاخرون بالياء لان

يقول أن مع الدجال إذا خرج ماء ونارا فأما الذى يرى الناس أنه نار فماء بارد وأما الذى يرى الناس أنه ماء فنار محرقة فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يرى انه نار فانه ماء عذب بارد (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ الا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبى قومه انه اعور وأنه يجىء بمثال الجنة والنار فالتى يقول أنها الجنة هى النار وإنى أنذركم كما أنذر نوح قومه (ق) عن المغيرة ابن شعبة قال ما سأل أحد رسول الله ﷺ عن الدجال ما سألته وأنه قال لى ما يضرك قلت أنهم يقولون أن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك عن عمران بن حصين ان رسول الله ﷺ قال من سمع بالدجال فليتأمنه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب انه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات او قال لما يبعث به من الشبهات اخرجه أبو داود (ق) عن انس ان رسول الله ﷺ قال ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس نقب من نقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق (م) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال يأتى المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك عن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ قال الدجاج يخرج بأرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة عن مجمع بن جارية الأنصارى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محيى الدين النووى قال القاضى عياض هذه الاحاديث التى وردت فى قصة الدجال للمذهب الحق فى صحة وجوده وانه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده فاقدره على أشياء من المقدورات من إحياء الميت الذى يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا الخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وامره السماء أن تمطر فتمطر والارض أن تنبت فتنبت ويقع كل ذلك بقدره الله تعالى وفتنته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى ابن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت هذا مذهب اهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافا لمن انكره وابطل امره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائى المعتزل وموافقيه من الجهمية وغيرهم فى انه صحيح الوجود ولكن الاشياء التى يأتى بها زعموا انها مخاريق وخيالات لا حقائق لها وزعموا أنها لو كانت حقا لضاهت معجزات الانبياء وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وإنما يدعى الربوبية وهو فى نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذى فى عينه وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لا يغتر به الاعوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة فى سد الرمق أو خوفا من فتنته لان فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبياء من فتنته فأما اهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذى يقتله ثم يحييه ما ازددت فيه إلا بصيرة قوله قلت يا رسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو اهون على الله تعالى من ذلك معناه هذا اهون على الله تعالى من ان يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا للمؤمنين ومشاكسا لقلوبهم بل إنما جعله الله له ليزداد الذين آمنوا إيمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه انه ليس معه شىء من ذلك لانه ثبت فى الحديث ان معه ماء ونارا فماؤه نار ونار ماء بارد والله تعالى اعلم * قوله عز وجل (وما يستوى الاعمى والبصير) اى الجاهل والعالم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء) اى لا يستوون (قليلا ما تتذكرون ان الساعة) يعنى القيامة (لاتية لاريب فيها) اى لا شك فى قيامة ومجيئها

اول الآيات وآخرها خبر عن قوم (إن الساعة) اى القيامة لاتية لاريب فيها

(ولكن

ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) أى اعبدونى دون غيرى أجنكم وأثبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الاثابة استجابة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد عبد الجبار الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن منصور عن أبى ذرعن يسبيع الكندى عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر أن الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعونى أستجب لكم (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين)

(ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أى لا يصدقون بالبعث بعد الموت * قوله تعالى (وقال ربكم ادعونى استجب لكم) اى اعبدونى دون غيرى اجبكم واثبكم واغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الاثابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعونى استجب لكم أن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من لم يسال الله يغضب عليه اخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن انس بن مالك قال الدعاء مخ العبادة اخرجه الترمذى وعنه عن النبى ﷺ قال ليس شىء اكرم على الله من الدعاء اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * فان قلت كيف قال ادعونى استجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له * قلت الدعاء له شروط منها الاخلاص فى الدعاء وان لا يدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء وان يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للانسان وان لا يكون فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما ان يعجلها له وإما ان يؤخرها له يدل عليه ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له فاما ان يعجل له به فى الدنيا وإما ان يؤخر له فى الآخرة وإما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربى فما استجاب لى اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال (إن الذين يستكبرون عن عبادتى) اى عن توحيدى وقيل عن دعائى (سيدخلون جهنم داخرين) اى صاغرين ذليلين * قوله عز وجل (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) اى لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون (والنهار مبصرا) اى لتحصل لكم فيه مكنة الصرف فى حوائجكم ومهماتكم (إن الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم) اى ذلكم المميز بالافعال الخاصة التى لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم (خالق كل شىء لا إله إلا هو) اى هو الجامع لهذه الأوصاف من الالهية والربوبية وخلق الأشياء كلها وانه لا شريك له فى ذلك (فانى تؤفكون) اى فانى تصرفون عن الحق (كذلك) اى كما افكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الأرض قرارا) اى فراشا لتستقروا عليها وقيل منزلا فى حال الحياة وبعد الموت (والسماء بناء) اى سقفا مرفوعا كالقبة (وصوركم فاحسن صوركم) اى خلقكم فاحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن ادم يتناول بفيه (ورزقكم من الطيبات) قيل هو ما خلق الله تعالى لعباده من المأكل والمشرب من غير رزق الدواب (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى) وهذا يفيد الحصر اى لا حى إلا هو فوجب ان يحمل ذلك على الذى يمتنع ان يموت امتناعا تاما ثابتا وهو الله تعالى الذى لا يوصف بالحياة الكاملة إلا هو والحى هو المدرك الفعال لما يريد وهذه إشارة إلى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانية بقوله (لا اله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) اى فادعوه واحمدوه قال ابن عباس من قال لا إله إلا الله فليقل على اثرها لله رب العالمين (قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وامرت

اخبرنا ابو بكر محمد بن احمد بن على الزرقى ثنا الحسن على بن يوسف الشيرازى انا ابو الحسن احمد بن محمد ابن موسى القرشى ببغداد ثنا محمد بن عبيد بن العلاء ثنا احمد بن بديل ثنا وكيع ثنا ابو المليح قال سمعت ابا صالح يذكر عن ابى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من لم يدع الله غضب الله عليه وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين قرأ ابن كثير وابو جعفر وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء وقرأ الاخرون بفتح الياء وضم الخاء ومعنى داخرين صاغرين ذليلين (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا اله إلا هو فأنى تؤفكون كذلك) يعنى كما افكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله

الذى جعل لكم الأرض قرارا) فراشا (والسماء بناء) سقفا كالقبة (وصوركم فأحسن صوركم) قال مقاتل خلقكم فأحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغيره ابن آدم يتناول بفيه (ورزقكم من الطيبات) قيل هو من غير رزق الدواب ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) قال الفراء هو خبر وفيه اضمار الأمر مجازه فادعوه واحمدوه وروى عن مجاهد عن ابن عباس قال من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين فذلك قوله عز وجل فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين (قل إنى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت

أن أسلم لرب العالمين) وذلك حين دعى إلى الكفر (هو خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) أى أطفالا (ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومن يتوفى من قبل) أى من قبل أن يصير شيخاً (ولتبلغوا) جميعا (أجلا مسمى) وقتا معلوما محدوداً لا تجاوزنه يريد أجل الحياة إلى الموت (ولعلكم تعقلون) أى لكى تعقلوا توحيد ربكم وقدرته (هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ألم تر إلى الذين يجادلون فى آيات الله) يعنى القرآن يقولون ليس من عند الله (انى يصرفون) كيف يصرفون عن دين الحق قيل هم المشركون وعن محمد بن سيرين وجماعة انها نزلت فى القدرية (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به فسوف يعلمون إذ

الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون) يجرون (فى الحميم ثم فى النار يسجرون) قال مقاتل توقد بهم النار وقال مجاهد يصيرون وقودا للنار (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله) يعنى الأصنام (قالوا ضلوا عنا) فقدناهم فلا نراهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) قيل انكروا وقيل معناه بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا ينفع ويضر وقال الحسن بن الفضل أى لم نكن نصنع من قبل شيئا أى ضاعت عبادتنا لها كما يقول من ضاع عمله ما كنت اعمل شيئا قال الله عز وجل (كذلك) أى كما أضل هؤلاء (يضل الله الكافرين ذلكم) العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون) تبطرون وتأشرون (فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) يفرحون وتختالون (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فاصبر إن وعد الله) بنصرك (حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم) من العذاب فى حياتك تنكرون

أن أسلم لرب العالمين) وذلك حين دعى إلى الكفر أمره الله تعالى أن يقول ذلك * قوله تعالى (هو الذى خلقكم من تراب) يعنى اصلكم آدم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لأنه خلق من النطفة وهى من الأغذية والأغذية من النبات والنبات من التراب (ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا) يعنى أن مراتب الانسان بعد خروجه من بطن أمه ثلاث الطفولية وهى حالة النمو والزيادة إلى أن يبلغ كمال الأشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهى الشيوخة (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل أن يصير شيخا (ولتبلغوا) اى جميعا (اجلا مسمى) أى وقتا محدودا لا تجاوزونه يعنى أجل الحياة إلى الموت (ولعلكم تعقلون) أى ما فى هذه الأحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته (هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أى يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الأحياء والأماتة وسائر ماذكر من الأفعال الدالة على قدرته كانه قال من الافتدار إذا قضى أمرا كان أهون شىء وأسرعه * قوله تعالى (ألم تر إلى الذين يجادلون فى آيات الله) يعنى القرآن (انى يصرفون) أى عن دين الحق وقيل نزلت فى القدرية (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون) فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما أوعدهم به فقال تعالى (إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون) يعنى يجرون بتلك السلاسل (فى الحميم ثم فى النار يسجرون) يعنى توقد بهم النار (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله) يعنى الاصنام (قالوا ضلوا عنا) اى فقدناهم فلم نرهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) قيل انهم انكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعوا شيئا ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكانا لم نكن ندعوا من قبل شيئا (كذلك يضل الله الكافرين) أى كما اضل هؤلاء (ذلكم) أى العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون) اى تبطرون وتاشرون (فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) أى تختارون وتفرحون به (ادخلوا أبواب جهنم) يعنى السبعة (خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) يعنى عن الايمان * قوله تعالى (فاصبر إن وعد الله حق) الخطاب للنبى ﷺ أى بنصرك على الأعداء (فاما نرينك بعض الذى نعدهم) أى من العذاب فى حياتك (او نتوفينك) أى قبل أن يحل ذلك بهم (فالينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) اى خبره وحاله فى القرآن (ومنهم من لم نقصص عليك) أى ولم نذكر لك حال الباقين منهم وليس منهم أحد إلا أعطاه الله تعالى آيات ومعجزات وقد جادله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم يقارب ما جرى عليك فصبروا وهذا تسلية لنبيه ﷺ (وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا باذن الله) يعنى بامره وإرادته (فاذا جاء أمر الله) أى قضاؤه بين الأنبياء والأمم (قضى بالحق) يعنى بالعدل (وخسر هنالك المبطلون) يعنى الذين يجادلون فى آيات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم * قوله تعالى (الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع) أى فى أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) أى تحمل أثقالكم من بلد إلى بلد فى أسفاركم وحاجاتكم (وعليها وعلى الفلك تحملون) أى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر (ويريكم آياته) أى دلائل قدرته فأى آيات الله

(تنكرون) (او نتوفينك) قبل أن يحل ذلك بهم (فالينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) خبرهم فى القرآن (ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا باذن الله) بأمر الله وإرادته (فاذا جاء امر الله) قضاؤه بين الأنبياء والأمم (قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها) بعضها (ومنها تأكلون ولكم فيها منافع) فى اصوافها واوبارها واشعارها وألبانها (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) تحمل اثقالكم من بلد إلى بلد ولتبلغوا عليها حاجاتكم (وعليها وعلى الفلك تحملون) اى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر نظيره قوله تعالى وحملناهم فى البر والبحر (ويريكم آياته) دلائل قدرته (فأى آيات الله

تنكرون أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثارا فى الأرض) يعنى مصانعهم وقصورهم (فما اغنى عنهم) لم ينفعهم (ما كانوا يكسبون) وقيل هو بمعنى الاستفهام ومجازه أى شىء أغنى عنهم كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا) رضوا (بما عندهم من العلم) قال مجاهد هو قولهم نحن أعلم لن نبعث ولن نعذب سمى ذلك علما على مايدعونه وهو فى الحقيقة جهل (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) يعنى تبرأنا مما كنا نعدل بالله (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) عذابنا (سنة الله) قال نصبها بنزع الخافض اى كسنة الله وقيل على المصدر وقيل على الاغراء أى احذروا سنة الله (التى قد خلت فى عباده) وتلك السنة انهم إذا عاينوا عذاب الله (٨٧) امنوا ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب (وخسر هنالك الكافرون) بذهاب نعيم الدارين قال الزجاج الكافر خاسر فى كل وقت ولكنهم يتبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب

﴿سورة فصلت مكية أربع وخمسون اية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل من الرحمن الرحيم) قال الاخفش تنزيل مبتدأ وخبره قوله عزوجل (كتاب فصلت اياته) بينت اياته (قرانا عربيا لقوم يعلمون) اللسان العربى ولو كان بغير لسانهم ما علموه ونصب قرانا بوقوع البيان عليه اى فصلناه قرانا (بشيرا ونذيرا) نعتان للقران أى بشيرا لاولياء الله ونذيرا لأعدائه (فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون) أى لا يصغون اليه تكبرا (وقالوا) يعنى مشركى مكة (قلوبنا فى اكنة) فى اغطية (مما تدعونا اليه) فلا نفقه ما تقول (وفى اذاننا وقر) صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى انا فى ترك القبول عندك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع (ومن بيننا وبينك حجاب) خلاف فى الدين وحاجز فى الملة فلا توافقك على ما تقول (فاعمل) انت على دينك (إننا عاملون) على ديننا (قل إنما انا بشر مثلكم) يعنى كواحد منكم ولولا الوحى مادعوتكم وهو قوله (يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد) قال الحسن علمه الله التواضع (فاستقيموا اليه) توجهوا اليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله (واستغفروه) من ذنوبكم (ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) قال ابن عباس الذين يقولون لا إله إلا الله وهى زكاة الانفس والمعنى لا يطهرن انفسهم من الشرك بالتوحيد وقال الحسن وقتادة لا يقرون بالزكاة ولا يرون إيتاءها واجبا وكان يقول الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون فى الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم

تنكرون) يعنى أن هذه الايات التى ذكرها ظاهرة باهرة فليس سىء منها يمكن إنكاره * قوله تعالى (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الارض) يعنى مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء فى اطواف الارض لعرفوا ان عاقبة هؤلاء المنكرين المتمردين الهلاك والبوار مع انهم كانوا أكثر عددا واموالا من هؤلاء (فما اغنى عنهم) اى لم ينفعهم (ما كانوا يكسبون) أى أى شىء أغنى عنهم كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا) أى رضوا (بما عندهم من العلم) قيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم باحوال الدنيا سمى ذلك علما على مايدعونه ويزعمونه وهو فى الحقيقة جهل (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا) أى عذابنا (قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) أى تبرأنا مما كنا نعدل بالله (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده) يعنى ان سنة الله قد جرت فى الامم الخالية بعدم قبول الايمان عند معاينة الياس وهو العذاب يعنى بتلك السنة انهم إذا رأوا العذاب امنوا ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب (وخسر هنالك الكافرون) يعنى بذهاب الدارين بل الكافر خاسر فى كل وقت ولكنه يتبين خسرانه إذا رأى العذاب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة وسورة المصابيح مكية﴾

(وهى أربع وخمسون اية وسبعمائة وست وتسعون كلمة وثلاثة الاف وثلثمائة وخمسون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عزوجل (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته) أى بينت وميزت وجعلت معانى مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد (قرانا عربيا) اى باللسان العربى (لقوم يعلمون) أى إنما انزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه والمراد ولو كان بغير لسانهم ما فهموه (بشيرا ونذيرا) نعتان للقران اى بشيرا لاولياء الله بالثواب ونذيرا لأعدائه بالعقاب (فاعرض اكثرهم) اى عنه (فهم لا يسمعون) أى لا يصغون اليه تكبرا (وقالوا) يعنى مشركى مكة (قلوبنا فى اكنة) اى اغطية (مما تدعونا اليه) اى فلا نفقه ما تقول (وفى اذاننا وقر) اى صمم فلا تسمع ما تقول والمعنى انا فى ترك القبول منك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع (ومن بيننا وبينك حجاب) اى خلاف فى الدين وحاجز فى الملة فلا نوافقك على ما تقول (فاعمل) اى انت على دينك (إننا عاملون) اى على ديننا (قل) يا محمد (إنما أنا بشر مثلكم) أى كواحد منكم (يوحى إلى) اى لولا الوحى مادعوتكم قال الحسن علمه الله تعالى التواضع (إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا اليه) اى توجهوا اليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله (واستغفروه) اى من ذنوبكم وشرككم (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) قال ابن عباس لا يقولون لا إله إلا الله لانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرن انفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل

(وهم بالاخرة هم كافرون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) قال ابن عباس غير مقطوع وقال مقاتل غير منقوص ومنه المنون لانه ينقص منة الانسان وقوته وقيل غير ممنون عليهم به وقال مجاهد غير محسوب وقال السدى نزلت هذه الاية فى المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم كاصح ما كانوا يعملون فيه اخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين بن بشران انا إسمعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن عاصم بن أبى النجود عن خيثمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ ان العبد إذا كان (٨٨) على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله إذا كان طليقا حتى أطلقه أو أكفته إلى قوله عز وجل (قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين) يوم الأحد والإثنين (وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها) اى فى الارض (رواسى) جبالا ثوابت (من فوقها) من فوق الارض (وبارك فيها) اى فى الارض بما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثمار (وقدر فيها اقواتها) قال الحسن ومقاتل قسم فى الأرض أرزاق العباد والبهائم وقال عكرمة والضحاك قدر فى كل بلدة مالم يجعله فى الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد قال الكلبى قدر الخبز لاهل قطر والثمر لاهل قطر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك اقواتها (فى اربعة ايام) يريد خلق ما فى الارض وقدر الاقوات فى يومين يوم الثلاثاء والاربعاء فهما مع الاحد والاثنين اربعة ايام رد الاخر على الاول فى الذكر كما تقول تزوجت امس امرأة واليوم ثنتين واحداهما التى تزوجها بالامس (سواء للسائلين) قرا ابو جعفر سواء رفع على الابتداء اى هى سواء ائتيا وقرأ يعقوب بالجر على نعت قوله فى أربعة أيام وقرأ الاخرون سواء نصب على المصدر استوت استواء ومعناه سواء للسائلين عن ذلك قال قتادة والسدى من سأل عنه فهكذا الأمر سواء لازيادة ولا نقصان جوابا لمن سأل فى كم خلقت الأرض والأقوات (ثم استوى إلى السماء) أى عمد إلى خلق السماء (وهى دخان) وكان ذلك الدخان بخار الماء (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها) أى أتتيا ما أمر كما أى فعلاه كما يقال أتت ما هذا الأحسن أى افعله وقال طاوس عن ابن عباس ائتيا أعطيا يعنى أخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح

لا يقرون بالزكاة المفروضة لا يرون إتيانها واجبا يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه لا ينفقون فى طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لا يزكون اعمالهم (وهم بالاخرة هم كافرون) اى جاحدون بالبعث بعد الموت (إن الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون) قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب قيل نزلت هذه الاية فى المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه (خ) عن أبى موسى الأشعرى قال سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول إذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض او سفر كتب الله تعالى له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم * قوله عز وجل (قل ائنكم) استفهام بمعنى الانكار وذكر عنهم شيئين منكرين احدهما الكفر بالله تعالى وهو قوله تعالى (لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) وثانيهما (وتجعلون له اندادا) اثبات الشركاء والانداد له والمعنى كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا لله تعالى مع انه تعالى هو الذى خلق الارض فى يومين يعنى الأحد والأثنين (ذلك رب العالمين) أى هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الاصنام المنحوتة من الخشب والحجر (وجعل فيها رواسى) اى جبالا ثوابت (من فوقها) اى من فوق الارض (وبارك فيها) اى فى الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه (وقدر فيها اقواتها) اى قسم فى الارض ارزاق العباد والبهائم وقيل قدر فى كل بلده مالم يجعله فى الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر البر لاهل قطر من الارض والثمر لاهل قطر اخر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك سائر الاقوات قيل ان الزراعة اكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات فى الارض قال الله تعالى وقدر فيها اقواتها (فى اربعة ايام) اى مع اليومين الاولين فخلق الارض فى يومين وقدر الأقوات فى يومين وهما يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فصارت اربعة ايام رد الآخر على الأول فى الذكر (سواء للسائلين) معناه سواء لمن سال عن ذلك اى فهكذا الامر سواء لازيادة فيه ولا نقصان جوابا لمن سال فى كم خلقت الارض والاقوات (ثم استوى إلى السماء) اى عمد إلى خلق السماء (وهى دخان) ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش قبل خلق السموات والارض على الماء فلما اراد الله تعالى ان يخلق السموات والارض امر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم ايبس الماء فخلقه ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا * فان قلت هذه الاية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق السماء وقوله والأرض بعد ذلك دحاها مشعر بأن خلق الأرض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما * قلت الجواب المشهور انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الارض ومدها وجواب اخر وهو ان يقال ان خلق السماء مقدم على خلق الارض فعلى هذا يكون معنى الاية خلق الارض فى يومين ولبس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير ايضا فيكون المعنى قضى ان يحدث الارض فى يومين بعد إحداث السماء فعلى هذا يزول الاشكال والله اعلم بالحقيقة (فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها) اى

العباد قال ابن عباس قال الله عز وجل أما أنت يا سماء فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وأنت يا أرض فشقي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك وقال لهما افعلا ما آمركما طوعا وإلا ألجأتكما إلى ذلك حتى تفعلاه كرها فأجابتا بالطوع و(قالتا أتينا طائعين) ولم يقل طائعتين لأنه ذهب به إلى السموات والأرض ومن فيهن مجازه أتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل (فقضاهن سبع سموات في يومين) أي أتمهن وفرغ من خلقهن (وأوحى في كل سماء أمرها) قال عطاء عن ابن عباس خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله وقال قتادة والسدي يعني خلق (٨٩) فيها شمسها وقمرها ونجومها وقال مقاتل

اثنيا ما امرتكما به اى افعلاه وقيل افعلا ما امرتكما طوعا وإلا ألجأتكما إلى ذلك حتى تفعلاه كرها فاجابتا بالطوع (قالتا اتينا طائعين) معناه اتينا طائعين فلما وصفهما بالقول اجراهما في الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما اخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد اما انت يا سماء فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وانت يا ارض فشقي انهارك واخرجي ثمرك ونباتك * وقوله تعالى (فقضاهن سبع سموات) يعني اتمهن وفرغ من خلقهن (في يومين) وهما الخميس والجمعة (واوحى في كل سماء امرها) قال ابن عباس خلق في كل سماء خلقا من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله تعالى وقيل اوحى إلى كل سماء ما اراد من الامر والنهى (وزينا السماء الدنيا) اى التي تلي الارض (بمصابيح) اى بكواكب تشرق كالمصابيح (وحفظا) اى وجعلناها يعني الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) اى الذي ذكر من صنعة وخلقه (تقدير العزيز) اى في ملكه (العليم) يعني بخلقه وفيه إشارة إلى كمال القدرة والعلم قوله تعالى (فان اعرضوا) يعني هؤلاء المشركين عن الايمان بعد هذا البيان (فقل انذرتكم) يعني خوفتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) يعني هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شيء (إذ جاءتهم الرسل) يعني إلى عاد وثمود يعني هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شيء (إذ جاءتهم الرسل) يعني إلى عاد وثمود (من بين ايديهم) يعني الرسل الذين ارسلوا اليهم وهما هود وصالح وإنما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم (ان لا) اى بان لا (تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة) يعني لو شاء ربنا دعوة الخلق لانزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل (فانا بما ارسلتم به كافرون) روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال الملأ من قريش وابو جهل قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فاتاه فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه قال يا محمد انت خير ام هاشم ابت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فيم تشتم الهتنا وتضلل آباءنا فان كان ما بك الرياسة عقدنا لك الوية فكنت رئيسا ما بقيت وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من يعني بنات قريش وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به انت وعقبك من بعد ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله ﷺ حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته إلى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم ورجع إلى اهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم فقال ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا وقد صبا إلى محمد واعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة اصابته فانطلقوا إليه فانطلقوا اليه فقال ابو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا إلا انك صبوت الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبه واقسم لا يكلم محمدا ابدا وقال والله لقد علمتم إني من اكثر قريش مالا ولكني اتيته وقصصت عليه القصة

وأوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي وذلك يوم الخميس والجمعة (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) وكواكب (وحفظا) لها ونصب حفظا على المصدر أي حفظناها بالكواكب حفظا من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) الذي ذكر من صنعه (تقدير العزيز) في ملكه (العليم) بخلقه قوله عز وجل (فان اعرضوا) يعني هؤلاء المشركين عن الايمان بعد هذا البيان (فقل انذرتكم) خوفتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) يعني هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شيء (إذ جاءتهم) يعني عادا وثمودا (الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) أراد بقوله من بين أيديهم الرسل الذين ارسلوا إلى آبائهم من قبلهم ومن خلفهم يعني من بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم الذين أرسلوا اليهم هود وصالح فالكناية في قوله من بين أيديهم راجعة إلى عاد وثمود وفي

(١٢ - خازن - س) قوله ومن خلفهم راجعة إلى الرسل (أن لا) بأن لا (تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل) بدل هؤلاء الرسل (ملائكة) أي لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة (فانا بما أرسلتم به كافرون) أخبرنا أبو سعيد الشريحي انا ابو إسحق الثعلبي ثنا عبد الله بن حامد الأصفهاني ثنا أحمد بن محمد بن يحيى العبيدي أنا أحمد بن مجدة بن العريان ثنا الحماني ثنا ابن فضيل عن الاجلح عن الذيال بن حرملة عن جابر بن عبد الله قال قال الملأ من قريش وأبو جهل قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فاتاه فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على أن كان كذلك أو لا فاتاه فلما خرج إليه قال يا محمد أنت خير أم هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فيم تشتم الهتنا

وتضلل آباءنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رأسا ما بقيت وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني أنت وعقبك من بعدك ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم حتى تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته إلى قوله فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود الآية فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فاحتبس عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى دين محمد وقد أعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبوت إلى دين محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم انى من أكثر قريش مالا ولكنى أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة إلى قوله فان اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن (٩٠) ينزل بكم العذاب وقال محمد بن كعب القرظي حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد يا معشر قريش الا اقوم الى محمد واكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين اسلم حمزة وراوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقالوا بلى يا ابا الوليد فقم اليه فكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله ﷺ فقال يا ابن اخي انك مناحيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت احلامهم وعبت الهتهم وكفرت من مضى من ابائهم فاسمع مني اعرض عليك

فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحرا وقرأ السورة إلى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم ان محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب وقال محمد بن كعب القرظي حدثت ان عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد يا معشر قريش ألا اقوم إلى محمد فاكلمه واعرض عليه أمورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين اسلم حمزة وراوا ان اصحاب محمد ﷺ يزيدون ويكثرون قالوا بلى يا ابا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله ﷺ فقال يا ابن اخي انك مناحيث علمت من البسطة في العشيرة والمكانة في النسب وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت احلامهم وعيبت الهتهم وكفرت من مضى من ابائهم فاسمع مني اعرض عليك امورا تنظر فيها فقال ﷺ قل يا ابا الوليد فقال يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون من اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا الذي بك رئيا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب ولعل هذا شعر جاش به صدرك فنعذرك فانكم لعمري بني عبد المطلب تقدرون من ذلك على مالا يقدر عليه احد حتى اذا فرغ قال له رسول الله ﷺ قد فرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاستمع مني قال فافعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ثم مضى فيها يقرا فلما سمعها عتبة انصت والقى يده خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ الى السجدة فسجد ثم قال اسمعت يا ابا الوليد فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال وراءي انى سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط ما هو بشعر ولا يسحر ولا كهانة يا معشر قريش اطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبا فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وانتم اسعد الناس به قالوا

قل يا ابا الوليد فقال يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك سحرك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا الذي بك رئيا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب ولعل هذا شعر جاش به صدرك فانكم لعمري بني عبد المطلب تقدرون من ذلك على مالا يقدر عليه غيركم حتى اذا فرغ ما عنده من سائر الامور التي يزعم انها ترده عما يقول فقال له رسول الله ﷺ او قد فرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاستمع مني قال فافعل فقال ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرانا عربيا لقوم مضى فيها يقرا فلما سمعها عتبة انصت له والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ الى السجدة فسجد ثم قال قد سمعت يا ابا الوليد فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد يقال وراءي انى قد سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة يا معشر قريش اطيعوني خلوا ما بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبا فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم فانتم اسعد الناس به فقالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رايي لكم

فاصنعوا ما بدا لكم قوله عز وجل (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة) وذلك ان هودا هددهم بالعذاب فقالوا من أشد منا قوة ونحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي أجسام طوال قال الله تعالى ردا عليهم (أولم يروا ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا) عاصفة شديدة الصوت من الصرة وهي الصيحة وقيل هي الباردة من الصر وهو البرد (في ايام نحسات) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب نحسات بسكون الحاء وقرأ الاخرون بكسرها اى نكدات مشؤمات ذات نحوس وقال الضحاك امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودامت الرياح عليهم (٩١) من غير مطر (لنذيقهم عذاب الخزي) أي عذاب الهون والذل (في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى) أشد اهانة (وهم لا ينصرون وأما ثمود فهديناهم) دعوناهم قاله مجاهد وقال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر كقوله هديناه السبيل (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الكفر على الايمان (فاخذتهم صاعقة العذاب) أي مهلكة العذاب (الهون) أي ذي الهوان أي الهوان وهو الذي يهينهم ويخزيهم (بما كانوا يكسبون ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر اعداء الله إلى النار) قرأ نافع ويعقوب نحشر بالنون أعداء نصب وقرأ الآخرون بالياء ورفعها وفتح الشين أعداء رفع أي يجمع إلى النار (فهم يوزعون) يساقون ويدفعون إلى النار وقال قتادة والسدي يحبس أولهم على أخرهم ليتلاحقوا (حتى إذا ما جاؤوها) جاؤا النار

سحرك والله محمديا ابا الوليد بلسانه قال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم * قوله عز وجل (فاما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة) وذلك أن هودا هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي أجسام طوال قال الله تعالى ردا عليهم (أولم يروا) أي أولم يعلموا (إن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا) أي عاصفا شديد الصوت وقيل هي الريح الباردة فقيل أن الريح ثمانية فأربع منها عذاب وهي الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم وأربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل أرسل عليهم من الريح على قدر خرق الخاتم فاهلكوا جميعا (في ايام نحسات) أي نكدات مشؤمات ذات نحس وقيل ذا غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه وقيل أمسك الله عز وجل عنهم المطر ثلاث سنين ودأبت عليهم الريح من غير مطر (لنذيقهم عذاب الخزي) أي عذاب الذل والهوان وذلك مقابل لقوله فاستكبروا في الأرض بغير الحق (في الحياة الدنيا) أي ذلك الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحياة الدنيا (ولعذاب الاخرة أخزى) أي أشد اهانة (وهم لا ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب (وأما ثمود فهديناهم) قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر (فاستحبوا العمى على الهدى) أي اختاروا الكفر على الايمان (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) أي ذي الهوان (بما كانوا يكسبون) أي من الشرك (ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون) أي إلى يتقون الشرك والأعمال الخبيثة وهم صالح ومن أمن معه من قومه * قوله تعالى (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون) أي يساقون ويدفعون وقيل يحبس أولهم حتى يلحق اخرهم (حتى إذا ما جاؤوها) يعني النار (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) أي بشراتهم وقيل فروجهم (بما كانوا يعملون) معناه ان الجوارح تنطق بما كتمت الألسن من عملهم (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه عز وجل يقول يارب ألم تجرني من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فاني لا أجيز اليوم على نفسي إلا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأعضائه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل (وقالوا) يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار (لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي أنطق كل شيء) معناه أن القادر الذي خلقكم أول مرة في الدنيا وأنطقكم ثم اعادكم بعد الموت قادر على انطاق الأعضاء والجوارح وهو قوله تعالى (وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون) وقيل تم الكلام عند قوله الذي انطق كل شيء ثم ابتدأ بقوله وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقيل انه ليس من جواب الجلود (وما كنتم تستترون) اى تستخفون وقيل معناه تظنون (ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم) والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون انها تشهد عليكم (ولكن ظننتم إن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) قال ابن عباس رضي الله عنهما كان (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) اى بشراتهم (بما كانوا يعملون) وقال السدي وجماعة المراد بالجلود الفروج وقال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمت الألسن من عملهم (وقالوا) يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار (لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء) تم الكلام ههنا وقال الله تعالى (وهو خلقكم اول مرة) وليس هذا من جواب الجلود (واليه ترجعون وما كنتم تستترون) اى تستخفون عند اكثر اهل العلم وقال مجاهد تتقون وقال قتادة تظنون (ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا الحميدي انا سفيان انا منصور عن مجاهد عن ابي معمر عن عبد الله بن مسعود قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي وقرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم

قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون ان الله يسمع ما نقول قال الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الاخران كان يسمع إذا جهرنا فانه يسمع إذا اخفينا فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفي وعبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية قوله تعالى (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) أهلككم أى ظنكم إن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون أرداكم قال ابن عباس طرحكم فى النار (فأصبحتم من الخاسرين) ثم أخبر عن حالهم فقال (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) مسكن لهم (وان يستعينوا) يسترضوا ويطلبوا العتبى (فما هم من المعتبين) المرضين والمعتب الذى قبل اعتابه وأجيب إلى ماسال (٩٢) يقال اعتبنى فلان أى أرضانى بعد اسخاطه إياى واستعتبه طلبت منه أن يعتب أى يرضى

(وقيضنا لهم) يعنى بعثنا ووكلنا وقال مقاتل هيانا وقال الزجاج سببنا لهم (قرناء) نظراء من الشياطين حتى اضلوهم (فزينوا لهم ما بين ايديهم) من امر الدنيا حتى اثروه على الاخرة (وما خلفهم) من امر الاخرة فدعوهم الى التكذيب به وانكار البعث (وحق عليهم القول فى امم) مع (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا) من مشركى قريش (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) قال ابن عباس يعنى الغطوا فيه وكان بعضهم يوصى الى بعض إذا رايتم محمد يقرا فعارضوه بالرجز والشعر واللغو قال مجاهد والغوا فيه بالمكاء والصفير وقال الضحاك اكثروا الكلام فيختاط عليه ما يقول وقال السدى صيحوا فى وجهه (لعلكم تغلبون) محمدا على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوا الذى) يعنى بأسوا الذى أى بأقبح الذى (كانوا يعملون) فى الدنيا وهو الشرك بالله (ذلك) الذى ذكرت العذاب الشديد (جزاء اعداء الله) ثم بين ذلك الجزاء فقال (النار) يعنى هو النار (لهم فيها) اى فى النار (دار الخلد) دار الاقامه لا انتقال منها (جزاء بما كانوا بايانا يجحدون وقال الذين كفروا) فى النار (ربنا) اى يقولون يا ربنا (ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس) يعنون ابليس وقابيل بن ادم الذى قتل اخاه لانهما سنا المعصية (نجعلهما تحت اقدامنا) اى فى النار (ليكونا من الاسفلين) اى فى الدرك الأسفل من النار قال ابن عباس ليكونا اشد عذابا منا قوله عز وجل (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) سئل ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال إن لا تشرك بالله شيئا وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه استقاموا اخلصوا فى العمل وقال على بن ابى

الكفار يقولون إن الله لا يعلم ما فى أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشى أو قرشيان وثقفى كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله تعالى يسمع ما نقول قال الاخر يسمع إذا جهرنا ولا يسمع ان أخفينا وقال الاخران كان يسمع إذا جهرنا فانه يسمع إذا أخفينا فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفى هو عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية * قوله تعالى (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم) أى ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (أرداكم) أى اهلككم قال ابن عباس طرحكم فى النار (فاصبحتم من الخاسرين) ثم أخبرنا عن حالهم بقوله تعالى (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أى مسكن (وان يستعينوا) أى يسترضوا ويطلبوا العتبى والمعتب هو الذى قبل عتابه وأجيب إلى ماسال (فما هم من المعتبين) أى المرضيين (وقيضنا لهم) أى بعثنا ووكلنا وقيل هيانا لهم وسببنا لهم (قرناء) أى نظراء من الشياطين حتى اضلوهم (فزينوا لهم ما بين أيديهم) أى من أمر الدنيا حتى اثروهم على الاخرة (وما خلفهم) أى فدعوهم إلى التكذيب بالاخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم أعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة (وحق عليهم القول) أى وجب (فى امم) اى مع امم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم خاسرين) * قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعنى مشركى قريش (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) قال ابن عباس والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة الأصوات كان بعضهم يوصى إلى بعض إذا رايتم محمدا يقرا فعارضوه بالرجز والشعر وقيل اكثروا الكلام حتى يتخلط عليه ما يقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل صيحوا فى وجهه (لعلكم تغلبون) يعنى محمدا على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ) يعنى بأسوا (الذى كانوا يعملون) أى فى الدنيا وهو الشرك (ذلك) يعنى الذى ذكر من العذاب (جزاء اعداء الله) ثم بين ذلك الجزاء فقال (النار لهم فيها دار الخلد) اى ذا الاقالا انتقال لهم عنها (جزاء بما كانوا بايانا يجحدون وقال الذين كفروا) يعنى فى النار (ربنا) اى يقولون يا ربنا (ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس) يعنون إبليس وقابيل بن ادم الذى قتل اخاه لانهما سنا المعصية (نجعلهما تحت اقدامنا) اى فى النار (ليكونا من الاسفلين) اى فى الدرك الأسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا اشد عذابا منا * قوله عز وجل (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال اهل التحقيق كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته لأجل العمل به وراس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله إن الذين قالوا ربنا الله وراس الأعمال الصالحة ان يكون الانسان مستقيما فى الوسط غير مائل إلى طرفى الأفراط والتفريط فتكون الاستقامة فى امر الدين والتوحيد فتكون فى الأعمال عمر الصالحة سئل ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيئا وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الاستقامة ان تستقيم على الأمر والنهى ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضى الله تعالى عنه استقاموا اخلصوا فى العمل وقال على بن ابى طالب

الثعلب وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه أخلصوا العمل لله وقال على رضى الله عنه أدوا الفرائض وقال ابن عباس استقاموا على أداء الفرائض وقال الحسن استقاموا على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله وقال مقاتل استقاموا على المعرفة ولم يرتدوا وقال قتادة كان الحسن إذا تلا هذه الاية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة قوله عز وجل (تتنزل عليهم الملائكة) قال ابن عباس عند الموت وقال قتادة ومقاتل إذا قاموا من قبورهم قال وكيع بن الجراح البشرى تكون فى ثلاث مواطن عند الموت وفى القبر وعند البعث (ان لا تخافوا) من الموت وقال مجاهد لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة (ولا تحزنوا) على ما خلفتم من أهل وولد فانا نخلفكم فى ذلك كله وقال عطاء بن أبى رباح لا تخافوا ولا تحزنوا على

طالب رضى الله تعالى عنه أدوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة ان لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله وقال الحسن إذا تلى هذه الاية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاقامة (تتنزل عليهم الملائكة) قال ابن عباس عند الموت وقيل إذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر وعند البعث (ان لا تخافوا) أى من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة (ولا تحزنوا) أى على ما خلفتم من أهل وولد فانا نخلفكم فى ذلك كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا اغفرها لكم (وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم) أى تقول الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن أوليا كم أى أنصاركم وأحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم (فى الحياة الدنيا) نحن أولياؤكم (فى الاخرة) لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها) أى فى الجنة (ما تشتهى أنفسكم) أى من الكرامات واللذات (ولكم فيها ما تدعون) أى تتمنون (نزلا) أى رزقا والنزل رزق النزيل والنزيل هو الضيف (من غفور رحيم) قال أهل المعانى كل هذه الأشياء المذكورة فى هذه الاية جارية مجرى النزل والكريم إذا أعطى هذا النزل فما ظنك بعده من الالطاف والكرامة * قوله تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله) أى إلى طاعة الله تعالى وقيل هو رسول الله ﷺ دعا الناس الى شهادة أن لا اله الا الله وقيل هو المؤمن من أجاب الله تعالى فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما أجاب اليه (وعمل صالحا) فى اجابته وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أرى أن هذه الاية نزلت فى المؤذنين وقيل ان كل من دعا الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل فى هذه الآية والدعوة الى الله تعالى مراتب * الأولى دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الأنبياء * المرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء أقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء بأحكام الله * المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله تعالى بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا فى دين الله وطاعته * المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم ايضا دعاة الى الله تعالى والى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من أعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو سائر الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين بين الأذان والاقامة (ق) عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله ﷺ بين كل أذانين صلاة بين كل اذانين صلاة بين كل اذانين صلاة وقال فى الثالثة لمن شاء عن انس بن مالك رضى الله عنه قال الدعاء بين الأذانين والاقامة لا يرد اخرجه ابو داود والترمذى وقال هذا حديث حسن (وقال انني من المسلمين) قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع

ذنوبكم فانى أغفرها لكم (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم) تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة نحن أولياؤكم انصاركم وأحباؤكم (فى الحياة الدنيا وفى الاخرة) أى فى الدنيا والاخرة وقال السدى تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم فى الدنيا ونحن أولياؤكم فى الاخرة يقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم) من الكرامات واللذات (ولكم فيها) فى الجنة (ما تدعون) تتمنون (نزلا) رزقا (من غفور رحيم ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله) إلى طاعته (وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين) قال ابن سيرين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله وقال الحسن هو المؤمن الذى اجاب الله فى دعوته ودعا الناس الى ما اجاب اليه وعمل صالحا فى اجابته وقال انني من المسلمين وقالت عائشة ارى هذه الاية نزلت فى المؤذنين وقال عكرمة هو المؤذن ابو امامة الباهلى وعمل صالحا صلى ركعتين بين الأذان والاقامة وقال قيس بن ابى حازم هو الصلاة بين الأذان والاقامة اخبرنا ابو سعيد احمد بن محمد بن العباس الحيدى انا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ثنا ابو عبد الله الحسين بن الحسن بن ايوب الطوسى ثنا ابو يحيى بن ابى ميسرة ثنا عبد الله بن زيد المقرى ثنا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله ﷺ بين كل أذانين صلاة ثلاث مرات ثم قال الثالثة لمن شاء أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى ثنا أبو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن زيد العمى عن أبى اياس معاوية بن قرة عن انس بن مالك قال سفيان لا أعلمه الا وقد رفعه النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يرد الدعاء بين الاذان والاقامة

قوله عز وجل (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) قال الفراء لا ههنا صلة معناه ولا تستوى الحسنة والسيئة يعنى الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة (ادفع بالتى هى أحسن) قال ابن عباس أمر بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة) يعنى إذا فعلت ذلك خضع لك عدوك وصار الذى بينك وبينه عداوة (كانه ولى حميم) كالصديق والقريب قال مقاتل بن حيان نزلت فى أبى سفيان بن حرب وذلك أنه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التى حصلت بينه وبين النبى ﷺ ثم أسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة (وما (٩٤) يلقاها) ما يلقى هذه الخصلة وهى دفع السيئة بالحسنة (إلا الذين صبروا) على كظم الغيظ واحتمال المكروه (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) فى الخير والثواب وقال قتادة الحظ العظيم الجنة اى ما يلقاها إلا من وجبت له الجنة (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع) لاستعاذتك وأقوالك (العليم) بأفعالك واحوالك قوله (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن) إنما قال خلقهن بالتأنيث لأنه اجراها على طريق جمع التكسير ولم يجرها على طريق التغليب للمذكر على المؤنث (ان كنتم إياه تعبدون فان استكبروا) عن السجود (فالذين عند ربك) يعنى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون ولا يفترون (ومن آياته) دلائل قدرته (انك ترى الأرض خاشعة) يابسة غبراء لا نبات فيها (فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احياها لمحيى الموتى انه على كل شىء قدير إن الذين يلحدون فى آياتنا) يميلون عن الحق فى ادلتنا قال مجاهد يلحدون فى ايا تنا كفروا بالمكاء والتصدية واللغو واللغط قال قتادة يكذبون فى آياتنا قال السدى يعاندون ويشاقون قال مقاتل نزلت فى ابى جهل (لا يخفون علينا افمن يلقى فى النار) وهو ابو جهل (خير ام يأتى آمنا يوم القيامة) قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر (اعملوا ما شئتم) امر تهديد ووعيد (انه بما تعملون بصير) عالم فيجازيكم به (ان الذين كفروا بالذكر) بالقرآن (لما جاءهم) ثم اختلفوا فى وصف الذكر وترك جواب ان الذين كفروا على تقدير الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم وقيل خبره قوله من بعد اولئك ينادون من مكان بعيد

التلفظ به * قوله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) يعنى الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة (ادفع بالتى هى أحسن) قال ابن عباس امره بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) أى صديق قريب قيل نزلت فى أبى سفيان بن حرب وذلك حيث لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التى حصلت بينه وبين النبى ﷺ فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة (وما يلقاها) أى وما يلقى هذه الخصلة والفعلة وهى دفع السيئة بالحسنة (إلا الذين صبروا) أى على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) أى من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعنى ما يلقاها إلا من وجبت له الجنة (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه أى يبعثه إلا مالا ينبغى ومعنى الاية وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) أى من شره (إنه هو السميع) أى لاستعاذتك (العليم) بأحوالك * قوله تعالى (ومن آياته) أى ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته (الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) أى إنهما مخلوقان مسخران فلا ينبغى السجود لهما لأن السجود عبارة عن نهاية التعظيم (واسجدوا لله الذى خلقهن) يعنى المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر (إن كنتم إياه تعبدون) يعنى إن ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون أن سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله عز وجل فنهوا عن السجود لهذه الوسايط وأمروا بالسجود لله الذى خلق هذه الأشياء كلها (فان استكبروا) أى عن السجود لله (فالذين عند ربك) يعنى الملائكة (يسبحون بالليل والنهار وهم لا يسأمون) أى لا يفترون ولا يملون

(فصل) وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفى موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لاصحاب الشافعى أحدهما أنه عند قوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعى عن ابى حنيفة وأحمد لأن ذكر السجدة قبله والثانى وهو الأصح عند اصحاب الشافعى وكذلك نقله الرافعى أنه عند قوله تعالى وهم لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشرى عن أبى حنيفة لأن عنده يتم الكلام (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احياها لمحيى الموتى على كل شىء قدير) قوله تعالى (ان الذين يلحدون) اى يميلون عن الحق (فى آياتنا) اى فى ادلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون بآياتنا ويتعاندون ويشاقون (لا يخفون علينا) تهديد ووعيد قيل نزلت فى ابى جهل (افمن يلقى فى النار) هو أبو جهل (خير ام يأتى امنا يوم القيامة) المعنى الذين يلحدون فى آياتنا يلقون فى النار والذين يؤمنون بآياتنا آمنون يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر (اعملوا ما شئتم) امر تهديد ووعيد (إنه بما تعملون بصير) اى انه عالم بأعمالكم فيجازيكم عليها (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) يعنى القرآن وفى جواب ان وجهان احدهما انه محذوف تقديره ان الذين كفروا

(وانه لكتاب عزيز) قال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما كريم على الله قال قتادة أعزه الله عز وجل فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قال قتادة والسدي الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه قال الزجاج معناه انه محفوظ من ان ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه وعلى هذا معنى الباطل الزيادة والنقصان وقال مقاتل لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله (تنزيل من حكيم حميد) ثم عزى نبيه ﷺ على تكذيبهم فقال (ما يقال لك) من الاذى (إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) يقول أنه قد قيل للانبياء والرسل قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا

كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثاني جوابه أولئك ينادون من مكان بعيد ثم أخذ في وصف الذكر فقال تعالى (وانه لكتاب عزيز) قال ابن عباس كريم على الله تعالى وقيل العزيز القديم النظير وذلك أن الخلق عجزوا عن معارضته وقيل أعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع أن يغيره وقيل أنه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب فيبطله وقيل معناه أن الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيل من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا يأتيه الباطل عما اخبرنا فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر (تنزيل من حكيم) أي في جميع أفعاله (حميد) أي إلى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه ﷺ على تكذيبهم إياه فقال عز وجل (ما يقال لك) اى من الأذى والتكذيب (إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) يعني انه قد قيل للأنبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت (إن ربك لذو مغفرة) أي لمن تاب وآمن بك (وذو عقاب أليم) أي لمن أصر على التكذيب * قوله عز وجل (ولو جعلناه) أي هذا الكتاب الذي تقرؤه على الناس (قرآنا أعجميا) يعني بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) يعني هلا بينت اياته بالعربية حتى نفهمها (أأعجمي وعربي) يعني اكتاب اعجمي ورسول عربي وهذا استفهام انكار والمعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربيا والمنزل اعجميا وقيل في معنى الاية انا لو انزلنا هذا القران بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف انزلنا الكلام العجمي إلى القوم العرب ولصح قولهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة وفي اذاننا وقر لأنا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه وانا لما انزلنا هذا القران بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة وفي اذاننا وقر وقيل ان رسول الله ﷺ كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا اعجميا يكنى ابا فكيهة فقال المشركون إنما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمني فانزل الله تعالى هذه الآية (قل) يا محمد (هو) يعني القران (للذين امنوا هدى) يعني من الضلالة (وشفاء) يعني لما في القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الأوجاع والاسقام (والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى) يعني صموا عن استماع القران وعموا عنه فلا ينتفعون به (اولئك ينادون من مكان بعيد) يعني كما ان من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء في قلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) يعني فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك في كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعني في تأخير العذاب عن المكذبين بالقران (لقضي بينهم) يعني لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم (وانهم لفي شك منه مريب) يعني من كتابك وصدقك (من عمل صالحا فلنفسه) يعني يعود نفع ايمانه وعمله لنفسه (ومن اساء فعليها) يعني ضرر إساءته او كفره يعود على نفسه ايضا (وما ربك بظلام للعبيد) يعني

كما كذبت (إن ربك لذو مغفرة) لمن تاب وآمن بك (وذو عقاب أليم) لمن أصر على التكذيب (ولو جعلناه) أي جعلنا هذا الكتاب الذي تقرأه على الناس (قرآنا أعجميا) بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها (أأعجمي وعربي) يعني أكتاب أعجمي ورسول عربي وهذا استفهام على وجه الانكار أي أنهم كانوا يقولون المنزل عليه عربي والمنزل أعجمي قال مقاتل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا أعجميا يعني أبا فكيهة فقال المشركون إنما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال يسار هو يعلمني فانزل الله تعالى هذه الآية (قل) يا محمد (هو) يعني القران (للذين آمنوا هدى وشفاء) لما في القلوب وقيل شفاء من

الاوجاع (والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى) قال قتادة عموا عن القران وصموا عنه فلا ينتفعون به (اولئك ينادون من مكان بعيد) اى انهم لا يسمعون ولا يفهمون كما ان من دعي مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم وهذا مثل لقلة انتفاعهم بما يوعظون به كانهم ينادون من حيث لا يسمعون (ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فصدق ومكذب كما اختلف قومك في كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) في تأخير العذاب عن المكذبين بالقران (لقضي بينهم) لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم (وانهم لفي شك منه) من صدقك (مريب) موقع لهم الريبة (من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد

اليه يرد علم الساعة) أى عندها إذا سئل عنها مردوداليه لا يعلمه غيره (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) قرأ أهل المدينة والشام وحفص ثمرات على الجمع وقرأ الاخرون ثمرة على التوحيد من أكمامها اوعيتها واحدها كم قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى الكفرى قبل ان تنشق (وما تحمل من انثى ولا تضع إلا بعلمه) إلا باذنه يقول يرد اليه علم الساعة كما يرد اليه علم الثمار والنتاج (ويوم يناديهم) ينادى الله المشركين (أين شركائى) الذين كنتم تزعمون انها الهة (قالوا) يعنى المشركين (اذناك) اعلمناك (ما منا من شهيد) اى من شاهد بان لك شريكا لما عاينوا العذاب تبرأوا من الأصنام (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) فى الدنيا (وظنوا) أيقنوا (مالهم من محيص) مهرب (لا يسأم الانسان) لا يمل الكافر (من دعاء الخير) (٩٦) اى لا يزال يسأل ربه الخير يعنى المال والغنى والصحة (وإن مسه الشر) الشدة والفقر (فيؤوس) من روح الله (قنوط) من رحمته (ولئن أذقناه رحمة منا) اتيناه خيرا وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته) من بعد شدة وبلاء اصابته (ليقولن هذا لى) اى بعملى وانا محبوب بهذا (وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى) يقول هذا الكافر لست على يقين من البعث فان كان الامر على ذلك ورددت إلى ربى ان لى عنده للحسنى اى الجنة اى كما اعطانى فى الدنيا سيعطينى فى الاخرة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) قال ابن عباس رضى الله عنهما لنقفنهم على مساوى اعمالهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض) كثير والعرب تستعمل الطول والعرض فى الكثرة يقال أطال فلان الكلام والدعاء واعرض اى اكثر (قل أرأيتم ان كان) هذا القرآن يشهد (من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد) خلاف للحق بعيد عنه اى فلا أحد أضل منكم (سنريهم آياتنا فى الافاق) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى منازل الامم الخالية (وفى انفسهم) بالبلاء والامراض وقال قتادة فى الافاق يعنى وقائع الله فى الامم وفى انفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدى والكلبى فى الافاق ما يفتح من القرى على محمد ﷺ والمسلمين وفى انفسهم فتح مكة (حتى يتبين لهم انه الحق) يعنى دين الاسلام وقيل القران يتبين لهم انه من عند الله وقيل محمد ﷺ يتبين لهم انه مؤيد من قبل الله تعالى وقال عطاء وابن زيد فى الافاق يعنى اقطار السماء والارض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والاشجار والانهار وفى انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى يتبين لهم انه الحق (اولم يكف بربك انه على كل شى شهيد) قال مقاتل

فيعذب غير المسىء * قوله عز وجل (اليه يرد علم الساعة) يعنى إذا سأل عنها سائل قيل له لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله تعالى ولا سبيل للخلق إلى معرفة ذلك (وما تخرج من ثمرات من اكمامها) اى من اوعيتها وقال ابن عباس هو الكفرى قبل أن ينشق (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) اى يعلم قدر ايام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر الحمل هو ام انثى ومعنى الاية كما يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم ما يحدث من كل شىء كالثمار والنتاج وغيره * فان قلت قد يقول الرجل الصالح من اصحاب الكشف قولا ان فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون * قلت اما اصحاب الكشف إذا قالوا قولا فهو من إلهام الله تعالى واطلاعه إياهم عليه فكان من علمه الذى يرد اليه وأما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم فى شىء مما يقولونه البتة وإنما غايته إدعاء ظن ضعيف قد لا يصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذى لا يشركه فيه أحد (ويوم يناديهم) اى ينادى الله تعالى المشركين فيقول (اين شركائى) اى الذين تدعون انها الهة (قالوا) يعنى المشركين (اذناك) اى اعلمناك (ما منا من شهيد) اى يشهد ان لك شريكا وذلك لما رأوا العذاب تبرأوا من الأصنام (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) اى يعبدون فى الدنيا (وظنوا مالهم من محيص) اى مهرب * قوله تعالى (لا يسأم الانسان) أى لا يمل الكافر (من دعاء الخير) يعنى لا يزال يسأل ربه الخير وهو المال والغنى والصحة (وإن مسه الشر) اى الشدة والفقر (فيؤوس) اى من روح الله تعالى (قنوط) اى من رحمته (ولئن اذقناه رحمة منا) اى اتيناه خيرا وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته) اى من بعد شدة وبلاء أصابه (ليقولن هذا لى) اى استحقه بعملى (وما اظن الساعة قائمة) اى واست على يقين من البعث (ولئن رجعت إلى ربى) يقول هذا الكافر اى فان كان الأمر على ذلك ورددت إلى ربى (ان لى عنده للحسنى) أى الجنة والمعنى كما أعطانى فى الدنيا سيعطينى فى الاخرة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوى اعمالهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ وإذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه) اى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم (وإذا مسه الشر) اى الشدة والفقر (فذو دعاء عريض) اى كثير (قل) أى قل يا محمد لكفار مكة (أرأيتم إن كان من عند الله) أى هذا القران (ثم كفرتم به) اى جحدتموه (من اضل ممن هو فى شقاق بعيد) اى فى خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا احد اضل منكم (سنريهم اياتنا فى الآفاق) قال ابن عباس يعنى منازل الأمم الخالية (وفى انفسهم) اى البلاء والأمراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل فى الآفاق هو ما يفتح من القرى والبلاد على محمد ﷺ والمسلمين وفى انفسهم هو فتح مكة (حتى يتبين لهم انه الحق) يعنى دين الاسلام وقيل يتبين القران انه من عند الله وقيل يتبين لهم أن محمدا ﷺ مؤيد من قبل الله تعالى وقيل فى الافاق يعنى اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والأنهار والنبات وفى انفسهم يعنى من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم انه الحق يعنى لا يقدر على هذه الاشياء إلا الله تعالى (اولم يكف بربك انه على كل شى شهيد) يعنى

أولم يكف بربك لأنه على كل شيء شهيد شاهد لا يغيب عنه شيء (ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم) في شك من البعث (ألا إنه بكل شيء محيط) أحاط بكل شيء علما

﴿ سورة شورى مكية وهي ثلاث آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (حم عسق) سئل الحسين بن الفضل لم يقطع حم عسق ولم يقطع كهيعص فقال لأنها سور وأوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره ولأنهما عدا آيتين وأخواتهما مثل كهيعص والمص والمر عدت آية واحدة وقيل لأن أهل التأويل لم يختلفوا في كهيعص وأخواتها أنها حروف التهجي لا غير واختلفوا في حم فاخرجها (٩٧) بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا وقال معناها حم أي قضى ماهو كائن روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ح حلمه م مجده ع علمه س سناؤه ق قدرته اقسم الله بها وقال شهر بن حوشب وعطاء ابن أبي رباح ح حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز من قريش م ملك ع عدو لقريش يقصدهم س سنون يكون فيهم ق قدرة الله النافذة في خلقه وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحيت اليه حم عسق فلذلك قال (كذلك يوحى) وقرأ ابن كثير يوحى بفتح الحاء وحجته قوله أوحينا اليك (وإلى الذين من قبلك) وعلى هذه القراءة قوله (الله العزيز الحكيم) تبين للفاعل كأنه قيل من يوحي فقيل الله العزيز الحكيم وقرأ الآخرون يوحى بكسر الحاء اليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم قال عطاء عن ابن عباس رضي الله

يشهد ان القرآن من عند الله تعالى وقيل أولم يكفهم الدلائل الكثيرة التي أوضحها الله لهم على التوحيد وأنه شاهد لا يغيب عنه شيء (الا انهم في مرية من لقاء ربهم) أي في شك عظيم من القيامة (إلا أنه بكل شيء محيط) أي عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى وهي مكية في قول ابن عباس والجمهور وحكي عن ابن عباس إلا أربع آيات نزلت بالمدينة أولها قل لا أسألكم عليه أجرا وقيل فيها من المدني ذلك الذي يبشر الله عباده إلى قوله تعالى بذات الصدور وقوله الذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون إلى قوله من سبيل وهي ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا والله أعلم ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله عز وجل (حم عسق) سئل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق ولم يقطع حروف المص والمر وكهيعص فقال لانها بين سور أوائلهم حم فجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره لأن حم عسق عدت آيتين وعدت اخواتها التي لم تقطع آية واحدة وقيل لأن اهل التأويل لم يختلفوا في كهيعص واخواتها انها حروف التهجي واختلفوا في حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم الامر اي قضى وبقي عسق على اصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س سناه ق قدرته اقسم الله عز وجل بها وقيل إن العين من العزيز والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل حرب في قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم إلى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنون كسني يوسف ق قدرة الله في خلقه وقيل هذا في شأن محمد ﷺ فالحاء حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه في المقام المحمود وقربة من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد اوحى اليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى (كذلك يوحي اليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه والمعنى كأنه قيل من يوحي فقال الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى (له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) اي من فوق الأرضين وقيل تنفطر كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) اي ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بأمر ربهم (ويستغفرون لمن في الأرض) اي من المؤمنين دون الكفار لأن الكافر لا يستحق ان تستغفر له الملائكة وقيل ان يحتمل ان يكون لجميع من في الأرض اما في حق الكافرين فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب واما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم وقيل استغفارهم لمن في الأرض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) يعني انه تعالى يعطي المغفرة التي سألوها ويضم اليها بمنه وكرمه الرحمة العامة الشاملة * قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء) اي جعلوا له شركاء وانداداً (الله حفيظ عليهم) يعني رقيب على احوالهم واعمالهم (وما انت عليهم بوكيل) يعني لم توكل بهم حتى

عنهما يريد اخبار الغيب (له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أي كل واحدة منها تتفطر فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله ولدا نظيره في سورة مريم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ إدا تكاد السموات يتفطرن منه (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض) من المؤمنين (الا ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم) يحفظ أعمالهم ويحصيها عليهم ليجازيهم بها (وما أنت عليهم بوكيل) لم يوكلك الله عليهم حتى تؤخذ بهم

(وكذلك) مثل ماذكرنا (أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى) مكة يعنى أهلها (ومن حولها) يعنى قرى الأرض كلها (وتنذر يوم الجمع) أى تنذرهم بيوم الجمع، وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين وأهل السموات والأرضين (لاريب فيه) لاشك فى الجمع أنه كائن ثم بعد الجمع يتفرقون (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى ثنا أبو منظور الشامى ثنا أبو العباس الأصم ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان التنوخى ثنا بشر بن بكر حدثنى سعيد بن عثمان عن أبى الراهوية ثنا جرير بن كريب عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال الثعلبى وأخبرنا أبو عبدالله بن فنجويه الدينورى ثنا أبو بكر بن مالك القطيعى ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى هشام بن القاسم ثنا ليث حدثنى ابو قبيل المعافرى عن شفى الأصبحى عن عبدالله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم قابضا على كفيه ومعه كتابان فقال اتدرون ماهذان الكتابان قلنا لا يارسول الله إلا أن تخبرنا فقال الذى فى يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء أهل الجنة واسماء آبائهم وعشائرهم (٩٨) وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا فى الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفا فى الأرحام إذهم

تؤخذبهم إنما أنت نذير (وكذلك) أى ومثل ماذكرنا (أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى) يعنى مكة والمراد أهلها (ومن حولها) يعنى قرى الأرض كلها (وتنذر يوم الجمع) أى وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الأولين والآخرين وأهل السموات والأرضين (لاريب فيه) أى لاشك فى الجمع أنه كائن ثم بعد ذلك يتفرقون وهو قوله تعالى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) عن عبدالله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم قابضا على كفه ومعه كتابان فقال اتدرون ماهذان الكتابان قلنا لا يارسول الله فقال للذى فى يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا فى الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفا فى الأرحام إذهم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة ثم قال للذى فى يساره هذا كتاب من رب العالمين بأسماء اهل النار واسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا فى الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفا فى الأرحام إذهم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله تعالى عليهم إلى يوم القيامة فقال عبدالله بن عمرو ففيم العمل إذا قال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وأن عمل أى عمل ثم قال فريق فى الجنة وفريق فى السعير عدل من الله تعالى أخرجه احمد بن حنبل فى مسنده * قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) اى فى دين الاسلام (والظالمون) أى الكافرون (مالهم من ولى) اى يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) اى يمنعهم من العذاب (ام اتخذوا) يعنى الكفار (من دونه اولياء فالله هو الولى) قال ابن عباس هو وليك يامحمد وولى من اتبعك (وهو يحيى الموتى وهو كل شىء قدير) يعنى ان من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بأن يتخذ وليا ومن لايكون بهذه الصفة فليس بولى (وما اختلفتم فيه من شىء) اى من امر الدين (فحكمه إلى الله) اى يقضى فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذى يزيل الريب وقيل علمه إلى الله وقيل تحاكموا فيه إلى رسول الله ﷺ لأن حكمه من حكم الله تعالى ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته (ذلكم الله) يعنى واليه ارجع فى كل المهمات (فاطر السموات والأرض جعل لكم من انفسكم) يعنى من جنسكم (ازواجا) يعنى حلائل وإنما قال من انفسكم لأن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم (ومن الانعام ازواجا) يعنى اصنافا ذكرانا واناثا (يذرؤكم) يعنى يخلقكم وقيل يكثركم (فيه) يعنى فى الرحم وقيل فى البطن لأنه قد تقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل

فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة ثم قال للذى فى يساره هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل النار واسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا فى الأصلاب وقبل ان يستقروا نطفا فى الارحام إذهم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا بناقص منهم اجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة قال عبدالله بن عمرو ففيم العمل إذا يارسول الله فقال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اى عمل وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اى عمل ثم قال فريق فى الجنة فضل من الله وفريق فى السعير عدل من الله عز وجل قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) قال ابن عباس رضى الله عنهما على دين واحد وقال مقاتل وقيل على ملة الإسلام كقوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) فى دين الاسلام (والظالمون) الكافرون (مالهم من ولى) يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) يمنعهم من النار (ام اتخذوا) بل اتخذوا أى الكافرون (من دونه) أى من دون الله (أولياء فالله هو الولى) قال ابن عباس رضى الله عنهما وليك يامحمد وولى من اتبعك (وهو يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير وما اختلفتم فيه من شىء) من أمر الدين (فحكمه إلى الله) يقضى فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذى يزيل الريب (ذلكم الله) الذى يحكم بين المختلفين هو (ربى عليه توكلت واليه أنيب فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا) من مثل خلقكم حلائل قيل إنما قال من أنفسكم لأنه خلق حواء من ضلع آدم (ومن الأنعام أزواجا) أصنافا ذكوراً وأناثا (يذرؤكم) يخلقكم (فيه) أى فى الرحم وقيل فى البطن وقيل على هذا الوجه من الخلقة قال مجاهد نسلا بعد نسل من الناس والأنعام وقيل فى بمعنى الباء أى يذرؤكم به وقيل معناه يكثركم بالتزويج

(ليس كمثله شيء) مثل صلة أي ليس هو كشيء فادخل المثل للتوكيد كقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وقيل الكاف صلة بمعناه ليس مثله شيء قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس له نظير (وهو السميع البصير له مقاليد السموات والأرض) مفاتيح الرزق في السموات والأرض قال الكلبي المطر والنبات (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) لأن مفاتيح الرزق بيده (انه بكل شيء عليم) قوله عز وجل (شرع لكم من الدين) بين وسن لكم (ما وصى به نوحا) وهو أول أنبياء الشريعة قال مجاهد أوصيناك وإياه يا محمد دينا (٩٩) واحدا (والذي أوحينا إليك) من القران وشرائع الاسلام (وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) واختلفوا في وجه الاية فقال قتادة تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم الأمهات والبنات والاخوات وقال مجاهد لم يبعث الله نبيا إلا أوصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقيل هو التوحيد والبراءة من الشرك وقيل هو ما ذكر من بعد وهو قوله (ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) بعث الله الأنبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه) من التوحيد ورفض الاوثان ثم قال (الله يجتبي إليه من يشاء) يصطفي لدينه من يشاء من عباده (ويهدي إليه من ينيب) يقبل الى طاعته (وما تفرقوا) يعني اهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعني اهل الكتاب كما ذكر في سورة المنفكين وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الآية (الا من بعد ما جاءهم العلم) بأن الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك (بغيا بينهم) أي للبغي قال عطاء يعني بغيا بينهم على محمد ﷺ (ولولا كلمة سبقت من ربك) في تأخير العذاب عنهم (الى أجل مسمى) وهو يوم القيامة (لقضي بين) بين من امن وكفر اى أنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا (وان الذين اورثوا الكتاب) اى اليهود والنصارى (من بعدهم) أي من بعد انبيائهم وقيل من بعد الامم إلى فلان ولفلان وذلك اشارة الى ما وصى به الأنبياء من التوحيد (واستقم كما أمرت) أي اثبت على الدين الذي أمرت به (ولا تتبع أهواءهم) أي

وقيل الضمير في يذرؤكم يرجع إلى المخاطب من الناس والانعام إلا أنه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل في بمعنى الباء اى يذرؤكم به اى يكثركم بالتزويج (ليس كمثله شيء) المثل صلة أي ليس كهو شيء وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شيء قال ابن عباس ليس له نظير * فان قلت هذه الاية دالة على نفي المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض يقتضي اثبات المثل فما الفرق * قلت المثل الذي يكون مساويا في بعض الصفات الخارجة عن الماهيه فقوله ليس كمثله شيء معناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس أو يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل وقوله وله المثل الاعلى معناه ولو الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه أحد فقد ظهر بهذا التفسير معنى الايتين وحصل الفرق بينهما (وهو السميع) أي لسائر المسموعات (البصير) أي لسائر المبصرات (له مقاليد السموات والارض) اى مفاتيح الرزق في السموات اى المطر وفي الارض اى النبات يدل عليه قوله تعالى (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي أنه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده (انه بكل شيء عليم) أي من البسط والتضييق * قوله عز وجل (شرع لكم في الدين) أي بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين أي دينا تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله تعالى (ما وصى به نوحا) أي انه أول الانبياء اصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه وإياك يا محمد دينا واحدا (والذي أوحينا إليك) أي من القرآن وشرائع الاسلام (وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) إنما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لأنهم اكابر الانبياء واصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة وأولوا العزم ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رسله بقوله تعالى (ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد باقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الاخر وطاعة الله في أوامره ونواهيه وسائر ما يكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب أحوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل أراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا إلا وصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله تعالى بالوحدانية والطاعة وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامه الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه) اى من التوحيد ورفض الاوثان (الله يجتبي اليه من يشاء) أي يصطفي لدينه من يشاء من عباده (ويهدي اليه من ينيب) أي يقبل على طاعته (وما تفرقوا) اى أهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس اى أهل الكتاب (الا من بعد ما جاءهم العلم) أي بان الفرقة ضلالة (بغيا بينهم) أي ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل بغيا منهم على محمد ﷺ (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي في تأخير العذاب عنهم (الى أجل مسمى) يعني الى يوم القيامة (لقضي بينهم) أي بين من امن وكفر يعني لأنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا (وان الذين أورثوا الكتاب) اى اليهود والنصارى (من بعدهم) أي من بعد انبيائهم وقيل الامم الخالية (لفي شك منه) أي من أمر محمد ﷺ فلا يؤمنون به (مريب) أي مرتابين شاكين فيه (فلذلك) اى الى ذلك (فادع) اى الى ما وصى الله تعالى به الانبياء من التوحيد وقيل لاجل ما حدث به من الاختلافات في الدين الكثير فادع انت الى الاتفاق على الملة الحنيفية (واستقم كما امرت) اى اثبت على الدين الذي امرت به (ولا تتبع اهواءهم) أي

وقل امنت بما انزل الله من كتاب) اى امكنت بتب الله كلها (وأمرت لأعدل بينكم) ان أعدل بينكم قال ابن عباس رضى الله عنهما أمرت أن لا احيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم من الأحكام وقيل لأعدل بينكم فى جميع الأحوال والأشياء (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم اعمالكم) يعنى إلهنا واحد وإن اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله (لاحجة) لاخصومة (بيننا وبينكم) نسختها اية القتال فاذا لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة (الله يجمع بيننا) فى المعاد لفصل القضاء (واليه المصير والذين يحاجون فى الله) يخاصمون فى دين الله تعالى نبيه ﷺ وقال قتادة هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم (من بعد ما استجيب له) اى استجيب له الناس فاسلموا ودخلوا (١٠٠) فى دينه لظهور معجزته (حجتهم داحضة) خصومتهم باطلة (عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) فى الآخرة الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان) قال قتادة ومجاهد ومقاتل العدل وسمى بالعدل ميزانا لان الميزان اله الانصاف والتسوية قال ابن عباس رضى الله عنهما امر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس (وما يدريك لعل الساعة قريب) ولم يقل قريبة لان تانيثها غير حقيقى ومجازه الوقت قريب وقال الكسائى اتيانها قريب قال مقاتل ذكر النبى ﷺ الساعة ذات يوم وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا متى تكون الساعة فانزل الله هذه الاية (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) ظنا منهم انها غير اتية (والذين امنوا مشفقون) أى خائفون (منها ويعلمون انها الحق) انها اتية لاريب فيها (إلا ان الذين يمـــارون) يخاصمون وقيل يدخلهم المرية والشك (فى الساعة لفى ضلال بعيد الله لطيف بعباده) قال ابن عباس رضى الله عنهما بالسنا حفى بهم قال عكرمة بارهم قال السدى رفيق قال مقاتل لطيف بالابرار الفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله (يرزق من يشاء) وكل من رزقه الله من مؤمن وكافر وذى روح فهو ممن يشاء الله ان يرزقه قال جعفر بن محمد الصادق اللطف فى الرزق من وجهين أحدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثانى انه لم يدفعه اليك مرة واحدة (وهو القوى العزيز من كان يريد حرث الاخرة) الحرث فى اللغة الكسب يعنى من كان يريد بعمله الاخرة (نزد له فى حرثه) بالتضعيف بالواحد عشرة الى ماشاء الله من الزيادة (ومن كان يريد حرث الدنيا) يريد بعمله الدنيا (نؤته منها) قال قتادة أى نؤته بقدر ما قسم الله له كما قال عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد (وماله فى الاخرة من نصيب) لأنه لم يعمل للاخرة اخبرنا الامام ابو على الحسين بن محمد القاضى انا أبو طاهر الزيادى انا أبو حامد احمد بن محمد بن يحيى بن بلال ثنا أبو الأزهر أحمد بن منيع البغدادى ثنا محمد بن يوسف الفريابى ثنا سفيان عن المغيرة عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى

المختلفة الباطلة (وقل امنت بما أنزل الله من كتاب) أى امنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لان المتفرقين امنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض (وأمرت لاعدل بينكم) قال ابن عباس امرت أن لا أحيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم فى جميع الاحوال والاشياء وقيل لاعدل بينكم فى الحكم إذا تخاصمتم وتحاكمتم إلى (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعنى ان إله الكل واحد وكل احد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت اعمالنا فكل يجازى بعمله (لاحجة) أى لاخصومة (بيننا وبينكم) وهذه الآية منسوخة باية القتال إذ لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة (الله يجمع بيننا) أى فى الميعاد لفصل القضاء (واليه المصير) * قوله عز وجل (والذين يحاجون فى الله) اى يخاصمون فى دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم (من بعد ما استجيب له) أى من بعد ما استجيب الناس لدين الله تعالى فاسلموا ودخلوا فى دينه لظهور معجزة نبيه ﷺ (حجتهم داحضة) أى خصومتهم باطلة (عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) أى فى الآخرة الله الذى أنزل الكتاب بالحق (والميزان) أى العدل سمى العدل ميزانا لان الميزان اله الانصاف والتسوية قال ابن عباس رضى الله عنهما امر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس (وما يدريك لعل الساعة قريب) أى وقت اتيانها قريب وذلك ان النبى ﷺ ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فانزل الله تعالى (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) أى ظنا منهم أنها غير اتية (والذين امنوا مشفقون) أى خائفون (منها ويعلمون أنها الحق) أى انها اتية لاشك فيها (إلا أن الذين يمارون) أى يخاصمون (فى الساعة) وقيل يشكون فيها (لفى ضلال بعيد) قوله عز وجل (الله لطيف بعباده) اى كثير الاحسان إليهم قال ابن عباس حفى بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالابرار الفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله تعالى (يرزق من يشاء) يعنى ان الاحسان والبر انعام فى حق كل العباد وهو اعطاء مالابد منه فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذى روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه وقيل لطفه فى الرزق من وجهين أحدهما انه جعل رزقكم من الطيبات والثانى انه لم يدفعه اليكم مرة واحدة (وهو القوى) أى القادر على كل من كان يريد بعمله الآخرة (نزد له فى حرثه) أى بالتضعيف الواحدة الى عشرة الى ماشاء الله تعالى من الزيادة وقيل انا نزيد فى توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات (ومن كان يريد حرث الدنيا) يعنى يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على الاخرة (نؤته منها) اى ماقدر وقسم له أنها (وماله فى الآخرة من نصيب) يعنى لانه لم يعمل لها عن ابى ابن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ بشر هذه الأمة

الله عليه وسلم بشرت هذه الأمة بالسنا والرفعة والنصرة والتمكين فى الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة نصيب قوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) يعنى كفار مكة يقول لهم سنوا لهم من الدين مالم يأذن به الله قال ابن عباس رضى الله عنهما شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام (ولولا كلمة الفصل) ولولا أن الله حكم فى كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة حيث قال بل الساعة موعدهم (لقضى بينهم) لفرغ من عذاب الذين يكذبونك فى الدنيا (وإن الظالمين) المشركين (لهم عذاب اليم) فى الآخرة (ترى الظالمين) المشركين يوم القيامة (مشفقين) وجلين (مما كسبوا وهو واقع بهم) جزاء كسبهم واقع بهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذى) ذكرت من نعيم الجنة (يبشر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بأنهم أهله (قل لا اسئلكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى) اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عبد الملك بن ميسرة قال سمعت طاوسا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن قوله إلا المودة فى القربى قال سعيد بن جبير قربى آل محمد ﷺ فقال ابن عباس رضى الله عنهما عجبت أن النبى ﷺ لم يكن بطش من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة وكذلك روى الشعبى وطاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما قال إلا المودة فى القربى يعنى أن تحفظوا قرابتى وتودونى وتصلوا رحمى وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدى والضحاك رضى الله عنهم وقال عكرمة لا اسئلكم على ما ادعوكم اليه أجرا إلا أن تحفظونى فى قرابتى بينى وبينكم وليس كما

بالسنا والرفعة والتمكين فى الارض فمن عمل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له فى الاخرة نصيب ذكره فى جامع الاصول ولم يعزه إلى أحد من الكتب الستة وأخرجه البغوى باسناده * قوله تعالى (أم لهم) يعنى كفار مكة (شركاء) يعنى الاصنام وقيل الشياطين (شرعوا لهم من الدين) قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام (مالم يأذن به الله) يعنى ان تلك الشرائع بأسرها على خلاف دين الله تعالى الذى امر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها (ولولا كلمة الفصل) يعنى ان الله حكم بى الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة (لقضى بينهم) اى لفرغ من عذاب الذين يكذبونك فى الدنيا (وإن الظالمين) يعنى المشركين (لهم عذاب اليم) اى فى الاخرة (ترى الظالمين) يعنى يوم القيامة (مشفقين) اى وجلين خائفين (مما كسبوا) اى من الشرك والاعمال الخبيثة (وهو واقع بهم) اى جزاء كسبهم واقع بها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) لان هذه الروضات اطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على ان فى الجنة منازل غير الروضات هى لمن هو دون الذين عملوا الصالحات من اهل القبلة (لهم ما يشاؤون عند ربهم) اى من الكرامة (ذلك هو الفضل الكبير ذلك) اى الذى ذكر من نعيم الجنة (الذى يبشر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) . قوله عز وجل (قل لا أسألكم عليه) اى على تبليغ الرسالة (اجرا) اى اجزاء (إلا المودة فى القربى) (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن

يقول الكذابون وروى ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس فى معنى الآية إلا أن تودوا الله ويتقربوا اليه بطاعته وهذا قول الحسن قال هو القربى إلى الله يقول إلا التقرب إلى الله والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح وقال بعضهم معناه إلا أن تودوا قرابتى وعترتى وتحفظونى فيهم وهو قول سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب واختلفوا فى قرابته فاطمة الزهراء وعلى وابناها

وفيهم نزل إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وروينا عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم عن النبى ﷺ قال إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتى اذكركم الله فى أهل بيتى قيل لزيد بن ارقم من أهل بيته قال هم ال على وال عقيل وال جعفر وال عباس اخبرنا عبد الواحد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن عبد الوهاب ثنا خالد ثنا شعبة عن واقد قال سمعت ابى يحدث عن ابن عمر عن أبى بكر قال ارقبوا محمدا فى أهل بيته وقيل هم الذين تحرم عليهم الصدقة من أقاربه ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يتفرقوا فى جاهلية ولا فى إسلام وقال قوم هذه الآية منسوخة وإنما نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ فانزل الله هذه الاية فامرهم فيها بمودة رسول الله ﷺ وصلة رحمه فلما هاجر إلى المدينة واواه الانصار ونصروه احب الله عز وجل ان يلحقه باخوانه من الأنبياء عليهم السلام حيث قال وما اسئلكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين فانزل الله تعالى قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله فهى منسوخة بهذه الآية وبقوله قل ما اسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين وغيرها من الآيات وإلى هذا ذهب الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل وهذا قول غير مرضى لأن مودة النبى ﷺ وكف الأذى عنه ومودة أقاربه والتقرب إلى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين وهذه أقاويل السلف فى معنى الآية فلا يجوز المصير إلى نسخ شىء من هذه الاشياء وقوله إلا المودة فى القربى ليس باستثناء متصل بالاول حتى يكون ذلك اجرا فى مقابلة أداء الرسالة بل هو منقطع ومعناه ولكنى أذكركم المودة فى القربى واذكركم قرابتى منكم كما روينا فى حديث زيد بن ارقم اذكركم الله فى أهل بيتى

قوله تعالى (ومن يقترف حسنة نزد له حسنا) اى من يكتسب طاعة نزد له فيها حسنا بالتضعيف (إن الله غفور) الذنوب (شكور) للقليل حتى يضاعفها (ام يقولون) بل يقولون يعنى كفار مكة (افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك) قال مجاهد نربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك إذاهم وقولهم انه مفتر قال قتادة يعنى يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما اتاك فاخبرهم انه لو افترى على الله كذبا بالفعل به ما اخبر عنه فى هذه الاية ثم ابتدا فقال (ويمح الله الباطل) قال الكسائى فيه تقديم وتأخير مجازه والله يمحو الباطل فهو فى محل رفع ولكنه حذفت منه الواو فى المصحف على اللفظ كما حذفت من قوله ويدع الانسان وسندع الزبانية اخبر ان مايقولونه باطل يمحوه الله (ويحق الحق بكلماته) اى الاسلام بما انزل من كتابه وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم واعلى كلمة الاسلام (إنه عليم بذات الصدور) قال ابن عباس لما نزلت قل لا اسألكم عليه اجرا إلا المودة فى القربى وقع فى قلوب قوم منها شىء وقالوا يريد ان يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل فاخبره انهم اتهموه وانزل هذه الاية فقال القوم الذين اتهموه يارسول الله انشهد انك صادق فنزل

قوله إلا المودة فى القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد ﷺ قال ابن عباس عجبت أن النبى ﷺ لم تكن بطن من قريش إلا وله فيهم قرابة فقال ألا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة وعن ابن عباس أيضا فى قوله إلا المودة فى القربى يعنى أن تحفظوا قرابتى وتودونى وتصلوا رحمى واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدى والضحاك (خ) عن ابن عمر أن أبا بكر قال ارقبوا محمداً ﷺ فى أهل بيته واختلفوا فى قرابته فقيل على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم وقيل أهل بيته من تحرم عليه الصدقة من أقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا فى جاهلية ولا فى إسلام (م) عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال إنى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتى اذكركم الله فى أهل بيتى اذكركم الله فى أهل بيتى فقال له حصين من أهل بيته يازيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرمت عليه الصدقة بعده قال ومن هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس * فان قلت طلب الاجر على تبليغ الرسالة والوحى لايجوز لقوله فى قصة نوح عليه السلام وغيره من الانبياء وما أسئلكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين * قلت لانزاع فى أنه لايجوز طلب الأجر على تبليغ الرسالة بقى الجواب عن قوله إلا المودة فى القربى فالجواب عنه من وجهين الأول معناه لاأطلب منكم إلا هذه وهذا فى الحقيقة ليس بأجر ومنه قول الشاعر

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

معناه إذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولأن المودة بين المسلمين أمر واجب وإذا كان كذلك فى حق جميع المسلمين كان فى أهل بيت النبى ﷺ أولى فقوله قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى المودة فى القربى ليست أجراً فى الحقيقة لأن قرابته قرابتهم فكانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم فثبت إن لا أجر البتة والوجه الثانى أن هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا أسئلكم عليه أجرا ثم ابتدأ فقال إلا المودة فى القربى أى لكن اذكركم المودة فى قرابتى الذين هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه الاية منسوخة وذلك لأنها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ فانزل الله تعالى هذه الاية فامرهم فيها بمودة رسول الله ﷺ وصلة رحمه فلما هاجر إلى المدينة واواه الانصار ونصروه احب الله تعالى ان يلحقه بأخوانه من النبيين فانزل الله تعالى قل ماسألتكم من اجر فهو لكم ان اجرى إلا على الله فصارت هذه الاية ناسخة لقوله قل اسئلكم عليه اجرا إلا المودة فى القربى واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الاية غير مرضى لان مودة النبى ﷺ وكف الأذى عنه ومودة اقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير إلى نسخ هذه الاية وروى عن ابن عباس فى معنى الاية قول آخر قال الا ان توادوا الله وتتقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى إلى الله يقول إلا التقرب إلى الله تعالى والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح * وقوله تعالى (ومن يقترف حسنة) أى يكتسب طاعة (نزد له فيها حسنا) أى بالتضعيف (إن الله غفور) للذنوب (شكور) اى القليل من الاعمال حتى يضاعفها (ام يقولون) اى بل يقول كفار مكة (افترى على الله كذبا) وهو اقبح انواع الكذب (فان يشأ الله يختم على قلبك) اى يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما اتاك فاخبرهم انه لو افترى على الله كذبا بالفعل به ما اخبر به فى هذه الاية (ويمح الله الباطل) اخبره الله تعالى ان مايقولونه الباطل والله عز وجل يمحوه (ويحق الحق بكلماته) اى يحق الاسلام بما انزل من كتابه وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم واعلى كلمه الاسلام (إنه عليم بذات الصدور) قال ابن عباس لما نزلت قل لا اسئلكم عليه اجر إلا المودة فى القربى وقع فى قلوب قوم منها شىء وقالوا يريدان يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل

(وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) قال ابن عباس يريد أولياءه وأهل طاعته وقيل التوبة ترك المعاصى نية وفعلا والاقبال على الطاعة نية وفعلا قال سهل بن عبد الله التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة (ويعفوا عن السيئات) إذا تابوا فلا يؤاخذهم بها أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريانى أنا حميد بن زنجويه ثنا يحيى بن حماد ثنا أبو عوانة عن سليمان الأعمش عن عمارة بن عمير بن الحرث بن سويد قال (١٠٣) دخلت على عبد الله أعوده فقال

عليه الصلاة والسلام فاخبره أنهم اتهموه وأنزل الله هذه الاية فقال القوم يارسول الله فانشهد أنك صادق فنزل قوله عز وجل (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أولياؤه وأهل طاعته

(فصل فى ذكر التوبة وحكمها) قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط واحدها أن يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم على أن لا يعود اليها ابدا فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد احد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها اربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة الانتقال عن المعاصى نية وفعلا والاقبال على الطاعات نية وفعلا وقال سهل بن عبد الله التسترى التوبة والانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة (خ) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ يقول والله إنى لأستغفر الله واتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة (م) عن الأغر بن بشار المزنى قال قال رسول الله ﷺ يا أيها الناس توبوا إلى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول الله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اشتد الحر والعطش اوما شاء الله قال ارجع إلى مكانى الذى كنت فيه فانام حتى أموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة (ق) عن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لله افرح بتوبة عبده المؤمن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله فى ارض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله ﷺ لله اشد فرحا بتوبة عبده حين عبده حين يتوب اليه من احدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد ايس من رحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحة اللهم انت عبدى وانا ربك اخطا من شدة الفرح عن صفوان بن عسال المرادى قال قال رسول الله ﷺ ان الله جعل المغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق مالم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم ياتى بعض ايات ربك لا ينفع نفسا إيمانه الاية اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال ان الله عز وجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن ابى موسى الأشعرى رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقوله عز وجل (ويعفو عن السيئات) اى يمحوها إذا تابوا (ويعلم ما تفعلون) يعنى من خير وشر فيجازيهم عليه (ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات) يعنى يجيب المؤمنون الله تعالى فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات إذا دعوه وقال ابن عباس ويثبت الذين امنوا (ويزيدهم من فضله) اى سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه

سمعت رسول الله ﷺ يقول الله أفرح بتوبة عبده من رجل أظنه قال فى برية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنزل فنام فاستيقظ وقد ضلت راحلته فطاف عليها حتى أدركه العطش فقال ارجع إلى حيث كانت راحلتى فأموت عليه فرجع فأغفى فاستيقظ فاذا هو بها عنده عليها طعامه وشرابه أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا ثنا عمر بن يونس ثنا عكرمة بن عمار ثنا اسحق ابن أبى طلحة حدثنى أنس ابن ابى مالك وهو عمه قال قال رسول الله ﷺ الله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع فى ظلها

وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطا من شدة الفرح ويعفو عن السيئات فيمحوها إذا تابوا (ويعلم ما تفعلون) قرأ حمزة والكسائى وحفص تفعلون بالتاء وقالوا هو خطاب للمشركين وقرأ الآخرون بالياء لأنه بين خبرين عن قوم فقال قبله يقبل التوبة عن عباده وبعده ويزيدهم من فضله (ويستجيب الذين امنوا) اى ويجيب الذين امنوا (وعملوا الصالحات) إذا دعوه وقال عطاء عن ابن عباس ويثبت الذين امنوا (ويزيدهم من فضله) سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه وقال أبو صالح عنه يشفعهم فى اخوانهم ويزيدهم من فضله قال فى اخوان إخوانهم

(والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده) قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الاية وذلك انا نظرنا إلى أموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها فأنزل الله عز وجل هذه الاية ولو بسط الله الرزق وسع الله الرزق لعباده (لبغوا) لطغوا وعتوا (فى الأرض) قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبس بعد ملبس (ولكن ينزل) أرزاقهم (بقدر ما يشاء) كما يشاء نظرا منه لعباده ولحكمة اقتضتها قدرته (انه بعباده خبير بصير) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو عمر بكر بن محمد المزنى ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة ثنا الحسين بن (١٠٤) الفضل البجلى ثنا أبو حفص عمر بن سعيد الدمشقى ثنا صدقة عن عبد الله ثنا هشام الكنانى عن

وقال ابن عباس يشفعهم فى اخوانهم ويزيدهم من فضله قال فى إخوان إخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد) * قوله عز وجل (ولو بسط الله الرزق لعباده) قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا إلى أموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها فأنزل الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده أى وسع الله الرزق لعباده (لبغوا) أى لطغوا وعتوا (فى الأرض) قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل أن الإنسان متكبرا بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع إلى مقتضى طبعه وهو التكبر وإذا وقع فى شدة ومكروه وفقر انكسر فرجع إلى الطاعة والتواضع وقيل أن البغى مع القبض والفقر أقل ومع البسط والغنى أكثر لأن النفس مائلة إلى الشر لكنها إذا كانت فاقدة لالاته كان الشر أقل وإذا كانت واجدة لها كان الشر أكثر فثبت أن وجدان المال يوجب الطغيان (ولكن ينزل بقدر ما يشاء) يعنى الارزاق نظر المصالح عباده وهو قوله تعالى (انه بعباده خبير بصير) والمعنى أنه تعالى عالم بأحوال عباده وبطبائعهم وبعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ما روى انس بن مالك عن النبى ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وإنى لاغضب لأوليائى كما يغضب الليث الحرد وما تقرب إلى عبدى المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه وما يزال عبدى المؤمن يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا ومؤيدا أن دعانى أجبته وإن سألنى أعطيته وما ترددت فى شىء انا فاعله تردى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وإن من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك إن من عبادى المؤمنين لمن لا يصح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لافسده ذلك انى أدبر أمر عبادى بعلمى بقلوبهم انى عليم خبير أخرجه البغوى باسناده * قوله عز وجل (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) أى يئس الناس منه وذلك ادعى لهم إلى الشكر قيل حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله عز وجل المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة اتم (وينشر رحمته) أى يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب (وهو الولى) أى لاهل طاعته (الحميد) أى المحمود على ما يوصل إلى الخلق من أقسام رحمته (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث) أى أوجد (فيهما) أى فى السموات والارض (من دابة) فان قلت كيف يجوز إطلاق لفظ الدابة على الملائكة * قلت الدبيب فى اللغة المشى الخفيف على الارض فيحتمل أن يكون للملائكة مشى مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل أن الله تعالى خلق السموات أنواعا من الحيوانات يدبون دبيب الانسان (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) يعنى يوم القيامة * قوله عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) المراد بهذه المصائب الاحوال

انس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وانى لاغضب لأوليائى كما يغضب الليث الحرد وما تقرب إلى عبدى المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه وما يزال عبدى المؤمن يتقرب إلى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا ومؤيدا ان دعانى اجبته وإن سألنى اعطيته وما ترددت فى شىء انا فاعله تردى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك إنى أدبر أمر عبادى المكروهة عبادى بعلمى بقلوبهم إنى عليم خبير قوله عز وجل (وهو الذى ينزل الغيث) المطر (من بعد ما قنطوا) يعنى من بعد ما يئس الناس منه وذلك ادعى لهم إلى الشكر قال مقاتل حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله المطر فذكرهم الله نعمته (وينشر رحمته) يبسط مطره كما قال وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته (وهو الولى) لاهل طاعته (الحميد) عند خلقه (ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) يعنى يوم القيامة (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) قرأ اهل

المدينة والشام بما كسبت بعير فاء وكذلك هو في مصاحفهم فمن حذف الفاء جعل ما في أول الآيه بمعنى الذى أصابكم بما كسبت أيديكم (ويعفوا عن كثير) قال الحسن لما نزلت هذه الاية قال رسول الله ﷺ والذى نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه ثنا أبو بكر بن مالك القطيعي ثنا بشر بن موسى الاسدى ثنا خلف بن الوليد ثنا مروان بن معاوية اخبرني الازهر بن راشد الباهلي عن الخضر بن القواس البجلي عن أبي سخيلة قال قال علي بن أبي طالب الا اخبركم بافضل اية في كتاب الله عز وجل حدثنا بها رسول الله ﷺ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير قال وسافسرها لك يا علي ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله عز وجل أكرم من ان يثني عليهم العقوبة في الاخرة وما عفا الله عنكم في الدنيا فالله احلم من ان يعود بعد عفوه قال عكرمة ما من نكبة اصابت عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بها او درجة لم يكن الله ليبلغه إلا بها (وما انتم بمعجزين) بفائتين (في (١٠٥) الأرض) هربا يعني لا تعجزونني حيث ما كنتم ولا تسبقونني (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) قوله عز وجل (ومن اياته الجوار) اى السفن واحدتها جارية وهي السائرة (في البحر كالأعلام) اى الجبال قال مجاهد القصور واحدها علم وقال الخليل بن أحمد كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم (إن يشأ يسكن الريح) التي تجريها (فيظللن) يعني الجواري (رواكد) ثوابت (على ظهره) على ظهر البحر لا تجرى (إن في ذلك لايات لكل صبار شكور) اى لكل مؤمن لأن صفة المؤمن الصبر في الشدة والشكر في الرخاء (أو يوبقهن) يهلكهن ويغرقهن (بما كسبوا) اى بما كسبته ركبانها من الذنوب (ويعفوا عن كثير) من ذنوبهم فلا يعاقب عليها

المكروهة نحو الأوجاع والأسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فيما كسبت أيديكم من الذنوب والمعاصى (ويعفوا عن كثير) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ والذى نفسى بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وروى البغوى باسناد الثعلبي عن أبي سخيلة قال قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه الا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله ﷺ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير وسأفسرها لكم يا علي ما أصابكم من مصيبة أى مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة في الاخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله احلم من أن يعود بعد عفوه وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بها أو درجة لم يكن الله ليرفعه بها إلا بها (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة (وما أنتم بمعجزين) أى بفائتين (في الأرض) هربا يعني لا تعجزونني حيثما كنتم (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) قوله عز وجل (ومن اياته الجوار) يعني السفن وهي السيارة (في البحر كالأعلام) أى كالقصور وكل شيء مرتفع عند العرب فهو علم (إن يشأ يسكن الريح) أى التي تجرى بها السفن (فيظللن) يعني السفن الجواري (رواكد) أى ثوابت (على ظهره) يعني على ظهر البحر لا تجرى (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) وهذه صفة المؤمن لأنه يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء (أو يوبقهن) يعني يغرقهن ويهلكهن (بما كسبوا) أى بما كسبت ركابها من الذنوب (ويعفوا عن كثير) أى من ذنوبهم فلا يعاقب عليها (ويعلم الذين يجادلون في اياتنا مالهم من محيص) يعني يعلم الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله تعالى مالهم من مهرب من عذابه (فما أوتيتم من شيء) اى من زينة الدنيا (فمتاع الحياة الدنيا) اى ليس هو من زاد المعاد (وما عند الله) اى من الثواب (خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون) والمعنى ان المؤمن والكافر يستويان في متاع الحياة الدنيا فاذا صارا إلى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب خيرا وابقى للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الأثم) اى كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك (والفواحش) اى ما عظم قبحه من الأقوال والافعال (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) يعني يكظمون الغيظ ويحلمون

(ويعلم) قرا اهل المدينة والشام ويعلم برفع الميم على الاستئناف كقوله عز وجل في سورة براءة ويتوب الله على من يشاء وقرا الاخرون بالنصب على الصرف والجزم إذا صرف عنه معطوفه نصب وهو كقوله تعالى ويعلم الصابرين صرف من حال الجزم إلى النصب استخفافا وكراهية لتوالى الجزم (الذين يجادلون في اياتنا مالهم من محيص) اى يعلم الذين يكذبون بالقران إذا صاروا إلى الله بعد البعث ان لا مهرب لهم من عذاب الله (فما اوتيتم من شيء) من رياش الدنيا (فمتاع الحياة الدنيا) ليس من زاد المعاد (وما عند الله) من الثواب (خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون) فيه بيان ان المؤمن والكافر يستويان في ان الدنيا متاع لهما يتمتعان بها فاذا صار إلى الاخرة كان ما عند الله خيرا للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الاثم) قرا حمزة والكسائى كبير الأثم على الواحد ههنا وفي سورة النجم وقرا الاخرون كبائر بالجمع وقد ذكرنا معنى الكبائر في سورة النساء (والفواحش) قال السدى يعني الزنا وقال مجاهد ومقاتل ما يوجب الحد (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) يحلمون ويكظمون الغيظ ويتجاوزون

(والذين استجابوا لربهم) أجابوه إلى مادعاهم اليه من طاعته (وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم) يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون (ومما رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم البغى) الظلم والعدوان (هم ينتصرون) ينتقمون من ظالميهم من غير ان يعتدوا قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عن ظالمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله وإذا ماغضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالميهم وهم الذين ذكروا فى هذه الاية قال إبراهيم فى هذه الاية كانوا يكرهون ان يستذلوا فاذا قدروا عفوا قال عطاء هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم مكنهم الله فى الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم ذكر الله الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمى الجزاء سيئة وإن لم يكن سيئة لتشابههما فى الصورة قال مقاتل يعنى القصاص فى الجراحات والدماء قال مجاهد والسدى هو جواب القبيح إذا قال له احد أخزاك الله يقول أخزاك الله وإذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير ان تعتدى قال سفيان بن عيينة قلت لسفيان الثورى ماقوله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها قال ان يشتمك رجل فتشتمه او ان يفعل بك فتفعل به فلم اجد عنده شيا فسالت هشام ابن حجيرة عن هذه الاية فقال الجارح إذا جرح يقتص منه وليس هو ان يشتمك فتشتمه ثم ذكر العفو فقال (فمن عفا) عمن ظلمه (واصلح) بالعفو بينه وبين ظالمه (فاجره على الله) قال الحسن إذا كان يوم القيامة نادى منادمن كان له على الله اجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا ثم قرأ هذه الاية (إنه لا يحب الظالمين) قال ابن عباس الذين يبدأون بالظلم (ولمن انتصر بعد ظلمه) اى بعد ظلم الظالم إياه (فاولئك) يعنى المنتصرين (ماعليهم من سبيل) بعقوبة ومؤاخذة (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبدأون بالظلم (ويبغون فى الارض بغير الحق) يعملون فيها بالمعاصى (اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر) فلم ينتصر (إن ذلك) الصبر والتجاوز (لمن عزم الأمور) حقها وحزمها قال مقاتل من الأمور الذين التى امر الله بها قال الزجاج الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة فى الثواب اتم عزما (ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده) فما له من احد يلى هدايته بعد إضلال الله إياه أو يمنعه من عذاب الله (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يوم القيامة (يقولون هل إلى مرد من سبيل) يسألون الرجعة فى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) اى على النار (خاشعين) خاضعين متواضعين (من الذل ينظرون من طرف خفى) خفى النظر لما عليهم من الذل يسارقون النظر إلى النار خوفا منها وذلة فى انفسهم وقيل من بمعنى الباء أى بطرف خفى ضعيف من الذل وقيل إنما قال من طرف خفى لأنه لا يفتح عينه إنما ينظر ببعضها وقيل معناه ينظرون إلى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفى (وقال

(والذين استجابوا لربهم) يعنى أجابوه إلى مادعاهم اليه من طاعته (وأقاموا الصلاة) يعنى المفروضة (وأمرهم شورى بينهم) يعنى يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأى مالم يجتمعوا عليه قيل ماتشاور قوم إلا هدوا إلى أرشد أمرهم (ومما رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم البغى) أى الظلم والعدوان (هم ينتصرون) يعنى ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله تعالى المؤمنين صنفين صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله تعالى وإذا ماغضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا فى هذه الاية وقال إبراهيم النخعى كانوا يكرهون ان يذلوا أنفسهم فاذا قدروا عفوا وقيل أن العفو غراء للسفيئة وقال عطاء هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله عز وجل فى الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى ان شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمى الجزاء سيئة وإن لم يكن سيئة لتشابههما فى الصورة وقيل لان الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جزاء القبيح إذا قال أخزاك الله فقل له أخزاك الله ولا تزد وإذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتدوا قيل هو فى القصاص فى الجراحات والدماء يقتص بمثل ماجنى عليه وقيل ان الله تعالى لم يرغب فى الانتصار بل بين أنه مشروع ثم بين أن العفو أولى بقوله تعالى (فمن عفا) أى عمن ظلمه (واصلح) اى بالعفو بينه وبين الظالم (فأجره على الله) قال الحسن إذا كان يوم القيامة نادى منادمن كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا ثم قرأ هذه الاية (إنه لا يحب الظالمين) قال ابن عباس الذين يبدأون بالظلم (ولمن انتصر بعد ظلمه) أى بعد ظلم الظالم إياه (فأولئك) يعنى المنتصرين (ماعليهم من سبيل) اى بعقوبة ومؤاخذة (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) اى يبدأون بالظلم (ويبغون فى الأرض بغير الحق) اى يعلمون فيها بالمعاصى (اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر) اى لم ينتصر (وغفر) تجاوز عن ظالمه (إن ذلك) أى الصبر والتجاوز (لمن عزم الأمور) اى تركه الانتصار لمن عزم الأمور الجيدة التى أمر الله عز وجل بها وقيل ان الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة فى الثواب أتم عزما (ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده) يعنى ماله من أحد يلى هدايته بعد إضلال الله إياه او يمنعه من عذابه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يعنى يوم القيامة (يقولون هل إلى مرد من سبيل) اى انهم يسألون الرجعة إلى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) اى على النار (خاشعين من الذل) اى خاضعين متواضعين (ينظرون من طرف خفى) يعنى يسارقون النظر إلى النار خوفا منها وذلك فى أنفسهم وقيل ينظرون بطرف خفى أى ضعيف من الذل وقيل ينظرون إلى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفى (وقال

الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) قيل خسروا أنفسهم بان صاروا إلى النار وأهليهم بان صاروا لغيرهم في الجنة (الا إن الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل) طريق إلى الصواب وإلى الوصول إلى الحق في الدنيا والجنة في العقبى قد استدت عليهم طرق الخير (استجيبوا لربكم) اجيبوا داعي الله يعني محمدا ﷺ (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة (مالكم من ملجأ) تلجأون اليه (يومئذ ومالكم من نكير) من منكر بغير ما بكم (فان أعرضوا) عن الاجابة (فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك) ما عليك (إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة) قال ابن عباس يعني الغنى والصحة (فرح بها وإن تصبهم سيئة) قحط (بما قدمت ايديهم فان (١٠٧) الانسان كفور) أي لما تقدم من

الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) يعني بأن صاروا إلى النار (وأهليهم يوم القيامة) يعني وخسروا اهليهم بان صاروا لغيرهم في الجنة (الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل) أي وصول إلى الحق في الدنيا والجنة في العقبى فقد استدت عليهم طرق الخير (استجيبوا لربكم) أي اجيبوا داعي الله يعني محمدا ﷺ (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) أي لا يقدر احد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت (مالكم من ملجا يومئذ) أي مالكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت (ومالكم من نكير) أي ينكر حالكم وقيل النكير الانكار يعني لا تقدرون أن تنكروا من اعمالكم شيئا (فان أعرضوا) أي عن الاجابة (فما أرسلناك عليهم حفيظا) أي تحفظ اعمالهم (ان عليك الا البلاغ) أي ليس عليك الا البلاغ وفيه تسلية للنبي ﷺ (وانا إذا اذقنا الانسان منا رحمة) قال ابن عباس يعني الغنى والصحة (فرح بها وان تصبهم سيئة) اي قحط (بما قدمت ايديهم) اي من الأعمال الخبيثة (فان الانسان كفور) اي لما تقدم من نعمة الله تعالى عليه * قوله عز وجل (لله ملك السموات والأرض) يعني له التصرف فيهما مما يريد (يخلق ما يشاء) اي لا يقدر احد ان يعترض عليه في ملكه وارادته (يهب لمن يشاء اناثا) اي فلا يولد له ذكر (ويهب لمن يشاء الذكور) اي فلا يولد له انثى (او يزوجهم ذكرانا واناثا) اي يجمع بينهما فيولد له الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيما) اي فلا يولد له ولد وقيل هذا في الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقوله يهب لمن يشاء اناثا يعني لوطا لم يولد له ذكر إنما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يولد له انثى او يزوجهم ذكرانا واناثا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له اربع بنين واربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعني يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل وإلا فالاية عامة في جميع الناس (انه عليم) اي بما يخلق (قدير) اي على ما يريد ان يخلق * قوله تعالى (وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحيا) قيل في سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبي ﷺ الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ﷺ ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله تعالى فانزل الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً اي يوحي اليه في المنام او بالالهام كما راى إبراهيم في المنام ان يذبح ولده وهو وحي وكما الهمت ام موسى ان تقذفه في البحر (او من وراء حجاب) اي يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام (او يرسل رسولا) يعني من الملائكة اما جبريل أو غيره (فيوحي باذنه ما يشاء) يعني يوحي ذلك الرسول إلى المرسل اليه باذن الله ما يشاء وهذه الاية محمولة على انه لا يكلم بشرا إلا من وراء حجاب في الدنيا يأتي بيان هذه المسئلة ان شاء الله تعالى في سورة النجم (انه علي) اي عن صفات المخلوقين (حكيم) اي في جميع افعاله * قوله عز وجل

نعمة الله عليه ينسى ويجحد بأول شدة جميع ما سلف من النعم (لله ملك السموات والأرض) له التصرف فيهما بما يريد (يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا) فلا يكون له ولد ذكر قيل من يمن المرأة تبكيرها بالانثى قبل الذكر لأن الله تعالى بدأ بالاناث (ويهب لمن يشاء الذكور) فلا يكون له انثى (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا) يجمع له بينهما فيولد له الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيما) فلا يلد ولا يولد له قيل هذا في الأنبياء عليهم السلام يهب لمن يشاء اناثا يعني لوطا لم يولد له ذكرا نما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني ابراهيم عليه السلام لم يولد له انثى أو يزوجهم ذكرانا واناثا يعني محمد صلى الله عليه وسلم ولد له بنون وبنات ويجعل من يشاء عقيما يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والاية عامة في حق كافة الناس (انه عليم قدير) قوله عز وجل (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) وذلك ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فقال لم ينظر موسى إلى الله عز وجل فانزل الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحيا يوحي اليه في المنام او بالالهام (او من وراء حجاب) يسمعه كلامه ولا يراه كما كلمه موسى عليه الصلاة والسلام (او يرسل رسولا) اما جبريل او غيره من الملائكة (فيوحي باذنه ما يشاء) اي يوحي ذلك الرسول إلى المرسل اليه باذن الله ما يشاء قرا نافع او يرسل برفع اللام على الابتداء فيوحي ساكنة الياء وقرا الاخرون بنصب اللام والياء عطفا على محل الوحي لأن معناه وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا ان يوحي اليه او يرسل رسولا (انه علي حكيم

(وكذلك) أى وكما أوحينا إلى سائر رسلنا (أوحينا إليك روحا من أمرنا) قال ابن عباس نبوة وقال الحسن رحمة وقال السدى ومقاتل وحيا وقال الكلبى كتابا وقال الربيع جبريل وقال مالك بن دينار يعنى القران (ما كنت تدرى) قبل الوحى (ما الكتاب ولا الايمان) يعنى شرائع الايمان ومعالمه قال محمد بن خزيمة الايمان فى هذا الموضع الصلاة ودليله قوله عزوجل وما كان الله ليضيع إيمانكم وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحى وكان النبى ﷺ يعبد الله قبل الوحى على دين ابراهيم ولم يتبين له شرائع دينه (ولكن جعلناه نورا) قال ابن عباس يعنى الايمان وقال السدى يعنى القران (نهدى به) نرشد به (من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) أى لتدعو (إلى صراط مستقيم) يعنى الاسلام (صراط الله الذى له مافى السموات ومافى والأرض الا إلى الله تصير الامور) أى أمور الخلائق كلها فى الاخرة

﴿ سورة الزخرف مكية وهى تسع وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (١٠٨) (حم والكتاب المبين) اقسم بالكتاب الذى ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما تحتاج اليه الأمة من الشريعة (انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون) قوله جعلناه يعنى صيرنا هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفنا يقال جعل فلان زيدا اعلم الناس يعنى وصفه بهذا كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وقوله جعلوا القران عضين وقال اجعلتم سقاية الحاج كلها بمعنى الوصف والتسمية (وانه) يعنى القران (فى ام الكتاب) فى اللوح المحفوظ قال قتادة ام الكتاب اصل الكتاب وام كل شىء اصله قال ابن عباس أول ماخلق الله القلم فامره ان يكتب بما يريد ان يخلق فالكتاب عنده ثم قرأ وانه فى ام الكتاب لدينا فالقران مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ كما قال بل هو قران مجيد فى لوح محفوظ (لعلى حكيم) قال قتادة يخبر عن منزلته وشرفه أى أوكذبتم بالقرآن ياأهل مكة فانه عندنا لعلى رفيع شريف محكم من الباطل (افنضرب عنكم الذكر صفحا) يقال ضربت عنه واضربت عنه إذا تركته وأمسكت عنه والصفح مصدر قولهم صفحت عنه إذا أعرضت عنه وذلك حين توليه وصفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكر القران ومعناه أفنترك عنكم الوحى ونمسك عن انزال القران فلا نامركم ولا ننهاكم من أجل انكم اسرفتم فى كفركم وتركتم الايمان استفهام بمعنى الانكار أى لا نفعل ذلك وهذا قول قتادة وجماعة قال قتادة والله لو كان هذا القران رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا ولكن الله عاد عليهم بعائده ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة أو ماشاء الله وقيل معناه أفنضرب عنكم بذكرنا إياكم صافحين معرضين قال الكسائى والسدى افنطوى عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون وقال الكلبى افنتركم سدى لا نأمركم ولا ننهاكم وقال مجاهد والسدى أفنعرض عنكم ونتركم فلا نعاقبكم على كفركم (إن كنتم

(وكذلك) أى وكما أوحينا إلى سائر رسلنا (أوحينا اليك روحا من امرنا) قال ابن عباس نبوة وقيل قرانا لأن به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل (ما كنت تدرى) أى قبل الوحى (ما الكتاب) اى القران (ولا الإيمان) اختلف العلماء فى هذه الاية مع اتفاقهم على ان الانبياء قبل النبوة كانوا مؤمنين فقل معناه ما كنت تدرى قبل الوحى شرائع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحق عن ابن خزيمة الإيمان فى هذا الموضع الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم ولم يرد به الإيمان الذى هو الاقرار بالله تعالى لأن النبى ﷺ كان قبل النبوة يوحد الله تعالى ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا ياكل ماذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يتبين له شرائع دينه إلا بعد الوحى اليه (ولكن جعلناه نورا) قال ابن عباس يعنى الإيمان وقيل القران لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله تعالى (نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى) اى لتدعو (إلى صراط مستقيم) يعنى إلى دين الإسلام (صراط الله) يعنى دين الله الذى شرعه لعباده (الذى له مافى السموات ومافى الارض الا إلى الله تصير الامور) يعنى دين الله الذى شرعه لعباده فيثيب المحسن ويعاقب المسىء والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الزخرف مكية وهى تسع وثمانون اية وثلاث وثلاثون كلمة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله عزوجل (حم والكتاب المبين) اقسم بالكتاب وهو القران الذى ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ماتحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعنى الواضح للتدبرين وجواب القسم (انا جعلناه) أى صيرناه هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل انزلناه (قرانا عربيا لعلكم تعقلون) يعنى معانيه واحكامه (وانه) يعنى القران (فى ام الكتاب) اى فى اللوح المحفوظ قال ابن عباس اول ماخلق الله عزوجل القلم فامره ان يكتب ما يريدان يخلق فى الكتاب عنده ثم قرا وانه فى ام الكتاب (لدينا) اى عندنا فالقران مثبت عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ (لعلى حكيم) اخبرنا عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم ياأهل مكة بالقران فانه عندنا لعلى اى رفيع شريف وقيل على على جميع الكتب حكيم يعنى محكم لايتطرق اليه الفساد والبطلان * قوله تعالى (افنضرب عنكم الذكر صفحا) معناه افنترك عنكم الوحى ونمسك عن انزال القران فلا نامركم ولا ننهاكم من اجل انكم اسرفتم فى كفركم وتركتم الايمان وهو قوله تعالى (ان كنتم) يعنى

---

(١) قوله وثلاث وثلاثون كلمة كذا بالأصل ولا يخفى ما فيه اه مصححه

قوما مسرفين) قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي بكسر الهمزة على معنى إذ كنتم كقوله وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين وقرأ الآخرون بالفتح على معنى لأن كنتم مسرفين مشركين (وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم) أي وما كان يأتيهم (من نبي إلا كانوا به يستهزؤون) كاستهزاء قومك بك يعزى نبيه ﷺ (فأهلكنا أشد منهم بطشا) اي اقوى من قومك يعني الأولين الذين اهلكوا بتكذيب الرسل (ومضى مثل الأولين) أي صفتهم وسنتهم وعقوبتهم فعاقبة هؤلاء كذلك في الأهلاك (ولئن سألتهم) أي سألت قومك (من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وأقروا بأن الله خالقها وأقروا بعزه وعلمه ثم عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم إلى ههنا تم الأخبار عنهم ثم ابتدأ الا على نفسه بصنعه فقال (الذي جعل لكم الأرض مهدا (١٠٩) وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون)

لأن كنتم (قوما مسرفين) والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا ولكن الله عز وجل عاد بعائدته وكرمه ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله وقيل معناه أفنضرب عنكم بذكرنا إياكم صافحين أي معرضين عنكم وقيل معناه أفنطوي الذكر عنكم طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل أفنتركم فلا نعاقبكم على كفركم (وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزؤن) يعني كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبي ﷺ (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أي أقوى من قومك قوة (ومضى مثل الأولين) أي صفتهم والمعنى أن كفار قريش سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا أن ينزل بهم مثل ما نزل بالأولين من الخزي والعقوبة * قوله عز وجل (ولئن سألتهم) أي ولئن سألت يا محمد قومك (من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) يعني أنهم أقروا بأن الله تعالى خلقهما وأقروا بعزته وعلمه ومع إقرارهم بذلك عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى (الذي جعل لكم الأرض مهدا) معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبي فلذلك سمى الأرض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة للخلق (وجعل لكم فيها سبلا) أي طرقا (لعلكم تهتدون) يعني مقاصدكم في أسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أي بقدر حاجاتكم اليه لا كما أنزل على قوم نوح حتى أهلكهم (فأنشرنا به) أي بالمطر (بلدة ميتا) أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر (كذلك تخرجون) اي من قبوركم احياء (والذي خلق الأزواج كلها) أي الأصناف والأنواع كلها قيل أن كل ما سوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الأضداد والأنداد والزوجية (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) يعني في البر والبحر (لتستووا على ظهوره) أي على ظهور الفلك والأنعام (ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) يعني بتسخير المركب في البر والبحر (وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا) أي ذلل لنا هذا (وما كنا له مقرنين) اي مطيقين وقيل ضابطين (وإنا إلى ربنا لمنقلبون) أي لمنصرفون في المعاد (م) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا من للسفر حمد الله وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الأهل والمال والولد وإذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء

إلى مقاصدكم في أسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أي بقدر حاجتكم اليه لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أهلكهم (فأنشرنا) أحيينا (به بلدة ميتا كذلك) أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك (تخرجون) من قبوركم أحياء (والذي خلق الأزواج كلها) أي الأصناف كلها (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) في البر والبحر (لتستووا على ظهوره) ذكر الكناية لأنه ردها إلى ما (ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) بتسخير المراكب في البر والبحر (وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا) ذلل لنا هذا (وما كنا له مقرنين) مطيقين وقيل ضابطين (وإنا إلى ربنا لمنقلبون) لمنصرفون في المعاد أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي

أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا إسمعيل بن الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرازق أنا معمر عن ابي إسحق اخبرني علي بن أبي ربيعة أنه شهد عليا رضي الله عنه ركب فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى قال الحمد لله ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ثم حمد ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال لا إله إلا الله ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك فقال ما يضحكك يا أمير المؤمنين قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت وقال مثل ما قلت ثم ضحك فقلنا ما يضحك يا نبي الله قال العبد أو قال عجبت للعبد إذا قال لا إله إلا الله ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا انت يعلم إنه لا يغفر الذنوب إلا هو

قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزءا) أى نصيبا وبعضا وهو قولهم الملائكة بنات الله ومعنى الجعل ههنا الحكم بالشىء والقول كما تقول جعلت زيدا افضل الناس اى وصفته وحكمت به (إن الانسان) يعنى الكافر (لكفور) جحود لنعم الله (مبين) ظاهر الكفران (ام اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام توبيخ وإنكار يقول اتخذ لكم لنفسه البنات (واصفاكم بالبنين) كقوله فأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بما جعل لله شبها وذلك أن ولد كل شىء يشبهه يعنى إذا بشر أحدهم بالبنات كما ذكر فى سورة النحل وإذا بشر احدهم بالأنثى (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) من الغيظ والحزن (أو من ينشأ) قرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين أى يربى وقرأ الآخرون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين اى ينبت ويكبر (فى الحلية) فى الزينة يعنى النساء (وهو فى الخصام غير مبين) فى المخاصمة غير مبين للحجة من ضعفهن وسفههن قال قتادة فى هذه الاية قلما تتكلم امراة تريدان تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها او من فى محل من ثلاثة اوجه الرفع على الابتداء والنصب على الاضمار مجازه او من ينشؤ فى الحلية يجعلونه بنات الله والخفض ردا على قوله مما يخلق وقوله بما ضرب (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) قرا اهل الكوفة وابو عمرو عباد الرحمن بالباء والألف بعدها ورفع الدال كقوله تعالى بل عباد مكرمون وقرا الاخرون عند الرحمن بالنون ونصب الدال على الظرف وتصديقه كقوله عز وجل ان الذين عند ربك

السفر يعنى تعبه وشدته ومشقته وكآبة المنظر وسوء المنقلب الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك أن يعود من سفره حزينا كئيبا أو يصادف ما يحزنه فى أهل أو مال عن على بن أبى ربيعة قال شهدت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد اتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله اكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك فقلت يا امير المؤمنين مم ضحكك قال رأيت رسول الله ﷺ فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من أى شىء ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده إذا قال رب اغفر لى ذنوبى انه لا يغفر الذنوب غيرك اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزءا) يعنى ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الأب ومعنى جعلوا هنا حكموا وأثبتوا (إن الانسان لكفور مبين) اى لجحود نعم الله تعالى عليه (ام اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ بكم لنفسه البنات (واصفاكم) أى أخصكم (بالبنين وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) اى بالجنس الذى جعله للرحمن شبها لأن الولد لا يكون إلا من جنس الولد والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان احدهم إذا قيل له قد ولد لذلك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا وأسفا وهو قوله تعالى (ظل وجهه) اى صار وجهه (مسودا وهو كظيم) أى من الحزن والغيظ قيل أن بعض العرب ولد له انثى فهجر بيت امرأته التى ولدت فيه الأنثى فقالت المرأة

ما لأبى حمزة لا يأتينا * يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان ان لا تلد البنينا * ليس لنا من امرنا ماشينا
وإنما نأخذ ما أعطينا * حكمة ربى ذى اقتدار فينا

قوله عز وجل (أو من ينشأ) يعنى أو من يتربى (فى الحلية) يعنى فى الزينة والنعمة والمعنى أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت إلى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه آخر وهو قوله (وهو فى الخصام) أى المخاصمة (غير مبين) للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قلما تكلمت امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها (وجعلوا) اى وحكموا واثبتوا (الملائكة الذين هم عباد) وقرىء عبد (الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم) اى حضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار اى لم يشهدوا ذلك (ستكتب شهادتهم) اى على الملائكة انهم بنات الله (ويسئلون) اى عنها قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبى ﷺ فقال وما يدريكم انهم بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون عنها فى الاخرة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) يعنى الملائكة وقيل الأصنام وإنما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه منا بذلك قال الله

الآية (أشهدوا خلقهم) قرا اهل المدينة على ما يسم فاعله ولينوا الهمزة الثانية بعد همزة الاستفهام اى احضروا خلقهم وقرا الاخرون بفتح الشين اى احضروا خلقهم حين خلقوا وهذا كقوله ام خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون (ستكتب شهادتهم) على الملائكة انهم بنات الله (ويسئلون) عنها قال الكلبى ومقاتل لما قالوا هذا القول سألهم النبى ﷺ فقال ما يدريكم انهم بنات الله قالوا سمعنا من ابائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون عنها فى الاخرة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) يعنى الملائكة قاله قتادة ومقاتل والكلبى وقال مجاهد يعنى الأوثان وإنما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا إياها لرضاه منها بعبادتها قال الله تعالى

(مالهم بذلك من علم) فيما يقولون ماهم إلا كاذبون فى قولهم ان الله تعالى رضى منا بعبادتها وقيل ان هم إلا يخرصون فيما يقولون (ان هم إلا يخرصون) فى قولهم إن الملائكة إناث وانهم بنات الله (أم اتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله (فهم مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) على دين وملة قال مجاهد على إمام (وانا على أثارهم مهتدون) جعلوا أنفسهم باتباع اباءهم الأولين مهتدين (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها) اغنياؤها ورؤساؤها (انا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على اثارهم مقتدون) بهم (قال) قرأ ابن عامر وحفص قال على الخبر وقرأ الاخرون قل على الأمر (أولو جئتكم) قرأ ابو جعفر جئناكم على الجمع والاخرون على الواحد (بأهدى) بدين أصوب (مما وجدتم عليه آباءكم) قال الزجاج قال لهم أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وان جئتكم بأهدى منه فأبوا أن يقبلوه (قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) قوله عز وجل (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه انني براء) أى برىء ولا يثنى البراء ولا يجمع ولا يؤنث لأنه مصدر وضع موضع (١١١) النعت (مما تعبدون إلا الذى فطرنى

تعالى ردا عليهم (مالهم بذلك من علم) أى فيما يقولون (ان هم إلا يخرصون) يعنى ماهم إلا كاذبون فى قولهم ان الله رضى منا بعبادتها وقيل يكذبون فى قولهم ان الملائكة اناث وأنهم بنات الله (أم اتيناهم كتابا من قبله) اى من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله (فهم به مستمسكون) أى يأخذون بما فيه (بل قالوا انا وجدنا اباءنا على أمه) أى على دين وملة (وانا على اثارهم مهتدون) يعنى انهم جعلوا أنفسهم مهتدين باتباع اباءهم وتقليدهم من غير حجة ثم أخبر أن غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قالوا مترفوها) أغنياؤها ورؤساؤها (انا وجدنا اباءنا على أمة وانا على اثارهم مقتدون) أى بهم (قال أولو جئتكم باهدى) أى بدين هو أصوب (مما وجدتم عليه اباؤكم) فابوا أن يقبلوا (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني برآء) أى برىء (مما تعبدون الا الذى فطرنى) معناه انا أتبرأ مما تعبدون الا من الله الذى خلقنى (فانه سيهدين) أى يرشدنى الى دينه (وجعلها) أى وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى لا اله الا الله (كلمة باقية فى عقبه) أى فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعوه الى توحيده (لعلهم يرجعون) أى لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وجد منهم وقيل لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام (بل متعت هؤلاء) يعنى كفار مكة (وآباءهم) فى الدنيا بالمد فى العمر والنعمة ولم اعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءهم الحق) يعنى القران وقيل الاسلام (ورسول) هو محمد ﷺ (مبين) اى يبين لهم الاحكام وقيل بين الرسالة وأوضحها بما معه من الايات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام ان يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى (ولما جاءهم الحق) يعنى القران (قالوا هذا سحر وانا به كافرون) قوله عز وجل (وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم) معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب (عظيم) شريف لا يليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا فى هذا الرجل العظيم قيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفى بالطائف وقيل عتبة ابن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفى من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة وعن طائف حبيب بن عمير الثقفى قال الله تعالى ردا عليهم (أهم يقسمون رحمة ربك) معناه أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعوها حيث شاؤا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وأن تكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا

فانه سيهدين) يرشدنى لدينه (وجعلها) يعنى هذه الكلمة (كلمة باقية فى عقبه) قال مجاهد وقتادة يعنى كلمة التوحيد وهى لا اله الا الله كلمة باقية فى عقبه أى فى ذريته قال قتادة لا يزال فى ذريته من يعبد الله ويوحده وقال القرظى يعنى جعل وصية ابراهيم التى أوصى بها نبيه باقية فى نسله وذريته وهو قوله عز وجل ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب وقال ابن زيد يعنى قوله أسلمت لرب العالمين وقرأ هو سماكم المسلمين (لعلهم يرجعون) لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه الى دين ابراهيم وقال السدى لعلهم يتوبون ويرجعون الى طاعة الله عز وجل (بل متعت هؤلاء وآباءهم)

يعنى المشركين فى الدنيا ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءهم الحق) اى القران وقال الضحاك الاسلام (ورسول مبين) يبين لهم الاحكام وهو محمد ﷺ وكان من حق هذه الانعام أن يطيعوه فلم يفعلوا وعصوا وهو قوله (ولما جاءهم الحق) يعنى القران (قالوا هذا سحر وإنا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم) يعنون الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفى بالطائف قاله قتادة وقال مجاهد عتبة بن ربيعة من مكة وابن عبد ياليل الثقفى من الطائف وقيل الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمر بن عمير الثقفى ويروى هذا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال الله تعالى (اهم يقسمون رحمة ربك) اى النبوة قال مقاتل يقول بأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها وحيث شاؤا ثم قال

(نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مملوكا وهذا مالكا كما فضلنا بعضهم على بعض فى الرزق كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) بالغنى والمال (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الأغنياء بأموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش هذا بماله وهذا بأعماله فيلتئم قوام أمر العالم وقال قتادة والضحاك يملك بعضهم بمالهم بعضا بالعبودية والملك (ورحمة ربك) يعنى الجنة (خير) للمؤمنين (مما يجمعون) مما يجمع الكفار من الأموال (ولولا أن يكون الناس امة واحدة) أى لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو سقفا بفتح السين وسكون القاف على الواحد ومعناه الجمع كقوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم وقرأ الاخرون بضم السين والقاف (١١٢) على الجمع وهى جمع سقف مثل رهن ورهن قال أبو عبيدة ولا ثالث لهما وقيل هو جمع سقيف وقيل جمع سقوف جمع الجمع (ومعارج) مصاعد ودرجا من فضة (عليها يظهرون) يعلون ويرتقون يقال ظهرت على السطح إذا علوته (ولبيوتهم ابوابا) من فضة (وسررا) أى وجعلنا لهم سررا من فضة (عليها يتكؤن وزخرفا) أى ولجعلنا مع ذلك لهم زخرفا وهو الذهب نظيره اويكون لك بيت من زخرف (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) فكان لما بمعنى إلا وخففه الاخرون على معنى وكل ذلك متاع الحياة الدنيا فيكون ان للابتداء وما صلة يريدان هذا كله متاع الحياة الدنيا يزول ويذهب (والاخرة عند ربك للمتقين) خاصة يعنى الجنة أخبرنا الامام ابو على الحسين بن محمد الفاضل أبا ابو العباس عبد الله بن محمد

فقال تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) أى نحن أوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم أن أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض فى حكمنا فى أحوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا فى تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) أى لو أنا سوينا بينهم فى كل الأحوال لم يخدم أحد أحدا ولم يصر أحد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يفضى ذلك إلى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكنا فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فتسخر الأغنياء بأموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك (ورحمة ربك) أى الجنة (خير) يعنى للمؤمنين (مما يجمعون) أى يجمع الكفار من الأموال لأن الدنيا على شرف الزوال والانقراض وتفضل الله ورحمته تبقى أبد الأبدين * قوله عز وجل (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أى لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه إذا رأوا الكفار فى سعة من الخير والرزق لأعطيت الكفار اكثر الأسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) أى مصاعد ودرجات من فضة (عليها يظهرون) يصعدون ويرتقون عليها (ولبيوتهم أبوابا) أى من فضة (وسررا) اى وجعلنا لهم سررا من فضة (عليها يتكؤن وزخرفا) أى ولجعلنا من ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شىء (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) يعنى أن الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضى لأن الدنيا سريعة الزوال والذهاب (والاخرة عند ربك للمتقين) اى الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد جد بنى فهر قال كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه هانت على اهلها حين ألقوها قالوا من هوانها ألقوها يارسول الله قال فان الدنيا اهون على الله من هذه الشاة على اهلها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا احب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل احدكم يحمى سقيمه الماء

أخرجه

اين هرون الطيسفونى انا ابو الحسن محمد بن احمد الترابى انا ابو بكر احمد بن عمرو بن بسطام انا احمد بن سيار القريشى ثنا عبد الرحمن ابن يونس ثنا أبو مسلم ثنا ابو بكر بن ممعلور عن ابى حازم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها قطرة ماء أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ابى توبة انا ابو طاهر محمد بن احمد بن الحارث انا محمد بن يعقوب الكسائى انا عبد الله بن محمود انا إبراهيم بن عبد الله الخلال انا عبد الله بن المبارك عن خالد بن سعيد عن قيس بن حازم عن المستورد ابن شداد اخو بنى فهر قال كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ عن السخلة الميتة فقال رسول الله ﷺ اترون هذه هانت على اهلها حتى القوها قالوا من هوانها القوها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالدنيا اهون على الله منى هذه على اهلها

قوله عز وجل (ومن يعش عن ذكر الرحمن) أي يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه يقال عشوت إلى النار أعشوا عشوا إذا قصدتها مهتديا بها وعشوت عنها أعرضت عنها كما يقول عدلت إلى فلان وعدلت عنه وملت اليه وملت عنه قال القرظي يول ظهره عن ذكر الرحمن وهو القران قال أبو عبيدة والأخفش يظلم بصره عنه قال الخليل بن أحمد أصل العشو النظر ببصر ضعيف وقرأ ابن عباس ومن يعش بفتح الشين أي يعم يقال عشى يعشى عشيا إذا عمى فهو أعشى وامرأة عشواء (نقيض له شيطانا) قرأ يعقوب يقيض بالياء والباقون بالنون نسبب له شيطانا و نضمه اليه و نسلطه عليه (فهو له قرين) لا يفارقه يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى (وانهم) يعنى الشياطين (ليصدونهم عن السبيل) أي ليمنعونهم عن الهدى وجمع الكناية لأن قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا في مذهب جمع وإن كان اللفظ على الواحد (ويحسبون أنهم مهتدون) ويحسب كفار بني آدم أنهم على هدى (حتى إذا جاءنا) قرأ أهل العراق غير أبي بكر جاءنا على الواحد يعنون الكافر وقرأ الآخرون جاءنا على التثنية يعنون الكافر وقرينه قد جعلا في (١١٣) سلسلة واحدة (قال) الكافر لقرينه الشيطان (يا ليت بيني وبينك بعد المسرقين) أي بعدما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الاخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولأبي بكر وعمر العمران وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والأول أصح (فبئس القرين) قال أبو سعيد الخدري إذا بعث الكافر زوج بقرينه الشيطان فلا يفارقه حتى يصير إلى النار (ولن ينفعكم اليوم) في الاخرة (إذ ظلمتم) اشركتم في الدنيا (إنكم في العذاب مشتركون) يعنى لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم العذاب لأن لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الأوفر من العذاب وقال مقاتل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى ومن كان في ضلال مبين) يعنى الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب أنهم لا يؤمنون * قوله عز وجل (فاما نذهبن بك) يعنى بأن نميتك قبل ان نعذبهم (فانا منهم منتقمون) يعنى بالقتل بعدك (أو نرينك) أي في حياتك (الذي وعدناهم) أي من العذاب (فانا عليهم مقتدرون) اى قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم واراد به مشركي مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسلية للنبي ﷺ لأنه وعده الانتقام له منهم إما حال حياته أو بعد وفاته وهذا قول اكثر المفسرين وقيل عنى به ما يكون في امته وقد كان بعد النبي ﷺ نقمة شديدة في امته ولكن اكرم الله عز وجل نبيه ﷺ وذهب به ولم يره في امته إلا الذي تقر به عينه وابقى النقمة بعده وروى ان النبي ﷺ ارى ما يصيب امته بعده فما رؤى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى (فاستمسك بالذي اوحي اليك) يعنى القران (إنك على

أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر * قوله تعالى (ومن يعش) أي يعرض (عن ذكر الرحمن يعني فلم يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل يول ظهره عن القران (نقيض له شيطانا) يعنى نسب له شيطانا و نضمه اليه و نسلطه عليه (فهو له قرين) يعنى لا يفارقه يزين له العمى ويخيل له أنه على الهدى (وانهم) يعنى الشياطين (ليصدونهم عن السبيل) يعنى يمنعونهم عن الهدى (ويحسبون أنهم مهتدون) يعنى ويحسب كفر بني ادم أنهم على الهدى (حتى إذا جاءنا) يعنى الكافر وحده وقرئ جاءا نا على التثنية يعنى الكافر وقرينه وقد جعلا هم سلسلة واحدة (قال) الكافر لقرينه الشيطان (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين) أي بعدما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الاخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولأبي بكر وعمر العمران وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول الأول أصح (فبئس القرين) يعنى الشيطان قال أبو سعيد الخدري إذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير إلى النار (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم) يعنى أشركتم (أنكم في العذاب مشتركون) يعنى لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيئا لأن كل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الأوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى ومن كان في ضلال مبين) يعنى الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب أنهم لا يؤمنون * قوله عز وجل (فاما نذهبن بك) يعنى بأن نميتك قبل ان نعذبهم (فانا منهم منتقمون) يعنى بالقتل بعدك (أو نرينك) أي في حياتك (الذي وعدناهم) أي من العذاب (فانا عليهم مقتدرون) اى قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم واراد به مشركي مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسلية للنبي ﷺ لأنه وعده الانتقام له منهم إما حال حياته أو بعد وفاته وهذا قول اكثر المفسرين وقيل عنى به ما يكون في امته وقد كان بعد النبي ﷺ نقمة شديدة في امته ولكن اكرم الله عز وجل نبيه ﷺ وذهب به ولم يره في امته إلا الذي تقر به عينه وابقى النقمة بعده وروى ان النبي ﷺ ارى ما يصيب امته بعده فما رؤى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى (فاستمسك بالذي اوحي اليك) يعنى القران (إنك على

(صراط مستقيم وأنه) يعنى القران (لذكرلك) أى لشرف ذلك (ولقومك) من قريش نظيره لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أى شرفكم (وسوف تسئلون) عن حقه وأداء شكره روى الضحاك عن ابن عباس أن النبى ﷺ كان إذا سئل لمن هذا الأمر بعدك لم يجب بشىء حتى نزلت هذه الاية فكان بعد ذلك إذا سئل لمن هذا قال لقريش أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا عبد الرحمن بن شريح أنا أبو القاسم البغوى ثنا على بن الجعد أنا عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى اثنان أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل حدثنا أبو اليمان انا شعيب عن الزهرى قال كان محمد بن جبير ابن مطعم يحدث عن معاوية قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين وقال مجاهد القوم هم العرب (١١٤) فالقران لهم شرف إذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبنى هاشم وقيل ذلك شرف لك بما اعطاك من الحكمة ولقومك المؤمنين بما هداهم الله به وسوف تسئلون عن القران وعما يلزمكم من القيام بحقه (واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون) اختلفوا فى هؤلاء المسئولين قال عطاء عن ابن عباس لما اسرى بالنبى ﷺ بعث الله له ادم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسأل فقدا كتفيت وهذا قول الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع الله له المرسلين ليلة اسرى به وامره ان يسئلهم فلم يشك ولم يسأل وقال (ايا ايه اكثر المفسرين سل مؤمنى اهل الكتاب الذين ارسلت اليهم الانبياء هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد وهو قول ابن عباس فى سائر الروايات ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ومقاتل يدل عليه قراءة عبد الله وابى واسئل الذين ارسلنا اليهم قبلك رسلنا ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركى قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عزوجل (ولقد ارسلنا موسى بايا تنا إلى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بايا تنا إذا هم منها يضحكون) استهزاء (وما نريهم من اية الا هى اكبر من اختها) قرينتها وصاحبتها التى كانت قبلها (واخذناهم بالعذاب) بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه دلالات لموسى وعذابا لهم فكانت كل واحدة اكبر من التى قبلها (لعلهم يرجعون) عن كفرهم (وقالوا) لموسى لما عاينوا العذاب

صراط مستقيم) أى على دين مستقيم لا يميل عنه إلا الضال (وأنه) يعنى القران (لذكر) اى لشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تسئلون) يعنى عن حقه وأداء شكره وروى ابن عباس ان النبى ﷺ كان إذا سئل لمن هذا الأمر بعدلا لم يخبر بشىء حتى نزلت هذه الاية فكان بعد ذلك إذا سئل قال لقريش (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان (خ) عن معاوية قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا اكبه الله تعالى على وجه ما اقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقران لهم شرف إذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك شرف الأخص فالأخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبنى هاشم وقيل ذكر لك اى ذلك شرف لك بما اعطاك الله من النبوة والحكمة ولقومك يعنى المؤمنين بما هداهم الله تعالى به وسوف تسئلون عن القران وعما يلزمكم من القيام بحقه * قوله تعالى (واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون) اختلف العلماء من هؤلاء المسؤولون فروى عن ابن عباس فى رواية عنه لما اسرى بالنبى ﷺ بعث الله عز وجل له ادم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية فقال النبى ﷺ لا اسأل قد اكتفيت وهذا قول الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة اسرى به وامر ان يسألهم فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الاية نزلت بيت المقدس ليلة اسرى بالنبى ﷺ وقال اكثر المفسرين معناه سل مؤمنى اهل الكتاب الذين ارسلت اليهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد وهو قول ابن عباس فى اكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ومقاتل ومعنى الأمر بالسؤال التقرير لمشركى قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عزوجل * قوله تعالى (ولقد ارسلنا موسى بايا تنا إلى فرعون وملئه فقال إنى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآيا تنا إذا هم منها يضحكون) اى يسخرون (وما نريهم من اية لا هى اكبر من اختها) اى قرينتها التى قبلها (واخذناهم بالعذاب) اى بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه ايات ودلالات لموسى عليه الصلاة والسلام وعذابا لهم وكانت كل واحدة اكبر من التى قبلها (لعلهم يرجعون) اى عن كفرهم (وقالوا) يعنى لموسى عليه الصلاة والسلام لما عاينوا العذاب

(ياأيه الساحر) ياأيها العالم الكامل الحاذق وإنما قالوا هذا توقيرا وتعظيما له لأن الساحر عندهم كان عالما عظيما وصفة ممدوحة وقيل معناه ياأيها الذى غلبنا بسحره وقال الزجاج خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر (ادع لنا ربك بما عهد عندك) أى بما أخبرتنا من عهده اليك إن امنا كشف عنا العذاب فاسأله يكشف عنا العذاب (إننا لمهتدون) مؤمنون فدعى موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله عز وجل (فلما كشفنا عنهم العذاب إذاهم ينكثون) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار) انهار النيل (تجرى من تحتى) من تحت قصورى وقال قتادة يجرى بين يدى فى جنانى وبساتينى وقال الحسن بامرى (أفلا تبصرون) عظمتى وشدة ملكى (ام انا خير) بل انا خير أم بمعنى بل ليس بحرف عطف على قول اكثر المفسرين وقال الفراء الوقف على قوله ام وفيه اضمار مجازه افلا تبصرون ام تبصرون ثم ابتدا فقال انا خير (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير يعنى موسى قوله (ولا يكاد يبين) يفصح بكلامه للثغته التى فى لسانه (فلولا القى عليه) إن كان صادقا (أسورة من (١١٥) ذهب) قرأ حفص ويعقوب اسورة

(ياأيه الساحر) أى العالم الكامل الحاذق وإنما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما وصنعة ممدوحة وقيل معناه ياأيها الذى غلبنا بسحره (ادع لنا ربك بما عهد عندك) اى بما اخبرتنا عن عهده اليك انا إن آمنا كشف عنا العذاب فاسأله أن يكشفه عنا (انا لمهتدون) أى لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله سبحانه وتعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب إذاهم ينكثون) أى ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى) يعنى أنهار النيل الكبار وكانت تجرى تحت قصره وقيل معناه تجرى بين يدى جنانى وبساتينى وقيل تجرى بامرى (أفلا تبصرون) يعنى عظمتى وشدة ملكى (أم أنا) يعنى بل أنا خير وليس بحرف عطف على قول اكثر المفسرين وقيل فيه إضمار مجازه أفلا تبصرون أم تبصرون ثم ابتدأ فقال أنا خير (من هذا الذى هو مهين) يعنى ضعيف حقير يعنى موسى (ولا يكاد يبين) يعنى يفصح بكلامه للثغة التى كانت فى لسانه إنما عابه بذلك لما كان عليه أولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التى تدل على صدقه فيما يدعى ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام (فلولا ألقى عليه) يعنى إن كان صادقا (أسورة من ذهب) قيل انهم كانوا إذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته (أو جاء معه الملائكة مقترنين) يعنى متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له لصدقه ويعينونه على أمره * قال الله تعالى فاستخف يعنى فرعون (قومه) يعنى القبط يعنى وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل (فاطاعوه) يعنى على تكذيب موسى (انهم كانوا قوما فاسقين) يعنى حيث أطاعوا فرعون فيما استخفهم به (فلما اسفونا) يعنى أغضبونا وهو فى حق الله إرادته العقاب وهو قوله تعالى (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين) يعنى جعلنا المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يجىء من بعدهم * قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا) قال قال ابن عباس نزلت هذه الاية فى مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبى ﷺ فى شأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزل قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره فى سورة الانبياء ومعنى الاية ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) يعنى قريشا (منه) يعنى من المثل (يصدون) أى يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون ان محمدا ما يريد منا الا أن نعبده ونتخذه إلها كما

جمع سوار وقرأ الآخرون أساورة على جمع الاسورة وهى جميع الجمع قال مجاهد كانوا إذا سودوا رجلا سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب إن كان سيدا تجب علينا طاعته (أو جاء معه الملائكة مقترنين) متتابعين بتابع بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على امره قال الله تعالى (فاستخف قومه) أى استخف فرعون قومه القبط أى وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل يقال استخفه عن رأيه إذا حمله على الجهل وازال عن الصواب (فاطاعوه) على تكذيب موسى (إنهم كانوا قوما فاسقين) (فلما آسفونا) اغضبونا (انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم

سلفا) قرأ حمزة والكسائى سلفا بضم السين واللام قال الفراء هو جمع سليف من سلف بضم اللام يسلف أى تقدم وقرأ الاخرون بفتح السين واللام على جمع السالف مثل حارس وحرس وخادم وخدم ورصد وارصد وهما جميعا الماضون المتقدمون من الامم يقال سلف يسلف إذا تقدم والسلف من تقدم من الاباء فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الاخرون (ومثلا للاخرين) عبرة وعظة لمن بقى بعدهم وقيل سلفا لكفار هذه الامة إلى النار ومثلا لمن يجىء بعدهم (ولما ضرب ابن مريم مثلا) قال ابن عباس واكثر المفسرين ان الاية نزلت فى مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبى ﷺ فى شان عيسى عليه السلام لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد ذكرناه فى سورة الانبياء عليهم السلام (إذا قومك منه يصدون) قرأ اهل المدينة والشام والكسائى يصدون بضم الصاد يعنى يعرضون نظيره قوله تعالى يصدون عنك صدودا وقرأ الاخرون بكسر الصاد واختلفوا فى معناه قال الكسائى هما لغتان مثل يعرشون ويعرشون وشد عليه يشد

ويشدون ثم بالحديث ينم وينم وقال ابن عباس معناه يضجون وقال سعيد بن المسيب يصيحون وقال الضحاك يعجون وقال قتادة يجزعون وقال القرظي يضجرون ولما ضرب ابن مريم (مثلا إذا قومك منه يصدون يقولون ما يريد منا محمد إلا أن نعبده ونتخذه إلها كما عبدت النصارى عيسى (وقالوا أ آلهتنا خير أم هو) قال قتادة أم هو يعنون محمدا فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقال السدي وابن زيد أم هو يعنون عيسى قالوا يزعم محمد أن كل ما عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى (ما ضربوه) يعني هذا المثل (لك إلا جدلا) خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الأصنام (بل هم قوم خصمون) أخبرنا أبو سعيد الشريحي انا أبو اسحق الثعلبي انا أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله الجشاوي انا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني أبي ثنا عبد الله بن نمير ثنا حجاج بن دينار الواسطي عن أبي غالب عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه (١١٦) إلا أتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ثم ذكر عيسى فقال (إن هو) ما هو يعني عيسى عليه السلام (إلا عبد انعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا) اية وعبرة (لبني اسرائيل) يعرفون به قدرة الله عز وجل على ما يشاء حيث خلقه من غير اب (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة) اي ولو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة (في الأرض يخلفون) يكونون خلفاء منكم يعمرون الأرض ويعبدوني ويطيعوني وقيل يخلف بعضهم بعضا (وإنه) اي عيسى عليه السلام (لعلم للساعة) اي نزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها وقرأ ابن عباس وابو هريرة وقتادة وانه لعلم للساعة بفتح اللام والعين اي امارة وعلامة وروينا عن النبي ﷺ انه قال ليوشكن

عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام (وقالوا أ آلهتنا خير أم هو) يعنون محمدا ﷺ فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى أم هو يعني عيسى والمعنى قالوا يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله في النار فنحن قد رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى (ما ضربوه) يعني هذا المثل (لك إلا جدلا) أي خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله أنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الأصنام (بل هم قوم خصمون) أي بالباطل عن ابي أمامة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل ثم تلا رسول الله ﷺ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى (إن هو) اي ما عيسى (إلا عبد انعمنا عليه) اي بالنبوة (وجعلناه مثلا) اي اية وعبرة (لبني إسرائيل) يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير اب (ولو نشاء لجعلنا منكم) الخطاب لأهل مكة (ملائكة) معناه ولو نشاء لأهلكناكم ولجعلنا بدلا منكم ملائكة (في الأرض يخلفون) اي يكونون خلفا منكم يعمرون الأرض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضا (وإنه) اي عيسى (لعلم للساعة) يعني نزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها (ق) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد وفي رواية ابي داود ان رسول الله ﷺ قال ليس بيني وبين عيسى نبي وانه نازل فيكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله تعالى في زمانه الملل كلها إلا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث في الأرض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون (ق) عنه قال قال رسول الله ﷺ كيف انتم إذا نزل ابن مريم وإمامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذؤيب فامكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم ﷺ ويروى انه ينزل عيسى وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس

ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الاسلام ويروى انه ويقتل ينزل على ثنية بالأرض المقدسة وعليه ثوبان مصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من امن به اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابن بكير ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع مولى ابي قتادة الانصاري أن ابا هريرة قال قال رسول الله ﷺ كيف انتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم وقال الحسن وجماعة وانه يعني وان القرآن لعلم للساعة يعلمكم قيامها ويخبركم بأحوالها واهوالها

(فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها قال ابن عباس لا تكذبوا بها (واتبعون) على التوحيد (هذا) الذى انا عليه (صراط مستقيم ولا يصدنكم) لا يصرفنكم (الشيطان) عن دين الله (إنه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) بالنبوة (ولا بين لكم بعض الذى تختلفون فيه) من احكام التوراة قال قتادة يعنى اختلاف الفرق الذين تحزبوا على امر عيسى قال الزجاج الذى جاء به عيسى فى الانجيل إنما هو بعض الذى اختلفوا فيه و بين لهم فى غير الانجيل ما احتاجوا اليه (فاتقوا الله واطيعون إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون) هل ينتظرون (إلا الساعة) يعنى أنها تأتيهم لا محالة فكانهم ينتظرونها (أن تأتيهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون الاخلاء) على المعصية فى الدنيا (يومئذ) يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) إلا المتحابين فى الله عز وجل على طاعة الله عز وجل اخبرنا احمد ابن إبراهم الشريحى انا

ابو إسحق احمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى اخبرنى عقيل بن محمد بن احمد ان ابا الفرج البغدادى القاضى اخبرهم عن محمد بن جرير ثنا ابن عبد الاعلى عن قتادة ثنا ابو ثور عن معمر عن قتادة عن ابى إسحق عن عليا قال فى هذه الاية خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات احد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك ويامرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى انى ملاقيك يارب فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى واكرمه كما اكرمتنى فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن احدكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت احد الكافرين فيقول يارب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى انى غير ملاقيك فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب * قوله عز وجل (ياعبادلا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون) قيل ان الناس حين يبعثون ليس احد منهم إلا فزع مناديا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها (الذين امنوا بايا تنا وكانوا مسلمين) فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم (ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون) يعنى تسرون وتنعمون (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) جمع صحفة وهى القصعة الواسعة (واكواب) جمع كوب وهو إناء مستدير بلا عروة (وفيها) يعنى فى الجنة (ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين) عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يارسول الله هل فى الجنة خيل فانى احب الخيل قال

ويقتل النصارى إلا من امن وقيل فى معنى الاية وانه اى وان القران لعلم للساعة اى يعلم قيامها ويخبركم باحوالها واهوالها (فلا تمترن بها) اى لا تشكن فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها (واتبعون) اى على التوحيد (هذا) اى الذى انا عليه (صراط مستقيم ولا يصدنكم) اى لا يصرفنكم (الشيطان) يعنى عن دين الله الذى امر به (إنه) يعنى الشيطان لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) اى بالنبوة (ولا بين لكم بعض الذى تختلفون فيه) اى من احكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا فى امر عيسى وقيل الذى جاء به عيسى ان نجيل وهو بعض الذى اختلفوا فيه فبين لهم عيسى فى غير الانجيل ما احتاجوا اليه (فاتقوا الله واطيعون) اى فيما امركم به (إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم) يعنى اختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون) يعنى ينتظرون (إلا الساعة ان تأتيهم بغتة) يعنى فجأة والمعنى انها تاتيهم لا محالة (وهم لا يشعرون الأخلاء) يعنى على الكفر والمعصية فى الدنيا (يومئذ) يعنى يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو) اى ان الخلة إذا كانت كذلك صارت عداوة يوم القيامة (إلا المتقين) يعنى إلا الموحدين المتحابين فى الله عز وجل المجتمعين على طاعته روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه فى الاية قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران مات احد المؤمنين فقال يارب إن فلانا كان يامرنى بطاعتك وطاعة رسولك ﷺ ويامرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى انى ملاقيك يارب فلا يضل بعدى واهده كما هديتنى واكرمه كما اكرمتنى فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول رب إن فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى انى غير ملاقيك فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب * قوله عز وجل (ياعبادلا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون) قيل ان الناس حين يبعثون ليس احد منهم إلا فزع مناديا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها (الذين امنوا بايا تنا وكانوا مسلمين) فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم (ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون) يعنى تسرون وتنعمون (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) جمع صحفة وهى القصعة الواسعة (واكواب) جمع كوب وهو إناء مستدير بلا عروة (وفيها) يعنى فى الجنة (ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين) عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يارسول الله هل فى الجنة خيل فانى احب الخيل قال

وينهانى عن الخير ويخبرنى انى غير ملاقيك فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب (ياعباد) يعنى فيقال لهم ياعبادى (لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون) روى عن المعتمر بن سليمان عن ابيه قال سمعت ان الناس حين يبعثون ليس منهم احد إلا فزع فينادى مناديا ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها (الذين امنوا بايا تنا وكانوا مسلمين) فييأس الناس منها غير المسلمين فيقال لهم (ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون) تسرون وتنعمون (يطاف عليهم بصحاف) جمع صحفة وهى القصعة الواسعة (من ذهب واكواب) جمع كوب وهو إناء مستدير مدور الرأس لاعرى لها (وفيها) يعنى فى الجنة (ماتشتهيه الانفس) قرأ اهل المدينة والشام وحفص تشتهيه الانفس وكذلك فى مصاحفهم وقرأ الاخرون بحذف الهاء (وتلذ الاعين

وانتم فيها خالدون) اخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله بن ابى توبة انا ابو طاهر محمد بن احمد بن الحارث انا محمد بن يعقوب الكسائى انا عبد الله ابن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمه بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يارسول الله افى الجنة خيل فانى احب الخيل فقال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك فى اى الجنة شئت إلا فعلت وقال إعرابى يارسول الله أفى الجنة إبل فانى احب الابل فقال ياإعرابى ان يدخلك الله الجنة اصبت فيها مااشتهت نفسك ولذت عينك (وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة ومنها تاكلون) وفى الحديث لا ينزع رجل من الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها (ان المجرمين) المشركين (فى عذاب جهنم خالدون لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون وماظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يامالك) يدعون خازن النار (ليقض علينا ربك) ليمتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد الف سنة (قال إنكم ماكثون) مقيمون فى العذاب اخبرنا محمد بن عبد الله بن ابى توبة انا محمد بن يعقوب

الكسائى انا عبد الله بن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن ابى عروبة عن قتادة يذكره عن ابى ايوب عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال ان اهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين عاما ثم يرد عليهم انكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ثم يدعون ربهم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخساوا فيها ولا تكلمون قال فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة وماهو الا الزفير والشهيق فى نار جهنم تشبه اصواتهم باصوات الحمير اولها زفير واخرها شهيق (لقد جئناكم بالحق) يقول ارسلنا اليكم يامعشر قريش رسولنا بالحق (ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا) احكموا (امرا) فى المكر برسول الله ﷺ (إنا مبرمون) محكمون امرا فى مجازاتهم قال مجاهد إن كادوا شرا كدتهم مثله (ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم) مايسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم (بلى) نسمع ذلك ونعلم (ورسلنا) ايضا من الملائكة يعنى الحفظة (لديهم يكتبون قل إن كان للرحمن ولد فانا اول العابدين) يعنى ان كان للرحمن ولد فى قولكم وعلى زعمكم فانا اول من عبده بانه واحد لاشريك له ولا ولد قال ابن عباس إن كان اى ما كان للرحمن ولد فانا اول العابدين الشاهدين له بذلك جعل ان بمعنى الجحد وقال السدى معناه لو كان للرحمن ولد فانا اول من اعبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الانفين يعنى اول الجاحدين والمنكرين لما قلتم ويقال معناه انا اول من غضب للرحمن ان يقال له ولد يقال عبد يعبد إذا انف او غضب عبدا وقال قوم قل ما يقال عبد فهو عابد إنما يقال عبد فهو عبد ثم نزه نفسه فقال

ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك فى اى الجنة شئت إلا فعلت وساله اخر فقال يارسول الله هل فى الجنة من ابل فانى احب الابل قال فلم يقل ماقال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت اعينك اخرجه الترمذى (وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة ومنها تاكلون) وردفى الحديث انه لا ينزع احد فى الجنة من ثمرها ثمرة الا نبت مكانها مثلاها * قوله تعالى (ان المجرمين) يعنى المشركين (فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم) يعنى لا يخفف عنهم (وهم فيه مبلسون) يعنى ايسون من رحمة الله تعالى (وماظلمناهم) يعنى وما عذبناهم بغير ذنب (ولكن كانوا هم الظالمين) اى لانفسهم بما جنوا عليها (ونادوا يامالك) يعنى يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون (ليقض علينا ربك) اى ليمتنا ربك لنستريح والمعنى توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيجيبهم بعد الف سنة قاله ابن عباس وقيل بعد مائة سنة وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان اهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين عاما ثم يرد عليهم (قال انكم ماكثون) قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون فى العذاب (لقد جئناكم بالحق) يقول ارسلنا اليكم يامعشر قريش رسولنا بالحق (ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا) يعنى احكموا امرا فى المكر بالرسول ﷺ (فانا مبرمون) يعنى محكمون امرا فى مجازاتهم إن كانوا شرا كدتهم بمثله (ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم) اى مايسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم (بلى) نسمع ذلك كله ونعلمه (ورسلنا) يعنى الحفظة من الملائكة (لديهم يكتبون) قوله عز وجل (قل إن للرحمن ولد فانا اول العابدين) معناه إن كان للرحمن ولد فى قولكم وعلى زعمكم فانا اول من عبد الرحمن فانه لا شريك له ولا ولد له وقال ابن عباس إن كان اى ما كان للرحمن ولد فانا اول العابدين الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فانا اول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الانفين اى انا اول الجاحدين المنكرين لما قلتم وانا اول من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقال الزمخشرى فى معنى الاية إن كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح تورد ونه وحجة واضحة تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد

(سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون) عما يقولون من الكذب (فذرهم يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) قال قتادة يعبد فى السماء وفى الأرض لا إله إلا هو (وهو الحكيم) فى تدبير خلقه (العليم) بمصالحهم (وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون) قرأ ابن كثير والكسائى يرجعون بالياء والآخرون بالتاء (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق) وهم عيسى وعزير والملائكة فانهم عبدوا من دون الله ولهم الشفاعة وعلى هذا

يكون من فى محل الرفع وقيل من فى محل الخفض وأراد بالذين يدعون عيسى وعزير والملائكة يعنى أنهم لا يملكون الشفاعة إلا لمن شهد الحق والأول أصح وأراد بشهادة الحق قوله لا إله إلا الله كلمة التوحيد (وهم يعلمون) بقلوبهم ماشهدوا به بألسنتهم (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون) يصرفون عن عبادته (وقيله يارب) يعنى قول محمد ﷺ شاكيا الى ربه يارب (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) قرأ عاصم وحمزة وقيله بجر اللام والهاء على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله يارب وقرأ الآخرون بالنصب وله وجهان أحدهما معناه أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله يارب والثانى وقال قيله (فاصفح عنهم) أعرض عنهم (وقل سلام) معناه المتاركة كقوله تعالى سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين (فسوف يعلمون) قرأ أهل المدينة والشام بالتاء وقرأ الباقون بالياء قال مقاتل نسختها آية السيف

﴿ سورة الدخان مكية وهى تسع وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة) قال قتادة وابن زيد هى ليلة القدر أنزل الله القرآن فى ليلة القدر من أم الكتاب إلى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل عن النبى ﷺ نجوما فى عشرين سنة وقال آخرون هى ليلة النصف من شعبان اخبرنا عبد الواحد المليحى أنا ابو منصور السمعانى ثنا أبو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا الاصبغ بن الفرج اخبرنى بن وهب اخبرنى عمر بن الحارث ان عبد الملك بن عبد الملك حدثه أن ابن ابى ذئب حدثه عن القاسم بن محمد عن أبيه أو عمه عن رسول الله ﷺ قال ينزل الله جل ثناؤه ليلة النصف من شعبان الى السماء الدنيا فيغفر لكل نفس إلا انسانا فى قلبه شحناء أو مشركا بالله

الولد وأسبقكم إلى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة فى نفى الولد والاطناب فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم فى باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق عليها محالا مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى (سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون) أى عما يقولونه من الكذب (فذرهم يخوضوا) أى فى باطلهم (ويلعبوا) أى فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) يعنى هو إلا إله الذى يعبد فى السماء وفى الأرض لا إله إلا هو (وهو الحكيم) يعنى فى تدبير خلقه (العليم) يعنى بمصالحهم (وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) قيل سبب نزولها ان النضر بن الحرث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد ﷺ فنزلت هذه الآية وأراد بالذين يدعون من دونه آلهتهم ثم استثنى عيسى وعزيرا والملائكة بقوله (إلا من شهد بالحق) لأنهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة فان الله تعالى لا يملك لاحد من هؤلاء الشفاعة إلا لمن شهد بالحق وهى كلمة الاخلاص وهى لا إله إلا الله فمن شهدها بقلبه شفعوا له وهو قوله (وهم يعلمون) أى بقلوبهم ماشهدوا به بألسنتهم وقيل يعلمون أن الله عز وجل خلق عيسى وعزيرا والملائكة ويعلمون أنهم عباده (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) يعنى أنهم إذا أقروا بأن الله خالق العالم بأسره فكيف قدموا عبادة غيره (فأنى يؤفكون) يعنى يصرفون عن عبادته إلى غيره (وقيله يارب) يعنى قوله محمد ﷺ شاكيا الله ربه يارب (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال ابن عباس شكا إلى الله تعالى تخلف قومه عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه إلى ربه (فاصفح عنهم) يعنى اعرض عنهم وفى ضمنه منعه من أن يدعو عليهم بالعذاب (وقل سلام) معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم (فسوف يعلمون) يعنى عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون أنك صادق قال مقاتل نسختها آية السيف والله تعالى أعلم

﴿ تفسير سورة الدخان مكية وهى سبع وقيل تسع وخمسون آية وثلثمائة وست وأربعون كلمة وألف وأربعمائة واحد وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) يعنى المبين ما يحتاج الناس اليه من حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) قيل هى ليلة القدر انزل الله تعالى فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى

(انا كنا منذرين فيها) أى فى الليلة المباركة (يفرق) أى يفصل (كل أمر حكيم) محكم وقال ابن عباس يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ما هو كائن فى السنة من الخير والشر والأرزاق والاجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان قال الحسن ومجاهد وقتادة يبرم فى ليلة القدر فى شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق وما يكون فى تلك السنة وقال عكرمة هى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وتنسخ الاحياء من الأموات فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد أخبرنا عبد الواحد المليحى انا أبو منصور السمعانى ثنا ابو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن صالح حدثنى الليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب أخبرنى عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس أن رسول الله ﷺ قال تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له ولقد خرج اسمه فى الموتى وروى أبو الضحى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله يقضى الاقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها فى ليلة القدر (امرا) أى انزلنا امرا (من عندنا) قال الفراء نصب على معنى فيها يفرق كل أمر حكيم فرقا وأمرا أى تامر امرا ببيان ذلك (إنا كنا مرسلين) محمدا ﷺ ومن قبله من الأنبياء (رحمة من ربك) قال ابن عباس رأفة منى (١٢٠) بخلقى ونعمتى عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقال الزجاج أنزلناه فى ليلة مباركة للرحمة (إنه هو السميع العليم رب السموات والأرض وما بينهما) قرأ أهل الكوفة رب جرا ردا على قوله من ربك ورفعه الاخرون ردا على قوله هو السميع العليم وقيل على الابتداء (ان كنتم موقنين) ان الله رب السموات والأرض (لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين بل هم فى شك) من هذا القرآن (يلعبون) يهزؤن به لاهون عنه (فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) تقديره هو عذاب إلهى ويجوز ان يكون حكاية الكلام بما بعده أى يقولون هذا عذاب اليم اختلفوا فى هذا الدخان اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن كثير عن سفيان ثنا منصور والأعمش عن ابى الضحى عن مسروق قال بينما رجل يحدث فى كندة فقال يجىء دخان يوم القيامة فيأخذ باسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين كهيئة الزكام ففزعنا فاتيت ابن مسعود وكان متكئا فنهض فجلس فقال من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله اعلم ان يقول لما لا يعلم الله ورسوله اعلم فان الله قال لنبيه ﷺ قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين وان قريشا ابطؤوا عن الاسلام فدعا عليهم النبى ﷺ فقال اللهم اعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان فجاء أبو سفيان فقال يا محمد جئت تامر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقرا فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين إلى قوله انكم عائدون افيكشف عنهم عذاب الاخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم فذلك قوله يوم نبطش البطشة الكبرى يعنى يوم بدر ولزاما يوم بدا لم غلبت الروم إلى سيغلبون والروم قد مضى ورواه محمد بن اسماعيل عن يحيى عن وكيع عن الأعمش قال قالوا

السماء الدنيا ثم نزل به جبريل نحوما على حسب الوقائع فى عشرين سنة وقيل هى ليلة النصف من شعبان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم بنى كلب اخرجه الترمذى (انا كنا منذرين) اى مخوفين عقابنا (فيها) أى فى تلك الليلة المباركة (يفرق) أى يفصل (كل أمر حكيم) أى محكم قال ابن عباس يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ماهو كائن فى الستة من الخير والشر والارزاق والاجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ الأحياء من الأموات وروى البغوى بسنده أن النبى ﷺ قال تقطع الاجال من شعبان إلى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى وعن ابن عباس ان الله يقضى الاقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى اربابها فى ليلة القدر (امرا) أى انزلنا امرا (من عندنا إن كنا مرسلين) يعنى محمدا ﷺ ومن قبله من الأنبياء (رحمة من ربك) قال ابن عباس رأفة منى بخلقى ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقيل انزلناه فى ليلة مباركة رحمة من ربك (انه هو السميع) أى لاقوالهم (العليم) أى باحوالهم (رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين) أى ان الله رب السموات والأرض وما بينهما (لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب ابائكم الأولين) * قوله تعالى (بل هم فى شك) أى من هذا القرآن (يلعبون) أى يهزؤن به لاهون عنه (فارتقب) أى يا محمد (يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم) (ق) عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان قاصا عند باب كندة يقص ويزعم ان آية الدخان تجىء فتأخذ بانفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيأ فليقل به ومن لا يعلم شيئا فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم فان الله عز وجل قال لنبيه ﷺ قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان رسول الله ﷺ لما رأى من الناس ادبارا قال اللهم سبعا كسبع يوسف وفى رواية لما دعا قريشا فكذبوه واستعصوا عليه

(ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) فقيل له ان كشفنا عنهم عادوا إلى كفرهم فدعا به فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين إلى قوله إنا منتقمون اخبرنا عند الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى ثنا وكيع عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان وقال قوم هو دخان يجىء قبل قيام الساعة ولم يأت بعد فيدخل فى أسماع الكفار والمنافقين حتى يكون كالرأس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت اوقد فيه النار وهو قول ابن عباس (١٢١) وابن عمر والحسن اخبرنا ابو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى اخبرنا عقيل بن محمد الجرجانى ثنا ابو الفرج المعافى بن زكريا البغدادى ثنا محمد بن جرير الطبرى حدثنى عصام بن روا دبن الجراح ثنا ابى انا ابو سفيان ابن سعيد ثنا منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش قال سمعت حذيفه بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا هذه الاية يوم تأتى السماء بدخان مبين يملأ مابين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام واما الكافر فكمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره (أنى لهم الذكرى) من اين لهم التذكر والاتعاظ يقول كيف يتذكرون ويتعظون (وقد جاءهم رسول مبين)

قال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شىء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر احدهم إلى السماء فيرى كهيئة الدخان فاتاه ابو سفيان فقال يا محمد انك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين إلى قوله عائدون قال عبد الله فيكشف عذاب الاخرة يوم نبطش البطشة الطبرى إنا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفى رواية للبخارى قالوا (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) فقيل له ان كشفناه عنهم عادوا فدعا به فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين إلى قوله إنا منتقمون قوله حصت كل شىء بالحاء والصاد المهملتين اى اهلكت واستأصلت كل شىء (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل اصابهم من الجوع كالظلة فى أبصارهم وسبب ذلك ان فى سنة القحط العظيم تيبس الأرض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهواء والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجىء قبل قيام الساعة ولم يأت بعد فيدخل فى أسماع الكفار والمنافقين حتى يكون الرجل رأسه كالرأس الحنيذ يعنى المشوى ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت اوقد فيه وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ماروى البغوى باسناد الثعلبى عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله ﷺ اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن تأتى السماء بدخان مبين يملأ مابين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام واما الكافر فكمنزلة السكران ان يخرج من منخريه وأذنيه ودبره (انى لهم الذكرى) اى كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) معناه وقد جاءهم ماهو أعظم وأدخل فى وجوب الطاعة وهو ما ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والايات البينات الباهرات (ثم تولوا عنه) اى اعرضوا عنه (وقالوا معلم) اى يعلمه بشر (مجنون) اى تلقى اليه الجن هذه الكلمات حال مايعرض له الغشى (إنا كاشفوا العذاب) اى الجوع (قليلا) أى زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر (إنكم عائدون) أى إلى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (إنا منتقمون) اى منكم فى ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود واكثر العلماء وفى رواية عن ابن عباس انه يوم القيامة * قوله تعالى (ولقد فتنا قبلهم) اى قبل هؤلاء (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) يعنى على الله وهو موسى بن عمران عليه السلام (أن أدوا إلى عباد الله) يعنى اطلقوا إلى بنى إسرائيل ولا تعذبوهم (إنى لكم رسول أمين) يعنى على الوحى (وأن لا تعلوا على الله) يعنى لا تتجبروا عليه بترك طاعته (إنى آتيكم بسلطان مبين) يعنى ببرهان بين على صدق ظاهر الصدق يعنى محمدا ﷺ (ثم تولوا عنه) أعرضوا عنه (وقالوا معلم) أى يعلمه بشر (مجنون) قال الله تعالى (إنا كاشفوا العذاب) أى عذاب الجوع (قليلا) أى زمانا يسيرا قال مقاتل إلى يوم بدر (إنكم عائدون) إلى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) وهو يوم بدر (إنا منتقمون) وهذا قول ابن مسعود وأكثر العلماء وقال الحسن يوم القيامة وروى عكرمة ذلك عن ابن عباس (ولقد فتنا) بلونا (قبلهم) قبل هؤلاء (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله وهو موسى بن عمران (أن ادوا إلى عباد الله) يعنى بنى إسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم (إنى لكم رسول امين) على الوحى (وان لا تعلوا على الله) اى لا تتجبروا عليه بترك طاعته (إنى آتيكم بسلطان مبين) ببرهان بين على صدق قولى فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال

(وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون) ان تقتلون وقال ابن عباس تشتمون وتقولوا هو ساحر وقال قتادة ترجموني بالحجارة (وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون) فاتركوني لامعي ولا علي وقال ابن عباس فاعتزلوا اذاي باليد واللسان فلم يؤمنوا (فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون) مشركون فأجابه الله وأمره أن يسري فقال (فأسر بعبادي ليلا) أي بني اسرائيل (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) اذا قطعته انت واصحابك (رهوا) ساكنا على حالته وهيئته بعد أن ضربته ودخلته معناه لا تأمره ان يرجع اتركه حتى يدخله ال فرعون وأصل الرهو السكون وقال مقاتل معناه اترك البحر راهيا أي ساكنا فسمى بالمصدر أي ذا رهو وقال كعب اتركه طريقا قال قتادة طريقا يابسا قال قتادة لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصا ليلتئم وخاف ان يتبعه فرعون وجنوده فقيل له اترك البحر هوا كما هو (انهم جند مغرقون) أخبر موسى أنه يغرقهم ليطمئن قلبه في تركه كما جاوزه ثم ذكر ما تركوه بمصر فقال (كم تركوا) يعني بعد الغرق (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) مجلس (١٢٢) شريف قال قتادة الكريم الحسن (ونعمة) ومتعة وعيش لين (كانوا فيها فاكهين) ناعمين وفاكهين اشرين يطرين (كذلك) قال الكلبي كذلك افعل بمن عصاني (واورثناها قوما آخرين) يعني بني اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والأرض) وذلك ان المؤمن إذا مات تبكي عليه السماء والأرض أربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي الأرض عليه اخبرنا ابو سعيد الشريحي أنا ابو اسحق الثعلبي انا ابو عبد الله الفنجوي ثنا ابو علي المقري ثنا ابو يعلى الموصلي ثنا احمد بن اسحق البصري ثنا مكي بن ابراهيم ثنا موسى بن عبيدة الزيدي اخبرني يزيد الرقاشي عن انس بن مالك عن النبي ﷺ انه قال ما من عبد الا له في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه ثم تلا فما بكت عليهم السماء والأرض قال عطاء بكاء السماء حمرة أطرافها قال السدي لما قتل الحسين (ليقولون ابن علي بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها (وما كانوا منظرين) لم ينظروا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها (ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين) قتل الأبناء واستحياء النساء والتعب في العمل (من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم) يعني مؤمني بني اسرائيل (على علم) بهم (على العالمين) على عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) قال قتادة نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التي أنعمنا بها عليهم وقيل ابتلاهم بالرخاء والشدة (ان هؤلاء) يعني مشركي مكة

قولي فلما قال ذلك توعده بالقتل فقال (وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون) أن تقتلون وقال ابن عباس تشتمون وتقول هو ساحر وقيل ترجموني بالحجارة (وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون) اي فاتركون لامعي ولا علي وقال ابن عباس اعتزلوا اذاي باليد واللسان فلم تؤمنوا (فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون) اي مشركون (فاسر بعبادي ليلا) اي اجاب الله دعاءه وامره ان يسري ببني اسرائيل بالليل (انكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) أي إذا قطعته أنت وأصحابك (رهوا) أي ساكنا والمعنى لا تأمره ان يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك البحر كما هو (انهم جند مغرقون) يعني اخبر موسى باغراقهم ليطمئن قلبه في تركه البحر كما هو (كم تركوا) أي بعد الغرق (من جنات وعيون وزوع ومقام كريم) أي مجلس شريف حسن (ونعمة) اي وعيش لين رغد (كانوا فيها) اي في تلك النعمة (فاكهين) اي ناعمين وقرىء فكهين أي اشرين بطرين (كذلك) أي أفعل بمن عصاني (وأورثناها قوما آخرين) يعني بني اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والأرض) وذلك أن المؤمن إذا مات تبكي عليه السماء والأرض أربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي الأرض عليه عن انس بن مالك عن النبي ﷺ انه قال ما من مؤمن إلا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه قيل بكاء السماء حمرة أطرافها وقال مجاهد ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحا فقيل أو تبكي فقال وما للارض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكي على عبد كان تسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل وقيل المراد أهل السماء وأهل الأرض (وما كانوا منظرين) أي لم يمهلوا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها فوله عز وجل (ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين) أي من قتل الأبناء واستحياء النساء والتعب في العمل (من فرعون انه كان عاليا) أي جبارا (من المسرفين ولقد اخترناهم على علم) أي علمه الله تعالى فيهم (على العالمين) أي عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) أي نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التي أنعمنا بها عليهم وقيل ابتلاهم بالرخاء والشدة (ان هؤلاء) يعني مشركي مكة

(ليقولون إن هى إلا موتتنا الأولى) أى لا موتة إلا هذه التى نموتها فى الدنيا ثم لا بعث بعدها وهو قوله (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين بعد موتتنا (فاتوا بآبائنا) الذين ماتوا (إن كنتم صادقين) إنا نبعث أحياء بعد الموت ثم خوفهم مثل عذاب الأمم الخالية فقال (أهم خير أم قوم تبع) أى ليسوا خيرا منهم يعنى أقوى وأشد وأكثر من قوم تبع قال قتادة هو تبع الحميرى وكان سار بالجيوش حتى حير الحيرة وبنى سمرقند وكان من ملوك اليمن سمى تبعا لكثرة أتباعه وكل واحد منهم يسمى تبعا لأنه يتبع صاحبه وكان هذا الملك يعبد النار فاسلم ودعا قومه إلى الاسلام وهم حمير فكذبوه وكان من خبره ماذكره محمد بن اسحق وغيره وذكر عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الاخر وهو أبو كرب اسعد بن مليك حين أقبل من المشرق وجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو بجمع على خرابها واستئصال أهلها فجمع له هذا الحى من الأنصار حين سمعوا ذلك من أمره فخرجوا لقتاله وكان الأنصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فاعجبه ذلك وقال إن هؤلاء لكرام فبينما هو كذلك إذ جاءه حبران اسمهما كعب وأسد من أحبار بنى قريظة عالمان وكانا ابنى عم حين سمعا ما يريد من إهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا تفعل فانك إن أبيت (١٢٣) إلا ما تريد حيل بينك وبينها ولم

ليقولون إن هى إلا موتتنا الأولى) أى لا موتة لنا إلا هذه التى نموتها فى الدنيا ولا بعث بعدها وهو قوله (وما نحن بمنشرين) أى بمبعوثين بعد موتتنا هذه (فاتوا بآبائنا) أى الذين ماتوا قبل (إن كنتم صادقين) أى إنا نبعث أحياء بعد الموت قيل طلبوا من النبى ﷺ أن يحيى لهم قصى بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الأمم الخالية فقال تعالى (أهم خير أم قوم تبع) أم ليسوا خيرا من قوم تبع يعنى فى الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع الحميرى وكان من ملوك اليمن سمى تبعا لكثرة أتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لأنه يتبع صاحبه الذى قبله كما يسمى فى الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه وهم حمير إلى الاسلام فكذبوه عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده وعن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ ما أدرى اكان تبع نبيا أو غير نبى وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا * وكان من قصته على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره وذكر عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو أبو كرب أسعد بن مليك وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو يجمع على خرابها واستئصال أهلها فجمع له هذا الحى من الأنصار حين سمعوا بذلك من امره فخرجوا لقتاله فكان الأنصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فأعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبينما هو كذلك إذ جاءه حبران عالمان من أحبار بنى قريظة وكانا ابنى عم اسم أحدهما كعب والآخر أسد حين سمعا ما يريد من إهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا تفعل فانك إن ابيت الا ما تريد حيل بينك وبينه ولا نأمن عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجر نبى يخرج من هذا الحى من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذى انت فيه يكون به من القتل والجراح أمر كبير فى أصحابه وفى عدوهم قال تبع ومن يقاتله وهو نبى قال يسير اليه قومه فيقتلون ههنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الى دينهما فأجابهما واتبعهما على دينهما واكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فاتاه فى الطريق نفر من هزيل وقالوا له انا ندلك

نأمن عليك عاجل العقوبة فانها مهاجر نبى يخرج من هذا الحى من قريش اسمه محمد مولده مكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذى انت به يكون به من القتل والجراح أمر كبير فى أصحابه وفى عدوهم قال تبع من يقاتله وهو نبى قالا يسير اليه قومه فيقتلون ههنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه إلى دينهما فأجابهما واتبعهما على دينهما واكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين إلى اليمن فأتاه فى الطريق نفر من هذيل وقالوا إنا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال أى بيت قالوا بيت بمكة وإنما تريد هذيل هلاكه لأنهم عرفوا انه لم يرده أحد قط بسوء الا هلك فذكر ذلك الأحبار فقالوا ما نعلم لله فى الأرض بيت غير هذا البيت فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق رأسك وما أراد القوم إلا هلاكك لأنه ما ناوا هم احد قط هلك فاكرمه واصنع عنده ما يصنع أهله فلما قالوا له ذلك أخذ النفر من هذيل فقطع ايديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة نزل الشعب شعب البطائح وكسا البيت الوصائل وهو اول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة الاف بدنة وأقام به أيام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبينه قالوا لا تدخل علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فاحاكمنا الى النار وكانت باليمن نار فى أسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم فقال تبع انصفتم ففرح القوم بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه فخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم فاكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل بذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما

يتلون التوراة تعرق جباههما لم تضرهما ونكصت النار حتى رجعت إلى مخرجها الذى خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما فمن هنالك كان أصل اليهودية فى اليمن وذكر ابو حاتم عن الرقاشى قال كان أبو كرب أسعد الحميرى من التبابعة آمن بالنبى محمد ﷺ قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وذكر ان كعبا كان يقول ذم الله قومه ولم يذمه وكانت عائشة تقول لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وقال سعيد ابن جبير هو الذى كسا البيت أخبرنا أبو سعيد الشريحى انا ابو اسحق الثعلبى انا أبو عبد الله بن فنجويه الدينورى ثنا أبو بكر بن مالك القطيعى ثنا عبد الله بن حنبل ثنا أبى حسين بن موسى ثنا ابن لهيعة ثنا أبو زرعة بن عمر بن جرير عن سهل بن سعد قال سمعت النبى ﷺ يقول لا تسبوا تبعا فانه كان (١٢٤) قد أسلم أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أخبرنى ابن فنجويه ثنا ابن أبى شيبة ثنا

محمد بن على بن سالم الهمدانى ثنا ابو الازهر احمد بن الازهر النيسابورى ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن ابن ابى ذئب عن المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ ما أدرى تبع اكان نبيا أو غير نبى (والذين من قبلهم) من الأمم الكافرة (أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات الارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق) قيل يعنى للحق وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (ولكن أكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل) يوم يفصل الرحمن بين العباد (ميقاتهم اجمعين) يوافى يوم القيامة لا يغنى مولى عن مولى شيئا) لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئا (ولاهم ينصرون) لا يمنعون من عذاب الله (إلا من رحم الله) يريد المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض (انه هو العزيز) فى انتقامه من أعدائه (الرحيم)

على بيت فيه كنز من لؤلؤة وزبرجد وفضة قال أى بيت هذا قالوا بيت مكة وإنما أراد هذيل هلاكه لأنهم عرفوا انه لم يرده أحد بسوء إلا هلك فذكر الملك ذلك للاحبار فقالوا ما نعلم لله فى الأرض بيتا غير هذا البيت الذى بمكة فاتخذه مسجدا وأنسك عنده وانحر واحلق رأسك وما أراد القوم إلا هلاكك وما ناوأه أحد قط إلا هلك فأكرمه واصنع عنده ما يصنعه أهله فلما قالوا له ذلك أخذ أولئك النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة شرفها الله تعالى نزل بالشعب شعب البطائح وكسا البيت الوصائل وهى برود تصنع باليمن وهو أول من كسا البيت وبحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة أيام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا له لا تدخلها علينا وانت قد فارقت ديننا فدعاهم إلى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا إلى النار وكانت باليمن نار فى أسفل جبل يتحاكمون إليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم قال تبع أنصفتم فخرج القوم بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم وخرج الحبران ومصاحفهما فى أعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه وخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت إلى مخرجها الذى خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينها فمن هناك كان أصل اليهودية باليمن وقال الرياشى كان أبو كرب أسعد الحميرى من التبابعة ممن امن بالنبى ﷺ قبل ان يبعث بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه * قوله تعالى (والذين من قبلهم) أى من الأمم الكافرة (أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين وما خلقناهما إلا بالحق) اى بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (ولكن أكثرهم لا يعلمون) قوله عز وجل (ان يوم الفصل) اى الذى يفصل الله فيه العباد (ميقاتهم أجمعين) اى يوافى يوم القيامة الاولون والاخرون اى (يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا) اى لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئا (ولاهم ينصرون) اى فى انتقامه من أعدائه (الرحيم) أى بأوليائه المؤمنين * قوله تعالى (إن شجرة الزقوم طعام الاثيم) أى ذى الاثم وهو أبو جهل (كالمهل) اى كدردى الزيت الاسود (يغلى فى البطون) أى فى بطون الكفار (كغلى الحميم) يعنى كالماء الحار إذا اشتد غليانه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ فى قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه أخرجه الترمذى وقال لا نعرفه إلا من حديث رشدة بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ قرأ هذه الاية يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ثم قال رسول الله صلى الله عليه

بالمؤمنين (إن شجرة الزقوم طعام الاثيم) اى ذى الاثيم) اى ذى الاثم وهو أبو جهل (كالمهل) هو دردى الزيت الاسود (يغلى فى البطون) قرأ ابن كثير وحفص يغلى بالياء جعلا الفعل للمهل وقرأ الاخرون بالتاء لتأنيث الشجرة فى البطون أى بطون الكفار (كغلى الحميم) كالماء الحار إذا اشتد غليانه اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انا ابو بكر العبدوسى انا ابو بكر محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد ثنا سليمان بن يوسف ثنا وهب بن جرير ثنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله ﷺ ايها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو ان قطرة من الزقوم قطرت على الأرض لأمرت على اهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن تكون طعامه وليس لهم طعام غيره

قوله تعالى (خذوه) أى يقال للزبانية خذوه يعنى الأثيم (فاعتلوه) قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر وأبو عمر وبكسر التاء وقرأ الباقون بضمها وهما لغتان أى ادفعوه وسوقوه يقال عتله يعتله عتلا إذا ساقه بالعنف والدفع والجذب (إلى سواء الجحيم) وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) قال مقاتل ان خازن النار يضربه على رأسه فينقب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له (ذق) هذا العذاب (إنك) قرأ الكسائى انك بفتح الألف أى لأنك كنت تقول أنا العزيز الكريم وقرأ الآخرون بكسرها على الابتداء (أنت العزيز الكريم) عند قومك بزعمك وذلك أن أباجهل كان يقول أنا أعز أهل الوادى وأكرمهم فتقول له هذا اللفظ خزنة النار على طريق الاستهزاء والتوبيخ (ان هذا ما كنتم به تمترون) تشكون فيه ولا تؤمنون به ذكر (١٢٥) مستقر المتقين فقال (إن المتقين

عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * قوله تعالى (خذوه) أى يقال للزبانية خذوه يعنى الاثيم (فاعتلوه) أى دافعوه وسوقوه بالعنف (إلى سواء الجحيم) أى إلى وسط النار (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) قيل ان خازن النار يضرب على رأسه فينقب رأسه من دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له (ذق) أى هذا العذاب (إنك أنت العزيز الكريم) أى عند قومك بزعمك وذلك أن أباجهل لعنه الله كان يقول أنا أعز أهل الوادى وأكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ (إن هذا ما كنتم به تمترون) أى تشكون فيه ولا تومنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى (إن المتقين فى مقام أمين) أى فى مجلس امنوا فيه من الغير (فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق) قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ماغلظ منه وهو معرب استبر * فان قلت كيف ساغ أن يقع فى القران العربى المبين لفظ أعجمى * قلت إذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لأن معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغيره عن منهاجه واجرائه على أوجه الأعراب (متقابلين) أى يقابل بعضهم بعضا (كذلك) أى كما اكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك (و) اكرمناهم بأن (زوجناهم بحور عين) أى قرناهم بهن وليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم أزواجا لهن أى جعلناهم اثنين اثنين الحور من النساء النقيات البيض وقيل بحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين (يدعون فيها بكل فاكهة) يعنى ارادوها واشتهوها (امنين) اى من نفادها ومن مضرتها وقيل امنين فيها من الموت والأوصاب والشيطان (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) يعنى لا يذوقون فى الجنة الموت البتة سوى الموتة التى ذاقوها فى الدنيا وقيل إلا بمعنى مكن وتقديره لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الأولى قد ذاقوها وقيل انما استثنى الموتة من موت الجنة لأن السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله إلى اسباب الجنة يبقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكان موتهم فى الجنة كانه فى الدنيا لا تصالهم باسبابها ومشاهدتهم إياها (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) يعنى كل ماوصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة إنما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك) اى سهلنا القران على لسانك كناية عن غير مذكور (لعلهم يتذكرون) اى يتعظون (فارتقب) اى فانتظر النصر من ربك

فى مقام أمين) قرأ أهل المدينة والشام فى مقام بضم الميم على المصدر أى فى إقامة وقرأ الآخرون بفتح الميم أى فى مجلس أمين أمنوا فيه من الغير أى من الموت ومن الخروج منه (فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم) أى كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم (بحور عين) أى قرناهم بهن ليس من عقد التزويج لأنه لا يقال زوجته بامرأة قال أبو عبيدة جعلناهم أزواجا لهن كما يزوج النعل بالنعل أى جعلناهم اثنين اثنين والحور هن النساء النقيات البياض قال مجاهد يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقال أبو عبيدة الحور هن شديدات بياض الأعين

الشديدات سوادها واحدها حوراء والمرأة حوراء والعين جمع العيناء وهى عظيمة العينين (يدعون فيها بكل فاكهة) اشتهوها (امنين) من نفارها ومن مضرتها وقال قتادة امنين من الموت والأوصاب والشياطين (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) يعنى سوى الموتة الأولى التى ذاقوها فى الدنيا وبعدها وضع إلا موضع سوى بعد وهذا كقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء إلا ما قد سلف يعنى سوى ما قد سلف وبعده ما قد سلف وقيل انما استثنى الموتة الاولى وهى فى الدنيا من موت فى الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف إلى اسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكان موتهم فى الدنيا كانهم فى الجنة لاتصالهم باسبابهم ومشاهدتهم إياها (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) اى فعل ذلك بهم فضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه) سهلنا القران كناية عن غير مذكور (بلسانك) على لسانك (لعلهم يتذكرون) يتعظون (فارتقب) فانتظر النصر من ربك وقيل فانتظر لهم العذاب

(إنهم مرتقبون) منتظرون قهرك بزعمهم أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي أخبرني الحسين بن فنجويه ثنا يحيى بن محمد بن يحيى ثنا أبو عيسى موسى بن علي الختلي ثنا أبو هاشم الرفاعي ثنا زيد بن الحباب ثنا عمر بن عبد الله بن أبي خثعم عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك

﴿ سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات) قرأ حمزة والكسائي ويعقوب آيات وتصريف الرياح آيات بكسر التاء فيهما رداً على قوله لآيات

وهو في موضع النصب وقرأ الآخرون برفعهما على الاستئناف على أن العرب تقول إن لي عليك مالا وعلى أخيك مال ينصبون الثاني ويرفعونه (لقوم يوقنون) أنه لا إله غيره (واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من رزق) يعني الغيث الذي هو سبب أرزاق العباد (فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق) يريد هذا الذي قصصنا عليك من آيات الله نقصها عليك بالحق (فبأي حديث بعد الله) بعد كتاب الله (وآياته يؤمنون) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب تؤمنون بالتاء على معنى قل لهم يا محمد فبأي حديث تؤمنون وقرأ الآخرون بالياء (ويل لكل أفاك أثيم) كذاب صاحب آثام يعني النضر بن الحارث

وقيل انتظر لهم العذاب (إنهم مرتقبون) أي منتظرون قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعمر بن خثعم احد رواته وهو ضعيف وقال البخاري هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله ﷺ من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له أخرجه الترمذي وقال هشام أبو المقدام احد رواته ضعيف والله أعلم

﴿ سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة مكية وهي سبع وثلاثون آية وأربعمائة وثمان وثمانون كلمة والفان ومائة واحد وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إن في السموات والأرض) أي إن في خلق السموات والأرض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله (لآيات للمؤمنين وفي خلقكم) إن في خلق أنفسكم من تراب ثم من نطفة إلى أن يصير إنسانا ذا عقل وتمييز (وما يبث من دابة) أي وما يفرق في الأرض من جميع الحيوانات على اختلاف أجناسها في الخلق والشكل والصورة (آيات) دلالات تدل على وحدانية من خلقها وأنه الإله القادر المختار (لقوم يوقنون) يعني أنها لا إله غيره (واختلاف الليل والنهار) يعني بالظلام والضياء والطول والقصر (وما أنزل الله من السماء من رزق) يعني المطر الذي هو سبب أرزاق العباد (فأحيا به) أي بالمطر (الأرض بعد موتها) أي بعد يبسها (وتصريف الرياح) أي في مهابها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك (آيات لقوم يعقلون) * فإن قلت ما وجه هذا الترتيب لآيات للمؤمنين ولقوم يوقنون ويعقلون * قلت بمعناه إن المنصفين من العباد إذا نظروا في هذه الدلائل النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا به وأقروا أنه الإله القادر على كل شيء ثم إذا أمعنوا النظر ازدادوا إيقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا في زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده في أسرار كتابه (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله) أي بعد كتاب الله (وآياته يؤمنون) قوله تعالى (ويل لكل أفاك أثيم) أي كذاب صاحب آثام يعني النضر بن الحرث (يسمع آيات الله) يعني القرآن (تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم وإذا علم من آياتنا شيئا) يعني آيات القرآن (اتخذها هزوا) أي سخر منها (أولئك) إشارة إلى من هذه صفته (لهم عذاب مهين) ثم وصفهم فقال تعالى (من ورائهم جهنم) يعني أمامهم جهنم وذلك خزيهم في الدنيا ولهم في الآخرة النار (ولا يغني عنهم ما كسبوا) أي من الأموال (شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أي ولا يغني عنهم ما عبدوا من دون الله من الآلهة (ولهم عذاب عظيم هذا) يعني القرآن (هدى) أي هو هدى من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذي

سخر

(يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم وإذا علم من آياتنا) قال مقاتل من القرآن (شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين) وذكر بلفظ الجمع ردا إلى كل في قوله لكل افاك اثيم (من ورائهم) امامهم (جهنم) يعني انهم في الدنيا ممتحون باموالهم ولهم في الاخرة النار يدخلونها (ولا يغني عنهم ما كسبوا) من الأموال (شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) ولا ما عبدوا من دون الله من الالهة (ولهم عذاب عظيم هذا) يعني هذا القرآن (هدى) بيان من الضلالة (والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذي

سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض) ومعنى تسخيرها أنه خلقها لمنافعنا فهو مسخر لنا من حيث إنا ننتفع به (جميعا منه) فلا تجعلوا لله أندادا قال ابن عباس جميعا منه كل ذلك رحمة منه قال الزجاج كل ذلك تفضل منه وإحسان (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله) أى لايخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته قال ابن عباس ومقاتل نزلت فى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وذلك أن رجلا من بنى غفار شتمه بمكة فهم عمر رضى الله تعالى عنه أن يبطش به فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يعفو عنه وقال القرظى والسدى نزل فى أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا

سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره (لتبتغوا من فضله) أى بسبب التجارة واستخراج منافعه (ولعلكم تشكرون) نعمته على ذلك (وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض) يعنى أنه تعالى خلقها ومنافعها فهى مسخرة لنا من حيث إنا ننتفع بها (جميعا منه) قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه وإحسان (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) * قوله عزوجل (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله) أى لايخافون وقائع الله ولا يبالون بمقته قال ابن عباس نزلت فى عمر ابن الخطاب وذلك أن رجلا من بنى غفار شتمه بمكة فهم عمر أن يبطش به فأنزل الله هذه الآية وأمره ان يعفو عنه وقيل نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة كانوا فى أذى شديد من المشركين قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية ثم نسخها بآية القتال (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) أى من الأعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون) * قوله تعالى (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) يعنى التوراة (والحكم) يعنى معرفة أحكام الله (والنبوة ورزقناهم من الطيبات) أى الحلالات وهو ماوسع عليهم فى الدنيا وأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم وأنزل عليهم المن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) أى على عالمى زمانهم قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين فى زمانهم أكرم على الله ولا أحب اليه منهم (وآتيناهم بينات من الأمر) أى بيان الحلال والحرام وقيل العلم ببعث محمد ﷺ وما بين لهم من امره (فما اختلفوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم) معناه التعجب من حالهم وذلك لأن حصول العلم بوجوب ارتفاع الاختلاف وهنا صار مجىء العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك أنه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وإنما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما علموا عاندوا وأظهروا النزاع والحسد والاختلاف (إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يامحمد (على شريعة) اى على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى (من الأمر) اى من الدين (فاتبعها) اى اتبع شريعتك الثابتة (ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون) يعنى مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع إلى دين آبائك فانهم كانوا افضل منك قال الله تعالى (إنهم لن يغنوا عنك من عذاب الله شيئا) إن اتبعت اهواءهم (وإن الظالمين بعضهم اولياء بعض) يعنى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا فى الدنيا ولا ولى لهم فى الاخرة (والله المتقين) اى هو ناصرهم فى الدنيا ووليهم فى الاخرة (هذا) يعنى القرآن (بصائر للناس) اى معالم للناس فى الحدود والأحكام يبصرون به (وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا السيئات) اى اكتسبوا المعاصى

فى أذى شديد من المشركين من قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ثم نسختها آية القتال (ليجزى قوما) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائى لنجزى بالنون وقرأ الآخرون بالياء أى ليجزى الله وقرأ ابو جعفر ليجزى بضم الياء الأولى وسكون الثانية وفتح الزاى قال أبو عمرو وهو لحن قال الكسائى معناه ليجزى الجزاء قوما (بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب) التوراة (والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات) الحلالات يعنى المن والسلوى (وفضلناهم على على العالمين) أى عالمى زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين فى زمانهم اكرم على الله ولا احب اليه منهم (وآتيناهم بينات من الأمر) يعنى العلم بمبعث محمد ﷺ وما بين لهم من امره (فما اختلفوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يامحمد (على شريعة) سنة وطريقة بعد موسى (من الأمر) من الدين (فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون) يعنى مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع إلى دين آبائك فانهم كانوا افضل منك فقال جل ذكره (انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا ان اتبعت اهواءهم (وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولى المتقين هذا) يعنى القران (بصائر) معالم (للناس) فى الحدود والأحكام يبصرون بها (وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب) بل حسب (الذين اجترحوا السيئات) اكتسبوا المعاصى والكفر

(أن نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات) نزلت فى نفر من مشركى مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ماتقولون حقا لنفضلن عليكم فى الاخرة كما فضلنا عليكم فى الدنيا (سواء محياهم) قراحمزة والكسائى وحفص ويعقوب سواء بالنصب اى نجعلهم سواء يعنى احسبوا ان حياة الكافرين (ومماتهم) كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا وقرأ الاخرون بالرفع على الابتداء والخبر اى محياهم ومماتهم سواء فالضمير فيهما يرجع إلى المؤمنين والكافرين جميعا معناه المؤمن مؤمن محياه ومماته اى فى الدنيا والاخرة والكافر كافر محياه ومماته فى الدنيا والاخرة (ساء مايحكمون) بئس مايقضون قال مسروق قال لى رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم الدارى لقد رايته ذات ليلة حتى اصبح او قرب ان يصبح قرأ اية من كتاب الله يرددها يركع بها ويسجد ويبكى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الاية (وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون افرايت من اتخذ إلهه هواه) قال ابن عباس والحسن وقتادة معناه ذلك الكافر اتخذ دينه مايهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ماحرم الله وقال الاخرون معناه اتخذ معبوده هواه فيعبد ماتهواه نفسه قال سعيد ابن جبير كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة فاذا وجدوا شيئا أحسن من الاول رموه وكسروه وعبدوا الاخر قال الشعبى انما سمى الهوى لانه يهوى بصاحبه فى النار (وأضله الله على علم) منه بعاقبة امره وقيل على ماسبق فى علمه انه ضال قبل ان يخلقه (وختم) طبع (على سمعه) فلم يسمع الهدى (وقلبه) فلم يعقل الهدى (وجعل على بصره غشاوة) قرأ حمزة والكسائى غشوة بفتح الغين وسكون الشين والباقون غشاوة ظلمة فهو لا يبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله) اى فمن يهديه بعد ان اضله الله (افلا تذكرون وقالوا) فاذا يعنى منكرى البعث (ماهى إلا حياتنا الدنيا) اى ما الحياة إلا حياتنا الدنيا (نموت ونحيا) اى يموت الاباء ويحيا الابناء وقال الزجاج يعنى نموت ونحيا فالواو للاجتماع (وما يهلكنا إلا الدهر) أى وما يفنينا الا مر الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار (وما لهم بذلك) اى الذى قالوه (من علم) اى لم يقولوه عن علم (إن هم الا يظنون) اخبرنا ابو على حسان بن سعيد المنيعى أنا ابو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا ابو الحسن احمد بن يوسف السلمى ثنا عبد الرزاق انا معمر عن همام بن منبه ثنا ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا يقل ابن ادم ياخيبة الدهر فانى انا الدهر أرسل الليل والنهار

والكفر (ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات) نزلت فى نفر من مشركى مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ماتقولون حقا لنفضلن عليكم فى الاخرة كما فضلنا عليكم فى الدنيا (سواء محياهم ومماتهم) معناه احسبوا ان حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا والمعنى ان المؤمن مؤمن فى محياه ومماته فى الدنيا والاخرة والكافر كافر فى محياه ومماته فى الدنيا والاخرة وشتان مابين الحالين فى الحال والمآل (ساء مايحكمون) اى بئس مايقضون قال مسروق قال لى رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم الدارى ولقد رأيته ذات ليلة اصبح او قرب ان يصبح يقرأ اية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكى ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية (وخلق الله السموات والارض بالحق) اى بالعدل (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون) ومعنى الاية ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم إلا فى القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين فى الدرجات والدركات * قوله عز وجل (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال ابن عباس اتخذ دينه مايهواه فلا يهوى شيء إلا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ماحرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ماتهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا رأوا شيئا احسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا الاخر وقيل انما سمى هوى لانه يهوى بصاحبه فى النار (وأضله الله على علم) اى علما منه بعاقبة امره وقيل ماسبق فى علم الله انه ضال قبل ان يخلقه (وختم على سمعه وقلبه) اى فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه (وجعل على بصره غشاوة) يعنى ظلمة فهو لا يبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله) اى من بعد ان اضله الله (افلا تذكرون) قال الواحدى ليس يبقى للقدرية مع هذه الاية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه إياه عن الهدى حتى اخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره (وقالوا) يعنى منكرى البعث (ما هى الا حياتنا الدنيا) يعنى ما الحياة إلا حياتنا الدنيا (نموت ونحيا) يعنى يموت الاباء ويحيا الابناء وقيل تقديره نحيا ونموت (وما يهلكنا إلا الدهر) يعنى ومايفنينا إلا ممر الزمان واختلاف الليل والنهار (ومالهم بذلك من علم) يعنى لم يقولوه عن علم علموه (إن هم إلا يظنون) (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذينى ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدى الامر اقلب الليل والنهار وفى رواية يؤذينى ابن ادم ويقول ياخيبة الدهر فلا يقولن احدكم ياخيبة الدهر فانى انا الدهر اقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وفى رواية يسب ابن ادم الدهر وانا الدهر بيدى الليل والنهار ومعنى هذه الاحاديث ان العرب كان من شانهم ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون إلى الدهر مايصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع الدهر وابادهم الدهر كما اخبر الله عز وجل عنهم بقوله ومايهلكنا الا الدهر

فاذا شئت قبضتها أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري ثنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا محمد بن زكريا العذافري أنا إسحق بن ابراهيم الديري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا يسب أحدكم الدهر فان الله هو الدهر ولا يقولن للعنب الكرم فان الكرم هو الرجل المسلم ومعنى الحديث ان العرب كان من شأنهم ذم الدهر وسبه عند البوازل لأنهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله تعالى عنهم وما يهلكنا إلا الدهر فاذا ضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها وكان مرجع سبهم إلى الله عز وجل إذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها إلى الدهر فنهوا عن سب الدهر (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة) أي ليوم القيامة (لاريب فيه ولكن اكثر (١٢٩) الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) يعني الكافرين الذين هم أصحاب الاباطيل يظهر في ذلك اليوم خسرانهم بأن يصيروا إلى النار (وترى كل أمة جاثية) باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء من الله قال سلمان الفارسي ان في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى إبراهيم عليه السلام ينادي ربه لا أسألك إلا نفسي (كل أمة تدعى إلى كتابها) الذي فيه أعمالها وقرأ يعقوب كل أمة نصب ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا) أي ديوان الحفظة (ينطق عليكم بالحق) يشهد عليكم ببيان شاف فكانه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) اى نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم اى يكتبها واثباتها عليكم وقيل تستنسخ أي تأخذ نسخة وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له فيه ثواب أو عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون اعمال من بني ادم والاستنساخ لا يكون الا من اصل فينسخ كتاب من اصل قال الضحاك تستنسخ اى يثبت وقال السدي تكتب وقال الحسن تحفظ (فأما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك الفوز المبين) الظفر الظاهر (وأما الذين كفروا) يقال لهم (أفلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين) متكبرين كافرين (وإذا قيل ان وعد الله حق والساعة لاريب فيها) قرأ حمزة والساعة نصب عطفها على الوعد وقرأ الاخرون بالرفع على الابتداء (قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا) أي ما نعلم ذلك إلا حدسا وتوهما (وما نحن بمستيقنين) أنها كائنة (وبدا لهم) في الآخرة (سيئات ما عملوا) في الدنيا أي جزاؤها

فاذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد وسبوا فاعلها كان مرجع سبهم إلى الله تعالى إذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها إلى الدهر لا الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر متصرف فيه يقع به التأثير كما يقع بكم والله أعلم * قوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) معناه ان منكري البعث احتجوا بأن قالوا إن صح ذلك فأتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) اى في ذلك اليوم يظهر خسران أصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون إلى النار (وترى كل أمة جاثية) أي باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء. قال سلمان الفارسي أن في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى إبراهيم ينادي ربه لا أسألك إلا نفسي (كل أمة تدعى إلى كتابها) أي الذي فيه أعمالها ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي من خير وشر (هذا كتابنا) أي ديوان الحفظة * فان قلت كيف أضاف الكتب اليهم أولا بقوله تدعى إلى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا * قلت لا منافاة بينهما فاضافته اليهم لأنه كتاب أعمالهم واضافته إليه لأنه تعالى هو أمر الحفظة بكتبه (ينطق عليكم بالحق) أي يشهد عليكم ببيان شاف كانه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (إنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ أي نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني ادم والاستنساخ لا يكون إلا من اصل فينسخ كتاب من كتاب (فأما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) أي جنته (ذلك هو الفوز المبين) أي الظفر الظاهر (وأما الذين كفروا) أي يقال لهم (أفلم تكن اياتي تتلى عليكم) يعني ايات القران (فاستكبرتم) اى عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) اى كافرين منكرين * قوله عز وجل (وإذا قيل إن وعد الله حق) اى البعث كائن (والساعة لاريب فيها) أي لاشك في انها كائنة (قلتم ما ندري ما الساعة) أي أنكرتموها وقلتم (ان نظن الا ظنا) أي ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما (وما نحن بمستيقنين) اى انها كائنة (وبدا لهم) أي في الاخرة (سيئات ما عملوا)

(وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقيل اليوم ننساكم) نتركم في النار (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا) حتى قلتم لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يخرجون منها) قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء وقرأ الاخرون بضم الياء وفتح الراء (ولاهم يستعتبون) لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله لأنه لا يقبل ذلك اليوم (١٣٠) عذرا ولا توبة (فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء العظمة (في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) أخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي حدثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي انا أبو حامد أحمد بن محمد الحسن الشرقي ثنا احمد بن حفص وعبد الله بن محمد الفراء وقطن بن ابراهيم قالوا انا حفص بن عبد الله حدثني ابراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن الاغر أبي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما ادخلته النار

أي في الدنيا والمعنى بدا لهم جزاء سيئاتهم) وحاق بهم) أي نزل بهم (ما كانوا به يستهزئون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) أي ما لكم من مانعين يمنعونكم من العذاب (ذلكم) أي هذا الجزاء (بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا) يعني حين قلتم لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يخرجون منها) أي من النار (ولاهم يستعتبون) أي لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله والايمان به لأنه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة (فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين) معناه فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والأرض والعالمين فان مثل الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل حال (وله الكبرياء) أي وكبروه فان له الكبرياء والعظمة (في السموات والأرض) وحق لمثله أن يكبر ويعظم (وهو العزيز الحكيم) (م) عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا قال رسول الله ﷺ العز ازاره والكبرياء رداؤه قال الله تعالى فمن ينازعني عذبته لفظ مسلم وأخرجه البرقاني وأبو مسعود رضي الله عنهما يقول الله عز وجل العز إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني شيئا منهما عذبته ولأبي داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار

﴿ شرح غريب ألفاظ الحديث ﴾

قيل هذا الكلام خرج على ما تعتاده العرب في بديع استعاراتهم وذلك أنهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثبات يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله الازار والرداء مثلا له في انفراده سبحانه وتعالى بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى أنهما ليسا كسائر الصفات التي يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والرداء لأن المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الانسان ولأنه لا يشاركه في ازاره وردائه أحد فكذلك الله تعالى لا ينبغي أن يشاركه فيهما أحد لأنهما من صفاته اللازمة له المختلفة به التي لا تليق بغيره والله أعلم

﴿ سورة الاحقاف مكية وهي خمس وثلاثون اية ﴾

﴿ تفسير سورة الاحقاف مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى) يعني يوم القيامة وهو الاجل الذي تنتهي اليه السموات والارض وهو إشارة إلى فنائهما

قيل غير قوله قل أرأيتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهي اربع وقيل خمس وثلاثون اية وستمائة وأربع وأربعون كلمة والفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما إلا بالحق) أي بالعدل (وأجل مسمى) يعني يوم القيامة وهو الاجل الذي ينتهي اليه فناء السموات والارض (والذين كفروا عما أنذروا) أي خوفوا به في القران من البعث والحساب (معرضون) أي لا يؤمنون به (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله) يعني الاصنام (أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا) أي بكتاب جاءكم من الله قبل القران فيه بيان ما تقولون (او اثارة من علم) اي بقية من علم يؤثر عن الاولين ويسند اليهم وقيل برواية عن علم الانبياء

(والذين كفروا عما انذروا) خوفوا به في القران من البعث والحساب (معرضون قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا) اي بكتاب جاءكم من الله قبل القران فيه بيان ما تقولون (او اثارة من علم) قال الكلبي اي بقية من علم يؤثر عن الاولين اي يسند اليهم قال مجاهد وعكرمة ومقاتل رواية عن الانبياء وقال قتادة خاصة من علم واصل الكلمة من الاثر وهو الرواية يقال اثرت الحديث اثرا واثارة ومنه قيل للخبر اثر

(إن كنتم صادقين ومن أضل ممن يدعو امن دون الله من لا يستجيب له) يعنى الأصنام لا تجيب عابديها إلى شيء يسألونها (الى يوم القيامة) يعنى ابدا مادامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) لأنها جماد لا تسمع ولا تفهم (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) جاحدين بيانه قوله تبرأنا اليك ما كانوا إيانا يعبدون (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) يسمون القران سحرا (أم يقولون افتراه) محمد من قبل نفسه فقال الله عز وجل (قل) يا محمد (إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا) لا تقدرون أن تردوا عنى عذابه ان عذبنى على افترائى فكيف أفترى على الله من أجلكم (هو أعلم) الله أعلم (بما تفيضون فيه) تخوضون فيه من التكذيب بالقران والقول فيه انه سحر (كفى به شهيدا بينى وبينكم) ان القران جاءه من عنده (وهو الغفور الرحيم) فى تاخير العذاب عنكم قال الزجاج هذا دعاء لهم إلى التوبة معناه إن الله عز وجل غفور لمن تاب منكم رحيم به (قل ما كنتم بدعا من الرسل) أى بديعا مثل نصف ونصيف وجمع البدع ابداع لست بأول مرسل قد بعث قبلى كثير من الأنبياء فكيف تنكرون نبوتى (وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم) اختلف العلماء فى معنى هذه الاية فقال بعضهم معناه ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامه فلما نزلت هذه الاية فرح المشركون فقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله إلا واحد وما له علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذى بعثه بما يفعل به فأنزل الله ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبى الله قد علمنا ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمومنات جنات الاية وانزل وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا إنما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه وإنما اخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت ان ام العلاء امراة من الانصار وكانت بايعت النبى ﷺ اخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة فقالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه فى ابياتنا فوجع وجعه الذى توفى فيه فلما توفى وغسل وكفن فى اثوابه دخل عليه رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك ابا السائب فشهادتى عليك لقد اكرمك الله فقال النبى

وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه فى الأرض (إن كنتم صادقين) أى فى ان لله شريكا (ومن اضل ممن يدعو امن دون الله من لا يستجيب له) يعنى الأصنام لا تجيب عابديها إلى الشيء يسألونها (إلى يوم القيامة) يعنى لا تجيب أبدا مادامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) يعنى لانها جمادات لا تسمع ولا تفهم (وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) اى جاحدين (وإذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) سموا القران سحرا (أم يقولون افتراه) أى اختلق القران محمد من قبل نفسه قال الله عز وجل (قل) يا محمد (إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا) اى لا تقدرون ان تردوا عنى عذابه ان عذبنى على افترائى فكيف افترى على الله من اجلكم (هو اعلم) اى الله اعلم (بما تفيضون فيه) اى تخوضون فيه من التكذيب بالقران والقول فيه انه سحر (كفى به شهيدا بينى وبينكم) اى إن القران جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) اى فى تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم إلى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به * قوله تعالى (قل) يا محمد (ما كنت بدعا) اى بديعا (من الرسل) اى لست بأول مرسل قد بعث قبلى كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوتى (وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم) اختلف العلماء فى معنى هذه الاية فقيل معناه ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة ولما نزلت هذه الاية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله إلا واحد وما له علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذى بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبى الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمومنات جنات تجرى من تحتها الانهار الاية وانزل وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا إنما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه وإنما اخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت ان ام العلاء امراة من الانصار وكانت بايعت النبى ﷺ اخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة فقالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه فى ابياتنا فوجع وجعه الذى توفى فيه فلما توفى وغسل وكفن فى اثوابه دخل عليه رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك ابا السائب فشهادتى عليك لقد اكرمك الله فقال النبى

أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بشران انا اسمعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا عبد الرازق انا معمر عن الزهرى عن خارجة بن زيد قال كانت أم العلاء الانصارية تقول لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فى السكنى فمرض فمرضناه ثم توفى فجاء رسول الله ﷺ فدخل فقلت رحمة الله عليك ابا السائب فشهادتى عليك لقد اكرمك الله فقال النبى ﷺ وما يدريك ان الله قد أكرمه فقلت لا والله لا أدرى فقال النبى ﷺ أما هو فقد أتاه اليقين من ربه وإنى لأرجو له الخير والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم قالت فوالله لا ازكى بعده أحدا أبدا قالت ثم رأيت لعثمان بعد فى النوم عينا تجرى فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال ذاك عمله وقالت جماعة قوله وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فى الدنيا اما فى الاخرة فقد علم انه فى الجنة وان من كذبه فهو فى النار ثم اختلفوا فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما

يرى النائم وهو بمكة أرضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له أصحابه متى تهاجر إلى الأرض التي أريت فسكت فانزل الله تعالى هذه الاية وما ادرى ما يفعل بي ولا بكم أأترك في مكاني أم أخرج أنا وأنتم إلى الأرض التي رفعت لي وقال بعضهم وما أدرى ما يفعل بي ولا إلى ما ذا يصير عاقبة امري وامركم في الدنيا بان اقيم معكم في مكانكم أم أخرج كما خرجت الأنبياء من قبلي ام اقتل كما قتل الانبياء من قبلي وأنتم ايها المصدقون لا ادرى تخرجون معي ام تتركون ام ماذا يفعل بكم ايها المكذبون اترمون بالحجارة من السماء ام يخسف بكم ام اى شيء يفعل بكم كما فعل بالأمم المكذبة ثم اخبر الله عز وجل أنه يظهر دينه على الأديان فقال هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاخبر الله ما يصنع به وبامته هذا قول السدي (ان اتبع إلا ما يوحى إلي) اى ما اتبع إلا (١٣٢) القران ولا ابتدع من عندي شيئا (وما انا إلا نذير مبين قل ارايتم) معناه اخبروني ماذا تقولون (ان كان) يعني القران (من عند الله وكفرتم به) يا ايها المشركون (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) المثل صلة يعني عليه اى على انه من عند الله (فامن) يعني الشاهد (واستكبرتم) عن الايمان به وجواب قوله ان كان من عند الله محذوف على تقدير اليس قد ظلمتم يدل على هذا المحذوف قوله (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) وقال الحسن جوابه فمن اضل منكم كما قال في سورة السجدة واختلفوا في هذا الشاهد قال قتادة والضحاك هو عبد الله بن سلام شهد على نبوة المصطفى ﷺ وامن به واستكبر اليهود فلم يؤمنوا اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن منير سمع عبد الله بن أبي بكر ثنا حميد عن أنس قال سمع اى عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرض يخترف النخل فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي فما أول اشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه قال اخبرني بهن جبريل آنفا قال جبريل قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية نزل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله فاما أول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب واما أول الطعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزعت قال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله يا رسول الله أن اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي من قبل أن تسألهم بهتوني فجاءت اليهود فقال لهم أي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال أرأيتم أن أسلم عبد الله بن سلام قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه

صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله اكرمه فقلت بأبي انت يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله ﷺ اما هو فقد جاءه اليقين والله اني لأرجو له الخير والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي قالت فوالله لا ازكي بعده احدا يا رسول الله قالت ورايت لعثمان في النوم عينا تجري فجئت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله وفي رواية غير البخاري قالت لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم وقيل في معنى قوله ما ادري ما يفعل بي ولا بكم هذا في الدنيا اما في الاخرة فقد علم انه في الجنة وان من كذب في النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو بمكة ارض ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال اصحابه متى تهاجر إلى الأرض التي اريت فسكت فانزل الله هذه الاية وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اأترك في مكاني ام اخرج انا واياكم إلى الأرض التي رفعت لي وقيل لا ادري ماذا يصير امري وامركم في الدنيا اما انا فلا ادري اخرج كما خرجت الانبياء من قبلي ام اقتل كما قتل بعض الأنبياء من قبلي واما انتم ايها المصدقون فلا ادري اتخرجون معي أم تتركون ام ماذا يفعل بكم ولا ادري ما يفعل بكم ايها المكذبون اترمون بالحجارة من السماء ام يخسف بكم ام اى شيء يفعل بكم مما فعل بالامم المكذبة ثم اخبره الله عز وجل ان يظهر دينه على الأديان كلها فقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه ما يصنع به وبامته وقيل معناه لا ادري إلى ماذا يصير امري وامركم ومن الغالب والمغلوب ثم اخبره انه يظهر دينه على الأديان وامته على سائر الامم * وقوله (إن اتبع إلا ما يوحى الى) معناه ما اتبع غير القران الذي يوحى الى ولا ابتدع من عندي شيئا (وما انا إلا نذير مبين) يعني انذركم العذاب وابين لكم الشرائع (قل ارايتم) اى اخبروني ماذا تقولون (إن كان من عند الله) اى القران (وكفرتم به) ايها المشركون (وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله) يعني انه من عند الله (فامن) يعني الشاهد (واستكبرتم) يعني عن الايمان به والمعنى إذا كان الأمر كذلك اليس قد ظلمتم وتعديتم (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) واختلفوا في هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام امن بالنبي ﷺ وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا يدل عليه ما روى عن انس بن مالك قال بلغ عبد الله ابن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو في ارض يخترف النخل فاتاه وقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة ومن

قال هذا الذى كنت أخاف يارسول الله أخبرناعبدالواحد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثناعبدالله بن يوسف قال سمعت مالكا يحدث عن أبى النضر مولى عمر بن عبيدالله عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال ماسمعت النبى ﷺ يقول لاحد يمشى على وجه الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت هذه الاية وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله قال لاأدرى قال مالك الاية أوفى الحديث وقال الاخرون الشاهدهو موسى بن عمران وقال الشعبى قال مسروق فى هذه الاية والله ما نزلت فى عبدالله بن سلام لأن ال حم نزلت بمكة وإنما أسلم عبدالله بن سلام بالمدينة ونزلت هذه الاية فى محاجة كانت من رسول الله ﷺ لقومه ومثل القران التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد صلى الله عليه وسلم على القران وكل واحد يصدق الاخر وقيل هو نبى من بنى اسرائيل فآمن واستكبرتم فلم تؤمنوا (وقال الذين كفروا) من اليهود (للذين آمنوا لوكان) دين محمد صلى الله عليه وسلم (خيرا ماسبقونا اليه) يعنى عبدالله ابن سلام وأصحابه وقال قتادة نزلت فى مشركى مكة قالوا لوكان مايدعونا اليه محمد خيرا ماسبنا اليه فلان وفلان وقال الكلبى الذين كفروا أسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعنى جهينة ومزينة لوكان ماجاء به محمد خيرا ماسبقنا اليه رعاء الهم قال الله تعالى (وإذ لم يهتدوا به) يعنى بالقرآن كما اهتدى به أهل الايمان فسيقولون هذا افك قديم) كما قالوا أساطير الأولين (ومن قبله) أى ومن قبل القرآن (كتاب موسى)

أى شىء ينزع الولد إلى أبيه ومن أى شىء ينزغ إلى اخواله فقال رسول الله ﷺ أخبرنى بهن انفا جبريل قال فقال عبدالله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرا هذه الاية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله ﷺ أما أول اشراط الشاعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب واما اول طعام يا كله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الشبة فى الولد فان الرجل إذاغشى المرأه فسبقها ماؤه كان الشبه له وإذا سبقت كان الشبه لها قال اشهد أنك رسول الله ثم قال يارسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامى قبل ان تسألهم عنى بهيتونى عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله ﷺ أى رجل فيكم عبد الله بن سلام فقالوا اعلمنا وابن اعلمنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله ﷺ أفرايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك زاد فى رواية فاعاد عليهم فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبد الله اليهم فقال اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد فى رواية فقال يعنى عبدالله بن سلام هذا الذى كنت اخاف يارسول الله اخرجه البخارى فى صحيحه (ق) عن سعد بن ابى وقاص قال ماسمعت النبى ﷺ يقول لحى يمشى على الأرض انه من اهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله قال الراوى لاادرى قال مالك الاية اوفى الحديث وقيل الشاهدهو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق فى هذه الاية والله ما نزلت فى عبدالله بن سلام لأن آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت الاية فى محاجة كانت من رسول الله ﷺ لقومك ومثل القران التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الاخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التى هى مثل القران انها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القران انه كلام الله فامن من امن بموسى والتوراة واستكبرتم انتم يامعشر العرب ان تؤمنوا بمحمد والقران ان الله لايهدى القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل ارايتم ان كان من عند الذى ثم كفرتم به فانكم لاتكونون مهتدين بل تكونون ضالين * قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعنى من اليهود (للذين امنوا لوكان خيرا) يعنى دين محمد ﷺ (ماسبقونا اليه) يعنون عبد الله ابن سلام واصحابه وقيل نزلت فى مشركى مكة قالوا لوكان مايدعونا اليه محمد خيرا ماسبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا اسد وغطفان قالوا للذين امنوا يعنى جهينة ومزينة لوكان ماجاء به محمد خيرا ماسبقنا اليه برعاء الهم قال الله تعالى (وإذ لم يهتدو به) يعنى بالقرآن كما اهتدى به اهل الايمان (فسيقولون هذا إفك قديم) يعنى كذب متقدم (ومن قبله) يعنى من قبل القران (كتاب موسى) يعنى التوراة (إماما) يعنى جعلناه اماما يقتدى به (ورحمة) يعنى من الله لمن امن به (وهذا كتاب) يعنى القران (مصدق) يعنى للكتب التى قبله (لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا) يعنى مشركى مكة (وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله

يعنى التوراة (إماما) يقتدى به (ورحمة) من الله لمن امن به ونصبا على الحال عن الكسائى وقال ابو عبيدة فيه اضمار راى جعلناه اماما ورحمة وفى الكلام محذوف تقديره وتقدمه كتاب موسى اماما ولم يهتدوا به كما قال فى الاية الأولى وإذ لم يهتدوا به (وهذا كتاب مصدق) اى القران مصدق للكتب التى قبله (لسانا عربيا) نصب على الحال وقيل بلسان عربى (لينذر الذين ظلموا) يعنى مشركى مكة قرا اهل الحجاز والشام ويعقوب لتنذر بالتاء على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم وقرا الاخرون بالياء يعنى الكتاب (وبشرى للمحسنين) وبشرى فى حمل الرفع اى هذا كتاب مصدق وبشرى (ان الذين قالوا ربنا الله

ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وقرأ أهل الكوفة احسانا كقوله تعالى وبالوالدين إحسانا (حملته أمه كرها ووضعته كرها) يريد شدة الطلق قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وكرها بفتح الكاف فيهما وقرأ الاخرون بضمهما (وحمله وفصاله) فطامه وقرأ يعقوب وفصله بغير ألف (ثلاثون شهرا) يريد أقل مدة الحمل وهي ستة أشهر وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال إذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت إحدى وعشرين (١٣٤) شهرا وإذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرا (حتى إذا بلغ أشده

ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون تقدم تفسيره * قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أي يوصل اليهما إحسانا وهو صد الاساءة (حملته أمه كرها) يعني حين أثقلت وثقل عليها الولد (ووضعته كرها) يريد شدة الطلق (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) يعني ومدة حمله إلى أن ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا فأقل مدة الحمل ستة أشهر وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس إذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت إحدى وعشرين شهرا وإذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرا (حتى إذا بلغ أشده) أي نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثمان عشرة سنة إلى أربعين سنة وهو قوله تعالى (وبلغ أربعين سنة) قيل نزلت هذه الاية في سعد بن أبي وقاص وقد تقدمت القصة وقيل أنها على العموم والأصح انها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وذلك أنه صحب النبي ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي ﷺ ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبي ﷺ في ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذي في ظل السدرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى أحد إلا هذا وهو نبي اخر الزمان فوقع في قلب ابي بكر اليقين والتصديق فكان لا يفارق النبي ﷺ في سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة أكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته فآمن به أبو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجل (قال رب أوزعني) أي الهمني (ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي) اى بالايمان والهداية وقال علي بن ابي طالب في قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا في ابي بكر اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لأحد من المهاجرين إن اعلم ابواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده (وان اعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس اجابه الله تعالى فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال ولم يرد شيئا من الخير إلا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال (واصلح لي ذريتي) فأجابه الله تعالى فلم يكن له ولد إلا آمن فاجتمع لأبي بكر اسلام ابويه ابو قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن ابي عتيق محمد فهؤلاء اربعة ابو بكر وابوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا ولم يجمع ذلك لأحد من الصابة غير ابي بكر وقوله (إني تبت اليك) اى رجعت اليك الى كل ما تحب (وإني من المسلمين) اى واسلمت بقلبي ولساني (واولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا) يعني اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن فالأحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها (ونتجاوز عن سيئاتهم) فلا يؤاخذهم بها (في اصحاب الجنة) اى مع اصحاب

نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى أربعين سنة فذلك قوله (وبلغ أربعين سنة) وقال السدي والضحاك نزلت في سعد بن ابي وقاص وقد مضت القصة وقال الاخرون نزلت في ابي بكر الصديق وأبيه ابي قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو قال علي بن أبي طالب الاية نزلت في أبي بكر أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لأحد من المهاجرين اسلم ابواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده وكان ابو بكر صحب النبي ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي ﷺ ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام فلما بلغ اربعين سنة ونبيء النبي ﷺ آمن به ودعا ربه فـ (قال رب اوزعني) الهمني (ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي) بالهداية والايمان (وأن اعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس واجابه الله عز وجل فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله ولم يرد شيئا من الخير إلا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال (واصلح لي في ذريتي) فأجابه الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فأدرك ابو قحافة النبي ﷺ وابنه ابو بكر وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي ﷺ ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة قوله (اني تبت اليك واني من المسلمين اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا) يعني اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن والاحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها (ونتجاوز عن سيئاتهم) فلا نعاقبهم عليها قرا حمزة والكسائي وحفص نتقبل ونتجاوز بالنون احسن نصب وقرأ الاخرون بالياء وضمها أحسن رفع (في اصحاب الجنة) مع اصحاب الجنة

(وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) وهو قوله عز وجل وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار (والذى قال لوالديه) إذ دعواه إلى الايمان بالله والاقرار بالبعث (أف لكما) وهى كلمة كراهية (أتعدانني أن أخرج) من قبرى حيا (وقد خلت القرون من قبلى) فلم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) يستصرخان ويستغيثان الله عليه ويقولان له (ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ماهذا) ماهذا الذى تدعوانى اليه (إلا اساطير الأولين) قال ابن عباس والسدى ومجاهد نزلت فى عبد الله وقيل فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل إسلامه كان أبواه يدعوانه إلى الاسلام وهو يأبى ويقول احيوا لى عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون وأنكرت عائشة رضى الله عنها أن يكون هذا فى عبد الرحمن بن أبى بكر والصحيح أنها نزلت فى كافر عاق لوالديه قاله الحسن وقتادة وقال

الجنة (وعد الصدق) يعنى الذى وعدهم بأن يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ووعده صدق وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة (الذى كانوا يوعدون) يعنى فى الدنيا على لسان الرسول ﷺ * قوله تعالى (والذى قال لوالديه) يعنى إذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت (اف لكما) وهى كلمة كراهية (اتعدانني ان اخرج) يعنى من قبرى حيا (وقد خلت القرون من قبلى) يعنى فلم يبعث منهم احد (وهما يستغيثان الله) يعنى يستصرخان بالله عليه ويقولون له (ويلك امن إن وعد الله حق) يعنى بالبعث (فيقول ماهذا) يعنى الذى تدعونني اليه (إلا اساطير الاولين) قال ابن عباس نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق قبل إسلامه وكان ابواه يدعوانه إلى الاسلام وهو يابى ويقول أحيوا لى عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسالهم عما تقولون وانكرت عائشة ان يكون قد نزل هذا فى عبد الرحمن بن أبى بكر (ح) عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكى يبايع له فقال عبد الرحمن بن ابى بكر شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان هذا الذى انزل الله فيه والذى قال لوالديه اف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب ما انزل الله فينا شيئا من القرآن إلا ما انزل الله فى سورة النور من براءتى والقول الصحيح انه ليس المراد من الاية شخص معين بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه ابواه إلى الدين الصحيح والايمان بالبعث فابى وانكر وقيل نزلت فى كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر قبل إسلامه يبطله قوله تعالى (اولئك الذين حق عليهم القول) اعلم الله ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من افاضل المؤمنين فلا يقول ممن حقت عليه كلمة العذاب اى وجب عليه العذاب (فى امم) اى مع امم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس يريد من سبق إلى الاسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعنى منازل ومراتب عند الله يوم القيامة باعمالهم فيجازيهم عليها قيل درجات الجنة تذهب إلى علو ودرجات النار تذهب إلى أسفل (وليوفيهم أعمالهم) يعنى جزاء أعمالهم (وهم لا يظلمون) * قوله عز وجل (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يعنى يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم (اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) يعنى أن كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد افنيتموه فى الدنيا وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شىء (فاليوم تجزون عذاب الهون) اى الذى فيه ذل وخزى (بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) علق هذا العذاب بامرين أحدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل أن يكون عن الايمان والثانى الفسق وهو المعاصى والاول من عمل القلوب والثانى من عمل الجوارح

الزجاج قول من قال أنها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل إسلامه يبطله قوله (أولئك الذين حق عليهم القول) الاية اعلم الله تعالى ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب ومعنى أولئك الذين حق عليهم القول وجب عليهم العذاب (فى أمم) مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس أنهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد من سبق إلى الاسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو بساعة قال مقاتل ولكل فضائل بأعمالهم فيوفيهم الله جزاء أعمالهم وقيل ولكل يعنى ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين درجات يعنى منازل ومراتب عند الله يوم القيامة باعمالهم فيجازيهم

عليها قال ابن زيد فى هذه الاية درج أهل النار تذهب سفلا ودرج أهل الجنة تذهب علوا (وليوفيهم) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم بالياء وقرأ الباقون بالنون (أعمالهم ليكتمل لهم ثواب أعمالهم (وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيقال لهم (اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب أأذهبتم بالاستفهام ويهمز ابن عامر همزتين والاخرون بلا استفهام على الخبر وكلاهما فصيحان لأن العرب تستفهم بالتوبيخ وتترك الاستفهام فتقول أذهبت ففعلت كذا (واستمتعتم بها) يقول أذهبتم طيباتكم يعنى اللذات وتمتعتم بها (فاليوم تجزون عذاب الهون) اى العذاب الذى فيه ذل وخزى (بما كنتم تستكبرون) تتكبرون (فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) فلما وبخ الله الكافرين بالتمتع بالطيبات فى الدنيا اثر النبى ﷺ واصحابه والصالحون اجتناب اللذات فى الدنيا رجاء ثواب الاخرة وروينا عن عمر قال دخلت على

رسول الله ﷺ فاذا هو مضطجع على رمال حصير قد أثر الرمال بجنبه فقلت يارسول الله ادع الله فليوسع على أمتك فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فقال اولئك قوم قد عجلوا طيباتهم فى الحياة الدنيا اخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجانى انا أبو القاسم على بن احمد الخزاعى انا ابو سعيد الهيثم بن كليب ثنا ابو عيسى الترمذى ثنا محمد بن المثنى و محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن ابى اسحق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد يحدث عن الاسود بن يزيد عن عائشة رضى الله عنها انها قالت ما اشبع ال محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ اخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين بن بشر انا اسمعيل بن محمد بن الصفار ثنا احمد ابن المنصور الرمادى ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشه رضى الله عنها انها قالت لقد كان يأتى علينا الشهر ما نوقد فيه نارا وما لنا إلا الماء والتمر غير ان جزى الله نساء من الانصار خيرا كن ربما اهدين لنا شيئا من اللبن اخبرنا عبد الله بن الصمد الجورجانى انا أبو القاسم الخزاعى أنا الهيثم بن كليب (١٣٦) ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا عبد الله بن معاوية الجمحى ثنا ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجانى أنا أبو القاسم الخزاعى أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى ثنا عبد الله بن عبد الرحمن ثنا روح بن أسلم ثنا أبو حاتم البصرى ثنا حماد بن سلمة أنا ثابت عن أنس قال قال رسول الله ﷺ لقد أخفت فى الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ولقد أتت على ثلاثون من بين ليلة ويوم ومالى ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شىء من التمر يواريه ابط بلال اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى (واذكر

{فصل} لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات اثر النبى ﷺ واصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات فى الدنيا رجاء ثواب الاخرة (ق) عن عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله ﷺ فاذا هو متكىء على رمال حصير قد اثر فى جنبه فقلت استانس يارسول الله قال نعم فجلست فرفعت راسى فى البيت فوالله ما رايت فيه شيئا يرد البصر إلا اهبة ثلاثة فقلت ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال افى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت استغفر لى يارسول الله (ق) عن عائشة قالت ما شبع ال محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ (ق) عنها قالت كان يأتى علينا الشهر ما نوقد فيه نارا إنما هو الاسودان التمر والماء إلا ان تؤتى باللحيم وفى رواية أخرى قالت إنا كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة فى شهرين وما اوقد فى ابيات رسول الله ﷺ نار قال عروة قلت ياخاله فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء إلا انه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من البانها فيسقينا عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم خبز الشعير اخرجه الترمذى وله عن أنس قال قال رسول الله ﷺ لقد أخفت فى الله ما لم يخف أحد وأوذيت فى الله ما لم يؤذ احد ولقد اتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام إلا شىء يوارى ابط بلال (خ) عن ابى هريرة قال لقد رايت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما ازار وإما كساء قد ربطوا فى أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته (خ) عن إبراهيم بن عبد الرحمن ان عبد الرحمن بن عوف اتى بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب ابن عمير وهو خير منى فكفن فى بردة ان غطى راسه بدت رجلاه وان غطى رجلاه بدا رأسه قال وأراه قال قتل حمزة وهو خير منى فلم يوجد ما يكفن فيه إلا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشيت ان تكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبد الله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا فى يدى فقال فقال ماهذا ياجابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمرا اشتهيت ياجابر اشتريت اما تخاف هذه الاية اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا * قوله تعالى

انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا يوسف بن عيسى ثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن ابى هريرة انه قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا فى اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته اخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله بن ابى توبة الكشميهنى ثنا ابو طاهر محمد بن الحارث ثنا ابو الحسن محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله ابن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الحلال ثنا عبد الله بن مبارك عن شعبة بن الحجاج عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم أن عبد الرحمن ابن عوف أتى بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير منى فكفن فى بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا رأسه قال وأراه وقتل حمزة وهو خير منى ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبد الله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا فى يدى فقال ماهذا ياجابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر أو كلما اشتهيت شيئا ياجابر اشتريت اما تخاف هذه الاية اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا

قوله عز وجل (واذكر أخا عاد) يعني هودا (إذ أنذر قومه بالأحقاف) قال ابن عباس الأحقاف واد بين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة واليها تنسب الابل المهرية وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم قال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا احياء باليمن وكانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والأحقاف جمع حقف وهي المستطيل المعوج من الرمال قال ابن زيد هي ما استطال من الرمل كهيئة الجبل ولم يبلغ ان يكون جبلا قال الكسائي هي ما استدار من الرمال (وقد خلت النذر) مضت الرسل (من بين يديه) اي من قبل هود (ومن خلفه) إلى قومهم (الا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا (عن آلهتنا) أي عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) ان العذاب نازل بنا (قال) هود (إنما العلم عند الله) وهو يعلم متى يأتيكم العذاب (١٣٧) (وأبلغكم ما ارسلت به) من الوحي اليكم (ولكني أراكم قوما تجهلون فلما راوه) يعني ما يوعدون به من العذاب (عارضا) سحابا يعرض اي يبدو في ناحية من السماء ثم يطبق السماء (مستقبل اوديتهم) فخرجت عليهم سحابة سوداء من وادهم يقال له المغيث وكانوا قد حبس عنهم المطر فلما راوها استبشروا (قالوا هذا عارض ممطرنا) يقول الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم) فجعلت الريح تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كانها جرادة (تدمر كل شيء) مرت به من رجال عادوا موالها (بامر ربها) فاول ما عرفوا انها عذاب راوا ما كان خارجا من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فجاءت الريح فقلعت أبوابهم وصرعتهم وأمر الله الريح فاماتت عليهم الرمال وكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام لهم اثنين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم الرمال واحتملتهم فرمت بهم في البحر اخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي انا ابو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني انا ابو عوانة يعقوب بن اسحق الحافظ انا يونس بن وهب انا عمرو بن الحارث انا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة انها قالت ما رايت رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا حتى ارى منه بياض لهواته وكان اذا راى غيما او ريحا عرف ذلك في وجهه فقلت يا رسول الله ان الناس اذا راوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر وإذا رايته عرف في وجهك الكراهية فقال عائشة ما يؤمنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد راى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا الاية اخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي انا ابو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني انا ابو عوانة ثنا يوسف هو ابن مسلم ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء قال قالت عائشة كان النبي ﷺ إذا راى مخيلة تغير وجهه وتلون ودخل وخرج واقبل وادبر فاذا امطرت السماء سري عنه قالت وذكرت له الذي رات قال وما يدريك لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الاية

(واذكر أخا عاد) يعني هودا عليه السلام (إذ أنذر قومه بالأحقاف) قال ابن عباس الأحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا احياء باليمن وكانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ ان يكون جبلا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل (وقد خلت النذر) اي مضت الرسل (من بين يديه) اي من قبل هود (ومن خلفه) اي من بعده (الا تعبدوا إلا الله إني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى ان هودا قد انذرهم بذلك واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره (قالوا اجئتنا لتأفكنا) اي لتصرفنا (عن الهتنا) اي عبادتها (فاتنا بما تعدنا) اي من العذاب (إن كنت من الصادقين) يعني ان العذاب نازل بنا (قال) يعني هودا (إنما العلم عند الله) يعني هو يعلم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم ما ارسلت به) يعني من الوحي الذي أنزله الله على وامرني بتبليغه اليكم (ولكني اراكم قوما تجهلون) يعني قدر العذاب الذي ينزل بكم (فلما راوه) يعني راوا ما يوعدون به من عذاب ثم بينه فقال تعالى (عارضا) يعني راوا سحابا عارضا وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السماء ثم يطبق السماء (مستقبل اوديتهم) وذلك انه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما راوا تلك السحابة استبشروا بها ثم (قالوا هذا عارض ممطرنا) قال الله رد ا عليهم (بل هو ما استعجلتم به) يعني من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى (ريح فيها عذاب اليم) ثم وصف تلك الريح فقال تعالى (تدمر كل شيء بامر ربها) يعني تهلك كل شيء مرت به من رجال عاد واموالهم يقال ان تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كانها جرادة فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت الأبواب وصرعتهم وامر الله الريح فاماتت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام لهم اثنين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم الرمل واحتملتهم فرمت بهم في البحر وقيل إن هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل إن الله تعالى امر خازن الريح ان يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فاهلكهم الله بهذا القدر وفي هذا إظهار كمال القدرة (ق) عن عائشة قالت ما رايت رسول الله ﷺ مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته إنما كان يتبسم زاد في رواية وكان اذا راى غيما عرف

فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) قرأ عاصم وحمزة ويعقوب يرى بضم الياء مساكنهم برفع النون يعنى لا يرى شيء إلا مساكنهم وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها مساكنهم (١٣٨) نصب يعنى لا ترى أنت يا محمد إلا مساكنهم لأن السكان والأنعام بادت بالريح فلم يبق إلا

هود ومن آمن معه (كذلك نجزى القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكنا كم فيه) يعنى فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول العمر وكثرة المال قال المبرد ما فى قوله فيما بمنزلة الذى وان بمنزلة وتقديره ولقد مكناهم فى الذى ما مكنا كم فيه (وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولقد اهلكنا ما حولكم) يا اهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وارض سدوم ونحوهما (وصرفنا الايات) الحجج والبينات (لعلهم يرجعون) عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بخوف مشركى مكة (فلولا) فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) يعنى الاوثان التى اتخذوها آلهة يتقربون بها الى الله عز وجل الربان كل ما يتقرب به الى الله عز وجل وجمعه قربا بين كالرهبان والرهابين (بل ضلوا عنهم) قال مقاتل بل ضلت الالهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب (وذلك افكهم) أى كذبهم الذى كانوا يقولون أنها تقربهم الى الله عز وجل

فى وجهه قالت يا رسول الله الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيت غيما عرف فى وجهك الكراهة فقال يا عائشة وما يؤمنى أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا رفى رواية قالت كان النبى ﷺ إذا رأى مخيلة فى السماء اقبل وادبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا أمطرت السماء سرى عنه فرفعته عائشة ذلك فقال وما أدرى لعله كما قال قوم هود فلما راوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الاية وفى رواية أخرى قالت كان النبى ﷺ إذا عصفت الريح قال اللهم إنى اسالك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل واقبل وادبر فاذا امطرت السماء سرى عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذى يظن فيه مطر وتخيلت السماء إذا تغيمت وقولها سرى عنه اى كشف وأزيل عنه ما كان به من الغم والحزن * قوله تعالى (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) قرى بالتاء مفتوحة على أنه خطاب النبى ﷺ والمعنى ما ترى يا محمد إلا مساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها احد وقرىء بالياء مضمومة والمعنى لا يرى إلا آثار مساكنهم لأن الريح لم تبق منها إلا الاثار والمساكن المعطلة (كذلك نجزى القوم المجرمين) نخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى (ولقد مكناهم فيما إن مكنا كم فيه) الخطاب لأهل مكة يعنى مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الأبدان وطول الأعمار وكثرة الاموال (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) يعنى إنا أعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم فى أمر الدين فما استعملوها إلا فى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء) يعنى أنه لما نزل بهم العذاب ما اغنى ذلك عنهم شيئا (إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) يعنى ونزل بهم العذاب الذى كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) الخطاب لأهل مكة يعنى اهلكنا قرى ديار ثمود وهى الحجر وسدوم وهى قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف أهل مكة بذلك (وصرفنا الايات) يعنى وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد (لعلهم يرجعون) يعنى عن كفرهم فلم يرجعوا فأهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم فى الكفر (فلولا) يعنى فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) يعنى انهم اتخذوا الأصنام آلهة يتقربون بعبادتها إلى الله تعالى والقربان كل ما يتقرب به إلى الله تعالى (بل ضلوا عنهم) يعنى بل ضلت الالهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم (وذلك افكهم) يعنى كذبهم الذى كانوا يقولون أنها تقربهم إلى الله تعالى وتشفع لهم عنده (وما كانوا يفترون) يعنى يكذبون بقولهم إنها آلهة وإنها تشفع لهم * قوله عز وجل (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) الاية

﴿ذكر القصة فى ذلك﴾ قال المفسرون لما مات أبو طالب عم رسول الله ﷺ وكان فى حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله ﷺ وحشة من قومه فخرج إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة له والمنعة من قومه فروى محمد بن اسحق عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عند يا ليل ومسعود وحبيب بنو عمير وعندهم امرأة من قريش من بنى جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاء له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الاخر ما وجد الله أحدا يرله غيرك وقال الثالث لا اكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغى لى أن اكلمك فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف

وتشفع لهم (وما كانوا يفترون) يكذبون أنها آلهة قوله عز وجل (وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن

فقال

فقال لهم رسول الله صلى عليه وسلم إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا على وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه فيزيد ذلك فى تجرئهم عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع اليه الناس والجؤه إلى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد إلى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعه ينظران اليه ويريان ما لقى من سفهاء ثقيف وقد لقى رسول الله ﷺ تلك المرأة التى من بنى جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال اللهم إنى اشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس فانت رؤف وانت ارحم الراحمين وانت رب المستضعفين وانت ربى إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى او إلى عدو ملكته امرى ان لم يكن بك غضب فلا ابالى ولكن عافيتك اوسع لى اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة من أن ينزل بى غضبك او يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة إلا بك فلما رأى ابنا ربيعة ما لقى تحركت له رحمتهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم اقبل بالطبق حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله ﷺ يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس إلى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اى البلاد انت يا عداس وما دينك فقال انا نصرانى وانا رجل من اهل نينوى فقال له رسول الله ﷺ امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله ﷺ ذاك اخى كان نبيا وانا نبى فاكب عداس على رسول الله ﷺ فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فقال احد ابنى ربيعة إما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهم عداس قال له ويلك عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى مافى الأرض خير من هذا الرجل لقد اخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبى فقال له ويحك ياعداس لا يصرفك عن دينك فأن دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى إذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلى فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين وقد آمنوا به واجابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن وفى الاية قول آخر وسياتى فى سورة الجن وهو حديث مخرج فى الصحيحين من حديث ابن عباس وروى أن الجن لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان اول بعث بعث من اهل نصيبين وهم اشراف الجن وساداتهم فبعثهم إلى تهامة وقال ابو حمزة بلغنا انهم من بنى الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود إبليس فلما رجعوا إلى قومهم قالوا إنا سمعنا قرانا عجبا وقال جماعة بل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القران فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن وهم من أهل نينوى وجمعهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه إنى امرت ان اقرأ على الجن الليلة فايكم يتبعنى فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود لم يحضر معه أحد غيرى قال فانطلقنا حتى إذا كنا باعلى مكة دخل نبى الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لى خطا ثم امرنى أن اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القران فجعلت ارى مثال النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت عن نبى الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى لا اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق إلى فقال لى نمت فقلت لا والله يارسول الله لقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم امن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيأ قلت نعم

يستمعون القرآن) الآية قال المفسرون لما مات أبو طالب خرج رسول الله ﷺ وحده إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه فروى محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف إلى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم أخوة ثلاثة عبد يا ليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير وعند امرأة من قريش من بني جمح مجلس اليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة أن كان الله أرسلك وقال الآخر ما وجد الله أحداً يرسله غيرك وقال الثلث والله ما أكلمك كلمة أبداً لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلمك فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقال لهم إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموه علي وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه فيذئلهم عليه ذلك فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس والجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه فعمد إلى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف ولقد لقي رسول الله ﷺ تلك المراة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس انت ارحم الرحمين انت رب المستضعفين وانت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة من ان ينزل بي غضبك او يحل علي فلما سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك فلما راى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمها فدعوا غلاما لهما نصرانياً يقال له عداس فقال له خذ قطفاً من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يا كل منه ففعل ذلك عدس ثم اقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس إلى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلد فقال له رسول الله ﷺ من اي البلاد انت يا عداس وما دينك قال انا نصراني وانا رجل من اهل نينوى فقال له رسول الله ﷺ امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى قال له وما يدريك ما يونس بن متى فقال له رسول الله ﷺ ذاك أخي كان نبياً وانا نبي فاكب عداس على رسول الله ﷺ فقبل راسه ويديه وقدميه قال فيقول ابنا ربيعة احدهما لصاحبه اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهم عداس قالا له ويلك يا عداس مالك تقبل راس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدي ما في

رأيت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي ﷺ أن يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول الله وما يعني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديد فقال ان الجن تدارأت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا إلي فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله ﷺ وأتاني فقال هل معك ماء قلت يا رسول الله معي اداوة فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يديه فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكر لنا ان ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه حين راهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا إلى رسول الله ﷺ ليلة الجن قلت حديث التوضؤ بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافيات بأسانيده واجاب عنها كلها والذي صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب النبي ﷺ ليلة الجن منكم احد قال ما صحبه منا احد ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم قال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرات عليهم القرآن قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله ﷺ فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال الشعبي وكانوا من جن الجزيرة اخرجه مسلم في صحيحه واما تفسير الاية فقوله تعالى وإذ صرفنا اليك الخطاب للنبي ﷺ يعني واذكر إذ بعثنا اليك يا محمد نفرا من الجن واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله رسلا إلى قومهم وقال الاخرون كانوا تسعة وروى عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروى ان الجن ثلاثة اصناف صنف منهم لهم اجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف على صورة الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان اولئك الجن كانوا يهودا فأسلموا قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الإنس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع واطبع المحققون من العلماء على الكل مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم وعليهم عقاب (يستمعون القرآن

الأرض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي فقال ويحك ياعداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن اهل نصيبين اليمن فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا لما سمعوا فقص الله خبرهم عليه فقال وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا مسدد ثنا أبو عوانة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انطلق النبي ﷺ في طائفة من اصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ماهذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامد بن إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فأنزل الله على نبيه قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن وإنما أوحي اليه قول الجن وروى انهم لما رجعوا بالشهب بعث إبليس سراياه لتعرف الخبر وكان اول بعث بعث ركبا من اهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم فبعثهم إلى تهامة وقال أبو حمزة اليماني بلغنا انهم من الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وأهم عامة جنود إبليس فلما رجعوا قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل امر النبي ﷺ ان ينذر الجن ويدعوهم إلى الله تعالى ويقرأ عليهم القران فصرف اليه نفرا من الجن من اهل نينوى وجمعهم له فقال ﷺ إني امرت ان أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعني فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا فاتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله ولم يحضر معه أحد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا على مكة دخل نبي الله ﷺ شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم امرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم انطلق حتى قام فافتتح القران فجعلت أرى أمثال النسور تهوي وسمعت لغطا شديد حتى خفت عليه ﷺ وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق إلي وقال لي أنمت فقلت لا والله يارسول الله وقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا قال لو خرجت لم امن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيئا قلت نعم يارسول الله رأيت رجالا سودا مستثفرى ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين سالوني المتاع والمتاع الزاد فمنعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة قال فقالوا يارسول الله تقذرها الناس فنهى النبي ﷺ ان يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يارسول الله وما ينفي ذلك عنهم قال إنهم لا يجدون عظما إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكله ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت قال فقلت يارسول الله سمعت لغطا شديدا فقال إن الجن تدارأت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا إلي فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله ﷺ ثم اتاني فقال هل معك ماء قلت يارسول الله معي أداوة فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يده فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور وقال قتادة ذكر لنا ان ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه حين راهم فقال اظهروا فقيل له إن هؤلاء قوم من الزط فقال ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا إلى رسول الله ﷺ يريد الجن اخبرنا إسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغفار بن محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الأعلى ثنا داود وهو ابن ابي هند عن عامر قال سالت علقمة هل كان ابن مسعود شهد رسول الله ﷺ ليلة الجن قال فقال علقمة أنا سالت ابن مسعود فقلت هل شهد أحد منكم رسول الله ﷺ ليلة الجن قال لا ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القران قال فانطلق بنا فارانا اثارهم واثار نيرانهم قال وسالوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله ﷺ فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم ورواه مسلم عن علي بن حجر ثنا إسمعيل بن إبراهيم عن داود بهذا الاسناد إلى قوله واثار نيرانهم قال الشعبي وسالوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة إلى اخر الحديث من قول الشعبي مفصلا من حديث عبد الله قوله عز وجل وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران اختلفوا في عدد ذلك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رسلا إلى قومهم وقال اخرون كانوا تسعة وروى عاصم عن زر بن حبيش كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القران (فلما حضروه قالوا انصتوا) قالوا صه وروى في الحديث أن الجن ثلاثة اصناف صنف لهم اجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون فلما حضروه قال بعضهم لبعض انصتوا واسكتوا لتستمع إلى قراءته فلا يحول بيننا

(فلما حضروه) الضمير يعود إلى القران يعني فلما حضروا القران وقيل يحتمل انه يعود على الرسول ﷺ ويكون المعنى فلما حضروا رسول الله صلى الله عليه لأجل استماع القران (قالوا أنصتوا)

وبين الاستماع شيء فانصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم (فلما قضى) فرغ من تلاوته (ولوا إلى قومهم) انصرفوا اليهم (منذرين) مخوفين داعين بأمر رسول الله ﷺ (قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) قال عطاء كان دينهم اليهودية لذلك قالوا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى (ياقومنا أجيبوا داعي الله) يعني محمدا ﷺ (وآمنوا به يغفر لكم ذنوبكم) من صلة أي ذنوبكم (ويجركم من عذاب اليم) قال ابن عباس رضي الله عنهما فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلا (١٤٢) من الجن فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافقوه في البطحاء فقرأ عليهم القرآن

وأمرهم ونهاهم وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا إلى الجن والانس جميعا قال مقاتل لم يبعث قبله نبي إلى الانس والجن جميعا واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب إلا انجاتهم من النار وتاولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم واليه ذهب ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه وحكى سفيان عن ليث قال الجن ثوابهم ان يجاوروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا وهذا مثل البهائم وعن ابى الزناد قال إذا قضى بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا وقال الآخرون يكون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس واليه ذهب مالك وابن ابى ليلى وقال جرير عن الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وذكر النقاش في تفسيره حديث انهم يدخلون الجنة فقيل هل يصيبون من نعيمها قال يلهمهم تسبيحه وذكره فيصيبون من لذته ما يصيبه بنو آدم من نعيم الجنة وقال على أرطأة بن المنذر سالت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرا لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز أن مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض) لا يعجز الله فيفوته (وليس له من دونه أولياء) أنصار يمنعونه من الله (أولئك في ضلال مبين) قوله تعالى (أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن) لم يعجز عن إبداعهن (بقادر) هكذا قراءة العامة واختلفوا في وجه دخول الباء فيه فقال أبو عبيدة والأخفش الباء زائدة التاكيد كقوله تنبت بالدهن وقال الكسائي والفراء العرب تدخل الباء في الاستفهام مع الجحود فتقد ما اظنك بقائم وقرا

يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمع قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شيء فانصتوا واستمعوا القران حتى يكاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعة (فلما قضى) اى فرغ من قراءته (ولوا) اى رجعوا (إلى قومهم منذرين) يعني داعين لهم إلى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك بأمر رسول الله ﷺ لهم وذلك بعد إيمانهم لانهم لا يدعون غيرهم إلى سماع القران والتصديق إلا بعد إيمانهم به وتصديقهم له (قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا) قال عطاء كان دينهم اليهودية ولذلك قالوا إنا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا (لما بين يديه) يعني الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك ان كتب الأنبياء كانت مشتملة على الدعوة إلى التوحيد وتصديق الأنبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القران المنزل على محمد ﷺ كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب (يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) يعني يهدي إلى دين الحق وهو دين الاسلام ويهدي إلى طريق الجنة (ياقومنا اجيبوا داعي الله) يعني محمدا ﷺ لانه لا يوصف بهذا غيره وفي الاية دليل على انه مبعوث إلى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا إلى الانس والجن قبله (وامنوا به) * فان قلت قوله تعالى اجيبوا داعي الله امر باجابته في كل ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم اعاد ذكره بلفظ التعيين * قلت إنما اعاده لان الايمان أهم أقسام المأمور به وأشرفها ولذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم يعطف عليه اشرف انواعه (يغفر لكم ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم) قال بعضهم لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هي على أصلها وذلك أن الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا اسلموا جرت عليهم أحكام الاسلام فمن اتى بذنب اخذ به مالم يتب منه او يبقى تحت خطر المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء اخذه بذنبه واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب إلا انجاتهم من النار وتأولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم واليه ذهب ابو حنيفة وحكى عن الليث قال ثوابهم أن يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وعن أبي الزناد قال إذا قضى بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا وقال الآخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابى ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وقال ارطأة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة * وقوله تعالى (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض) يعني لا يعجز الله فيفوته (وليس له من دونه اولياء) يعني انصارا يمنعونه من الله (اولئك) يعني الذين لم يجيبوا داعي الله (في ضلال مبين) قوله تعالى (اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن) يعني انه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز من إبداعه واختراعه وتكوينه (بقادر

يعقوب يقدر بالياء على الفعل واختار أبو عبيدة قراءة العامة لأنها فى قراءة عبد الله قادر بغير باء (على أن يحيى الموتى بلى أنه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيقال لهم (أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال) أى فيقال لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر واختلفوا فيهم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولى عزم لم يبعث الله نبيا إلا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل وإنما أدخلت من التجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت اكسية من الخز واردية من البز وقال بعضهم الانبياء كلهم أولوا عزم إلا يونس بن متى لعجلة كانت منه ألا ترى أنه قيل للنبى ﷺ ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم هم نجباء الرسل المذكورين فى سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبى هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين وقيل (١٤٣) هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام وهم المذكورون على النسق فى سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وإبراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على البئر والسجن أيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم خمسة قلت ذكرهم الله على التخصيص فى قوله وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك من نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفى قوله تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا الاية أخبرنا ابو طاهر المطهر بن

على أن يحيى الموتى) يعنى أن إعادة الخلق واحياءه بعد الموت أهون عليه من إبداعه وخلقه فالكل عليه هين إبداع الخلق وإعادته بعد الموت وهو قوله (بلى إنه على كل شئ قدير) يعنى من أماتة الخلق وإحياءهم لانه قادر على كل شئ (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيه إضمار تقديره فيقال لهم (أليس هذا بالحق) يعنى هذا العذاب هو الذى وعدكم به الرسل وهو الحق (قالوا بلى وربنا) هذا إعتراف منهم على انفسهم بعدما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك (قال) لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) قوله عز وجل (فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) الخطاب للنبى ﷺ أمره الله تعالى بالاقتداء بأولى العزم من الرسل فى الصبر على اذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر واختلفوا فى أولى العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولى عزم لم يبعث الله نبيا إلا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر الدين الرازى قال لان لفظة من فى قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كأنه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومهم وصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم اولوا العزم إلا يونس لعجلة كانت فيه ألا ترى انه قيل للنبى ﷺ ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم اولى العزم هم نجباء الرسل المذكورون فى سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبى هم الذين امروا بالجهاد واظهروا المكاشرة لاعداء الله وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق فى سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه وإبراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح فى قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وايوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وإبراهيم موسى وعيسى اصحاب الشرائع فهم مع محمد ﷺ وعليهم اجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين فى قوله وإذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفى قوله شرع لكم من الدين وماوصى به نوحا الاية روى البغوى بسنده عن عائشة قالت قال لى رسول الله ﷺ يا عائشة إن الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من اولى العزم إلا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ولم يرض إلا ان كلفنى ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وإنى والله لا بد لى من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولا جهدن كما جهدوا ولا قوة إلا بالله * قوله تعالى (ولا تستعجل لهم) يعنى اصبر على اذاهم لا تستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لا محالة كأنه ﷺ ضجر بعض الضجر فاحب ان ينزل العذاب بمن ابى منهم فأمره الله تعالى

على بن عبيد الله الفارسى ثنا ابو ذر محمد بن إبراهيم سبط الصالحانى انا ابو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بابى الشيخ الحافظ انا عبد الرحمن بن ابى حاتم انا محمد بن الحجاج انا السرى بن حيان انا عباد بن عباد ثنا مجالد بن سعيد عن الشعبى عن مسروق قال قالت عائشة قال لى رسول الله ﷺ يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة إن الله لم يرض من اولى العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ولم ترض الا ان كلفنى ما كلفهم وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وإنى والله لا بد لى من طاعته والله لاصبرن كما صبروا واجتهدن كما جهدوا ولا قوة إلا بالله قوله تعالى (ولا تستعجل لهم) اى ولا تستعجل العذاب لهم فانه نازل بهم لا محالة كأنه ضجر بعض الضجر فاحب ان ينزل العذاب بمن ابى منهم فامر بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر عن قرب فقال

(كانهم يوم يرون مايوعدون) من العذاب فى الآخرة (لم يلبثوا) فى الدنيا (إلاساعة من نهار) أى إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كانه ساعة من نهار لأن مامضى وإن كان طويلا كان لم يكن ثم قال (بلاغ) أى هذا القرآن ومافيه من البيان بلاغ من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ (فهل يهلك) بالعذاب إذا نزل (إلا القوم الفاسقون) الخارجون من امر الله قال الزجاج تأويله لايهلك مع رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم مافى الرجاء لرحمة الله آية اقوى من هذه الاية

بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر بقرب العذاب فقال تعالى (كأنهم يوم يرون مايوعدون) يعنى من العذاب فى الاخرة (لم يلبثوا) يعنى فى الدنيا (إلاساعة من نهار) يعنى أنهم إذاعاينوا العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كأنه قدر ساعة من نهار لأن مامضى وإن كان طويلا فهو يسير إلى مايدوم عليهم من العذاب وهو أبد الابدين بلا انقطاع ولافناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى (بلاغ) أى هذا القرآن ومافيه من البينات والهدى بلاغ من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ (فهل يهلك) يعنى بالعذاب إذا نزل (إلاالقوم الفاسقون) يعنى الخارجين عن الإيمان بالله وطاعته قال الزجاج تأويله لايهلك مع رحمة الله وفضله إلاالقوم الفاسقون ولهذا قال قوم مافى الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الاية والله أعلم .

(سورة محمد ﷺ مدنية وهى ثمان وثلاثون اية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم) ابطلها فلم يقبلها واراد بالأعمال مافعلوا من اطعام الطعام وصلة الأرحام قال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم بالنبى ﷺ وجعل الدائرة عليهم (والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد) قال سفيان الثورى يعنى لم يخالفوه فى شىء (وهو الحق من ربهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما الذين كفروا وصدوا مشركوا مكة والذين امنوا وعملوا الصالحات الأنصار (كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم) حالهم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عصمهم أيام حياتهم يعنى ان هذا الإصلاح يعود إلى اصلاح من اعمالهم حتى لايعصوا (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل) الشيطان (وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم) يعنى القرآن

(تفسير سورة محمد ﷺ مدنية وهى ثمان وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله عز وجل (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) يعنى ابطلها ولم يتقبلها منهم وأراد بالأعمال ما كانوا يفعلون من أعمال البر من اطعام الطعام وصلة الأرحام وفك العانى وهو الأسير وإجارة المستجير ونحو ذلك وقال بعضهم أول هذه السورة متعلق بآخر سورة الاحقاف المتقدمة كان قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الأعمال والله لايضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فاخبر بأن الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم يعنى أبطلها لأنها لم تكن لله ولا بأمره إنما فعلوها من عند أنفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب أبطلها الله تعالى وقال الضحاك أبطل كيدهم ومكرهم بالنبى ﷺ وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤس كفار قريش منهم أبو جهل والحرث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قويش وقيل هم كفار أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعنى ومنعوا غيرهم عن الدخول فى دين الله وهو الإسلام أو منعوا أنفسهم من الدخول فى الإسلام أضل أعمالهم يعنى أبطلها لأنها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال ابن عباس الذين كفروا مشركوا قريش والذين آمنوا هم الأنصار وقيل مؤمنوا أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله وهذا هو الأولى ليشمل جميع المؤمنين (وآمنوا بما نزل على محمد) يعنى القرآن الذى أنزله الله على محمد وإنما ذكره بلفظ الاختصاص مع مايجب من الإيمان بجميع ماجاء به رسول الله ﷺ عن الله تعظيما لشأن القرآن الكريم وتنبيها على أنه لايتم الإيمان إلا به وأكد ذلك بقوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناه أن دين محمد ﷺ هو الحق لأنه ناسخ للأديان كلها ولايرد عليه نسخ وقال سفيان الثورى فى قوله وآمنوا بما نزل على محمد يعنى لم يخالفوه فى شىء (كفر عنهم سيئاتهم) يعنى ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم (واصلح بالهم) يعنى حالهم وشأنهم وامرهم بالتوفيق فى أمور الدين والتسديد على أمور الدنيا بما أعطاهم من النصر على أعدائهم وقيل أصلح بالهم يعنى قلوبهم لأن القلب إذا صلح صلح سائر الجسد وقال ابن عباس عصمهم أيام حياتهم يعنى أى هذا الاصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لايعصوا (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل) يعنى الشيطان (وإن الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم) يعنى القرآن ومعنى الآية ذلك الأمر وهو اضلال اعمال الكفار وتكفير سيئات المؤمنين كائن بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المؤمنين الحق

(كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) أشكالهم قال الزجاج كذلك يبين الله أمثال حسنات المؤمنين واضلال اعمال الكافرين (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) نصب على الاغراء أى فاضربوا رقابهم يعنى أعناقهم (حتى اذا أثخنتموهم) بالغتم فى القتل وقهرتموهم (فشدوا الوثاق) يعنى فى الأسر حتى لا يعتلوا منكم والأسر يكون بعد المبالغة فى القتل كما قال ما كان لنبى أن يكون له اسرى حتى يثخن فى الأرض (فاما منا بعد وإما فداء) يعنى بعد أن تأسروهم فاما ان تمنعوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض وإما أن تفادوهم فداء واختلف العلماء فى حكم هذه الاية فقال قوم هى منسوخة بقوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشردبهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وإلى هذا القول ذهب قتادة والضحاك والسدى وابن جريج وهو قول الاوزاعى وأصحاب الرأى قالوا لا يجوز المن على من وقع فى الأسر من الكفار ولا الفداء وذهب آخرون إلى ان الآية محكمة والامام بالخيار فى الرجال العاقلين من الكفار إذا وقعوا فى الأسر بين ان يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثورى والشافعى واحمد وإسحق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل (١٤٥) الله عز وجل فى الأسارى فاما منا بعد وإما فداء وهذا هو الاصح والاختيار لانه عمل به رسول الله ﷺ والخلفاء بعده أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن ابى سعيد سمع أبا هريرة قال بعث النبى ﷺ خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن اثال سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سوارى المسجد فخرج اليه رسول الله ﷺ فقال ماذا عندك يا ثمامه فقال عندى يا محمد خير ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال

من ربهم (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) الضمير فى أمثالهم راجع إلى الناس على انه تعالى يضرب للناس أمثال أنفسهم أو انه راجع إلى الفريقين على معنى انه تعالى ضرب أمثال الفريقين للناس ليعتبروا بها قال الزجاج كذلك يضرب الله أمثال حسنات المؤمنين وأمثال أعمال الكافرين للناس * قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) يعنى فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل إلا ان المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الأعضاء وإنما خص الرقاب بالضرب لان قتل الإنسان أشنع ما يكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر فى الامر بالقتل ولأن الرأس من أشرف أعضاء البدن فاذا أبين عن بدنه كان أسرع إلى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضاء (حتى إذا أثخنتموهم) أثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة (فشدوا الوثاق) يعنى فى الاسرى والمعنى فأسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به أى يشد به (فأما منا بعد وإما فداء) يعنى بعد الاسر إما أن تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض وإما أن تفادوهم فداء.

(فصل فى حكم الاية) اختلف العلماء فى حكم هذه الاية فقال قوم هى منسوخة بقوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشردبهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدى وابن جريج واليه ذهب الاوزاعى واصحاب الرأى قالوا لا يجوز المن على من وقع فى الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل والاسترقاق أيهما رأى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء إنما هو الاسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يكون المراد أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية ان كانوا من أهل الذمة ويراد بالفداء أن يفادى بأسراهم أسرى المسلمين فقد رأه الطحاوى مذهبا عن ابى حنيفة والمشهور عنه انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وذهب اكثر العلماء إلى ان الاية محكمة والامام بالخيار فى الرجال البالغين من الكفار إذا أسروا بين ان يقتلهم او

فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله ﷺ حتى كان الغد فقال له ما عندك يا ثمامة فقال ما عندى ما قلت لك أن تنعم تنعم على شاكر فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد فقال له ما عندك يا ثمامة فقال عندى ما قلت لك فقال رسول الله ﷺ اطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله يا محمد والله ما كان على وجه الارض وجه أبغض إلى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلى والله ما كان من دين أبغض إلى من دينك فأصبح دينك احب الدين كله إلى والله ما كان من بلد ابغض الى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلى وان خيلك أخذتنى وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره رسول الله ﷺ وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل اصبوت فقال لا ولكن اسلمت مع رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال ثنا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعى انا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى عن ايوب عن ابى قلابة عن ابى المهلب عن عمران بن حصين قال اسر اصحاب رسول الله ﷺ رجلا من بنى عقيل فأوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين اسرتهما ثقيف

قوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) أى أثقالها وأحمالها يعنى حتى تضع أهل الحرب السلام فيمسكوا عن الحرب وأصل الوزر مايحتمى الانسان فسمى الأسلحة أوزارا لأنها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون كالشرب والركب وقيل الأوزار الاثام ومعناه حتى يضع المحاربون آثامها بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح اعمالهم بأن يسلموا ومعنى الاية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل اهل الملل كلها فى الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليهما السلام وجاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ الجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى ان يقاتل آخر امتى الدجال وقال الكلبى حتى يسلموا او يسالموا وقال الفراء حتى لا يبقى إلا مسلم او مسالم (ذلك) الذى ذكرت وبينت من حكم الكفار (ولو يشاء الله لانتصر منهم) فاهلكهم وكفاكم امرهم بغير قتال (ولكن) امركم بالقتال (ليبلوا بعضكم ببعض) فيصير من قتل من المؤمنين إلى الثواب ومن قتل من الكفار إلى العذاب (والذين قتلوا فى سبيل الله) قرا اهل البصرة وحفص قتلوا بضم القاف وكسر التاء خفيف يعنى الشهداء وقرا الاخرون قاتلوا بالالف من المقاتلة وهم المجاهدون (فلن يضل اعمالهم) قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم احد وقد فشت فى المسلمين الجراحات والقتل (سيهديهم) أيام حياتهم فى الدنيا إلى

يستر قهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثورى والشافعى واحمد واسحق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل فى الأسارى فامامنا بعد وإما فداء وهذا القول هو الصحيح ولأنه به عمل النبى ﷺ والخلفاء بعده (ق) عن ابى هريرة قال بعث النبى ﷺ خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه فى سارية من سوارى المسجد فخرج اليه النبى ﷺ فقال ماعندك يا ثمامة فقال عندى خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وأن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فتركه النبى ﷺ حتى إذا كان من الغد قال ماعندك يا ثمامه قال ماقلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فتركه رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد قال ماعندك يا ثمامة قال عندى ماقلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وإن تقتل تقتل ذا دم وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فقال رسول الله ﷺ أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض أبغض إلى من وجهك فقد أصبح وجهك احب الوجوه إلى من بلدك فأصبح دين ابغض من دينك فاصبح دينك احب الدين كله إلى والله ما كان من بلد ابغض إلى من بلدك فاصبح بلدك أحب البلاد كلها إلى وأن خيلك أخذتنى وانا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبى ﷺ وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت قال لا ولكنى اسلمت مع رسول الله ﷺ ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن رسول الله ﷺ لفظ مسلم بطوله واختصره البخارى عن عمران بن حصين قال أسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلا من بنى عقيل فأوثقوه وكانت ثقيف اقد اسرت رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ ففداه رسول الله ﷺ بالرجلين الذين اسرتهما ثقيف أخرجه الشافعى فى مسنده وأخرجه مسلم وابو داود بلفظ اطول من هذا * وقوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) يعنى أثقالها واحمالها والمراد اهل الحرب يعنى حتى يضعوا أسلحتهم ويمسكوا عن القتال وأصل الوزر مايحمله الانسان فسمى الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الاثام ومعناه حتى يضع المحاربون اوزارهم بان يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا ومعنى الاية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخله اهل الملل كلها فى الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعد جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام فى الحديث عن النبى ﷺ الجهاد ماض منذ بعثنى الله الى ان يقاتل آخر امتى الدجال هكذا ذكره البغوى بغير سند قال الكلبى معناه حتى يسلموا او يسالموا قال الفراء حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم (ذلك) يعنى الذى ذكر وبين من حكم الكفار (ولو يشاء الله لانتصر منهم) يعنى ولو شاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم أمره (ولكن) يعنى ولكن امركم بالقتال (ليبلوا بعضكم ببعض) يعنى فيصير من قتل من المؤمنين إلى الثواب ومن قتل من الكافرين إلى العذاب (والذين قتلوا فى سبيل الله) يعنى الشهداء وقرىء قاتلوا وهم المجاهدون فى سبيل (فلن يضل اعمالهم) يعنى فان يبطلها بل يوفيهم ثواب اعمالهم التى عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت فى يوم احد وقد فشت فى المسلمين الجراحات والقتل (سيهديهم) يعنى ايام حياتهم فى الدنيا إلى ارشد الامور فى الاخرة إلى الدرجات العلى (ويصلح بالهم) ويرضى اعمالهم يقبلها (ويدخلهم الجنة عرفها لهم منازلهم فى الجنة حتى اهتدوا

يوم احد وقد فشت فى المسلمين الجراحات والقتل (سيهديهم) أيام حياتهم فى الدنيا إلى

إلى ارشد الامور فى الاخرة إلى الدرجات (ويصلح بالهم) يرضى خصماءهم ويقبل اعمالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) اى بين لهم منازلهم فى الجنة حتى يهتدوا إلى مساكنهم لا يخطو ولا يستدلون عليها احدا كأنهم سكانها منذ خلقوا فيكون المؤمن اهدى إلى درجته

وزوجته وخدمه إلى منزله وأهله فى الدنيا هذا قول أكثر المفسرين وروى عطاء عن ابن عباس عرفها لهم أى طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف أى مطيب (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله) اى دينه ورسوله (ينصركم) على عدوكم (ويثبت اقدامكم) عند القتال (والذين كفروا فتعسا لهم) قال ابن عباس بعدا لهم وقال أبو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم قال الفراء هو نصب على المصدر على سبيل الدعاء وقيل فى الدنيا العثرة وفى الاخرة التردى فى النار ويقال للعاثر تعسا إذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا إذا دعوا له وارادوا قيامه وفى هذا إشارة جليلة وهى انه تعالى لما قال فى حق المؤمنين ويثبت اقدامكم يعنى فى الحرب والقتال كان من الجائز ان يتوهم متوهم ان الكافر ايضا يصبر ويثبت قدمه فى الحرب والقتال فاخبر الله تعالى ان لكم من الجائز ان يتوهم متوهم ولهم العثار والزوال والهلاك وقال فى حق المؤمنين بصيغة الوعد لأن الله تعالى لا يجب عليه شىء وقال فى حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم (وأضل اعمالهم) يعنى ابطل أعمالهم لأنها كانت فى طاعة الشيطان (ذلك) يعنى التعس والاضلال (بانهم كرهوا ما انزل الله) يعنى القران الذى فيه النور والهدى وإنما كرهوه لأن فيه الأحكام والتكاليف الشاقة على النفس لأنهم كانوا قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك والأخذ بالجد والاجتهاد فى طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما أنزل الله (فاحبط اعمالهم) يعنى فابطل اعمالهم التى عملوها فى غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى (افلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعنى من الأمم الماضية والقرون الخالية الكافرة (دمر الله عليهم) يقال دمر ه الله يعنى أهلكه ودمر عليه إذا أهلك ما يختص به والمعنى أهلك الله عليهم ما يختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وللكافرين) يعنى بمحمد ﷺ (أمثالها) أى ان لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وبما جاءهم به من عند الله وهذا التضعيف انما يكون فى الاخرة (ذلك) يعنى الاهلاك والهوان (بان) أى بسبب ان (الله مولى الذين امنوا) يعنى هو ناصرهم ووليهم ومتولى أمورهم (وان الكافرين لا مولى لهم) يعنى لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهى جماد لا تضر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والملك والله تعالى رب كل أحد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الايتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين فى الدنيا ذكر حالهم فى الاخرة فقال تعالى (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار) يعنى هذا لهم فى الاخرة (والذين كفروا يتمعون) يعنى فى الدنيا بشهواتها ولذاتها (ويأكلون كما تأكل الانعام) يعنى ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم فى غد ولهذا شبههم بالانعام لأن الانعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك الكافر لا عقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه قيل المؤمن فى الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وإنما وصف الكافر بالتمتع فى الدنيا لأنها جنته وهى سجن المؤمن بالنسبة الى ما اعد الله له فى الاخرة من النعيم العظيم الدائم (والنار مثوى لهم) يعنى مقام الكفار فى الاخرة والثواء المقام فى المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين مستقرهم * قوله تعالى (وكأين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك) يعنى اخرجك اهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هى اشد قوة من أهل مكة اهلكهم الله يدل عليه قوله (اهلكناهم) ولم يقل اهلكناها

إلى مساكنهم لا يخطؤنها ولا يستدلون عليها كانهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن الذى إلى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه إلى منزله وأهله فى الدنيا هذا قول اكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف أى مطيب قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله) يعنى تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا أولياء الله وحزبه (ينصركم) يعنى على عدوكم (ويثبت أقدامكم) يعنى عند القتال وعلى الصراط (والذين كفروا فتعسا لهم) قال ابن عباس يعنى بعدا لهم وقال ابو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس فى الدنيا العثرة وفى الاخر التردى فى النار يقال للعاثر تعسا إذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا إذا دعوا له وارادوا قيامه وفى هذا إشارة جليلة وهى انه تعالى لما قال فى حق المؤمنين ويثبت اقدامكم يعنى فى الحرب والقتال كان من الجائز ان يتوهم متوهم ان الكافر ايضا يصبر ويثبت قدمه فى الحرب والقتال فاخبر الله تعالى ان لكم من الجائز ان يتوهم متوهم ولهم العثار والزوال والهلاك وقال فى حق المؤمنين بصيغة الوعد لأن الله تعالى لا يجب عليه شىء وقال فى حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم (وأضل اعمالهم) يعنى ابطل أعمالهم لأنها كانت فى طاعة الشيطان (ذلك) يعنى التعس والاضلال (بانهم كرهوا ما انزل الله) يعنى القران الذى فيه النور والهدى وإنما كرهوه لأن فيه الأحكام والتكاليف الشاقة على النفس لأنهم كانوا قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك والأخذ بالجد والاجتهاد فى طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما أنزل الله (فاحبط اعمالهم) يعنى فابطل اعمالهم التى عملوها فى غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى (افلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعنى من الأمم الماضية والقرون الخالية الكافرة (دمر الله عليهم) يقال دمر ه الله يعنى أهلكه ودمر عليه إذا أهلك ما يختص به والمعنى أهلك الله عليهم ما يختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وللكافرين) يعنى بمحمد ﷺ (أمثالها) أى ان لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وبما جاءهم به من عند الله وهذا التضعيف انما يكون فى الاخرة (ذلك) يعنى الاهلاك والهوان (بان) أى بسبب ان (الله مولى الذين امنوا) يعنى هو ناصرهم ووليهم ومتولى أمورهم (وان الكافرين لا مولى لهم) يعنى لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهى جماد لا تضر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والملك والله تعالى رب كل أحد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الايتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين فى الدنيا ذكر حالهم فى الاخرة فقال تعالى (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار) يعنى هذا لهم فى الاخرة (والذين كفروا يتمعون) يعنى فى الدنيا بشهواتها ولذاتها (ويأكلون كما تأكل الانعام) يعنى ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم فى غد ولهذا شبههم بالانعام لأن الانعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك الكافر لا عقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه قيل المؤمن فى الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وإنما وصف الكافر بالتمتع فى الدنيا لأنها جنته وهى سجن المؤمن بالنسبة الى ما اعد الله له فى الاخرة من النعيم العظيم الدائم (والنار مثوى لهم) يعنى مقام الكفار فى الاخرة والثواء المقام فى المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين مستقرهم * قوله تعالى (وكأين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك) يعنى اخرجك اهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هى اشد قوة من أهل مكة اهلكهم الله يدل عليه قوله (اهلكناهم) ولم يقل اهلكناها

يتمتعون) فى الدنيا (ويأكلون كما تأكل الانعام) ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم لاهون ساهون عما فى غد قيل المؤمن فى الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع (والنار مثوى لهم وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك) أى أشد قوة من أهل مكة (التى اخرجتك) أى اخرجك أهلها قال ابن عباس كم رجال هم اشد من أهل مكة يدل عليه قوله (اهلكناهم) ولم يقل اهلكناها

(فلا ناصر لهم) قال ابن عباس لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال أنت إلى الله أحب بلاد الله وأحب بلاد الله إلى ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك فانزل الله هذه الاية (فمن كان على بينة من ربه) يقين من دينه محمد والمؤمنون (كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) يعنى عبادة الأوثان وهم أبو جهل والمشركون (مثل الجنة التى وعد المتقون) أى صفتها (فيها أنهار من ماء غير آسن) اجن متغير منتن قرأ ابن كثير اسن بالقصر والاخرون بالمد وهما لغتان يقال اسن الماء ياسن اسنا واسن ياسن وياسن واجن ياجن وياجن اسونا واجونا إذا تغير (وانهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة) لذيذة (للشاربين) لم تدنسها الأرجل ولم تدنسها الايدى (انهار من عسل مصفى) أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر ابن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبى شيبة أنا أبو أسامة وعبد الله بن نمير وعلى بن مسهر عن عبد الله بن عمر عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة قال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر (ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار) فخرجت

(فلا ناصر لهم) يعنى فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذى حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله ﷺ إلى الغار التفت إلى مكة وقال أنت أحب بلاد الله تعالى إلى واحب بلاد الله الى ولو أن المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك فانزل الله هذه الاية (أفمن كان على بينة من ربه) يعنى على يقين من دينه وهو محمد ﷺ والمؤمنون معه (كمن زين له سوء عمله) وهو الكافر أبو جهل ومن معه من المشركين (واتبعوا أهواءهم) يعنى فى عبادة الاوثان * قوله عز وجل (مثل الجنة التى وعد المتقون) لما بين الله عز وجل حال الفريقين فى الاهتداء والضلال بين هذه الاية ما أعد لكل واحد من الفريقين فبين أولا ما أعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون يعنى صفة الجنة قال سيبويه لمثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضى مشبها به وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التى وعد المتقون مثل عجيب وشى عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد فى النار (فيها) قيل يعنى الجنة التى وعد المتقون (أنهار من ماء غير آسن) يعنى غير متغير ولا منتن يقال اسن الماء وأجن إذا تغير طعمه وريحه (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) يعنى كما يتغير ألبان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم (وأنهار من خمر لذة للشاربين) يعنى ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة تحلم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدى بالعصر وليس مع شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هى لمجرد الالتذاذ فقط (وأنهار من عسل مصفى) يعنى ليس فيه سمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله بل هو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبى ﷺ قال إن فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من الأنهار الجنة قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فاما سيحان وجيحان المذكوران فى الحديث اللذان هما من أنهار فهما فى بلاد الارمن فسيحان أردنة أو جيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما جيحان هذا هو الصواب فى موضعهما ثم ذكر كلا أبعد هذا طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من ماء الجنة فعيه تاويلان الثانى وهو الصحيح أنها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب أهل السنة وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة نهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوى عنه * وقوله تعالى (ولهم فيها من كل الثمرات) فى ذكر الثمرات بعد المشرب إشارة إلى أن ما كول أعلى الجنة للذة لا الحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة (ومغفرة من ربهم) * فان قلت المن من المتقى لا يدخل الجنة إلا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة * قلت ليس بلازم أن يكون والمعنى ولهم مغفرة فيها لأن الواو تقضى الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب أخر وهو ان المعنى لهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان ما كولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه * قوله تعالى (كمن هو خالد فى النار) يعنى من هو فى هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد فى النار يتجرع من حميمها وهو قوله (وسقوا ماء حميما) يعنى شديد الحر قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت إذا ادنا منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم (ف) إذا شربوه (قطع أمعاءهم) يعنى

أى من كان فى هذا النعيم كمن هو خالد فى النار (وسقوا ماء حميما) شديد الحر تسعر عليه جهنم منذ خلقت إذا دنى منهم يشوى وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم فاذا شربوه (فقطع امعاءهم) فخرجت من ادبارهم والأمعاء جميع ما فى البطن من الحوايا واحدها معى

(ومنهم) يعنى من هؤلاء الكفار (من يستمع اليك) وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا (حتى إذا خرجوا من عندك) يعنى فاذا خرجوا من عندك (قالوا للذين أوتوا العلم) من الصحابة (ماذا قال) محمد (انفا) يعنى الان وهو من الائتناف ويقال ائتنفت الأمر أى ابتدأته وأنف الشيء أوله قال مقاتل وذلك أن النبى ﷺ كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبدالله بن مسعود استهزاء ماذا قال رسول الله ﷺ قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) فلم يؤمنوا (واتبعوا أهواءهم) فى الكفر والنفاق (والذين اهتدوا) يعنى المؤمنين (زادهم) ما قال الرسول (هدى وآتاهم تقواهم) وفقههم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى قال سعيد بن جبير واتاهم ثواب تقواهم (فهل ينظرون (١٤٩) إلا الساعة أن تأتيهم بغتة) أخبرنا أبو

فخرجت من ادبارهم والأمعاء جمع معى وهو جميع ما فى البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو خالد فى النار راجع إلى ما تقدم كانه تعالى قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال إن الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذى وقال حديث غريب صحيح عن ابى إمامة عن النبى ﷺ فى قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب إلى فيه فيكرهه فاذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى تخرج من دبره قال الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * قوله تعالى (ومنهم) يعنى ومن هؤلاء الكفار (من يستمع إليك) وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه (حتى إذا خرجوا من عندك) يعنى ان هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك (قالوا) يعنى المنافقين (للذين اوتوا العلم) يعنى من الصحابة (ماذا قال انفا) يعنى ما الذى قال محمد الان وهو الائتناف يقال ائتنفت الأمر اى ابتدأته قال مقاتل وذلك ان النبى ﷺ كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبدالله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد ﷺ قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل (أولئك) يعنى المنافقين (الذين طبع الله على قلوبهم) يعنى فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله ﷺ (واتبعوا اهواءهم) يعنى فى الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق اماتت الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا اهواءهم فى الباطل (والذين اهتدوا) يعنى المومنين لما بين الله ان المنافقين يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المؤمن والمهتدى الذى ينتفع بما يستمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعنى بهداية الله إياهم عملى الإيمان (زادهم هدى) يعنى انهم كلما سمعوا من رسول الله ﷺ مما جاء به عن الله عز وجل امنوا بما سمعوا منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هدايتهم وإيمانا مع إيمانهم (واتاهم تقواهم) يعنى وفقهم للعمل بما امرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير اتاهم ثواب تقواهم وقيل اتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى فوله عز وجل (فهل ينظرون إلا الساعة ان تأتيهم بغتة) يعنى الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يؤمنوا فما لساعة تأتيهم بغتة تفجؤهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينظرون إلى الساعة والساعة اتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ بادروا بالأعمال سبعا فهل تنتظرون إلا فقرا منسيا او غنى مطغيا او مرضا مفسدا او هرما مقيدا او موتا مجهزا او الدجال فشر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقوله تعالى (فقد جاء اشراطها) اى امارتها وعلاماتها واحد شرط

الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودى أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت ثنا ابو اسحق الهاشمى ثنا الحسين انا الحسن انا ابن المبارك انا معمر بن راشد عمن سمع المقبرى يحدث عن ابى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مقيدا أو موتا مجهزا او الدجال فالدجال شر غائب ينتظروا الساعة والساعة أدهى وامر قوله عز وجل (فقد جاء أشراطها) اى امارتها وعلاماتها واحدها شرط وكان النبى ﷺ من اشراط الساعة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا احمد بن عبدالله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا احمد بن المقدام ثنا فضل ابن سليمان ثنا ابو حازم انا سهل بن سعد قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم قال باصبعه هكذا بالوسطى والتى تلى الابهام بعثت انا والساعة كهاتين اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبدالله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا حفص بن عمر الحوضى ثنا هشام عن قتادة عن انس قال لاحدثنكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثكم به احد غيرى سمعت رسول الله ﷺ يقول إن من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امراة القيم الواحد اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن إسماعيل انا محمد بن سنان انا فليح حدثنى هلال بن على عن عطاء بن يسار عن ابى هريرة رضى الله عنه قال بينما النبى

ولما كان قيام الساعة أمر مستبطأ فى النفوس وقد قال تعالى فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فكأن قائلا قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء اشراطها قال المفسرون من أشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله ﷺ (ق) عن سهل بن سعد قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بأصبعه هكذا الوسطى والتى تلى الابهام وقال بعثت انا والساعة كهاتين وفى رواية قال بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بأصبعيه يمدهما (ق) عن انس قال قال رسول الله ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل أحدهما على الأخرى وضم السبابة والوسطى وفى رواية قال بعثت فى نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الأخرى قيل معنى الحديث أن المراد أن ما بين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقيام الساعة شىء يسير كما بين الأصبعين فى الطول وقيل هو إشارة إلى قرب المجاورة (ق) عن أنس قال عند قرب وفاته ألا أحدثكم حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيرى سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تقوم الساعة أو قال من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم وفى رواية ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ أن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويبقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفى رواية يرفع العلم ويثبت الجهل أو قال ويظهر الجهل (خ) عن ابى هريرة قال بينا رسول الله ﷺ فى مجلس يحدث القوم إذ جاءه أعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى قضى حديثه قال أين السائل عن بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا ذا يارسول الله قال إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال وكيف أضاعتها قال إذا وسد الأمر إلى غير اهله فانتظر الساعة * وقوله تعالى (فانى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) يعنى فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم إذا جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان فى ذلك الوقت (فاعلم أنه لا إله إلا الله) الخطاب للنبى ﷺ وأورد على هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لا إله الا هو فما فائدة هذا الأمر وأجيب عنه بأن معناه دم على ما أنت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس أى دم على ما أنت عليه من الجلوس او يكون معناه ازدد علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبى صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من أمته قال أبو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم فاعلم انه لا ملجأ ولا منجى ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذى لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم انه لا اله الا الله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا الله الذى لا اله الا هو (واستغفر لذنبك) أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالاستغفار مع أنه مغفور له ليستن به أمته وليقتدوا به فى ذلك (م) عن الأغر المزنى أغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبى حتى أستغفر فى اليوم مائة مرة وفى رواية قال توبوا الى ربكم فوالله انى لأتوب الى ربى عز وجل مائة مرة فى اليوم (خ) عن أبى هريرة قال سمعت النبى ﷺ يقول انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة وفى رواية اكثر من سبعين مرة قوله ليغان على قلبى الغين التغطية والستر اى يلبس على قلبى ويغطى وسبب ذلك ما أطلعه عليه من أحوال أمته بعده فاحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر فى امور المسلمين ومصالحهم حتى يرى أنه قد شغل بذلك وإن كان من أعظم طاعة وأشرف عبادة عن ارفع مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شىء

الله قال فاذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها قال اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة قوله عز وجل (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) فمن اين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم الساعة نظيره يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى (فاعلم انه لا اله الا الله) قيل الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل معناه فاثبت عليه وقال الحسين ابن الفضل فازدد علما على علمك وقال ابو العالية وابن عيينة هو متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم الساعة فاعلم انه لا ملجأ ولا مفزع عند قيامها الا الى الله وقيل فاعلم انه لا اله الا الله ان الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لأحد الا الله (واستغفر لذنبك) أمر بالاستغفار مع انه مغفور له لتستن به امته أخبرنا عبد الواحد الميجى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا أبو منصور السمعانى انا أبو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أبى بردة عن الأغر المزنى قال قال رسول الله ﷺ انه ليغان على قلبى وانى لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة

قوله عز وجل (وللمؤمنين والمؤمنات) هذا إكرام من الله تعالى هذه الأمة حيث أمر نبيهم ﷺ أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قال ابن عباس والضحاك متقلبكم متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا ومثواكم مصيركم في الاخرة إلى الجنة أو إلى النار وقال مقاتل وابن جرير متقلبكم متصرفكم لاشغالكم بالنهار ومثواكم مأواكم إلى مضاجعكم بالليل وقال عكرمة متقلبكم من أصلاب الاباء إلى أرحام الأمهات ومثواكم مقامكم في الأرض وقال ابن كيسان متقلبكم من ظهر إلى بطن ومثواكم مقامكم في القبور والمعنى انه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها (ويقول الذين آمنوا) حرصا منهم على الجهاد (لو نزلت سورة) تأمرنا بالجهاد (فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) قال قتادة وكل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين (رأيت الذين في قلوبهم مرض) يعني المنافقين (ينظرون اليك) شزرا بتحديق شديد كراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو (نظر المغشى عليه من الموت) كما ينظر الشاخص بصره عند الموت (فأولى لهم) وعيد وتهديد ومعنى قولهم في التهديد أولى لك اي وليك وقاربك ماتكره ثم قال (طاعة وقول معروف) وهذا ابتداء محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف امثل أي لو اطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن وقال مجاهد يقول هؤلاء المنافقون قبل نزول السورة المحكمة طاعة رفع على الحكاية أي أمرنا طاعة أو مناطاعة وقول معروف حسن وقيل هو متصل بما قبله واللام في قولهم بمعنى الباء مجازه فأولى بهم طاعة الله ورسوله وقول معروف بالاجابة أي لو أطاعوا كانت الطاعة والاجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء (فاذا عزم الأمر) أي جد الأمر ولزم فرض القتال وصار الأمر معزوما (فلو صدقوا الله) في إظهار الايمان والطاعة (لكان خيرا لهم) وقيل جواب محذوف تقديره فاذا عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم (فهل عسيتم) فلعلكم (إن توليتم) أعرضتم عن القران وفارقتم أحكامه (ان تفسدوا في الأرض) تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية تفسدوا في الأرض بالمعصية والبغي وسفك الدماء وترجعوا إلى الفرقة بعد ماجمعكم الله بالاسلام

سواه فلهذا السبب كان ﷺ يستغفر الله فان حسنات الأبرار سيئات المقربين وقيل هو مأخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذي يغشى السماء فكان هذا الشغل والهم يغشى قلبه ﷺ ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التي تغشى قلبه ﷺ وكان سبب استغفاره لها إظهار العبودية والافتقار إلى الله تعالى وحكى الشيخ محي الدين النووي عن القاضي عياض ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذي كان شأنه ﷺ الدوام عليه فاذا فتر أو غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحرث المحاسبي خوف الأنبياء والملائكة خوف إعظام وإجلال وإن كانوا آمنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل أن هذا الغين حالة حسنة وإعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال أفلا أكون عبدا شكورا وقيل في معنى الاية استغفر لذنبك أي لذنوب أهل بيتك (وللمؤمنين والمؤمنات) يعني من غير أهل بيته وهذا إكرام من الله عز وجل لهذه الأمة حيث أمر نبيه ﷺ أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم إلى الجنة أو إلى النار وقيل متقلبكم في أشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل إلى مضاجعكم وقيل متقلبكم من أصلاب الاباء إلى أرحام الأمهات وبطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور والمعنى انه تعالى عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها وان دق وخفي * قوله تعالى (ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة) وذلك ان المؤمنين كانوا حراصا على الجهاد في سبيل الله فقالوا فهلا أنزلت سورة تأمرنا بالجهاد لكي نجاهد (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القران على المنافقين (رأيت الذين في قلوبهم مرض) يعني نفاقا وهم المنافقون (ينظرون اليك) يعني شزرا وكراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو (نظر المغشى عليه من الموت) يعني كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت (فأولى لهم) فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم في التهديد وليك وقاربك ماتكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدأ بقوله (طاعة وقول معروف) فعلى هذا هو مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل لهم أولى بهم والمعنى لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن وقيل هو متصل بما قبله في لهم بمعنى الباء مجازه فأولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو أطاعوا وأجابوا لكانت الطاعة والإجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء عنه (فاذا عزم الأمر) فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الأمر وقيل هو على أصله ومجازه كقولنا جاء الأمر ودنا الوقت وهذا أمر متوقع ومعنى الاية فاذا عزم الأمر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) يعني الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله في إظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم (فهل عسيتم) أي فلعلكم (إن توليتم) يعني أعرضتم عن سماع القران وفارقتم أحكامه (أن تفسدوا في الأرض) يعني تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الفساد في الأرض بالمعصية والبغي وسفك الدم وترجعوا إلى الفرقة بعد ماجمعكم الله

(وتقطعوا ارحامكم) قرأ يعقوب وتقطعوا بفتح التاء خفيف والآخرون بالتشديد من التقطيع على التكثير لأحل الأرحام

بالاسلام (وتقطعوا أرحامكم) قال قتادة كيف ارايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن (ق) عن ابي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفي رواية قال قال رسول الله ﷺ ان الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فاخذت بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا إن شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم أفلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو مشد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والأخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير قال القاضي عياض الرحم التي توصل وتقطع وتبر إنما هي من المعاني وليست بجسم وإنما هي قرابة ونسب يجمعه رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمي ذلك الاتصال رحما والمعاني لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن واستعارة على عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم شانها وفضيلة واصلها وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمي العقوق قطعا كانه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز ان يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا ما يأمر الله عز وجل هذا كلام القاضي عياض في معنى هذا الحديث والله اعلم وقيل في الاية في قوله إن توليتم هو من الولاية يعني فهل عسيتم ان توليتم امر الناس ان تفسدوا في الأرض يعني بالظلم وتقطعوا ارحامكم ومعنى الاستفهام في قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الافساد فان قلت عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله محال لأنه تعالى عالم بكل شيء فما معناه * قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجي المبتلى وقال بعضهم معناه كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشري معناه انه لما عهد منكم احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الإيمان ياهؤلاء ماترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا (اولئك) إشارة إلى من اذا تولى افسد في الأرض وقطع الارحام (الذين لعنهم الله) يعني ابعدهم من رحمته وطردهم عن جنته (فاصمهم) يعني عن سماع الحق (واعمى ابصارهم) يعني عن طريق الهدى وذلك انهم لما سمعوا القرآن فلم يفهموه ولم يومنوا به وابصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم والعمى وإن كان لهم اسماع وابصار في الظاهر (افلا يتدبرون القرآن) يعني يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره واصل التدبر التفكر في عاقبة الشيء وما يول اليه امره وتدبر القران لا يكون إلا مع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية (ام على قلوب اقفالها) يعني بل على قلوب اقفالها وجعل يقفل مثلا لكل مانع للانسان من تعاطي فعل الطاعة يقال فلان مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه * فان قلت إذا كان الله تعالى قد اصمهم واعمى أبصارهم واقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القران مع هذه الموانع الشديدة * قلت تكليف ما لا يطاق جائز عندنا لان الله امر بالايمان لمن سبق في علمه انه لا يومن فكذلك هنا والله يفعل ما يريد الاعتراض لأحد عليه وقيل ان قوله افلا يتدبرون القران المراد به التاسي وقيل ان هذه محققة للاية المتقدمة وذلك ان الله تعالى لما قال اولئك الذين لعنهم فاصمهم واعمى ابصارهم فكان قوله افلا يتدبرون القران كالتهييج لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة او كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر والله اعلم بمراده * وروى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها فقال شاب من اهل اليمن بل على قلوب اقفالها حتى

قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن وقال بعضهم هو من الولاية وقال المسيب ابن شريك والفراء يقول فهل عسيتم إن وليتم امر الناس أن تفسدوا في الأرض بالظلم نزلت في بني أمية وبني هاشم يدل عليه قراءة علي ابن ابي طالب توليتم بضم التاء والواو وكسر اللام يقول ان وليتكم ولاة جائر خرجتم معهم في الفتنة وعاونتموهم (اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم) عن الحق (أفلا يتدبرون القرآن أم قلوب أقفالها) فلا تفهم مواعظ القرآن وأحكامه وأم بمعنى بل أخبرنا أحمد بن إبراهيم انا اسحق الثعلبي انبأني عقيل بن محمد انا المعافى بن زكريا انا محمد بن جرير ثنا بشر ثنا حماد بن زيد ثنا هشام بن عروة عن أبيه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يتدبرون القران أم على قلوب اقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل على قلوب اقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها قال فزال الشاب في نفس عمر حتى ولى فاستعان به

(إن الذين ارتدوا على أدبارهم) رجعوا كفارا (من بعد ما تبين لهم الهدى) قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ بعد بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون (الشيطان سول لهم) زين لهم القبيح (وأملى لهم) قرأ أهل البصرة بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على مالم يسم فاعله وقرأ مجاهد بارسال الياء على وجه الخبر من الله عز وجل عن نفسه أنه يفعل ذلك وتروى هذه القراءة عن يعقوب وقرأ الاخرون وأملى لهم بفتح الألف أي وأملى الشيطان لهم مد لهم في الأمل (ذلك بأنهم) يعني المنافقين واليهود (قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) وهم المشركون (سنطيعكم في بعض الأمر) في التعاون على عداوة محمد ﷺ والقعود عن الجهاد وكانوا يقولونه سرا فاخبر الله تعالى عنهم (والله يعلم إسرارهم) قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر بكسر الهمزة على المصدر والباقون بفتحها على جمع السر (فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك) اي الضرب (بانهم اتبعوا ما اسخط الله) قال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد ﷺ (وكرهوا رضوانه) كرهوا ما فيه رضوان الله وهو الطاعة والايمان (فاحبط أعمالهم ام حسب الذين في قلوبهم مرض) يعني المنافقين (ان لن يخرج الله أضغانهم) ان لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرفوا نفاقهم واحدها ضغن قال ابن عباس حسدهم (ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) بعلامتهم قال الزجاج المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها قال أنس ما خفي على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الاية شيء من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم في لحن القول) يعني في معنى القول وفحواه ومقصده واللحن معنيان صواب

يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به هذا حديث مرسل وعروة بن الزبير تابعي من كبار التابعين واجلهم لم يدرك النبي ﷺ لانه ولد سنة اثنتين وعشرين وقيل غير ذلك * قوله عز وجل (إن الذين ارتدوا على ادبارهم) يعني رجعوا القهقرى كفارا (من بعد ما تبين لهم الهدى) يعني من بعد ما وضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ من بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون امنوا اولا ثم كفروا ثانيا (الشيطان سول لهم) يعني زين لهم القبيح حتى راوه حسنا (واملى لهم) قرىء بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على مالم يسم فاعله يعني امهلوا ومد لهم في العمر وقرىء وأملى لهم بفتح الالف واللام بمعنى وأملى لهم الشيطان بان مد لهم في الامل * فان قلت الاملاء والامهال لا يكونان إلا من الله لانه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب اهل السنة فما معنى هذه القراءة * قلت ان المسول والمملي هو الله تعالى في الحقيقة وليس للشيطان فعل وإنما أسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم في اجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم إلى اخر العمر (ذلك) إشارة إلى التسويل والاملاء (بانهم) يعني بان اهل الكتاب او المنافقين (قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) وهم المشركون (سنطيعكم في بعض الأمر) يعني من التعاون على عداوة محمد ﷺ وترك الجهاد معه والقعود وكانوا يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه محمدا ﷺ خبرهم ثم قال (والله يعلم إسرارهم) يعني انه تعالى لا تخفى عليه خافية من امرهم (فكيف إذا توفتهم الملائكة) يعني فكيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة (يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك) يعني ذلك الضرب (بانهم) يعني بسبب أنهم (اتبعوا ما اسخط الله) يعني ترك الجهاد مع رسول الله ﷺ وقال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد ﷺ (وكرهوا رضوانه) يعني كرهوا ما فيه رضوان الله عز وجل وهو الايمان والطاعة والجهاد مع رسول الله ﷺ (فاحبط أعمالهم) التي عملوها من أعمال البر لانها لم تكن لله ولا بامره (ام حسب الذين في قلوبهم مرض) اي شك ونفاق وهم المنافقون (ان لن يخرج الله اضغانهم) اي يظهر احقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) لما قال تعالى أم حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم فكان قائلا قال لم لم يخرج اضغانهم ويظهرها فاخبر تعالى انه إنما اخر ذلك لمحض المشيئة لا لخوف منهم فقال تعالى ولو نشاء لاريناكهم لا مانع لنا من ذلك والاراءة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزيادة فائدة وهي أن التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفناكهم تعريفا تعرفهم به ففيه إشارة إلى قوة ذلك التعريف الذي لا يقع معه اشتباه وقوله بسيماهم يعني بعلامتهم اي نجعل لك علامة تعرفهم بها قال أنس ما خفي على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الاية شيء من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم في لحن القول) يعني في معنى القول وفحواه ومقصده واللحن معنيان صواب

نزول هذه الاية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم في لحن القول) في معناه ومقصده واللحن وجهان صواب وخطأ فالفعل من الصواب لحن يلحن لحنا فهو لحن إذا فطن للشيء ومنه قول النبي ﷺ ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض والفعل من الخطأ لحن يلحن لحنا فهو لاحن والاصل فيه إزالة الكلام عن جهته والمعنى انك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين الاستهزاء بهم فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي ﷺ إلا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد خلقه وعقيدته

(والله يعلم أعمالكم ولنبلونكم) ولنعاملنكم معاملة المختبر بأن نأمركم بالجهاد والقتال (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) أى علم الوجود يريد حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره (ونبلو أخباركم) أى نظهرها ونكشفها بأنا من يأبى القتال ولا يصبر على

وخطأ صرف الكلام وزالته عن التصريح إلى المعنى والتعريض وهذا محمولا من حيث البلاغة ومنه قوله ﷺ فلعل بعضكم ألحن بحجته من بعض واليه قصد بقوله ولتعرفنهم فى لحن القول وأما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب إلى الخطأ بازالة الاعراب أو التصحيف ومعنى الاية وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين أمرك وأمر المسلمين وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبى ﷺ إلا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ثم قال الله تعالى (والله يعلم أعمالكم) يعنى أعمال جميع عباده فيجازى كلا على قدر عمله * قوله تعالى (ولنبلونكم) يعنى ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الأشياء قبل كونها ووجودها (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) يعنى إنا نأمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهدين ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره لأن المراد من قوله حتى نعلم أى علم الوجود والظهور (ونبلو أخباركم) يعنى فظهرها ونكشفها ليتبين من يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) يعنى خالفوه فيما أمرهم به من الجهاد وغيره (من بعد ما تبين لهم الهدى) يعنى من بعد ما ظهر لهم أدلة الهدى وصدق الرسول ﷺ (لن يضروا الله شيئا) يعنى إنما يضرون أنفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك (وسيحبط أعمالهم) يعنى وسيبطل أعمالهم فلا يرون لها ثوابا فى الاخرة لأنها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) لما ذكر الله عز وجل الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله ﷺ أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسول صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (ولا تبطلوا اعمالكم) قال عطاء يعنى بالشر والنفاق والمعنى داوموا على ما انتم عليه من الايمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل أعمالكم وقيل لا تبطأوا أعمالكم بترك طاعة رسول الله ﷺ كما أبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله ﷺ وعصيانه وقال الكلبى لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والسمعة لأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصى والكبائر قال أبو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الاية فخافوا من الكبائر بعد أن تحبط أعمالهم واستدل بهذه الاية من يرى إحباط الطاعات بالمعاصى ولا حجة لهم فيها وذلك لأن الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فالله تعالى أعدل وأكرم من أن يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروى ابن عمر أنه قال كنا نرى أنه لا شىء من حسناتنا إلا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش حتى نزل أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على من أصاب الكبيرة ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الاية من لا يرى إبطال النوافل حتى لو دخل فى صلاة تطوع أو صوم تطوع لا يجوز له إبطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم فى الاية ولا حجة لأن السنة مبينة للكتاب وقد ثبت فى الصحيحين ان النبى صلى الله عليه وسلم أصبح صائما فلما رجع إلى البيت وجد حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد أصبحت صائما فاكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفى الصحيحين أيضا ان سلمان زار ابا الدرداء فصنع له طعاما فلما قربه قال قل كل فانى صائم قال لست بآكل حتى تأكل فاكل معه وقال مقاتل فى معنى الاية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل اعمالكم نزلت فى بنى اسد وسنذكر القصة فى تفسير سورة الحجرات إن شاء الله

الجهاد وقرأ أبو بكر عن عاصم وليبلونكم حتى يعلم ويبلو بالياء فهن لقوله تعالى والله يعلم أعمالكم وقرأ الاخرون بالنون فهن لقوله تعالى ولو نشاء لأريناكم وقرأ يعقوب ونبلو ساكنة الواو ردا على قوله ولنبلونكم وقرأ الاخرون بالفتح ردا على قوله حتى نعلم (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أى رسول الله ﷺ وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا) إنما يضرون أنفسهم (وسيحبط أعمالهم) فلا يرون لها ثوابا فى الاخرة قال ابن عباس رضى الله عنهما هم المطعمون يوم بدر نظيرها قوله عز وجل إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الاية (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء بالشك والنفاق وقال الكلبى بالرياء والسمعة وقال الحسن بالمعاصى والكبائر وقال أبو العالية كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون انه لا يضر مع الاخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الاية فخافوا الكبائر بعد أن تحبط الأعمال وقال مقاتل تعالى لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطلوا أعمالكم نزلت فى بنى اسد وسنذكره فى سورة الحجرات إن شاء الله تعالى

(إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) أصحاب القليب وحكمها عام (فلا تهنوا) لا تضعفوا (وتدعوا إلى السلم) أي لا تدعوا إلى الصلح ابتداء منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا (وأنتم الأعلون) الغالبون قال الكلبي آخر الامر لكم وإن غلبوكم في بعض الاوقات (والله معكم) بالعون والنصرة (ولن يتركم أعمالكم) لن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم يقال وتره يتره وترا وترة إذا نقص حقه قال ابن عباس وقال قتادة ومقاتل (١٥٥) والضحاك لن يظلمكم أعمالكم

تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قيل نزلت في أهل القليب وهم أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا ببدر والقوافي قليب بدر وحكمها عام في كل كافر مات على كفره فالله لا يغفر له لقوله تعالى إن الله يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء (فلا تهنوا) الخطاب فيه لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعني فلا تضعفوا أيها المؤمنون (وتدعوا إلى السلم) يعني ولا تدعوا الكفار إلى الصلح أبدا منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا (وأنتم الاعلون) يعني وأنتم الغالبون لهم والعالون عليهم أخبر الله تعالى إن الامر للمسلمين والنصرة والغلبة لهم عليهم وإن غلبوا المسلمين في بعض الاوقات (والله معكم) يعني بالنصر والمعونة ومن كان الله معه فهو العالي الغالب (ولن يتركم أعمالكم) يعني لن ينقصكم شيئا من ثواب أعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم اعمالكم الصالحة بل يوتيكم أجورها ثم حض على الاخرة بذم الدنيا فقال تعالى (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) أي باطل وغرور يعني كيف تمنعكم الدنيا عن طلب الاخرة وقد علمتم أن الدنيا كلها لعب ولهو إلا ما كان منها في عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب ما يشغل الإنسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المال ثم إذا استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه اشغاله المهمة فهو اللعب وإن شغله عن مهمات نفسه فهو اللهو (وإن تؤمنوا وتتقوا يوتكم أجوركم) اي يوتكم جزاء أعمالكم في الاخرة (ولا يسالكم أموالكم) يعني إن الله تعالى لا يسال من العباد أموالهم لإيتاء الاجر عليها بل أمرهم بالإيمان والتقوى والطاعة لتثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يسالكم محمد صلى الله عليه وسلم أموالكم وقيل معناه لا يسالكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أموالكم كلها في الصدقات إنما يسالكم غيضا من فيض الله وهو ربع العشر من أموالكم وهو زكاة أموالكم ثم ترد عليكم ليس لله ورسوله فيها حاجة إنما فرضها الله في أموال الاغنياء وردها على الفقر فطيبوا باخراج الزكاة أنفسكم وإلى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (إن يسالكموها) الضمير عائد إلى الاموال (فيحكم) يعني يجهدكم ويطلبها كلها والاحفاء المبالغة في المسالة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال أحفاه في المسالة إذا لم يترك شيئا من الالحاح (تبخلوا) يعني بالمال فلا تعطوه (ويخرج اضغانكم) يعني بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله أن الاحفاء بمسالة الاموال مخرج للاضغان (ها أنتم هؤلاء) يعني انتم ياهؤلاء المخاطبون الموصوفون ثم استانف وصفهم فقال تعالى (تدعون لتنفقوا في سبيل الله) قيل أراد به النفقة في الجهاد والغزو وقيل المراد به إخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل في سبيل الله (فمنكم من يبخل) يعني بما فرض عليه إخراجه من الزكاة أو ندب إلى إنفاقه في وجوه البر (ومن يبخل) يعني بالصدقة أداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وهو قوله تعالى (فانما يبخل عن نفسه) اي على نفسه (والله الغني) يعني عن صدقاتكم وطاعتكم لانه الغني المطلق الذي له ملك السموات والارض (وانتم الفقراء) يعني اليه وإلى ما عنده من الخيرات والثواب في الدنيا والاخرة (وإن تتولوا) يعني عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما امركم به وألزمكم إياه (يستبدل قوما غيركم ثم يكونوا امثالكم) يعني يكونون اطوع لله ورسوله صلى الله عليه وسلم منكم قال الكلبي هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن ابي

الصالحة بل يوتيكم أجورها ثم حض على طلب الاخرة فقال (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) باطل وغرور (وإن تؤمنوا وتتقوا) الفواحش (يوتكم أجوركم) جزاء اعمالكم في الاخرة (ويسالكم) ربكم (اموالكم) لايتاء الاجر بل يامركم بالايمان والطاعة ليثيبكم عليها الجنة نظيره قوم وما اريد منهم من رزق وقيل لا يسالكم محمدا موالكم نظيره قل ما اسالكم عليه من أجر وقيل معنى الاية لا يسالكم الله ورسوله أموالكم كلها في الصدقات إنما يسالكم غيضا من فيض ربع العشر فطيبوا بها نفسا وقروا بها عينا وإلى هذا القول ذهب ابن عيينة يدل عليه سياق الآيه (إن يسالكموها فيحفكم) أي يجهدكم ويلحف عليكم بمسالة جميعها يقال أحفى فلان فلانا إذا جهده والحف عليه بالمسالة (تبخلوا) بها فلا تعطوها (ويخرج اضغانكم) بغضكم وعداوتكم قال قتادة علم الله ان في مسالة الاموال خروج الاضغان (ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله) يعني

إخراج ما فرض الله عليكم (فمنكم من يبخل) بما فرض عليه من الزكاة (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني) عن صدقاتكم وطاعتكم (وانتم الفقراء) اليه والى ما عنده من الخير (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم) بل يكونوا امثل منكم واطوع لله منكم قال الكلبي هم كندة والنخع وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة فارس والروم اخبرنا ابو بكر احمد بن أبي نصر الكوفاتي انا

ابو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن اسحق النيجيبي المصري المعروف بابن النحاس انا ابو الطيب الحسن بن محمد الرياش ثنا يونس بن عبد الأعلى ثنا ابن وهب ثنا مسلم بن خالد عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ تلا هذه الاية وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا فضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس

﴿ سورة الفتح مدنية تسع وعشرون اية ﴾

اخبرنا ابو الحسن محمد بن محمد السرخسي انا ابو علي زاهر بن احمد الطوسي انا ابو اسحق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر (١٥٦) بن الخطاب رضي الله عنه كان يسير مع رسول الله ﷺ في بعض اسفاره فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك امك يا عمر كررت على رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري ثم تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل في قرآن فما لبثت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت ان يكون نزل في قرآن فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال لقد انزلت على الليلة سورة لهي احب إلي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر

اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي انا ابو عمر بكر ابن محمد المزني ثنا ابو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة ثنا الحسين بن الفضل البجلي ثنا عفان ثنا همام ثنا قتادة ثنا انس

هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ هذه الاية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان ثم قال هذا وأصحابه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده مقال وله رواية اخرى عن ابي هريرة قال قال ناس من اصحاب رسول الله ﷺ يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله عز وجل إن تولينا استبدلوا منا ثم لا يكونوا امثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله ﷺ فضرب رسول صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا واصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق في الصحيح ترد في صورة الجمعة إن شاء الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الفتح وهي مدنية ﴾

(خ) عن اسلم ان رسول الله ﷺ كان يسير في بعض اسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك امك يا عمر كررت على رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل في قرآن فما لبثت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت ان يكون نزل قرآن في قرآن فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة سورة لهي احب إلي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ إنا فتحنا لك فتحا مبينا وأخرجه الترمذي وزاد فيه وكان في بعض اسفاره بالحديبية (ق) عن انس قال لما نزلت إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر إلى قوله فوزا عظيما فرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدى بالحديبية قال رسول الله ﷺ لقد انزلت علي اية هي احب إلي من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخاري إنا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية فقال اصحاب رسول الله ﷺ هنيئا مريئا فما لنا فأنزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال أما إنا فتحنا لك فتحا مبينا فعن انس واما هنيئا مريئا فعن عكرمة واخرجه الترمذي عن قتادة عن انس قال انزلت على النبي ﷺ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقال النبي ﷺ لقد انزلت علي الليلة اية احب إلي مما على الارض ثم قرأ النبي ﷺ فقالوا هنيئا مريئا يا رسول الله لقد بين لك ما يفعل بك فما ذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

(بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله عز وجل (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) الخطاب للنبي ﷺ وحده والمعنى قال نزلت على النبي ﷺ انا فتحنا لك فتحا مبينا إلى آخر الاية مرجعه من الحديبية واصحابه مخالطهم الحزن والكآبة فقال نزلت علي اية هي احب إلي من الدنيا جميعا فلما تلاها نبي الله ﷺ قال رجل من القوم هنيئا مريئا لك قد بين الله ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله هذه الاية التي بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى ختم الاية (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) اختلفوا في هذا الفتح وروى عن ابي جعفر الرازي عن قتادة عن انس انه فتح مكة وقال قتادة فتح خيبر والاكثرون على انه صلح الحديبية ومعنى الفتح فتح المنغلق والصلح مع المشركين بالحديبية كان متعذرا

حتى فتحه الله عز وجل وروى شعبة عن قتادة عن انس انا فتحنا لك فتحا مبينا قال صلح الحديبية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن ابي اسحق عن البراء قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء (١٥٧) فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركنا هاغير بعيد ثم انها أصدرتنا ماشئنا نحن وركابنا وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهر أهل الكتاب على المجوس قال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم فاسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الاسلام قوله عز وجل إنا فتحنا لك فتحا مبينا اى قضينا لك قضاء بينا وقال الضحاك انا فتحنا لك فتحا مبينا بغير قتال وكان الصلح من الفتح المبين قيل اللام في قوله ليغفر لام كى معناه انا فتحنا لك فتحا مبينا لكى يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح وقال الحسن ابن الفضل هو مردود إلى قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر) وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الاية وقال محمد بن جرير هو راجع إلى قوله إذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك في الجاهلية قبل الرسالة وما تاخر إلى وقت نزول هذه السورة وقيل ما تاخر مما يكون وهذا على طريقة من يجوز الصغائر على الانبياء وقال سفيان الثوري ما تقدم مما عملت في الجاهلية وما تاخر كل شيء لم تفعله ويذكر مثل ذلك على طريق التاكيد كما يقال أعطى من راه ولم يره وضرب من لقيه ومن يلقه وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني ذنب أبويك ادم وحواء بركتك وما تاخر من ذنب أمتك بدعوتك

والمعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا في هذا الفتح فروى قتاده عن انس انه فتح مكة وقال مجاهد انه فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله عز وجل له * فان قلت على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف قال تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضي * قلت وعد الله تعالى نبيه ﷺ بالفتح وجيء بلفظ الماضي جريا على عادة الله تعالى في اخباره لانها تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كانه تعالى قال انا فتحنا لك في حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كائن لا محالة وقال اكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الأصح وهو رواية عن انس ومعنى الفتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره وسهله بقدرته ولطفه عن البراء قال تعدون انتم الفتح فتح الله مكة ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي ﷺ اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم اصدرتنا وماشيتنا وركابنا وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب على المجوس وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم فأسلم في ثلاث خلق كثير فعز الاسلام بذلك واكرم الله عز وجل رسوله ﷺ * وقوله عز وجل (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كى والمعنى فتحنا لك فتحا مبينا لكى يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسن بن الفضل هو مردود الى قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وقال ابن جرير هو راجع إلى قوله في سورة النصر واستغفره انه كان توابا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الأمور الأربعة المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا لك ذنبك وهديناك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين واغراض العاجل والاجل وقيل يجوز ان يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد للعدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الاية ليغفر لك جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعني قبل النبوة وما تأخر يعني بعدها وهذا على قول من يجوز الصغائر على الأنبياء وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب ابويك ادم وحواء بركتين وما تاخر مني ذنوب امتك بدعائك لهم وقال سفيان الثوري ما تقدم من ذنبك مما كان منك قبل النبوة وما تاخر يعني كل شيء لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التاكيد كما تقول اعط من تراه ومن لم تراه واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ما وقع لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من شهو وغفلة وتاول لان النبي ﷺ لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ما عسى

أن يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الأبرار سيئات المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فأعلمه الله عز وجل بذلك وأنه مغفور له ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى (ويتم نعمته عليك) يعنى بالنبوة وما أعطاك من الفتح والنصر والتمكين (ويهديك صراطا مستقيما) يعنى ويهديك إلى صراط مستقيم وهو الاسلام ويثبتك عليه والمعنى ليجمع لك من الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية إلى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهدى بك إلى صراط مستقيم (وينصرك الله نصرا عزيزا) يعنى غالبا ذا عز ومنعة وظهور على الأعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى * فان قلت وصف الله تعالى النصر بكونه عزيزاً والعزيز هو المنصور صاحب النصر فما معناه * قلت معناه ذا عزة كقوله عيشة راضية اى ذات رضا وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال هذا كلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف ايجازا أو اختصارا وقيل انما يحتاج إلى هذه التقديرات اذا كانت العزة من الغلبة والعزيز الغالب إما إذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل أو العديم النظير فلا يحتاج إلى هذه التقديرات لأن النصر الذى هو من الله تعالى عزيز فى نفسه لكونه من الله تعالى فصح وصف كونه نصرا عزيزا * قوله تعالى (هو الذى أنزل السكينة هم قلوب المؤمنين) يعنى الطمأنينة والوقار فى قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة فى القرآن طمأنينة إلا التى فى سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها فى موضعها ولما قال الله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل السكينة التى هى الطمأنينة والثبات فى قلوب المؤمنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقاء فى الحروب وغيرها فكان ذلك من أسباب النصر الذى وعد الله تعالى نبيه ﷺ ثم قال تعالى (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) وذلك انه تعالى جعل السكينة والطمأنينة فى قلوب المؤمنين سببا لزيادة الايمان فى قلوبهم وذلك انه كلما ورد عليهم امر أو نهى امنوا به وعملوا بمقتضاه فكان ذلك زيادة فى إيمانهم وقال ابن عباس بعث الله عز وجل النبى ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله فلما امنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل دينهم فكلما أمر بشىء وصدقوه ازدادوا تصديقا إلى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقال الكلبى هذا فى أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل لما آمنوا بالأصول وهو التوحيد وتصديق النبى ﷺ فيما اخبر به عن الله عز وجل وامنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وهى جميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة فى إيمانهم (ولله جنود السموات والأرض) لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المؤمنون فى قلة من العدد والعدد فكان قائلا قال كيف ينصره فاخبره الله عز وجل ان له جنود السموات والارض وهو قادر على نصر رسوله ﷺ ببعض جنوده بل هو قادر على ان يهلك عدوه ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل أنزل سكينة فى قلوبكم أيها المؤمنون ليكون نصر النبى ﷺ واهلاك أعدائه على أيديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفى جنود السموات والارض وجوه الأول إنهم ملائكة السموات والأرض الثانى ان جنود السموات الملائكة وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك (وكان الله عليما) يعنى بجميع جنوده الذين فى السموات والارض (حكيما) يعنى فى تدبيرهم وقيل عليما بما فى قلوبكم أيها المؤمنون حكيما حيث جعل النصر لكم على اعدائكم * قوله عز وجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار) يستدعى سابقا تقديره هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار وقد تقدم ما روى عن انس انه لما نزل قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال الصحابة هنيئا مريئا قد بين الله تعالى ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله

(ويتم نعمته عليك) بالنبوة والحكمة (ويهديك صراطا مستقيما) أى يثبتك عليه والمعنى ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى الصراط المستقيم وهو الاسلام وقيل ويهديك اى يهدى بك (وينصرك الله نصرا عزيزا) غالبا وقيل معزا (هو الذى أنزل السكينة) الطمأنينة والوقار (فى قلوب المؤمنين) لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم قال ابن عباس كل سكينة فى القرآن فهى طمأنينة إلا التى فى سورة البقرة (ليزدادوا إيمانا مع ايمانهم) قال ابن عباس يعث الله رسوله بشهادة أن لا إله إلا الله فلما صدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل لهم دينهم فكلما ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم قال الكلبى هذا فى امر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار

خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) وقد ذكرنا عن أنس أن الصحابة قالوا لما نزل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ما يفعل بنا فنزل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآية (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يريد أهل النفاق بالمدينة وأهل الشرك بمكة (الظانين بالله ظن السوء) أن لن ينصر محمدا والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) بالعذاب والهلاك (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه) أى تعينوه وتنصروه (وتوقروه) تعظموه وتفخموه هذه الكنايات مراجعة إلى النبى ﷺ وهنا وقف (وتسبحوه) أى تسبحوا الله يريد تصلوا له (بكرة واصيلا) بالغداة والعشى قرأ ابن كثير وابو عمر وليؤمنوا ويعزروه ويوقروه ويسبحوه بالياء فيهن لقوله فى قلوب المؤمنين وقرأ الاخرون بالتاء فيهن (إن الذين يبايعونك) يا محمد بالحديبية على أن لا يفروا (إنما يبايعون الله) لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة أخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا قتيبة ابن سعيد ثنا حاتم بن إسمعيل عن يزيد بن أبى عبيد قال قلت لسلمة بن الأكوع على أى شىء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية قال على الموت أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن يحيى ثنا يزيد بن زريع عن خالد عن الحكم بن عبد الله بن الأعرج عن معقل ابن يسار قال لقد رأيتنى يوم الشجرة والنبى ﷺ يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة

عز وجل الآية التى بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار (خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم) * فان قلت تكفير السيئات إنما يكون قبل دخولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخول لهم الجنة قلت الواو لا تقتضى الترتيب وقيل ان تكفير السيئات والمغفرة من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الادخال بالذكر بمعنى أنه من أهل الجنة (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) يعنى أن ذلك الأدخال والتكفير كان فى علم الله تعالى فوزا عظيما (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يعنى المنافقين والمنافقات من أهل المدينة والمشركين والمشركات من أهل مكة وإنما قدم المنافقين على المشركين هنا وفى غيره من المواضع لأن المنافقين كانوا أشد على المؤمنين من الكافرين لأن الكافر يمكن أن يحترز منه ويجاهد لأنه عدو مبين والمنافق لا يمكن أن يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره اكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافق بالذكر اولى (الظانين بالله ظن السوء) يعنى أنهم ظنوا أن الله لا ينصر محمدا ﷺ والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) يعنى عليهم دائرة العذاب والهلاك (وغضب الله عليهم) زيادة فى تعذيبهم وهلاكهم (ولعنهم) يعنى وابعدهم وطردهم عن رحمته (وأعد لهم جهنم) يعنى فى الاخرة (وساءت مصيرا) يعنى ساءت جهنم منقلبا (ولله جنود السموات والأرض) تقدم تفسيره بقى مافائدة التكرير ولم قدم ذكر جنود السموات والأرض على إدخال المؤمنين الجنة ولم أخر ذكر جنود السموات والأرض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول التكرار للتاكيد وجنود السموات والأرض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والأرض قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فادخلوا الجنة أفضوا إلى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك إلى شىء واخر ذكر جنود السموات والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم أبدا * فان قلت قال فى الاية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال فى هذه الاية (وكان الله عزيزا حكيما) فما معناه قلت لما كان فى جنود السموات والأرض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب ان تكون خاتمة الاية الأولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ فى وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب ان تكون خاتمة الاية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله أليس الله بعزيز ذى انتقام وقوله أخذناهم أخذ عزيز مقتدر قوله تعالى (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) الخطاب للنبى ﷺ ذكره فى معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه إلى الكافة شاهدا على أعمال أمته ومبشرا يعنى لمن امن به وأطاعه بالثواب ونذيرا يعنى لمن خالفه وعصى أمره بالعقاب ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى (لتؤمنوا بالله ورسوله) فالضمير فيه للناس المرسل اليهم (وتعزروه) يعنى ويقووه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم (وتوقروه) أى وتعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل (وتسبحوه) من التسبيح الذى هو التنزيه من جميع النقائص أو من السبحة وهى الصلاة قال الزمخشرى والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله تعالى تعزير دينه ورسوله ﷺ ومن فرق الضمائر فقد أبعد وقال غيره الكنايات فى قوله ويعزروه ويوقروه راجعة إلى الرسول ﷺ وعندها تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدىء بقوله وسبحوه (بكرة وأصيلا) على أن الكناية فى ويسبحوه راجعة إلى الله تعالى يعنى ويصلوا لله وأن يسبحوا بالغداة والعشى * قوله عز وجل (إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله) يعنى ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على

قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر قال أبو عيسى معنى الحديثين صحيح بايعه جماعة على الموت أى لا نزال نقاتل بين يديك مالم نقتل وبايعه آخرون وقالوا لا نفر (يد الله فوق أيديهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما يد الله بالوفاء لما وعدهم من الخير فوق أيديهم وقال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله ﷺ ويبايعونه ويد الله فوق أيديهم فى المبايعة قال الكلبى نعمة الله عليهم فى الهداية فوق ماصنعوا من البيعة (فمن نكث) نقض البيعة (فانما ينكث على نفسه) عليه وباله (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) ثبت على البيعة (فسيؤتيه) قرأ أهل العراق فسيؤتيه بالياء وقرأ الاخرون بالنون (أجرا عظيما) وهو الجنة (سيقول لك المخلفون من الاعراب) قال ابن عباس ومجاهد يعنى أعراب بنى غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم وذلك أن رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فأنزل

أن لا يفروا إنما يبايعون الله لأنهم باعوا أنفسهم من الله عز وجل من الجنة وأصل البيعة العقد الذى يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذى التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهى قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلتين سميت ببئر هناك وقد جاء فى الحديث ان الحديبية بئر قال مالك هى من الحرام وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز فى الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف أفصح وعامة المحدثين يشددونها (ق) عن يزيد بن عبيدة قال قلت لسلمة ابن الأكوع على أى شىء بايعتم رسول الله ﷺ قال على الموت (م) عن معقل بن يسار لقد رأيتنى يوم الشجرة والنبى ﷺ يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربعة عشر مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر قال العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الأكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا أو ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على أن لا يفروا (خ) عن ابن عمر قال إن الناس كانوا مع النبى ﷺ يوم الحديبية تفرقوا فى ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبى ﷺ فقال يعنى عمر يا عبد الله انظر ماشأن الناس أحدقوا برسول الله ﷺ فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع وقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم وقال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله ﷺ ويد الله فوق أيديهم كذا نقله البغوى عنه وقال الكلبى نعمة الله عليهم فى الهداية فوق ماصنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازى يد الله فوق أيديهم يحتمل وجوها وذلك لأن اليد فى الموضعين إما أن تكون بمعنى واحد وإما أن تكون بمعنيين * فان قلنا إنها بمعنى واحد ففيه وجهان أحدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق إحسانهم كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما يد الله فوق ايديهم أى نصرته إياهم أقوى واعلى من نصرتهم إياه يقال اليد لفلان أى الغلبة والنصرة والقوة * وإن قلنا أنها بمعنيين فنقول اليد فى حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفى حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق أيديهم بالحفظ وقال الزمخشرى لما قال إنما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله ﷺ التى تعلوا يدى المبايعين هى يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى أن تقرير عقد الميثاق مع رسول الله ﷺ كعقده مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل * وقوله تعالى (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) يعنى فمن نقض العقد الذى عقده مع النبى ﷺ ونكث البيعة فان وبال ذلك وضره يرجع اليه ولا يضر إلا نفسه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) يعنى من البيعة (فسيؤتيه أجرا عظيما) يعنى فى الآخرة وهو الجنة * قوله تعالى (سيقول لك المخلفون من الاعراب) قال ابن عباس ومجاهد يعنى أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع والنخع وأسلم وذلك أن رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله تعالى فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك إذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك (شغلتنا أموالنا وأهلونا) يعنى النساء والذرارى

الله تعالى فيهم سيقول لك المخلفون من الاعراب يعنى الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك فاذا انصرفت والذرارى من سفرك اليهم فعاتبهم على التخلف عنك (شغلتنا أموالنا وأهلونا) يعنى النساء والذرارى أى لم يكن لنا من يخلفنا فيهم

(فاستغفر لنا) تخلفنا عنك فكذبهم الله عز وجل فى اعتذارهم فقال (يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم) من أمر الاستغفار فانهم لا يبالون استغفر لهم النبى ﷺ أولا (قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا) سوأ (أو أراد بكم نفعا) قرأ حمزة والكسائى ضرا بضم الضاد وقرأ الآخرون بفتحها لأنه قابله بالنفع والنفع ضد الضر وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبى ﷺ يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة فى أنفسهم وأموالهم فأخبرهم الله تعالى إن أرادبهم شيئا من ذلك لم يقدر أحد على دفعه (بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا) أى ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون (وزين ذلك فى قلوبكم) زين الشيطان

والذرارى يعنى لم يكن لنا من يخلفنا فهم فلذا تخلفنا عنك (فاستغفر لنا) أى إنا مع عذرنا معترفون بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال الله تعالى (يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم) يعنى انهم فى طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبى ﷺ ام لا (قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا) يعنى سوا (أو أراد بكم نفعا) وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبى ﷺ يدفع عنهم الضرار يجعل لهم النفع بالسلامة فى أنفسهم وأموالهم فاخبرهم الله عز وجل انه إن أراد شيئا من ذلك لم يقدر أحد على دفعه (بل كان الله بما تعملون خبيرا) يعنى من إظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفائكم النفاق (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا) يعنى ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون إلى اهليهم (وزين ذلك فى قلوبكم) يعنى زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس فى قلب الانسان بالشىء ويزينه له حتى يقطع به (وظننتم ظن السوء) يعنى وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا وأصحابه أكلة راس يريدون بذلك قتلهم فاين تذهبون معهم انظروا ما يكون من أمرهم (وكنتم قوما بورا) يعنى وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائرين هالكين (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا) لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله ﷺ وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يقضى بصاحبه إلى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر وانا اعتدنا للكافرين سعيرا (ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين لرسول الله ﷺ وحال الظانين ظن السوء اخبر ان له ملك السموات والأرض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته أعم وأشمل وأتم وأكمل واليه الاشارة بقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) * قوله عز وجل (سيقول المخلفون) يعنى الذين تخلفوا عن الحديبية (إذا انطلقتم) يعنى إذا سرتم وذهبتم أيها المؤمنون (إلى مغانم لتاخذوها) يعنى غنائم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئا وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم اهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا (ذرونا نتبعكم) اى إلى خيبر فنشهد معكم قتال اهلها وفى هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا إذ لم يكن هناك طمع فى غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع فى الغنيمة (يريدون أن يبدلوا كلام الله) أى يريدون أن يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لأهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعنى امر الله تعالى نبيه ﷺ حيث أمره أن لا يسير منهم أحداً إلى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا والقول الأول أصوب (قل) أى قل يا محمد (لن تتبعونا) يعنى إلى خيبر (كذلك قال الله من قبل) يعنى من قبل مرجعنا اليكم

ذلك الظن فى قلوبكم (وظننتم ظن السوء) وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس فلا يرجعون فاين تذهبون معه انظروا ما يكون من أمرهم (وكنتم قوما بورا) هلكى لا تصلحون لخير (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون) يعنى هؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية (إذا انطلقتم) سرتم وذهبتم ايها المؤمنون) إلى مغانم لتاخذوها) يعنى غنائم خيبر (ذرونا نتبعكم) إلى خيبر نشهد معكم قتال أهلها وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم اهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيئا قال الله تعالى (يريدون ان يبدلوا كلام الله) قرأ حمزة والكسائى كلم الله بغير الف جمع كلمة وقرأ الاخرون كلام الله يريدون أن يغيروا مواعيد الله تعالى لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة وقال مقاتل يعنى أمر الله نبيه ﷺ أن لا يسير منهم أحد قال ابن زيد هو قول الله عز وجل فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا والأول أصوب وعليه عامة أهل التأويل (قل لن تتبعونا) إلى خيبر (كذلك قال الله من قبل) اى من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب

غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (فسيقولون بل تحسدوننا) يعنى يمنعكم الحسد أن نصيب معكم من الغنائم شيئا (بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا) يعنى لا يعلمون ولا يفهمون من الله ما لهم وما عليهم من الدين إلا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله * قوله عز وجل (قل للمخلفين من الاعراب) لما قال الله للنبى ﷺ قل لن تتبعونا وكان المخلفون جما كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من ترجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه فجعل الله عز وجل لقبول توبتهم علامة وهى أنهم يدعون إلى قوم أولى بأس شديد فان اطاعوا كانوا من المؤمنين ويؤتيهم الله أجرا حسنا وهو الجنة وإن تولوا وأعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا أليما واختلفوا فى المشار اليهم بقوله (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد) من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهرى وجماعة هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الاية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضى الله تعالى عنه إلى قتال بنى حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضى الله عنه إلى قتال فارس وقال ابو هريرة لم يأت تأويل هذه الاية بعد وأقوى هذه الأقوال قول من قال أنهم هوازن وثقيف لأن الداعى هو رسول الله ﷺ وأبعدها قول من قال انهم بنو حنيفة أصحاب مسيلمة أما الدليل على صحة القول الأول فهو أن العرب كان قد ظهر أمرهم فى آخر الأمر على عهد النبى ﷺ فلم يبق إلا مؤمن تقى طاهر أو كافر مجاهر وأما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبى ﷺ من الصلاة عليهم وكان الداعى هو رسول الله ﷺ إلى حرب من خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من أشد العرب بأسا وكذلك غطفان فاستنفر النبى ﷺ العرب لغزوة حنين وبنى المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعى هو النبى ﷺ * فان قيل هذا ممتنع لوجهين أحدهما أن النبى ﷺ قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معى أبدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهى الوجه الثانى قوله أولوا بأس شديد ولم يبق للنبى ﷺ حرب مع قوم أولوا بأس شديد لأن الرعب كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما أن يكون قوله قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معى أبدا مقيد بقيد وهو ان يكون تقديره قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معى أبدا ما دمتم على ما انتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لابد منه لأن من أسلم وحسن إسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج إلى الجهاد مع النبى ﷺ الوجه الثانى فى الجواب عن الوجه الأول أن المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معى أبدا يعنى فى غزوة خيبر لأنها كانت مخصوصة بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبى ﷺ لو لم يدعهم إلى الجهاد معه أو منعهم من الخروج إلى الجهاد معه لامتنع أبو بكر وعمر من الأذن لهم فى الخروج إلى الجهاد معهما كما امتنعا من أخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبى ﷺ من أخذها وأما الجواب عن الوجه الثانى وهو أن النبى ﷺ لم تبق له حرب مع قوم أولى بأس شديد فغير مسلم لأن الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم أولوا بأس شديد فثبت بهذا البيان أن الداعى للمخلفين هو النبى ﷺ وأما قول من قال أن أبا بكر دعاهم إلى قتال بنى حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب وأن عمر دعاهم إلى قتال فارس والروم فظاهر فى الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لأن الله تعالى وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار * وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) فيه إشارة إلى وقوع أحد الأمرين إما الاسلام او القتل (فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا) يعنى الجنة (وإن تتولوا) يعنى تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) يعنى عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) اى النار ولما نزلت هذه الاية قال أهل الزمانة

(فسيقولون بل تحسدوننا) اى يمنعكم الحسد من ان نصيب معكم الغنائم (بل كانوا لا يفقهون) يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من الدين (إلا قليلا) منهم وهو من صدق الله والرسول (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى باس شديد) قال ابن عباس ومجاهد وعطاء هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهرى ومقاتل وجماعة هم بنو حنيفة اهل اليمامة أصحاب مسيلة الكذاب قال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الاية ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر إلى قتال بنى حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضى الله عنه إلى قتال فارس وقال ابو هريرة لم يأت تاويل هذه الاية بعد (تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا) اى الجنة (وإن تتولوا) تعرضوا (كما توليتم من قبل) عام الحديبية (يعذبكم عذابا اليما) وهو النار فلما نزلت هذه الاية قال اهل الزمانة كيف بنا يا رسول الله فانزل الله تعالى

(ليس على الأعمى حرج) يعنى فى التخلف عن الجهاد (ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما) قرأ أهل المدينة والشام ندخله ونعذبه بالنون فيهما وقرأ الآخرون بالياء لقوله ومن يطع الله ورسوله (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك) بالحديبية على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا (تحت الشجرة) وكانت سمرة قال سعيد ابن المسيب حدثنى ابى انه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها وروى ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه مر بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول هنا وبعضهم يقول هنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا قد ذهبت الشجرة أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا على بن عبد الله ثنا سفيان قال عمر سمعت جابر بن عبد الله قال قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية انتم خير اهل الأرض وكنا ألفا واربع مائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجاج ثنا محمد ابن حاتم ثنا حجاج عن ابن جريج اخبرنى أبو الزبير انه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة فبايعناه غير جد ابن قيس الأنصارى اختبا تحت بطن بعيره وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة وقال عبد الله ابن ابى أوفى كان أصحاب الشجرة الفا وثلثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين وكان سبب هذه البيعة

والأعذار كيف حالنا يا رسول الله فأنزل الله عز وجل (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) يعنى فى التخلف عن الجهاد وهذه أعذار ظاهرة فى جواز ترك الجهاد لأن أصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الإقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفى معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفى معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه أعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك أعذار أخر دون ماذكر وهى الفقر الذى لا يمكن صاحبه أن يستصحب معه ما يحتاج اليه من مصالح الجهاد والاشغال التى تعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذى ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وإنما قدم الاعمى على الاعرج لأن عذر الأعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به فى حرس ولا غيره بخلاف الاعرج لانه لا يمكن الانتفاع به فى الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذره اشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب (ومن يطع الله ورسوله) يعنى فى أمر الجهاد وغيره (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول) يعنى يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (يعذبه عذابا أليما) يعنى فى الآخرة * قوله عز وجل (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك) يعنى بالحديبية على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا (تحت الشجرة) وكانت هذه الشجرة سمرة (ق) عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ماهذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان فأتيت بن المسيب فأخبرته فقال سعيد قال انى من بيع تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فأصحاب رسول الله ﷺ لم يعلموها وعلمتموها فانتم أعلم فضحك وفى رواية عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد عام فلم أعرفها وروى ان عمر مر بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول هنا وبعضهم يقول هنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة (خ) عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى (م) عن ابى الزبير انه سمع جابرا يسأل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا اربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة فبايعناه جميعا غير جد بن قيس الانصارى اختفى تحت بطن بعيره زاد فى رواية قال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت واخرجه الترمذى عن جابر فى قوله تعالى لقد رضى الله تعالى عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا رسول الله ﷺ على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت (ق) عن عمر بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية انتم اليوم خير اهل الارض وكنا ألفا وأربعمائة قال ولو كنت ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة سنة

على ماذكره محمد بن اسحق عن اهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعى حين نزل الحديبية فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على جمل له يقال الثعلب ليبلغ اشرافهم عنه ماجاء له فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وارادوا قتله فمنعته الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فقال يا رسول الله إنى أخاف قريشا على نفسى وليس من بنى عدى بن كعب احد يمنعنى وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغلظتى عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بها منى عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه إلى ابى سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يأت بحرب وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان إلى مكة فلقيه ابان بن سعد بن العاص حين دخل مكة او قبل ان يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه

ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فقال ابو سفيان وعظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال رسول الله ﷺ لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم الرسول ﷺ الموت قال بكير ابن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله ﷺ بل على ما استطعتم وقال جابر عبدالله ومعقل ابن يسار لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر فكان اول من بايع بيعة الرضوان رجلا من بنى اسد يقال له ابو سنان بن وهب ولم يتخلف عنه احد من المسلمين حضرها إلا جد ابن قيس اخو بنى سلمة قال جابر لكانى انظر اليه لاصقا بابط ناقته مستترا بها من الناس ثم اتى رسول الله ﷺ ان الذى ذكر من امر عثمان باطل اخبرنا ابو سعيد الشريحى انا أبو اسحق الثعلبى اخبرنى الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا على بن احمد بن نضرويه ثنا ابو عمران موسى بن سهل بن عبد الحميد الجوني ثنا محمد بن رمح ثنا الليث بن سعد عن ابى الزبير عن جابر عن رسول الله ﷺ انه قال لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة قوله عزوجل (فعلم مافى قلوبهم) من الصدق والوفاء (فأنزل السكينة) الطمأنينة والرضا (عليهم

(ق) عن عبدالله بن أبى أوفى قال كان أصحاب الشجرة ألفا وثلثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة على ماذكر محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعى حين نزل الحديبية فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ إشرافهم عنه ماجاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فقال يارسول الله إنى أخاف على نفسى قريشا وليس بمكة من بنى عدى ابن كعب احد وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغلظتى عليها ولكن ادلك على رجل هو أعز بها منى عثمان بن عفان فدعا رسول الله ﷺ عثمان فبعثه إلى ابى سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يأت الحرب إنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان إلى مكة فلقيه ابان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة او قبل ان يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم اردفه واجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ ان شئت ان تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال رسول الله ﷺ لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم النبى ﷺ على الموت قال بكير بن الاشج بايعوه على الموت فقال النبى ﷺ بل على ما استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه ان لا نفر وقد تقدم ايضا الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه على الموت وكان اول من بايع الرضوان رجلا من بنى اسد يقال له ابو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان احد من المسلمين حضرها إلا جد بن قيس أخو بنى سلمة قال جابر فكانى انظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس ثم اتى رسول الله ﷺ ان الذى ذكر من امر عثمان باطل (م) عن جابر قال قال النبى ﷺ لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول الله ﷺ ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الاحمر اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * وقوله تعالى (فعلم مافى قلوبهم) يعنى من الصدق والاخلاص والوفاء كما علم مافى قلوب المنافقين من المرض والنفاق (فأنزل السكينة) يعنى الطمأنينة (عليهم) يعنى على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى ان لا يفروا وفى هذه الاية لطيفة وهى ان هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وذلك موجب لرضوان الله عزوجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى فى الاية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار فثبت بهذا البيان ان اهل بيعة الرضوان من اهل الجنة ويشهد لصحة ماقلناه الحديث المتقدم * فان قلت الفاء فى فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضا لانه تعالى علم مافى قلوبهم من الصدق والايمان فرضى عنهم فكيف يفهم التعقيب فى قوله فعلم مافى قلوبهم * قلت قوله فعلم مافى قلوبهم متعلق بقوله إذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك فعلم مافى قلوبهم من الصدق إشارة إلى ان الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التى عندها علم الله بصدقهم والفاء فى قوله فأنزل السكينه للتعقيب لانه تعالى لما علم مافى

السكينة

وأثابهم فتحا قريبا) يعنى فتح خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) من أموال يهود خيبر وكانت خيبر عقار وأموال فاقتسمها رسول الله ﷺ بينهم (وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) وهى الفتوح التى تفتح لهم إلى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعنى خيبر (وكف أيدى الناس عنكم) وذلك أن النبى ﷺ لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بنى أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله أيديهم بالقاء الراعب فى قلوبهم وقيل كف أيدى الناس عنكم يعنى أهل مكة بالصلح (ولتكون) كفهم وسلامتكم (اية للمؤمنين) على صدقك ويعلموا أن الله هو المتولى حياطتهم وحراستهم فى مشهدهم ومغيبهم (ويهديكم صراطا مستقيما) يثبتكم على الاسلام ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذى الحجة وبعض المحرم ثم خرج فى بقية المحرم سنة سبع إلى خيبر (١٦٥) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا

السكينة عليهم * وقوله تعالى (وأثابهم فتحا قريبا) يعنى خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعنى من أموال أهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار وأموال رسول الله ﷺ بينهم (وكان الله عزيزا) يعنى منيعا كامل العزة غنيا عن اعانتكم (حكيما) حيث حكم لكم بالغنائم ولاعدائكم بالهلاك على أيديكم * قوله تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) يعنى المغانم التى تغنمونها من الفتوحات التى تفتح لكم إلى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعنى مغانم خيبر وفيه اشارة إلى كثرة الفتوحات والغنائم التى يعطيهم الله عز وجل فى المستقبل وإنما عجل لهم هذه كعجالة الراكب عجلها الله لكم وهى فى جنب ماوعدكم الله به من الغنائم كالقليل من الكثير (وكف أيدى الناس عنكم) وذلك أن النبى ﷺ لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بنى أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل أيديهم بالقاء الرعب فى قلوبهم وقيل المعنى أن الله عز وجل كف أيدى أهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنة عليكم (ولتكون آية للمؤمنين) هو عطف على ماتقدم تقديره فعجل لكم الغنائم لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين يعنى ولتحصل من بعدكم آية تدلهم على أن ماوهبكم الله يحصل مثله لهم وقيل لتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول ﷺ فى أخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا إلى يقينهم ويعلموا أن الله هو المتولى حياطتهم وحراستهم فى مشهدهم ومغيبهم (ويهديكم صراطا مستقيما) يعنى ويهديكم إلى دين الاسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر

﴿ذكر غزوة خيبر﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذى الحجة وبعض المحرم ثم خرج إلى خيبر فى بقية المحرم سنة سبع (ق) عن أنس أن النبى ﷺ كان إذا غزا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم وإن لم يسمع اذانا أغار عليهم قال فخرجنا إلى خيبر فلما انتهينا إليهم ليلا فلما أصبح ولم يسمع اذانا ركب وركبت خلف أبى طلحة وان قدمى لتمس قدم النبى ﷺ قال فخرجوا علينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا رسول الله ﷺ قالوا محمد والخميس فلما رآهم النبى ﷺ قال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (م) عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا * فثبت الاقدام ان لاقينا
* وانزلن سكينة علينا *

أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا اسمعيل بن جعفر عن حميد عن أنس بن مالك ان النبى ﷺ كان إذا غزا بنا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر اليهم فان سمع أذانا كف عنهم وإن لم يسمع أذانا أغار عليهم قال فخرجنا إلى خيبر فانتهينا اليهم ليلا فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب وركبت خلف أبى طلحة وان قدمى لتمس قدم النبى صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا النبى ﷺ قالوا محمد والله محمد والخميس فلجأوا إلى الحصن فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر الله أكبر خربت خيبر انا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدرامى أنا أبو على الحنفى ثنا عبيد الله بن عبد المجيد ثنا عكرمة بن عمار ثنا اياس بن سلمة حدثنى أبى قال خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ قال فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم شعرا تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا * ونحن عن فضلك ما استغنينا
فثبت الاقدام ان لاقينا * وأنزلن سكينة علينا * ان الألى قد بغوا علينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا فقال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله ﷺ لانسان يخصه إلا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يانبى الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر أنى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب * إذا الحروب أقبلت تلتهب

قال وبرز له عمى عامر فقال قد علمت خيبر أنى عامر * شاكى السلاح بطل مغامر
قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله وكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب النبى ﷺ يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه قال فاتيت النبى ﷺ وأنا أبكى فقلت يارسول الله بطل عمل عامر قتل نفسه قال النبى ﷺ من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ثم أرسلنى إلى على رضى الله عنه وهو ارمد فقال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فاتيت على رضى الله عنه فجئت به اقوده وهو أرمد حتى اتيت به رسول الله ﷺ فبصق فى عينيه فبرأ واعطاه الراية وخرج مرحب فقال قد علمت خيبر أنى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب * إذا الحروب اقبلت تلتهب * (١٦٦) فقال على رضى الله عنه أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره اوفيهم بالصاع كيل السندره * قال فضرب راس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه وروى حديث خيبر سهل بن سعد وانس وابو هريرة يزيدون وينقصون وفيه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس فاخذ ابو بكر رضى الله عنه راية النبى صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر رضى الله عنه فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الأول ثم رجع فاخبر النبى ﷺ بذلك فقال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا على بن ابى طالب فاعطاه اياها وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فاتى مدينة خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على راسه يارسول

فقال النبى ﷺ من هذا قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر النبى ﷺ لانسان يخصه إلا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يانبى الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب * إذا الحروب أقبلت تلتهب

قال وبرز له عمى عامر فقال قد علمت خيبر أنى عامر * شاكى السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا بضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب النبى ﷺ يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فاتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكى فقلت يارسول الله بطل عمل عمى عامر قال النبى ﷺ من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ثم ارسلنى إلى على وهو أرمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فاتيت عليا فجئت به اقوده وهو أرمد حتى أتيت به النبى ﷺ فبصق فى عينيه فبرأ وأعطاه الراية فخرج مرحب فقال قد علمت خيبر أنى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلتهب

فقال على رضى الله عنه أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده أخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد أخرج البخارى طرفا منه قال البغوى وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وأنس بن مالك وأبو هريرة يزيدون وينقصون فيه أن النبى ﷺ كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس فأخذ ابن بكر راية النبى ﷺ ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو اشد من القتال الأول ثم رجع فاخبر النبى ﷺ بذلك فقال لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه فدعا عليا فاعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فاتى خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلى راسه مغفر من حجر قد ثقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج اليه على بن ابى طالب فضربه فقد الحجر والمغفر وفلق راسه حتى اخذ السيف فى الاضراس ثم خرج بعد مرحب اخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت امه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابنى

يارسول

وهو يرتجز فبرز اليه على فضربه فقد الحجر والبيضة والمغفر وفلق راسه حتى اخذ السيف فى الاضراس ثم خرج بعد مرحب اخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت امه صفية بنت عبد المطلب او يقتل ابنى يارسول الله قال لا بل ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم لم يزل النبى ﷺ يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبى الذرية ويحوز الأموال قال محمد بن اسحق وكان اول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن سلمة القت عليه اليهود حجرا فقتله ثم فتح العموص حصن بن ابى الحقيق فاصاب منه سبايا منهم صفية بنت حيى بن اخطب جاء بلال بها وباخرى معها فمر بهما على قتلى يهود فلما راتهم التى مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على راسها فلما راها النبى ﷺ قال اعزبوا عنى هذه الشيطانة وامر بصفية فحيزت خلفه والقى عليها رداءه فعرف المسلمون ان النبى ﷺ اصطفاها لنفسه وقال النبى لبلال لما راى من تلك اليهودية ماراى انزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامراتين

على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق أن القمر وقع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز محمدا فلطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها فأتى رسول الله ﷺ بها وبها أثر منها فسألها ما هو فاخبرته هذا الخبر وأتى رسول الله ﷺ بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بنى النضير فسأله فجحده أن يكون يعلم مكانه فأتى رسول الله ﷺ برجل من اليهود فقال رسول الله ﷺ إنى قد رأيت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله ﷺ لكنانة أرأيت إن وجدناه عندك أنقتلك قال نعم فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقى فأبى أن يؤديه فامر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام فقال عذبه حتى تستأصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزنده فى صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة أخبرنا عبد الواحد المليحى (١٦٧) أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد

يا رسول الله قال ابنك يقتله إن شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبى الذرية ويحوز الأموال قال محمد بن اسحق فكان اول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة القت اليهود عليه حجرا فقتله ثم فتح حصن ابن ابى الحقيق فاصاب سبايا منهم صفية بنت حيى بن أخطب جاء بها بلال وباخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التى مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما راها رسول الله ﷺ قال اعزبوا عنى هذه الشيطانة وامر بصفية فجهزت خلفه والقى عليها رداءه فعرف المسلمون ان رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله ﷺ لبلال لما راى من تلك اليهودية ما رأى انزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة ابن الربيع بن ابى الحقيق ان قمرا وقع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا إلا انك تتمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فاتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منها فسألها عن ذلك ما هو فاخبرته الخبر وأتى رسول الله ﷺ بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بنى النضير فسأله فجحد ان يكون يعلم مكانه فاتى رسول الله ﷺ برجل من اليهود فقال لرسول الله ﷺ انى رأيت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله ﷺ لكنانه أرايت إن وجدناه عندك أنقتلك قال نعم فامر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقى فابى ان يؤديه اليه فامر به محمد ﷺ إلى الزبير بن العوام ان يعذبه حتى يستاصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزنده على صدره حتى اشرف على نفسه ثم دفعه إلى محمد بن سلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة (ق) عن انس بن مالك أن محمد ﷺ غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبى الله ﷺ وركب ابو طلحة وانا رديف ابى طلحة فاجرى نبى الله ﷺ فى زقاق خيبر وان ركبتى لتلس فخذ نبى الله ﷺ ثم حسر الازار عن فخذه حتى انى انظر بياض فخذ النبى ﷺ فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم إلى اعمالهم فقالوا محمد والخميس يعنى الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبى فجاء دحية فقال يا رسول الله اعطنى جارية من السبى قال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيى فجاء رجل إلى محمد ﷺ فقال يا نبى الله اعطيت دحية صفية بنت حى سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك قال ادعوه فجاء بها فلما نظر اليها محمد ﷺ

ابن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية ثنا عبد العزيز بن صهيب عن انس أن رسول الله ﷺ غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب رسول الله ﷺ وركب أبو طلحة وانا رديف أبى طلحة فاجرى نبى الله ﷺ فى زقاق خيبر وان ركبتى لتمس فخذ نبى الله ثم حسر الازار عن فخذه حتى انى لأنظر إلى بياض فخذ نبى الله ﷺ فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم إلى أعمالهم فقالوا محمد قاله عبد العزيز قال بعض اصحابنا والخميس يعنى الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبى فجاء دحية فقال يا نبى الله أعطنى جارية من السبى قال اذهب فخذ جارية

فاخذ صفية بنت حيى فجاء رجل إلى نبى الله ﷺ فقال يا نبى الله اعطيت دحية صفية بنت حيى سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك قال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبى ﷺ قال خذ جارية من السبى غيرها قال فاعتقها النبى ﷺ وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها فتزوجها حتى إذا كان بالطريق جهزتها له ام سليم فاهدتها له من الليل فاصبح النبى ﷺ عروسا فقال من كان عنده شىء فليجىء به وبسط نطعا فجعل الرجل يجىء بالتمر وجعل الاخر يجىء بالسمن قال واحسبه قد ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله ﷺ اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا موسى بن إسمعيل ثنا عبد الواحد الشيبانى قال سمعت ابن ابى اوفى يقول اصابتنا مجاعة ليالى خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا فى الحمر الاهلية فانتحرناها فلما غلت القدور نادى منادى رسول الله ﷺ اكفؤا القدور ولا تطعموا من لحوم الحمر شيئا قال عبد الله بن عباس فقلنا إنما النبى ﷺ عنا لانها لم تخمس وقال اخرون حرمها البتة وسألت عنها سعيد بن جبير فقال حرمها البتة اخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا

محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن حبيب الحارثى أنا خالد بن الحارث ثنا شعبة عن هشام بن زيد عن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فاكل منها فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسالها عن ذلك فقالت أردت ان اقتلك قال ما كان الله ليسلطك على ذلك أو قال على قال قالوا الا نقتلها يارسول الله قال لا وتجاوز عنها محمد ﷺ قال فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله ﷺ وقال محمد بن اسمعيل قال يونس عن الزهرى قال عروة قالت عائشة كان النبى ﷺ يقول فى مرضه الذى مات فيه ياعائشة ما أزال أجد الم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا وان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل أنا محمد بن بشار انا حرمى انا شعبة قال أخبرنى عمارة عن عكرمة عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الان نشبع من التمر أنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا أحمد بن المقدام ثنا فضيل بن سليمان ثنا موسى بن عقبة أخبرنى نافع عن ابن (١٦٨) عمر ان عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وكان رسول الله ﷺ لما ظهر على اهل خيبر اراد ان يخرج اليهود منها وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله وللمسلمين فسال اليهود رسول الله ﷺ ان يتركهم على ان يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال رسول الله ﷺ نقركم على ذلك ماشئنا فاقروا حتى اجلاهم عمر فى امارته إلى تيماء واريحاء قال محمد بن اسحق فلما سمع اهل فدك بما صنع رسول الله ﷺ بخيبر بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه ان يسيرهم ويحقن لهم دماءهم ويخلو له الأموال ففعل ثم أن اهل خيبر سالوا رسول الله ﷺ ان يعاملهم الاموال على النصف ففعل على انا إذا شئنا اخرجناكم فصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن رسول الله ﷺ اهدت له زينب بنت الحرث امراة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعنى مشوية وسالت اى عضو من الشاة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيها السم وسممت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ تناول الذراع فاخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور وقد اخذ منها كما اخذ رسول الله ﷺ فاما بشر فاساغها واما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال ان هذا العضو ليخبرنى انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قال بلغت من قومى مالم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحت منه وإن كان نبيا فسيخبر عنها فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ومات بشر بن البراء من اكلته التى اكل قال ودخلت ام بشر البراء على محمد ﷺ تعوده فى مرضه الذى توفى فيه فقال يام بشر مازالت اكلة خيبر التى اكلت بخيبر مع ابنك تعاودنى فهذا اوان انقطاع ابهرى وكان المسلمون يرون ان رسول الله ﷺ مات شهيدا مع ما اكرمه الله من النبوة

قال خذ جارية من السبى غيرها قال فاعتقها محمد ﷺ وتزوجها فقال له ثابت ياأبا حمزة ما أصدقها قال نفسها أعتقها وتزوجها حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فاهدتها له من الليل وأصبح النبى ﷺ عروسا فقال من كان عنده شىء فليجىء به وبسط نطعا فجعل الرجل يجىء بالتمر وجعل الاخر يجىء بالسمن قال وأحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله ﷺ (ق) عن عبد الله بن ابى أوفى قال أصابتنا مجاعة ليالى خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا فى الحمر الأهليه فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادى رسول الله ﷺ ان اكفؤا القدور ولا تاكلوا من لحوم الحمر شيئا فقال أناس نهى عنها لأنها لم تخمس وقال اخرون إنما نهى عنها البتة (ق) عن انس ان امراة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فجىء بها إلى محمد ﷺ فسألها عن ذلك فقالت أردت لأقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك أو قال على قالوا اقتلها قال لا فما زلت اعرفها فى لهوات رسول الله ﷺ قال محمد بن اسماعيل قال يونس عن الزهرى قال عروة قالت عائشة كان الرسول ﷺ يقول فى مرضه الذى مات فيه ياعائشة ما ازال اجد الم الطعام الذى اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع ابهرى من ذلك السم (خ) عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الان نشبع من التمر (ق) عن ابن عمر ان عمر اجلى اليهود والنصارى من ارض الحجاز وان رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر اراد اخراج اليهود منها وكانت الأرض لما ظهر عليها لله ولرسوله ﷺ وللمسلمين فاراد إخراج اليهود منها فسالت اليهود رسول الله ﷺ ان يقرهم بها على ان يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال لهم رسول الله ﷺ نقركم بها على ذلك ماشئنا فقروا بها حتى اجلاهم عمر فى امارته إلى تيماء واريحاء قال محمد بن إسحق لما سمع اهل فدك بما صنع رسول الله ﷺ بخيبر بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسالونه ان يحقن دماءهم وان يسيرهم ويخلوا له الأموال ففعل بهم ثم ان اهل خيبر سالوا رسول الله ﷺ ان يعاملهم على النصف ففعل على ان لنا إذا شئنا إخراجكم فصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن رسول الله ﷺ اهدت له زينب بنت الحرث امراة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعنى مشوية وسالت اى عضو من الشاة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيها السم وسممت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ تناول الذراع فاخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور وقد اخذ منها كما اخذ رسول الله ﷺ فاما بشر فاساغها واما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال ان هذا العضو ليخبرنى انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قال بلغت من قومى مالم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحت منه وإن كان نبيا فسيخبر عنها فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ومات بشر بن البراء من اكلته التى اكل قال ودخلت ام بشر البراء على محمد ﷺ تعوده فى مرضه الذى توفى فيه فقال يام بشر مازالت اكلة خيبر التى اكلت بخيبر مع ابنك تعاودنى فهذا اوان انقطاع ابهرى وكان المسلمون يرون ان رسول الله ﷺ مات شهيدا مع ما اكرمه الله من النبوة

الذراع

قوله عز وجل (وأخرى لم تقدروا عليها) أى وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها (قد أحاط الله بها) حتى يفتحها لكم كانه حفظها ومنعاه من غيركم حتى تاخذوها قال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس ومقاتل هى فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى قدروا عليها بالاسلام وقال (١٦٩) الضحاك وابن زيد هى خيبر وعدها

الذراع فاكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ تناول الذراع فاخذها فلاك منها قطعة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فاخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها يعنى ابتلعها وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومى ما لا يخفى عليك فقلت إن كان ملكا استرحنا منه وإن كان نبيا فسيخبر نا فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذى توفى فيه فقال يا ام بشر ما زالت اكلة خيبر التى اكلت مع ابنك تعاودنى فهذا أوان انقطاع ابهرى فكان المسلمون يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع اكرمه الله تعالى به من النبوة عن عبيد الله بن سلمان أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال فلما فتحنا خيبر أخرجوا غنائمهم من المتاع والسبى فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال يا رسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ما ربحه أحد من أهل هذا الوادى قال ويحك وما ربحت قال ما زالت أبيع وابتاع حتى ربحت ثلاثمائة أوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتان بعد الصلاة أخرجه أبو داود * قوله تعالى (وأخرى لم تقدروا عليها) يعنى وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها (قد احاط الله بها) يعنى حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم الله حتى تأخذوها وقال ابن عباس علم الله ان يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هم فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى أقدرهم الله عليها بشرف الاسلام وعزه وقيل هى خيبر وعدها الله نبيه ﷺ قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هو مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون أو يفتحونه إلى آخر الزمان (وكان الله على كل شىء قديرا) أى من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك (ولو قاتلكم الذين كفروا) أى أسد وغطفان وأهل خيبر (لولوا الادبار) اى لانهزموا عنكم (ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) يعنى من تولى الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد (سنة الله التى قد خلت من قبل) يعنى هذه سنة الله فى نصر اوليائه وقهر اعدائه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) * قوله عز وجل (وهو الذى كف أيديهم عنكم وايديكم عنهم) سبب نزول هذه الاية ما روى عن انس بن مالك ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غدر النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سبايا فاستحياهم فانزل الله تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم انفرد باخراجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزنى كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية فى اصل الشجرة التى قال الله فى القران وعلى ظهره غصن من اغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلى بن ابى طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا فى وجوهنا فدعا عليهم نبى الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بأبصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم فى عهد او جعل لكم احدا ما ناقالوا اللهم لا تخلى سبلهم ومعنى الاية إن الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذى كان اعظم من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم يعنى ايدى اهل مكة وايديكم عنهم اى قضى بينهم وبينكم بالمكافة والمحاجزة (ببطن مكة) قيل اراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادى مكة (من بعد ان اظفركم عليهم) اى مكنكم منهم حتى ظفرتم بهم (وكان الله بما تعملون بصيرا)

الله نبيه ﷺ قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة هى مكة وقال عكرمة حنين وقال مجاهد مافتحوا حتى اليوم (وكان الله على كل شىء قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا) يعنى أسد غطفان وأهل خيبر (لولوا الادبار) لانهزموا (ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التى قد خلت من قبل) أى كسنته الله فى نصر أوليائه وقهر أعدائه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) قوله عز وجل (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا) قرأ أبو عمرو بالياء وقرأ الآخرون بالتاء واختلفوا فى هؤلاء. أخبرنا اسمعيل ابن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم ابن الحجاج ثنا عمر بن محمد الناقد ثنا يزيد بن هرون انا حماد بن أبى سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنهم ان ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غدر النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذوا

سبايا فاستحياهم وانزل الله عز وجل هذه الاية وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وقال عبد الله بن مغفل المزنى كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالحديبية فى اصل الشجرة التى قال الله تعالى فى القران على ظهره غصن

من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلى بن ابى طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا فى وجوهنا فدعا عليهم نبى الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأبصارهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم فى عهد أو جعل لكم احدا منا فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل الله عز وجل هذه الاية قوله عز وجل (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) الاية روى الزهرى عن عروه بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة زمن الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه يريدون زيارة البيت لا يريدون قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عشرة نفر فلما (١٧٠) أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعرة وأحرم منها بعمرة وبعث عيناله من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتاه عتبة الخزاعى وقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لله الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال محمد صلى الله عليه وسلم اشيروا على ايها الناس اترون ان اميل على ذرارى هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله او ترون ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو بكر يارسول الله انما خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال احد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفذوا قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فو الله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار محمد صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلات القصوا خلات القصوا وماذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذى نفسى بيده لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها فوثب قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يترضه الناس ترضا فلم يلبث الناس أن نزحوه وشكا الناس إلى محمد صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن محمد صلى الله عليه وسلم فنزل فى البئر فغرزه فى جوفه فو الله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال إنى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى انزلوا على اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نجىء لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤا ماددتهم ويخلوا بينى وبين الناس فان اظهر فان شاؤا ان يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا وإلا فقد جمعوا وإن هم ابوا فو الذى نفسى بيده لاقاتلنهم على امرى هذا حتى تنفرد سالفتى ولينفذن الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا

* قوله عز وجل (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام)

(ذكر صلح الحديبية) وروى الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره واحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتى عتبة الخزاعى وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الأحابيش ووهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبى صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس أترون أن أميل على ذراعى هؤلاء الذين وعدتوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله أو ترون ان نؤم البيت لا نريد قتال أحد ولا حربا فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر يارسول الله إنما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفذوا قال النبى صلى الله عليه وسلم إن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فو الله ما شعر بهم خالد حتى إذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار الرسول صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلات القصوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما خلات القصوا وماذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال الذى نفسى بيده لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها فوثب قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يترضه الناس ترضا فلم يلبث الناس أن نزحوه وشكا الناس إلى محمد صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته فأعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن محمد صلى الله عليه وسلم فنزل فى البئر فغرزه فى جوفه فو الله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح نبى

الله ﷺ من أهل تهامة فقال انى تركت كعب بن لؤى نزلوا على أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبى ﷺ انا لم نجىء لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين البيت وان شاءوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا قد جموا وان هم ابوا فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم عن امرى هذا حتى تنفرد سالفتى هذا أو لينفذن الله امره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا قال إنا جئنا كم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان تعرضه عليكم فعلنا قال فقال سفاؤهم لاحاجة لنا أن تخبره عنه بشىء وقال ذووا الرأى منهم هات ماسمعته يقول سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى ﷺ فقام عروة بن مسعود الثقفى فقال اى قوم الست بالوالد قالوا بلى

قال أولستم بالولد قالوا بلى قال فهل تتهمونى قالوا لا قال الستم تعلمون انى استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم باهلى وولدى ومن اطاعنى قالوا بلى قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى اتيه قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبى ﷺ فقال ﷺ نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اى محمد أرأيت ان استأصلت امر قومك هل سمعت باحد من العرب اجتاح أصله قبلك وان تكن الاخرى فانى والله لاأرى وجوها وانى لأرى اشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا أبو بكر قال أما والذى نفسى بيده لولا يد لك عندى ولم أجزك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبى ﷺ فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبى ﷺ ومعه السيف وعليه المغفرة فكلما أهوى عروة بيده الى لحية النبى ﷺ ضرب بيده بنصل السيف وقال أخر يدك عن لحية النبى ﷺ فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال اى غدر الست اسعى فى غدرتك وكان المغيرة قوم صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبى ﷺ أما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه فى شىء ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبى ﷺ بعينيه قال فوالله ما تنخم النبى ﷺ نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه وقال اى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله ان رأيت ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد والله تنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال من كنانة دعونى آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبى ﷺ وأصحابه قال ﷺ هذا فلان من قوم يعطون البدن فابعثوها له فبعث له واستقبلته الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رأيت البدن قد قلدت واشعر فما أرى ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش فلما راه النبى صلى الله عليه وسلم وقال ان هذا من قوم يتالهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل اليه من

فقال سفاؤهم لاحاجة لنا أن تخبرنا عنه بشىء وقال ذووا الرأى منهم هات ماسمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى ﷺ فقال عروة بن مسعود الثقفى فقال اى قوم الستم بالولد قالوا بلى قال او لست بالوالد قالوا بلى قال فهل تتهمونى قالوا لا قال الستم تعلمون انى استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم باهلى وولدى ومن اطاعنى قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى اتيه فقالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبى ﷺ فقال ﷺ نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك يا محمد أرأيت ان استاصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فانى والله لاأرى وجوها وانى لاأرى أشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضى الله عنه امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا أبو بكر قال أما والذى نفسى بيده لولا يد لك عندى ولم أجزك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبى ﷺ فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبى ﷺ ومعه السيف وعليه المغفرة فكلما أهوى عروة بيده الى لحية النبى ﷺ ضرب بيده بنصل السيف وقال أخر يدك عن لحية النبى ﷺ فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال اى غدر الست اسعى فى غدرتك وكان المغيرة قوم صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم وأخذ اموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبى ﷺ أما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه فى شىء ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبى ﷺ بعينيه قال فوالله ما تنخم النبى ﷺ نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه وقال اى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله ان رأيت ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد والله تنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال من كنانة دعونى آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبى ﷺ وأصحابه قال ﷺ هذا فلان من قوم يعطون البدن فابعثوها له فبعث له واستقبلته الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رأيت البدن قد قلدت واشعر فما أرى ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش فلما راه النبى صلى الله عليه وسلم وقال ان هذا من قوم يتالهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل اليه من

قال وجعل يكلم النبى ﷺ وكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبى ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحية النبى ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية النبى ﷺ فرفع عروة راسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أى غدر الست اسعى فى غدرتك وكان المغيرة صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبى ﷺ أما الاسلام فاقبل وأما المال فلست منه فى شىء ثم ان عروة جعل يرقم أصحاب النبى ﷺ قال فوالله ما تنخم النبى صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له

فرجع عروة الى أصحابه فقال اى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه مايعظم أصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ومايحدون اليه النظرة تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بنى كنانة دعونى اتة فقالوا ائته فلما اشرف على النبى ﷺ وأصحابه قال النبى ﷺ هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له (١٧٢) فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رايت البدن قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما راه النبى ﷺ قال ان هذا من قوم يتالهون فابعثوا بالهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده قد اكل اوباره من طول الحبس رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله ﷺ اعظاما لما رأى فقال يامعشر قريش إنى قد رايت مالا يحل صد الهدى فى قلائده وقد اكل اوباره من طول الحبس عن محله فقالوا له اجلس إنما انت رجل أعرابى لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك. فقال يامعشر قريش والله ماعلى هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ان تصدوا عن بيت الله من جاءه معظما له والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ماجاء له أولا نفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له مه كف عنا ياحليس حتى نأخذ لأنفسنا بما نرضى به فقام رجل منهم يقال مكرز بن حفص فقال دعونى اتة فقال ائته فلما اشرف عليهم قال النبى ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبى ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمر وقال معمر فاخبرنى أيوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبى ﷺ قد سهل لكم من أمركم قال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبى ﷺ على بن ابى طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فهو الله ما أدرى ماهو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله مايكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى ﷺ لعلى اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ماقضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ماصددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبى ﷺ والله انى لرسول الله وإن كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله قال الزهرى وذلك لقوله ﷺ لا يسالونى خطة يعظمون فيها حرمات الله لأعطيتهم إياها فكتب هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يامن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال النبى ﷺ وعلى ان يخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب إنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أن لا ياتيك منا رجلا وان كان على دينك إلا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين من جاء مسلما وروى عن البراء قصة الصلح وفيها قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن انت محمد بن عبد الله قال انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله ثم قال لعلى امح رسول الله قال لا والله لا أمحوك أبدا قال فارنيه فاراه اياه فمحاه النبى ﷺ بيده وفى رواية فاخذ النبى ﷺ والكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة أشياء على ان من اتاه من المشركين رده اليهم ومن اتاه من المسلمين لم يرده وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة ايام ولا يدخلها بجلباب السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن انس ان قريشا صالحوا رسول الله ﷺ فاشترطوا ان من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله انكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا

عرض الوادى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل الى رسول الله ﷺ إعظاما لما رأى فقال يامعشر قريش إنى قد رأيت مالا يحل صد الهدى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فما أنت الا رجل أعرابى لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يامعشر قريش والله ماعلى هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أيصد عن بيت الله من جاء معظما له والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ماجاء له أولا نفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له مه كف عنا ياحليس حتى نأخذ لأنفسنا مانرضى به فقام رجل منهم يقال مكرز بن حفص فقال دعونى اتة فقال ائته فلما اشرف عليهم قال النبى ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبى ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمر وقال معمر فاخبرنى أيوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبى ﷺ قد سهل لكم من أمركم قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هاب اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبى ﷺ على بن ابى طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فهو الله ما أدرى ماهو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله مايكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى ﷺ لعلى اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ماصددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبى ﷺ والله انى لرسول الله وإن كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله قال الزهرى وذلك لقوله ﷺ لا يسالونى خطة يعظمون فيها حرمات الله لأعطيتهم إياها فكتب هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يامن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال النبى ﷺ وعلى ان يخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب إنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أن لا ياتيك منا رجلا وان كان على دينك إلا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين من جاء مسلما وروى عن البراء قصة الصلح وفيها قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن انت محمد بن عبد الله قال انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله ثم قال لعلى امح رسول الله قال لا والله لا أمحوك أبدا قال فارنيه فاراه اياه فمحاه النبى ﷺ بيده وفى رواية فاخذ النبى ﷺ والكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة أشياء على ان من اتاه من المشركين رده اليهم ومن اتاه من المسلمين لم يرده وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة ايام ولا يدخلها بجلباب السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن انس ان قريشا صالحوا رسول الله ﷺ فاشترطوا ان من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله انكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا

بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدرى لكن ماهو واكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى ﷺ لعلى اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ماقضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ماصددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبدالله فقال النبى ﷺ والله إنى لرسول الله وإن كذبتمونى اكتب ياعلى محمد بن عبدالله قال الزهرى وذلك لقوله لا يسالون خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها فكتب هذا ماقضى عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبى ﷺ وعلى ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب إنا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا ياتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته الينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما وروى ابو إسحق عن البراء قصة الصلح وفيه قالوا لو نعلم إنك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن انت محمد بن عبدالله قال انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله ثم قال لعلى رضى الله عنه امح رسول الله قال على لا والله لا امحوك ابدا قال فارنيه فاراه إياها فمحاه النبى ﷺ بيده وفى رواية فاخذ النبى ﷺ الكتاب وليس يحسن ان يكتب فكتب هذا ماقضى محمد بن عبد الله قال البراء صالح على ثلاثة أشياء على أن من أتاه من المشركين رده اليهم ومن اتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى ان يدخلها من قابل ويقيم بها ثلاثة أيام ولا يدخلها إلا بجلباب السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن انس ان قريشا صالحوا النبى ﷺ فاشترطوا ان من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يارسول الله أنكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل له فرجا ومخرجا رجعنا إلى حديث الزهرى قال فبينا هم كذلك إذ جاء ابو جندل بن سهيل ابن عمرو يرسف فى قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يامحمد اول ما أقاضيك عليه ان ترده إلى فقال النبى ﷺ إنا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله إذا لا أصالحك على شىء أبدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجره لى فقال ما أنا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده إلى قريش فقال ابو جندل اى معشر المسلمين ارد إلى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما لقيت وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا وفى الحديث ان النبى ﷺ قال يا ابا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك فى المستضعفين فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وإنا لا نغدر فوثب عمر إلى جنب ابى جندل وجعل يقول اصبر يا ابا جندل فانما هم المشركون ودم احدهم دم كلب ويدنى السيف منه قال عمر ورجوت ان ياخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بابيه وقد كان اصحاب النبى ﷺ خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح لرؤيا راها النبى ﷺ فلما رأوا ذلك دخل الناس امر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم امر ابى جندل شرا إلى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ اسلمت إلا يومئذ قال الزهرى فى حديثه عن مروان والمسور وراه ابو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فاتيت النبى ﷺ فقلت الست نبى الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت اليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى فلت فلم نعطى الدنية فى ديننا إذا قال إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت او لست كنت تحدثنا انا سناتى البيت فنطوف به قال بلى افاخبرتك انك تاتيه العام قلت لا قال فانك اتيته وتطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبى الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا قال ايها الرجل انه رسول الله ﷺ وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق قلت اليس كان يحدثنا انه سيأتى البيت ويطوف به قال بلى افاخبرك انه اتيه العام قلت لا قال فانك تاتيه وتطوف به قال عمر فعملت لذلك اعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال النبى ﷺ لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم احد منهم قام النبى ﷺ فدخل على ام سلمة فذكر لها ما لقى من الناس قالت ام سلمة يا نبى الله اتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم منهم احدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه ودعا حالقا فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر اخرون فقال النبى ﷺ يرحم الله المحلقين

﴿ رجعنا إلى حديث الزهرى ﴾ قال بينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده قد انفلت وخرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يامحمد اول من اقاضيك عليه ان ترده إلى فقال النبى ﷺ إنا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله إذا لا اصالحك على شىء ابدا قال النبى ﷺ فاجره لى قال ما انا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده إلى قريش فقال ابو جندل اى معشر المسلمين ارد إلى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما لقيت وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا وفى الحديث ان النبى ﷺ قال يا ابا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك فى المستضعفين فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وإنا لا نغدر فوثب عمر إلى جنب ابى جندل وجعل يقول اصبر يا ابا جندل فانما هم المشركون ودم احدهم دم كلب ويدنى السيف منه قال عمر ورجوت ان ياخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بابيه وقد كان اصحاب النبى ﷺ خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح لرؤيا راها النبى ﷺ فلما رأوا ذلك دخل الناس امر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم امر ابى جندل شرا إلى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ اسلمت إلا يومئذ قال الزهرى فى حديثه عن مروان والمسور وراه ابو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فاتيت النبى ﷺ فقلت الست نبى الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت اليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى فلت فلم نعطى الدنية فى ديننا إذا قال إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت او لست كنت تحدثنا انا سناتى البيت فنطوف به قال بلى افاخبرتك انك تاتيه العام قلت لا قال فانك اتيته وتطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبى الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا قال ايها الرجل انه رسول الله ﷺ وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق قلت اليس كان يحدثنا انه سيأتى البيت ويطوف به قال بلى افاخبرك انه اتيه العام قلت لا قال فانك تاتيه وتطوف به قال عمر فعملت لذلك اعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال النبى ﷺ لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم احد منهم قام النبى ﷺ فدخل على ام سلمة فذكر لها ما لقى من الناس قالت ام سلمة يا نبى الله اتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم منهم احدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه ودعا حالقا فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر اخرون فقال النبى ﷺ يرحم الله المحلقين

ثم جعل سهل يحمره ليرده إلى قريش قال أبو جندل أى معشر المسلمين أراد المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ماقد لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا فى الله وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال يا أبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر فوثب عمر يمشى إلى جنب أبى جندل فقال اصبر فانما هم المشركون ودم احدهم كدم كلب ويدنى قائم السيف منه قال عمر رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به إياه فضن الرجل بأبيه وقد كان اصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم أمر ابى جندل شرا إلى ما بهم قال عمر والله ماشككت منذ أسلمت إلا يومئذ قال الزهرى فى حديثه عن عروة عن مروان والمسور ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فاتيت النبى ﷺ فقلت ألست نبى الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت اليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا إذن قال إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت أو ليس كنت تحدثنا اناسنأتى البيت فنطوف به قال بلى افاخبرتك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا أبا بكر اليس هذا نبى الله حقا قال بلى السنا على حق وعدونا على الباطل قال بلى قلت اليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا إذن قال ايها الرجل انه رسول الله ليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق قلت اليس فى كان يحدثنا اناسنأتى البيت فنطوف به قال بلى افاخبرك انك تأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه وتطوف به قال الزهرى قال عمر فعملت لذلك أعمالا قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال النبى ﷺ لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ماقام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم احد قام فدخل على ام سلمة فذكر لها ما لقى من الناس فقالت ام سلمة يا نبى الله اتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم احدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما أروا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم أن يقتل بعضا غما وحزنا قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال النبى ﷺ يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال يرحم الله المحلقين

قالوا يا رسول الله والمقصرين قالوا يرحم المحلقين قال يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين والمقصرين قالوا يا رسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس واهدى رسول الله ﷺ عام الحديبية فى هداياه جملا لأبى جهل فى رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال الزهرى فى حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر امرأتين يومئذ كانتا فى الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن ابى سفيان والأخرى صفوان بن أمية قال فنهاهم ان يردوا النساء وامرهم ان يردوا الصداق قال ثم رجع النبى ﷺ إلى إلى المدينة فجاءه ابو بصير عتبة بن اسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه ازهر بن عبد عوف والاخنس بن شريق الثقفى إلى رسول الله ﷺ وبعثا فى طلبه رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله ﷺ وقالا العهد الذى جعلت لنا فقال رسول الله ﷺ يا ابا بصير إنا قد اعطينا هؤلاء القوم ماقد علمت ولا يصلح فى ديننا الغدر وان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة نزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله إنى لأرى سيفك هذا جيدا فاستله الاخر فقال اجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال ابو بصير ارنى انظر اليه فاخذه منه فضربه حتى برد وفر الاخر حتى اتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ حين راه لقد راى هذا ذعرا فلما انتهى رسول الله ﷺ قال ويلك مالك قال قتل والله صاحبى وإنى لمقتول فوالله مابرح حتى طلع ابو بصير متوشح السيف حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال يا نبى الله اوفى الله ذمتك قد رددتنى اليهم فانجانى الله تعالى منهم فقال النبى ﷺ ويل امه مسعر حرب لو كان معه احد فلما سمع ذلك عرف انه يرده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر ويلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لابى بصير ويل لامه مسعر حرب لو كان معه احد فخرج عصابة منهم اليه فانفلت ابو جندل فلحق بابى بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوالله مايسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبى ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسلت اليهم فمن اتاه فهو امن فارسل اليهم النبى ﷺ فقدموا اليه المدينة وانزل الله عز وجل وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه نبى الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين هذا البيت اخرجه البخارى بطوله سوى الفاظ منه وهى مستثناة

قالوا يارسول الله والمقصرين قال والمقصرين قالوا يارسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحقين دون المقصرين قال لأنهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك أنه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس وأهدى رسول الله ﷺ عام الحديبية فى هداياه جملا لأبى جهل فى رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك وقال الزهرى فى حديثه ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر رضى الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك فتزوج أحدهما معاوية بن أبى سفيان والأخرى صفوان بن أمية قال فنهاهم أن يردوا النساء وأمر برد الصداق قال ثم رجع النبى ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير عتبة ابن أسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف (١٧٥) والاخنس بن شريق الثقفى إلى رسول

فى الحديث منها قوله فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه الى قوله فوالله مازال يجيش لهم بالرى ومنها قوله ثم بعثوا الحليس بن علقمة الى قوله فقالوا اكفف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا بما نرضى به ومنها قوله هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الى قوله وعلى أن يخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروى عن البراء قصة الصلح بين قوله رجعنا الى حديث الزهرى ومنها قوله وفى الحديث ان رسول الله ﷺ قال يا أباجندل الى قوله قال عمر فاتيت الرسول صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبى الله حقا ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الى قوله وقال الزهرى فى حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فهذه الألفاظ لم يخرجها البخارى فى صحيحه ﴿شرح غريب الفاظ الحديث﴾ قوله بضع عشرة البضع فى العدد بالكسر وقد يفتح هو ما بين الثلاثة الى التسعة وقيل ما بين الواحد الى العشرة قوله وبعث عينا له اى جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الأحابيش هم احياء من القارة انضموا الى بنى ليث فى محاربتهم قريشا وقيل هم حلفاء قريش وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحرث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبش فسموا بذلك وقيل هو اسم واد باسفل مكة وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبيش التجمع قوله فان قعدوا قعدوا موتورين اى منقوصين قوته فنفذوا اى مضوا وتخلصوا قوله ان خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع ومنه كراع الغميم وقوله طليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين يدى الجيش ليطلعوا على اخبار العدو قوله وقترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد قوله يركض نذير النذير الذى يعلم القوم بالأمر الحادث قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خلأت القصوى يعنى بانها لما توقفت عن المشى وتقهقرت ظنوا ذلك خلأ فى خلقها وهو كالحران للفرس فقال محمد ﷺ ما خلأت اى ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل اى منعها عن المسير والذى منع الفيل عن مكة هو الله تعالى والقصوا اسم ناقة محمد ﷺ ولم تكن قصوا وهو شق الاذن هو له خطة اى حالة وقضية يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهى فروضه وما يجب القيام به يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل باقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهى قرية ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل وقال مالك هى من الحرم وقال بن القصار بعضها من الحل حكاه فى المطالع والثمد الماء القليل الذى لا مادة له والتربض اخذ الشىء قليلا قليلا وقوله فما زال يجيش بالرى يقال جاشت البئر بالماء اذا ارتفت وفاضت والرى ضد العطش والصدر الرجوع بعد الورود وقوله وكانت خزاعة عينة فصح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان عيبة فصح فلان اذا كان موضع سره وثقته فى ذلك قوله نزلوا على اعداد مياه الحديبية الماء العد الكثير الذى

صلى الله عليه وسلم وبعثا فى طلبه رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذى جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصح فى ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لاحد الرجلين والله انى لأرى سيفك هذا يا فلان جيد فاستله الاخر من غمده فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال أبو بصير وأرنى أنظر اليه فاخذوه وعلا به نضربه حتى برد وفر الاخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى

هذا ذعرا فلما انتهى إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال ويلك مالك قال قتل والله صاحبى وانى لمقتول فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتنى اليهم ثم أنجانى الله منهم فقال النبى ﷺ ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر ويلغ المسلمين الذين احتبسوا بمكة قول النبى ﷺ لأبى بصير ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فخرج عصابة منهم اليه وانفلت أبو جندل بن سهيل فلحق بأبى بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبى صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن

فارسل اليهم محمد ﷺ فقد موا عليه بالمدينة فانزل الله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا (١٧٦) حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم أنهم لم يقروا انه نبى الله صلى الله عليه وسلم ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين البيت قال الله تعالى هم الذين كفروا يعنى كفار مكة وصدوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به والهدى اى وصدوا الهدى وهى البدن التى ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة (معكوفا) محبوسا يقال عكفته عكفا إذا حبسته وعكوفا لازم كما يقال رجع رجعا ورجوعا (ان يبلغ محله) منحره وحيث يحل نحره يعنى الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) يعنى المستضعفين بمكة (لم تعلموهم) لم تعرفوهم (أن تطاوهم) بالقتال وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرة بغير علم) قال ابن زيد معرة اثم وقال ابن اسحق غرم الدية وقيل الكفارة لأن الله اوجب على قاتل المؤمن فى دار الحرب إذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية فقال فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وقيل هو ان المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم والمعرة والمشقة يقول لولا أن تطوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات

لانقطاع له كالعيون وجمعه اعداد قوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ جمع عائذ وهى الناقة إذا وضعت إلى ان يقوى ولدها وقيل هى كل انثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل وهى الناقة معها فصيلها وهذه استعارة استعار ذلك للناس وأراد بهم ان معهم النساء والصبيان قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب اى اضرت بهم واثرت فيهم وقوله مادتهم اى جعلت بينى وبينهم مدة قوله وإلا فقد جمعوا اى استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب قوله تنفرد سالفتى السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو ما بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لانها لا تنفرد عنه إلا بالموت قوله انى استنفرت بقال استنفر القوم إذا دعاهم إلى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت فى الجاهلية معروفة وقوله بلحوا على فيه لغتان التخفيف والتشديد واصل التبليح الاعياء والفتور والمراد امتناعهم من إجابته وتقاعدهم عنه قوله استأصلت قومك واجتاح اصله من الاجتياح إيقاع المكروه بالانسان ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح متقاربان فى مبالغة الأذى قوله انى لأرى وجودها واشوابا الاشواب مثل الأوباش وهم الأخلاط من الناس والرعاع يقال فلان خليق بذلك أى جدير لا يبعد ذلك من خلقه قوله امصص بظر اللات وهى اسم صنم كانوا يعبدونه لهم والبظر ما تقطعه الخافضة وهى الخاتنة من الهنة التى تكون فى فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتائمهم يدور فى السنتهم قوله لولا يدلك عندى اليد النعمة وما يمتن به الانسان على غيره قوله اى غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة وقوله قد عرض عليكم خطة رشد يقال خطة رشد وخطة غى والرشد والرشاد خلاف الغى والمراد منه انه قد طلب منكم طريقا واضحا فى هدى واستقامة قوله وهو من قوم يعظمون البدن اى الابل تهدى إلى البدن فى حج أو عمرة وتقليدها هو أن يجعل فى رقابها شىء كالقلادة من لحاء الشجر أو نعل أو غيره ليعلم بذلك انه هدى والاشعار هو ان يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه وقوله لما رأى الهدى يسيل عليه اى يقبل عليه كالسيل من عرض الوادى اى جانبه وقوله هذا مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث فى شر فهو فجور قوله هذا ما قاضى عليه اى فاعل من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو فى اللغة على وجوه موجعها إلى انقضاء الشىء واتمامه قوله ضغطة هو كناية عن القهر والضيق قوله بجلباب السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء ويروى بضم اللام أيضا مع التشديد وهو وعاء من ادم شبه الجراب يوضع فيه السيف مغمودا ويعلق فى مؤخرة الرحل قوله يرسف بضم السين وكسرها لغتان وهو مشى المقيد قوله فاجره لى قال ابن الأثير يجوز ان يكون بالزاى من الاجازة اى اجعله جائزا غير ممنوع ولا محرم أو أطلقه لى وإن كان بالراء المهملة فهو من الاجارة والحماية والحفظ وكلاهما صالح فى هذا الموضوع قوله فلم نعط الدنية اى القضية التى نرضى بها اى لم نرض بالأدون والاقل فى ديننا قوله فاستمسك بغرزه الغرز لكور الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى فاستمسك به ولا تفارقه ساعة كما لا تفارق رجل الراكب غرز رحله فانه على الحق الذى لا يجوز لاحد تركه قوله ويل أمه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكزه ويتعجب بها ايضا وهو سعر الحرب اى موقدها يقال سعرت النار واسعرتها إذا اوقدتها والمسعر الخشب الذى توقد به النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله اعلم واما تفسير الاية فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعنى كفار مكة وصدوكم اى منعوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به (والهدى) اى وصدوا الهدى وهو البدن التى ساقها رسول الله ﷺ وكانت سبعين بدنة (معكوفا) اى محبوسا (ان يبلغ محله) اى منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) يعنى المستضعفين بمكة (لم تعلموهم) اى لم تعرفوهم (ان تطأوهم) اى بالقتل وتواقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرة بغير علم) أى إثم وقيل غرم الدية وقيل كفارة قتل الخطأ لأن الله اوجب

على

لم تعلموهم فيلزمكم بهم كفارة أو يلحقكم سبة وجواب لولا محذوف تقديره لأذن لكم فى دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك

(ليدخل الله فى رحمته من يشاء) فاللام فى ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام يعنى حال بينكم وبين ذلك ليدخل الله فى رحمته فى دين الاسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها (لو تزيلوا) لو تميزوا يعنى المؤمنين من الكفار (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) بالسبى والقتل بأيديكم وقال اهل العلم لعذبنا جواب لكلامين أحدهما لولا رجال والثانى لو تزيلوا ثم قال ليدخل الله فى رحمته من يشاء يعنى المؤمنات وقوله فى رحمته أى جنته وقال قتادة فى هذه الاية إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع

على قاتل المؤمن فى دار الحرب إذا لم يعلم إيمانه الكفارة دون الدية وقيل هو ان المشركين يعتبونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم والمعرة والمشقة يقول لولا أن تطأوا رجالا ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم به كفارة أو سيئة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم فى دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك لهذا السبب (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) اى فى دين الاسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح وقيل دخولها (لو تزيلوا) أى لو تميزوا المؤمنين من الكفار (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أى بالسبى والقتل بأيديكم وقيل لعذبنا جواب لكلامين احدهما لولا رجال والثانى لو تزيلوا ثم قال ليدخل الله فى رحمته من يشاء يعنى المؤمنين والمؤمنات فى رحمته اى فى جنته قال قتادة فى الاية ان الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركى مكة * قوله تعالى (إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية) اى الأنفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت ومنعوا الهدى محلة ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وأنكروا أن يكون محمد رسول الله وقيل قال أهل مكة قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلوا علينا فتحدث العرب انهم دخلوا علينا رغما منا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت هذه (حمية الجاهلية) التى دخلت قلوبهم (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) اى حتى لا يدخلهم ما دخلهم فى الحمية فيعصون الله فى قتالهم (وألزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس كلمة التقوى لا إله إلا الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال على وابن عمر كلمة التقوى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وقال عطاء الخراسانى هى لا إله إلا الله محمد رسول الله وقال الزهرى هى بسم الله الرحمن الرحيم (وكانوا أحق بها) اى كفار مكة (واهلها) اى كانوا أهلها فى علم الله لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه ﷺ اهل الخير والصلاح (وكان الله بكل شىء عليما) يعنى من امر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وامر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير * قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) سبب نزول هذه الاية ان رسول الله ﷺ راى فى المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج إلى الحديبية انه يدخل المسجد الحرام هو واصحابه آمنين ويحلقوا رؤوسهم فأخبر بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم دخلوا مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون أين رؤياه التى رآها فأنزل الله هذه الاية ودخلوا فى العام المقبل وروى عن مجمع بن حارثة الأنصارى قالوا شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ فلما انصرفنا عنها إذ الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قال اوحى الى النبى ﷺ قال. فخرجنا نزحف فوجدنا النبى ﷺ واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ إنا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر أهو فتح يا رسول الله قال نعم والذى نفسى بيده ففيه دليل على ان المراد من الفتح هو صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا كان فى العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق اخبر ان الرؤيا التى اراه إياها فى مخرجه إلى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد حق وصدق بالحق الذى رآه حق وصدق وقيل يجوز ان يكون بالحق قسما لأن الحق من اسماء الله تعالى اوقسما بالحق الذى هو ضد

بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركى مكة (إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية) حين صدوا رسول الله ﷺ واصحابه عن البيت ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وأنكروا محمدا رسول الله ﷺ والحمية الأنفة يقال فلان ذو حمية إذا كان ذا غضب وأنفة قال مقاتل قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا فتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه (حمية الجاهلية) التى دخلت قلوبهم (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله فى قتالهم (والزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة والسدى وابن زيد وا كثر المفسرين كلمة التقوى لا إله إلا الله وروى عن ابى بن كعب

مرفوعا وقال على وابن عمر كلمة التقوى لا إله إلا الله والله اكبر وقال عطاء بن ابى رباح هى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وقال عطاء الخراسانى هى لا إله إلا الله محمد رسول الله وقال الزهرى هى بسم الله الرحمن الرحيم (وكانوا احق بها) من كفار مكة (وأهلها) اى وكانوا اهلها فى علم الله لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه اهل الخير (وكان الله بكل شىء عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق

لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) وذلك ان النبي ﷺ رأى في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو واصحابه المسجد الحرام آمنين ويحلقون رؤوسهم ويقصرون فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا وحبوا انهم دخلوا مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك فأنزل الله هذه الاية وروى عن مجمع بن حارثة الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباعر فقال بعضهم ما بال الناس فقالوا أوحي إلى رسول الله ﷺ قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبي ﷺ واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع اليه الناس قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر أوفتح هو يا رسول الله فال نعم والذي نفسي بيده ففيه دليل على ان المراد بالفتح صلح الحديبية وتحقق الرؤيا كان في العام المقبل فقال جل ذكره لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أخبر ان الرؤية التي

أراها إياه في مخرجه إلى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد الحرام صدق وحق قوله لتدخلن يعني وقال لتدخلن وقال ابن كيسان لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حكاية عن رؤياه فاخبر الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك وإنما استثنى مع علمه بدخولها باخبار الله تعالى تأدبا بآداب الله حيث قال له ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله وقال ابو عبيدة ان بمعنى إذ مجازه إذ شاء الله كقوله ان كنتم مؤمنين وقال الحسين ابن الفضل يجوز ان يكون الاستثناء من الدخول لأن بين الرؤيا وتصديقها سنة ومات في تلك السنة ناس فجاز الاية تدخلن المسجد الحرام كلكم إن شاء الله وقيل الاستثناء واقع على الامر لا على الدخول لأن الدخول لم يكن فيه شك كقول النبي ﷺ عند دخول المقبرة وإنا إن شاء الله بكم لاحقون فالاستثناء راجع إلى اللحوق بأهل لا إله إلا الله لا إلى الموت (محلقين رءوسكم كلها (ومقصرين) يأخذ بعض شعورها (لا تخافون فعلم مالم تعلموا) ان الصلاح كان في الصلح وتاخير الدخول وهو قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الاية (فجعل من دون ذلك) اي من قبل دخولكم المسجد الحرام (فتحا قريبا) وهو صلح الحديبية عند الاكثرين وقيل فتح خيبر (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) على انك نبي صادق صالح فيما تخبر (محمد رسول الله) تم الكلام ههنا قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم قال مبتدئا (والذين معه) قالوا فيه واو الاستئناف أي والذين معه من المؤمنين (اشداء على الكفار) غلاظ عليهم كالأسد على فريسته لا تاخذهم فيهم رأفة (رحماء بينهم) متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد فال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون فضلا من الله) اي الجنة (ورضوانا) اي ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان الخلاص

بعمله

الباطل وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وقيل لتدخلن من قول رسول الله ﷺ لأصحابه حكاية عن رؤياه فأخبر الله عز وجل ان النبي ﷺ أنه قال ذلك (إن شاء الله آمنين) قيل إنما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده الادب وتأكيدا لقوله ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وقيل ان بمعنى إذ مجازه إذ شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول في عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويأبون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام لا بقوتكم وإرادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء واقع على الامن لا على الدخول لأن الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله ﷺ وإنا إن شاء الله بكم لاحقون مع انه لا يشك في الموت (محلقين رؤسكم) اي كلها (ومقصرين) اي تاخذون بعض شعوركم (لا تخافون) اي من عدو في رجوعكم لأن قوله آمنين في حال الاحرام لأنه لا قتال فيه وقوله لا تخافون يرجع إلى كمال الامن بعد الاحرام في حال الرجوع (نعلم مالم تعلموا) يعني علم ان الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول وكان ذلك سببا لوطء المؤمنين والمؤمنات وقيل علم ان دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا انتم فظننتم انه في السنة الأولى (فجعل من دون ذلك) اي من قبل دخولكم الحرم (فتحا قريبا) يعني صلح الحديبية قال الاكثرون وقيل هو فتح خيبر قوله عز وجل (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق) هذا البيان صدق الرؤيا وذلك ان الله تعالى لا يري رسوله ﷺ ما لا يكون فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون سببا للضلال فحقق الله امر الرؤيا بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وبقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى (ليظهره على الدين كله) اي يعلمه ويقويه على الاديان كلها فتصير الأديان كلها دونه (وكفى بالله شهيدا) أي في انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المؤمنين وذلك أنهم تأذوا من قول الكفار لو نعلم أنه رسول الله ما صددناه عن البيت فقال الله تعالى وكفى بالله شهيدا أي في أنه رسول الله ثم قال تعالى (محمد رسول الله) اي هو محمد رسول الله الذي سبق ذكره في قوله أرسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدأ فقال (والذين معه) يعني أصحابه المؤمنين (أشداء على الكفار) أي غلاظ أقوياء كالأسد على فريسته لا تأخذهم فيهم رأفة (رحماء بينهم) أي متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كما قال في حقهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون) اي يطلبون (فضلا من الله) يعني الجنة (ورضوانا) اي إن يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان الخلاص

(سيماهم) أى علامتهم (فى وجوههم من أثر السجود) اختلفوا فى هذا السيما فقال قوم هو نور وبياض فى وجوههم يوم القيامة يعرفون به أنهم سجدوا فى الدنيا وهو رواية عطية العوفى عن ابن عباس قال عطاء بن أبى رباح والربيع بن أنس استنارت وجوههم من كثرة ما صلوا وقال شهر بن حوشب تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقال آخرون هو السمت الحسن والخشوع والتواضع وهو رواية الوالبى عن ابن عباس قال ليس بالذى ترون لكنه سيم الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه وهو قول مجاهد والمعنى أن السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن الذى يعرفون به وقال الضحاك هو صفرة الوجه من السهر وقال الحسن إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى قال عكرمة وسعيد بن جبير هو أثر التراب على الجباه قال أبو العالية لأنهم يسجدون على التراب لا على الاثواب وقال عطاء الخراسانى دخل فى هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس (ذلك) الذى ذكر (مثلهم) (١٧٩) صفتهم (فى التوراة) ههنا تم الكلام ثم ذكر نعتهم فى الانجيل فقال (ومثلهم) صفتهم (فى الانجيل كزرع أخرج شطاه) قرأ ابن كثير وابن عامر شطأه بفتح الطاء وقرأ الاخرون بسكونها وهما لغتان كالنهر والنهر وأراد فراخه يقال اشطأ الزرع فهو مشطىء إذا فرخ قال مقاتل هو نبت واحد فاذا خرج ما بعد فهو شطؤه وقال السدى هو أن يخرج معه الطاقة الاخرى قوله (فآزره) قرأ ابن عامر فازره بالقصر والباقون بالمد أى قواه واعانه وشد أزره (فاستغلظ) ذلك الزرع (فاستوى) أى تم وتلاحق نباته وقام (على سوقه) أصوله (يعجب الزراع) أعجب ذلك زراعه هذا مثل ضربه الله عز وجل لأصحاب محمد ﷺ فى الانجيل أنهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل أصحاب محمد ﷺ مكتوب فى الانجيل أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد ﷺ والشطء أصحابه والمؤمنون وقيل الزرع هو محمد ﷺ اخرج شطأه أبو بكر فازره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه على بن أبى طالب يعجب الزراع يعنى جميع المؤمنين (ليغيظ بهم الكفار) قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعد ما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن أنس من أصبح وفى قلبه على أصحاب رسول الله ﷺ فقد اصابته هذه الآية

﴿ فصل فى فضل اصحاب النبى ﷺ ﴾ (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله ﷺ بعمله لله بطلب أجره من الله تعالى والمرائى بعمله لا يبتغى له أجرا وذكر بعضهم فى قوله والذين معه يعنى أبا بكر الصديق اشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا على ابن أبى طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة (سيماهم) أى علامتهم (فى وجوههم من أثر السجود) واختلفوا فى هذه السيما على قولين أحدهما أن المراد فى يوم القيامة قيل هى نور وبياض فى وجوههم يعرفون به يوم القيامة أنهم سجدوا لله فى الدنيا وهى رواية عن ابن عباس وقيل تكون مواضع السجود فى وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثانى ان ذلك فى الدنيا وذلك أنهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذى ترون ولكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل ويعرف ذلك فى رجلين أحدهما سهر الليل فى الصلاة والعبادة والآخر فى اللهو واللعب فاذا أصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر فى وجه المصلى نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وقيل هو أثر التراب على الجباه لأنهم كانوا يصلون على التراب لا على الاثواب قال عطاء الخراسانى دخل فى هذه الاية كل من حافظ على الصلوات الخمس (ذلك مثلهم فى التوراة) يعنى ذلك الذى ذكر صفتهم فى التوراة وتم الكلام ههنا ثم ابتدا بذكر نعتهم وصفتهم فى الانجيل فقال تعالى (ومثلهم) أى صفتهم (فى الانجيل كزرع اخرج شطأه) أى افراخه قيل فراخه قيل هو نبت فاخرج بعده فهو شطؤه (فآزره) أى قواه واعانه وشد أزره (فاستغلظ) أى ذلك الزرع وقوى (فاستوى) أى تم وتلاحق نباته وقام (على سوقه) جمع ساق اى على أصوله (يعجب الزراع) أى يعجب ذلك الزرع زراعه وهو مثل ضربه الله عز وجل لأصحاب محمد ﷺ مكتوب فى الانجيل أنهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل أصحاب محمد ﷺ مكتوب فى الانجيل أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قيل الزرع محمد ﷺ والشطء اصحابه والمؤمنون وقيل الزرع هو محمد ﷺ اخرج شطأه أبو بكر فازره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه على بن أبى طالب يعجب الزراع يعنى جميع المؤمنين (ليغيظ بهم الكفار) قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعد ما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن أنس من أصبح وفى قلبه على أصحاب رسول الله ﷺ فقد اصابته هذه الآية

﴿ فصل فى فضل اصحاب النبى ﷺ ﴾ (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله ﷺ يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل أصحاب النبى ﷺ فى الانجيل مكتوب أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد والشطء اصحابه والمؤمنون وروى عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال محمد رسول الله والذين معه أبو بكر الصديق رضى الله عنه أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رضى الله عنه رحماء بينهم عثمان بن عفان رضى الله عنه تراهم ركعا سجدا على بن أبى طالب رضى الله عنه يبتغون فضلا من الله بقية العشرة المبشرين بالجنة وقيل كمثل زرع محمد اخرج شطأه أبو بكر فازره عمر فاستغلظ عثمان للاسلام فاستوى على سوقه على بن أبى طالب استقام الاسلام بسيفه يعجب الزراع قال هم المؤمنون (ليغيظ بهم الكفار) قول عمر لاهل مكة بعد ما أسلم لا تعبدوا الله سرا بعد اليوم حدثنا أبو حامد احمد بن محمد الشجاعى السرخسى املاء أنا أبو بكر عبد الله بن أحمد القفال ثنا أبو أحمد عبد الله بن محمد الفضل السمرقندى ثنا شيخى أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخى ثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف أن النبى

ﷺ قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلى فى الجنة وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة حدثنا أبو المظفر محمد بن احمد النعيمى أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن قاسم ثنا خيثمة ابن سليمان بن حيدرة الاطرابلسى حدثنا احمد بن هاشم الانطاكى ثنا قطبه بن العلاء ثنا سفيان الثورى عن خالد الخزاعى عن ابى قلابة عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال ارحم أمتى بامتى أبو بكر وأشدهم فى أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرأهم أبى بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ورواه معمر عن قتادة مرسلا وفيه واقضاهم على أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا معلى بن أسد ثنا عبد العزيز المختار قال خالد بن الحذاء ثنا عن أبى عثمان قال حدثنى عمرو بن العاص ان النبى ﷺ

بعثه على جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت اى الناس احب اليك قال عائشة فقلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالا فسكت مخافة ان يجعلنى فى آخرهم اخبرنا ابو منصور عبد الملك وابو الفتح نصر بن الحسين انا على بن احمد بن منصور بن محمد بن الحسين بن شاذويه الطومى بها قال ثنا ابو الحسن محمد بن احمد بن كيسان النحوى ثنا ابو اسحق ابراهيم ابن شريك الاسدى ثنا يحيى ابن سلمة بن كهل ثنا ابى عن ابيه عن سلمة عن ابى الزعراء عن ابن مسعود عن النبى ﷺ انه قال اقتدوا بالذين من بعدى من اصحابى ابى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وتمسكوا بعهد ابن ام عبد اخبرنا احمد ابن عبد الله الصالحى انا ابو الحسين على بن محمد بن بشران انا اسمعيل بن محمد الصفار ثنا احمد بن منصور الرمادى ثنا عبد الرزاق انا معمر عن ابى حازم عن سهل بن سعد ان احدا ارتج عليه محمد ﷺ وابو بكر وعثمان احدهم فقال محمد ﷺ اثبت احد ما عليك إلا نبى او صديق او شهيد اخبرنا ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودى انا ابو الحسن احمد ابن محمد بن موسى بن الصلت ثنا ابو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى ثنا ابو سعيد الاشج انا وكيع ثنا الأعمش عن عدى بن ثابت عن زر بن حبيش عن على قال عهد إلى الرسول ﷺ انه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق اخبرنا ابو المظفر التيمى انا عبد الرحمن بن عثمان انا خيثمة بن سليمان ثنا محمد بن الفضل بن عطية عن عبد الله بن بريدة عن ابيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مات من اصحابى كان نورهم وقائدهم يوم القيامة قوله عزوجل ليغيظ بهم الكفار

قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سأل رجل النبى ﷺ أى الناس خير قال القرن الذى انا فيه ثم الثانى ثم الثالث قوله خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم يعنى الصحابة ثم التابعين وتابعيهم والقرن كل أهل زمان قيل هو أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله ﷺ قال أبو بكر فى الجنة وعمر بن الخطاب فى الجنة وعثمان بن عفان فى الجنة وعلى بن أبى طالب فى الجنه وطلحة بن الزبير وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة أخرجه الترمذى وأخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا أصح من الحديث الأول عن أنس بن مالك قال قال النبى ﷺ ارحم امتى بامتى أبو بكر وأشدهم فى أمرهم فى أمر الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم على وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبى بن كعب ولكل قوم أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وما أظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء أصدق لهجة من ابى ذر أشبه عيسى فى روعه قال عمر فتعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم أخرجه الترمذى مفرقا فى موضعين احدهما إلى قوله ابو عبيدة ابن الجراح والاخر إلى ابى ذر (خ) عن أنس ان النبى ﷺ صعد احدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال أثبت أحد أراه وضربه برجله فانما عليك نبى وصديق وشهيد عن ابن مسعود عن النبى ﷺ انه قال اقتدوا بالذين بعدى من أصحابى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عثمان وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (ق) عن عمرو بن العاص ان النبى ﷺ بعثه فى جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت اى الناس احب إليك قال عائشة فقلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا عن على بن أبى طالب قال قال النبى ﷺ رحم الله ابا بكر زوجنى ابنته وحملنى إلى دار الهجرة وصحبنى فى الغار واعتق بلال من ماله رحم الله عمر ليقولن الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق رحم الله عثمان تستحى الملائكة رحم الله عليا اللهم ادر الحق معه حيث دار وأخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول والذى فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبى الأمى إلى انه لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال النبى ﷺ ما من احد يموت من أصحابى بأرض إلا بعثه الله قائدا ونورا لهم يوم القيامة أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقد روى عن ابى بريدة مرسلا وهو أصح (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابى فوالذى نفسى بيده لو ان احدكم أنفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد

أي انما كثرهم وقواهم ليكونوا غيظا للكافرين قال مالك بن انس من أصبح وفي قلبه غيظ على اصحاب رسول الله ﷺ فقد اصابته هذه الاية انا ابو الطيب طاهر بن محمد بن العلاء البغوي ثنا ابو معمر بن الفضل بن إسمعيل انا جدي ابو بكر احمد بن إبراهيم الاسماعيلي اخبرني الهيثم ابن خلف الدوري ثنا الفضل بن غسان بن المعضل العلائي ثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ثنا عتبة بن ابي رابطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن معقل المزني قال قال نبي ﷺ الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن أحبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله فوشك ان ياخذه حدثنا ابو المظفر بن محمد بن احمد بن حامد التميمي انا ابو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم انا ابو الحسن خيثمة بن سليمان ثنا إبراهيم بن عبد الله العبسي القصار بالكوفة انا وكيع بن الجراح عن الأعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد الخدري قال قال نبي الله ﷺ لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اخبرنا عبد الواحد المليحي انا ابو عبد الله محمد بن الحسين الزعفراني ثنا ابو حمد عبد الله بن عروة ثنا محمد بن الحسين بن محمد بن إسكاف ثنا شبابة بن سوار ثنا فضيل بن مرزوق عن ابي خباب (١٨١) عن ابي سليم الهمداني عن ابيه عن علي قال

أحدهم ولا نصيفه وعن ابي هريرة نحوه اخرجه مسلم عن عبد الله بن مغفل قال قال نبي الله ﷺ الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله فيوشك ان ياخذه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب * قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) لفظة من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فيكون معنى الاية وعد الله الذين آمنوا من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعني من الشطء الذي أخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام إلى يوم القيامة وردا لهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك لم يقل منه (مغفرة وأجرا عظيما) يعني الجنة وقيل إن المغفرة جزاء الايمان فان لكل مؤمن مغفرة الأجر العظيم جزاء العمل الصالح والله تعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الحجرات مدنية ﴾

(وهي ثمان عشرة آية وثلثمائة وثلاث وأربعون كلمة ألف واربعمائة وستة وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (يا أيها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) من التقديم اي لا ينبغي لكم أن يصدر منكم تقديم اصلا وقيل لا تقدموا فعلا بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدي امر الله ورسوله ولا نهيا وقيل لا تجعلوا أنفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه إشارة إلى احترام محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد لأوامره ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بقبول او فعل قبل ان يقول محمد صلى الله عليه وسلم او قبل ان يفعله وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا في معنى الاية تروى عن جابر انه في الذبح يوم الأضحى اي لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم ان اول ما نبدا به في يومنا الذبح (ق) عن البراء بن عازب قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما نبدا به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان يصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء زاد الترمذي في اوله قال خطبنا النبي صلى الله عليه

قال محمد الله ﷺ ان سرك ان تكون من اهل الجنة فان قوما يتنحلون حبك يقرؤن القران لا يتجاوز تراقيهم نبزهم الرافضة فان ادركتهم فجاهدهم فانهم مشركون في اسناد هذا الحديث نظر وقول الله عز وجل (وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم) قال ابن جرير يعني من الشطء الذي اخرجه لزرع وهم الداخلون في الاسلام بعد الزرع إلى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك لم يقل منه (مغفرة واجرا عظيما) يعني الجنة والله اعلم

﴿ سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة اية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) قرأ يعقوب ولا تقدموا بفتح التاء والدال من التقدم أي لا تقدموا وقرأ الاخرون بضم التاء وكسر الدال من التقديم وهو لازم بمعنى التقدم مثل بين وتبين وقيل وهو متعد على ظاهره والمفعول محذوف أي لا تقدموا القول والفعل بين يدي الله ورسوله قال ابو عبيدة تقول العرب لا تقدم بين يدي الامام وبين يدي الاب أي لا تعجل بالامر والنهي دونه ومعنى بين اليدين الامام والقدام أي لا تقدموا بين يدي أمرها ونهيهما واختلفوا في معناه روى الشعبي عن جابر انه في الذبح يوم الأضحى وهو قول الحسين أي لا تذبحوا قبل ان يذبح محمد ﷺ وذلك أن ناسا ذبحوا قبل صلاة محمد ﷺ فامرهم ان يعقدوا الذبح أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا محمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا شعبة عن زيد عن الشعبي عن البراء قال خطبنا محمد ﷺ يوم النحر قال أن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل أن نصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء وروى مسروق عن عائشة انه في النهي عن صوم يوم الشك أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن إسمعيل ثنا إبراهيم بن موسى ثنا هشام بن يوسف ان ابن جريج أخبرهم عن ابن أبي ملكة أن عبد الله بن الزبير اخبرهم

انه قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع معبد بن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت إلا خلافى قال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت يا ايها الذى امنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله حتى انقضت ورواه نافع عن ابن عمر عن ابى مليكة قال فنزلت يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى إلى قوله اجر عظيم وزاد قال ابن الزبير فما كان عمر يسمع نبى الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه ولم يذكر عن ابيه يعنى ابا بكر وقال قتادة نزلت الاية فى ناس كانوا يقولون لو انزل فى كذا وصنع فى كذا وكذا فكره الله ذلك وقال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشىء حتى يقضيه الله على لسانه وقال الضحاك يعنى فى القتال وشرائع الدين لا تقضوا امرا دون الله ورسوله (واتقوا الله) فى تضييع حقه ومخالفة امره (إن الله سميع) لاقوالكم (عليم) بأفعالكم (يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) امرهم ان يبجلوه ويفخموه ولا يرفعوا اصواتهم عنده ولا ينادون كما ينادى بعضهم بعضا (ان تحبط اعمالكم) لئلا تحبط حسناتكم (١٨٢) وقيل مخافة ان تحبط حسناتكم (وانتم لا تشعرون) اخبرنا إسماعيل عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو بكر بن ابى شيبة ثنا الحسن بن موسى ثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن انس بن مالك قال لما نزلت هذه الاية يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الاية جلس ثابت ابن قيس فى بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن محمد ﷺ فسأل محمد ﷺ سعد بن معاذ فقال اباعمر وما شأن ثابت أيشتكى فقال سعد انه لجارى وما علمت له شكوى قال فاتاه سعد فذكر له قول محمد صلى الله عليه وسلم فقال ثابت انزلت هذه الاية ولقد علمتم انى من ارفعكم صوتا على محمد ﷺ فانا من اهل النار فذكر ذلك سعد للنبى ﷺ فقال نبى الله ﷺ بل هو من أهل الجنة وروى أنه لما نزلت هذه الاية قعد ثابت فى الطريق يبكى نزلت فمر به عاصم بن عدى فقال ما يبكيك يا ثابت فقال هذه الاية اتخوف أن تكون نزلت فى وانا رفيع الصوت أخاف ان يحبط عملى وان اكون أهل النار فمضى عاصم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وغلب ثابت البكاء فاتى امراته جميلة بنت عبد الله بن أبى سلول فقال إذا دخلت بيت فرسى فشدى على الضبة بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفانى الله أو يرضى عنى محمد صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم رسول الله ﷺ فاخبره خبره فقال له اذهب فادعه فجاء عاصم إلى المكانى الذى راه فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده فى بيت الفرس فقال له ان محمد صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فكسرها فأتيا محمد صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واتخوف ان تكون هذه الاية نزلت فى فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ما ترضى ان تعيش حميدا او تقتل شهيدا او تدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله ولا ارفع صوتى ابدا على رسول الله ﷺ فانزل الله

وسلم يوم النحر وذكر الحديث وروى عن عائشة انه فى النهى عن صوم يوم الشك اى لا تصوموا قبل نبيكم عن عمار بن ياسر قال من صام فى اليوم الذى يشك فيه فقد عصى ابا القاسم ﷺ اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وقيل فى سبب نزول هذه الاية ما روى عن عبد الله بن الزبير انه قدم وفد من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد بن زرارة بن عمر بل امر الأقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت إلا خلافى وقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل فى ذلك يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله حتى انقضت زاد فى رواية فما كان عمر يسمع نبى ﷺ بعد هذه حتى يستفهمه اخرجه البخارى وقيل نزلت الآية فى ناس كانوا يقولون لو نزل فى كذا او صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل فى معنى الاية لا تفتأوا على نبى الله ﷺ بشىء يقضيه الله على لسانه وقيل فى القتال وشرائع الدين لا تقضوا امرا من دون الله ورسوله (واتقوا الله) ان تضييع حقه بمخالفة امره (ان الله سميع) الله لاقوالكم (عليم) اى بأفعالكم * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) اى لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبى ﷺ فى الخطاب وذلك لأن رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لا تقدموا نهى عن فعل وقوله لا ترفعوا اصواتكم نهى عن قول (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) امرهم ان يبجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا اصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادى بعضهم بعضا فيقول يا محمد بل يقولون يا نبى الله ﷺ (ان تحبط اعمالكم) اى لئلا تحبط وقيل مخافة ان تحبط حسناتكم (وانتم لا تشعرون) اى بذلك (ق) عن انس بن مالك قال لما نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الاية جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن محمد ﷺ فسأل محمد ﷺ سعد بن معاذ فقال يا اباعمرو ما شأن ثابت ايشتكى فقال سعد انه لجارى وما علمت له شكوى قال فاتاه سعد فذكر له قول نبى الله ﷺ فقال ثابت انزلت هذه الاية ولقد علمتم انى من ارفعكم صوتا على محمد صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر ذلك سعد النبى صلى الله عليه وسلم فقال محمد صلى الله عليه وسلم بل هو من اهل الجنة زاد فى رواية فكنا نراه يمشى بين اظهرنا رجل من اهل الجنة مسلم وللبخارى نحوه وروى لما

(إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية قال انس فكنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى ابي حذيفة ما كنا نقاتل اعداء الله مع النبي ﷺ مثل هذ ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وإنه قال له اعلم ان فلان رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من المعسكر عند فرس يستن به في طوله وقد وضع على درعي برمة فات خالد بن الوليد واخبره حتى يسترد درعي وات ابا بكر خليفة النبي ﷺ وقل له ان علي دينا حتى يقضيه عني وفلان وفلان من رقيق عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه له فاسترد الدرع واخبر خالدا بابكر بتلك الرؤيا فأجازا بو بكر وصيته قال مالك بن انس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه قال ابو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الاية كان ابو بكر (١٨٣) لا يكلم النبي ﷺ إلا كاخي السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الاية ما حدث عمر النبي ﷺ بعد ذلك فيسمع النبي ﷺ كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم يخفضون اصواتهم عند النبي إجلالا له (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه (لهم مغفرة وأجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قرأ العامة بضم الجيم وقرأ أبو جعفر بفتح الجيم وهما لغتان وهي جمع الحجر والحجر جمع الحجرة فهي جمع الجمع قال ابن عباس بعث رسول الله ﷺ سرية الى بني العنبر وام عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة بن حصن

نزلت هذه الاية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الاية أتخوف ان تكون في وانا رفيع الصوت على النبي ﷺ ان يحبط عملي وان اكون من اهل النار فمضى عاصم إلى النبي ﷺ وغلب ثابت البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي على بمسمار فضربتها بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله ﷺ فأتى عاصم رسول الله ﷺ فاخبره خبره قال اذهب فادعه فجاء عاصم الى المكان الذي راه فيه فلم يجده فجاء الى اهله فوجده في بيت الفرس فقال له النبي ﷺ يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واتخوف ان تكون هذه الاية نزلت في فقال النبي ﷺ أما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله ﷺ ارفع صوتي على النبي ﷺ ابدا فانزل الله تعالى (ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله) الاية قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى ابي حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وانه قال له اعلم ان فلانا رجلا من المسلمين نزع درعي فذهب به في وهو في ناحية من المعسكر عند فرس يستن في طيله وقد وضع على درعي برمته فات خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي وات ابا بكر خليفة رسول الله ﷺ وقل له ان علي دينا حتى يقضيه عني وفلان من رقيق عتيق فاخبر الرجل خالد فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابو بكر بتلك الرؤيا فأجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت إلا هذه قال ابو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الاية كان ابو بكر لا يكلم النبي ﷺ إلا كاخي السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الاية ما حدث عمر النبي ﷺ بعد ذلك فسمع النبي ﷺ كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله ﷺ اى اجلالا له وتعظيما (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) اى اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصة (لهم مغفرة وأجر عظيم) * قوله عز وجل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال ابن عباس بعث النبي ﷺ سرية الى بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا

قدم بهم الى النبي ﷺ فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا النبي ﷺ قائما في اهله فلما رأتهم الذراري اجهشوا إلى ابائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء النبي ﷺ حجرة فعجلوا قبل ان يخرج اليهم النبي ﷺ فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا ويصيحون حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال إن الله يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم ﷺ اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم فقال سبرة اني لا احكم بينكم الا وعمي شاهد وهو الأعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور اري ان تفادى نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله ﷺ قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات

أكثرهم لا يعقلون) وصفهم بالجهل وقلة العقل (ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) قال مقاتل لكان خيرا لهم لأنك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء (والله غفور رحيم) وقال قتادة نزلت في ناس من اعراب بني تميم جاؤا إلى النبي ﷺ فنادوا على الباب ويروى ذلك عن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فسمعها النبي ﷺ فخرج ﷺ وهو يقول إنما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين فقالوا (١٨٤) نحن ناس من بني تميم جئنا بشعرائنا وخطبائنا لنشاعرك ونفاخرك فقال ﷺ ما بالشعر بعثت ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا ما عندكم فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي ﷺ لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب النبي ﷺ قم فاجبه فأجابه وقام شاعرهم فذكر أبياتا فقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت أجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا لمؤتى له والله ما ادري ما هذا الامر تكلم خطيبنا فكان خطيبهم وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أشعر وأحسن قولا ثم دنا من النبي ﷺ فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال له النبي ﷺ ما يضرك ما كان قبل هذا ثم أعطاهم النبي ﷺ وكساهم وكان قد تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله ﷺ مثل ما اعطاهم وازرى به بعضهم وارتفعت الأصوات وكثر اللغط عند رسول الله ﷺ فنزل فيهم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم الآيات الاربع إلى قوله وسلم غفور رحيم وقال زيد بن أرقم جاء ناس من العرب إلى النبي ﷺ فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جنابه فجاؤا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله تعالى (يا أيها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه

أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم إلى النبي ﷺ فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا النبي ﷺ قائما في اهله فلما راتهم الذراري أجهشوا إلى اباتهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء النبي ﷺ حجرة فعجلوا ان يخرج اليهم النبي ﷺ فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم النبي ﷺ أترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة انا لا احكم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الأعور أرى ان تفادى نصفهم وتعتق نصفهم فقال النبي ﷺ قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (اكثرهم لا يعقلون) وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى الاية اكثرهم اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لا يرجع فيستمر على حاله وهم الاكثر (ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم) فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ما جاء به من سوء الادب وطلب العجلة في الخروج (لكان خيرا لهم) اي الصبر لأنك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقيل لكان حسن الادب في طاعة الله وطاعة نبيه ﷺ خيرا لهم وقيل نزلت الاية في ناس من اعراب تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك عن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا يا محمد اخرج علينا فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج النبي ﷺ وهو يقول إنما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين قالوا نحن اناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا جئنا نشاعرك ونفاخرك فقال النبي ﷺ ما بالشعر بعثت ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي ﷺ لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب النبي ﷺ قم فاجبه فقام وقام شاب شاعرهم فذكر أبياتا فقال النبي ﷺ لحسان ابن ثابت أجبه فأجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا لمؤتى له تكلم خطيبنا فكان خطيبهم احسن قولا وتكلم شاعرنان فكان شاعرهم احسن شعرا وقولا ثم دنا من النبي ﷺ فقال اشهد ان لا اله إلا الله وانك النبي ﷺ ما يضرك ما كان قبل هذا ثم اعطاهم النبي ﷺ وكساهم وقد كان تخلف في ركابهم عمر بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه النبي ﷺ مثل ما اعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله ﷺ فنزل فيهم "يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الايات الى قوله (والله غفور رحيم) اي لمن تاب منهم وقال زيد بن ارقم جاء ناس من العرب إلى رسول الله ﷺ وقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فمن يكن نبيا فنحن اسعد الناس به وان يك ملكا نعش في جنابه فجاءوا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله هذه الايات * قوله تعالى (يا أيها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الاية نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق بعد قلوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه

الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم الايات الاربع إلى قوله

غفور رحيم وقال زيد بن أرقم جاء ناس من العرب إلى النبي ﷺ فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جنا به فجاؤا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج لكان خيرا لهم والله غفور رحيم قوله عز وجل (يا أيها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الاية نزلت في الوليد ابن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به

القوم تلقوه تعظيما لأمر النبي ﷺ فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى النبي ﷺ وقال ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب النبي ﷺ وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فاتوا النبي ﷺ وقالوا يارسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ماقبلناه من حق الله عز وجل فبدا له الرجوع فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله

وسلم وقال إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب النبي ﷺ وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فاتوا النبي ﷺ وقالوا يارسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي له ماقبلناه من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا إنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم النبي ﷺ وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وامره أن يخفي عليهم قدومه وقال انظر فان رايت منهم مايدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم ترذلك فاستعمل فيهم ماتستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد فوافاهم فسمع منهم اذان المغرب والعشاء فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير فانصرف إلى النبي ﷺ واخبره الخبر فانزل الله تعالى ياأيها الذين امنوا إن جاءكم فاسق يعني الوليد بن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبيت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو اول من حكم الاية على رجل بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك إلا انه ظن وتوهم فاخطأ فعلى هذا يكون معنى الاية إن جاءكم فاسق بنبأ أي بخبر فتبينوا وقرىء فتثبتوا اى فتوقفوا واطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق (إن تصيبوا) اى كيلا تصيبوا بالقتل والسبي (قوما بجهالة) اى جاهلين حالهم وحقيقة امرهم (فتصبحوا على مافعلتم) اى من إصابتكم بالخطأ (نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله) اى فاتقوا الله ان تقولوا باطلا او تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا (لو يطيعكم) اى الرسول (في كثير من الامر) اى مما تخبرونه فيحكم برايكم (لعنتم) اى لأثمتم وهلكتم عن ابي سعيد الخدري انه قرأ واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار ائمتكم لو اطاعهم في كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب (ولكن الله حبب اليكم الايمان) اى جعله احب الاديان اليكم (وزينه) اى حسنه وقربه منكم وادخله (في قلوبكم) حتى اخترتموه لأن من أحب شيئا إذا طال عليه قد بسام منه والايمان في كل يوم يزداد في القلب حسنا وثباتا وبذلك تطيعون النبي ﷺ (وكره اليكم الكفر والفسوق) قال ابن عباس يريد الكذب (والعصيان) جميع معاصي الله تعالى وفي هذه لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة الاشياء في مقابلة الايمان الكامل المزين في القلب المحبب اليه والايمان الكامل مااجتمع فيه ثلاثة أمور تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر في مقابلة قوله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب في مقابلة الاقرار باللسان فكره إلى عبده المؤمن الكذب وهو الجحود وحبب اليه الاقرار بشهادة الحق والصدق وهو لاإله إلا الله والعصيان في مقابلة العمل بالاركان فكره اليه العصيان وحبب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى (اولئك هم الراشدون) إشارة إلى المؤمنين المحبب اليهم الايمان المزين في قلوبهم أي أولئك هم المهتدون إلى محاسن الأعمال ومكارم الاخلاق (فضلا من الله) أي فعل ذلك بكم فضلا منه (ونعمة) عليكم (والله عليم) اى بكم وبما في قلوبكم (حكيم) في امره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما في خزائنه من الرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم * قوله عز وجل (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) (ق) عن انس قال قيل

فاتهمهم النبي ﷺ وبعث خالد ابن الوليد اليهم خفية في عسكر وامره ان يخفي عليهم قدوم قومه وقال له انظر فان رأيت منهم مايدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة اموالهم وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم مايستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد وواقاهم فسمع منهم اذان صلاتي المغرب والعشاء فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير فانصرف إلى النبي ﷺ واخبره الخبر فانزل الله تعالى ياايها الذين امنوا إن جاءكم فاسق يعني الوليد بن عقبة بنبأ بخبر فتبينوا (ان تصيبوا) كي لاتصيبوا بالقتل والقتال (قوما) براء (بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) من إصابتكم بالخطأ (واعلموا ان فيكم رسول الله) فاتقوا الله ان تقولوا باطلا او تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه احوالكم فتفتضحوا (لو يطيعكم) اى الرسول (في كثير من الأمر) مما

تخبرونه به فيحكم برايكم (لعنتم) لأثمتم وهلكتم والعنت الاثم والهلاك (ولكن الله حبب اليكم الايمان) فجعله أحب الأديان اليكم (وزينه) حسنه (في قلوبكم) حتى اخترتموه وتطيعون النبي ﷺ (وكره اليكم الكفر والفسوق) قال ابن عباس يريد الكذب (والعصيان) جميع معاصي الله ثم عاد من الخطاب إلى الخبر وقال (أولئك هم الراشدون) المهتدون (فضلا) أي كان هذا فضلا (من الله ونعمة والله عليم حكيم) قوله عز وجل (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا

فأصلحوا بينهما) الاية اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا مسدد ثنا معمر قال سمعت أبى يقول أن انسا قال قيل للنبى ﷺ لو أتيت عبد الله بن أبى فانطلق اليه النبى ﷺ وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهى أرض سبخة فلما أتاهم النبى ﷺ فقال اليك عنى والله لقد اذانى نتن حمارك فقال رجل من الأنصار منهم والله لحمار النبى ﷺ أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدى والنعال فبلغنا انها نزلت وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا (١٨٦) بينهما ويروى انها لما نزلت قرأها النبى ﷺ فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض

وقال قتادة نزلت فى رجلين من الانصار كانت بينهما مماراة فى حق بينهما فقال احدهما للاخر لاخذن حقى منك عنوة لكثرة عشيرته وان الاخر دعاه ليحاكمه إلى نبى الله ﷺ فابى يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدى والنعال ولم يكن بينهما قتال بالسيوف وقال سفيان عن السدى كانت امراة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شىء فرقى بها إلى علية وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاءوا وجاء قومه واقتتلوا بالايدى والنعال فانزل الله عز وجل وإن طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما (فان بغت إحداهما) تعدت إحداهما (على الأخرى وأبت الاجابة إلى حكم كتاب الله (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء) ترجع (إلى أمر الله) (ق)

للنبى ﷺ لو اتيت عبد الله بن ابى فانطلق اليه النبى ﷺ فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهى ارض سبخة فلما اتاه النبى ﷺ قال اليك عنى والله لقد اذانى نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار النبى ﷺ اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدى والنعال فبلغنا أنها نزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ويروى انها لما نزلت قراها النبى ﷺ عليهم فاصلحوا وكف بعضهم عن بعض (ق) عن اسامة بن زيد ان النبى ﷺ ركب على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فدكية واردف اسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن ابى سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن أبى وإذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاصنام واليهود وفى المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابى انفه بردائه ثم قال لاتغبروا علينا فسلم النبى ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله تعالى وقرا عليهم القران فقال عبد الله بن ابى بن سلول ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذونا به فى مجالسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا فى مجالسنا فانا نحب ذلك واستبد المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبى ﷺ يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبى ﷺ دابته وقال قتادة نزلت فى رجلين من الانصار كان بينهما مماراة فى حق بينهما فقال احدهما للاخر لاخذن حقى منك عنوة لكثرة عشيرته وان الاخر دعاه ليحاكمه إلى النبى ﷺ فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضا بالايدى والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امرأة من الأنصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شىء فرقى بها إلى علية فحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاءوا وجاء معه قومه فاقتتلوا بالايدى والنعال فانزل الله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل المراد من الطائفتين الاوس والخزرج (فاصلحوا بينهما) اى بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما (فان بغت) اى تمدت (إحداهما على الأخرى) وأبت الاجابة إلى حكم كتاب الله (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء) اى ترجع (إلى امر الله) اى إلى كتابه الذى جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع إلى طاعته فى الصلح الذى امر به (فان فاءت) اى رجعت إلى الحق (فاصلحوا بينهما بالعدل) اى الذى يحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله (واقسطوا) اى اعدلوا (إن الله يحب المقسطين) اى العادلين (إنما المومنون أخوة) أى فى الدين والولاية وذلك ان الايمان قد عقد بين أهله من السبب والقرابة كعقد النسب الملاصق وان بينهم ما بين الأخوة من النسب والاسلام لهم كالأب قال بعضهم

ابى الاسلام لا اب لى سواه * إذا افتخروا بقيس أو تميم

(فاصلحوا بين اخويكم) اى إذا اختلفا واقتتلا (واتقوا الله) اى فلا تعصوه ولا تخالفوا امره (لعلكم ترحمون)

(ق) فى كتابه وحكمه (فان فاءت) رجعت إلى الحق (فاصلحوا بينهما بالعدل) بحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله (وأقسطوا) أعدلوا (إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون أخوة) فى الدين والولاية (فاصلحوا بين أخويكم) إذا اختلفا واقتتلا قرأ يعقوب بين اخوتكم بالتاء على الجمع (واتقوا الله) فلا تعصوه ولا تخالفوا امره (لعلكم ترحمون) أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى أنا أبو محمد الحسين بن أحمد المخلدى أنا أبو العباس محمد بن إسحق السراج ثنا قتيبة بن سعيد ثنا الليث عن عقيل عن الزهرى عن سالم عن أبيه أن النبى ﷺ قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة

من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستر الله يوم القيامة وفى هاتين الآيتين دليل على أن البغى لا يزيل اسم الايمان لأن الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين يدل عليه ماروى عن الحارث الأعور ان على بن أبى طالب رضى الله عنه سئل وهو القدوة فى قتال أهل البغى عن اهل الجمل وصفين أمشركون هم فقال لا من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغى فى الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا إماما فالحكم فيهم ان يبعث الامام إليهم ويدعوهم إلى طاعته فان أظهروا مظلمة أزالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة وأصروا على بغيهم قاتلهم الامام حتى يفيئوا إلى طاعته ثم الحكم فى قتالهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادى على رضى الله عنه يوم الجمل ألا لا يتبع مدبر ولا يذفف على جريح وأتى على رضى الله عنه يوم صفين بأسير فقال له لأقتلك صبرا إنى أخاف الله رب العالمين وما اتلفت احدى الطائفتين على الأخرى فى حال القتال من نفس أو مال فلا ضمان (١٨٧) عليها قال ابن شهاب كانت فى تلك الفتنة دماء يعرف فى بعضها القاتل والمقتول وأتلف فيها أموال كثيرة ثم صار الناس إلى أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما علمته اقتص من أحد ولا اغرم مالا اتلفه أما من لم يجتمع فيهم هذه الشرائط الثلاث بان كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم أو لم يكن لهم تأويل أو لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم ان لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا فهم كقطاع الطريق وروى ان عليا سمع رجلا يقول فى ناحية المسجد لا حكم إلا لله فقال على كلمة حق اريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم من مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفىء مادامت أيديكم مع أيدينا ولا نبدأكم بقتال وقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم) الاية قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك إنه كان فى اذنه وقر فكان اذا اتى رسول الله ﷺ وقد سبقوه بالمجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبى ﷺ من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لاحد فكان الرجل إذا جاء فلم يجد مجلسا يجلس فيه قام قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله ﷺ يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله ﷺ وبينه وبينه رجل فقال له الرجل تفسح فقال له قد اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال انا فلان فقال له ثابت ابن فلانة وذكر اما له كان يعير بها فى الجاهلية فنكس الرجل راسه واستحيا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الضحاك نزلت فى وفد بنى تميم الذين ذكرناهم كانوا يستهزؤن بفقراء اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى ابى حذيفة لما رأوا من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى فى الذين آمنوا منهم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم اى رجال من رجال والقوم اسم يجمع الرجال والنساء وقد يختص بجمع الرجال

(ق) عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿فصل فى حكم قتال البغاة﴾ قال العلماء فى هاتين الآيتين دليل على ان البغى لا يزيل اسم الايمان لأن الله تعالى سماهم أخوة مؤمنين مع كونهم باغين ويدل عليه ماروى عن على بن ابى طالب وهو القدوة فى قتال أهل البغى وقد سأل عن اهل الجمل وصفين أمشركون هم فقال لا انهم من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا قيل فما حالهم قال إخواننا بغوا علينا والباغى فى الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفه لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل او نصبوا لهم اماما فالحكم فيهم ان يبعث إليهم الامام ويدعوهم إلى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة وأصر على البغى قاتلهم الامام حتى يفيئوا إلى طاعته ثم الحكم فى قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادى يوم الجمل على ألا لا يتبع مدبر ولا يقتل اسير ولا يذفف على جريح وهو بذال معجمة وهو الاجهاز على الجريح وتحريز قتله وتتميمه وأتى على يوم صفين بأسير فقال لاقتلك صبرا إنى اخاف الله رب العالمين وما اتلفت احدى الطائفتين على الأخرى فى حال القتال من نفس ومال فلا ضمان عليها قال ابن شهاب كانت فى تلك الفتنة دماء يعرف فى بعضها القاتل والمقتول وأتلف فيها اموال ثم صار الناس إلى ان سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رأيته اقتص من احد ولا اغرم مالا اما من لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بان كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم او لم يكن لهم تأويل او لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم إذا لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا ذلك قهم كقطاع الطريق فى الحكم وروى ان عليا سمع رجلا يقول فى ناحية المسجد لا حكم إلا لله فقال على كلمة حق اريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفىء مادامت ايديكم مع ايدينا ولا نبدؤكم بقتال * قوله عز وجل (يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم) الاية نزلت فى ثلاثة اسباب السبب الأول من اولها

إلى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذاك انه كان فى اذنه وقر فكان إذا أتى رسول الله ﷺ وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبى ﷺ من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم فظل كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لأحد وكان الرجل إذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله ﷺ يتخطى رقاب الناس ثم يقول تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى إلى النبى ﷺ وبينه وبينه رجل فقال تفسح فقال له الرجل أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمر ثابت الرجل فقال من هذا قال أنا فلان قال له ثابت بن فلانة وذكر أما له كان يعير بها فى الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيا فأنزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت فى وفد بنى تميم الذى ذكرناهم وكانوا يستهزؤن بفقراء أصحاب رسول الله ﷺ مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبى حذيفة لما رواه من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم أى لا يستهزىء غنى بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذو حسب بلئيم وأشباه ذلك مما ينتقضه به ولعله عند الله خيرا منه وهو قوله تعالى (عسى أن يكونوا خيرا منهم) السبب الثانى قوله (ولا نساء من نساء) أى لا يستهزىء نساء من نساء (عسى أن يكن خيرا منهن) وروى عن انس أنها نزلت فى نساء رسول الله ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر وعن ابن عباس انها نزلت فى صفية بنت حيى قال لها بعد نساء النبى ﷺ يهودية بنت يهوديين عن انس بلغ صفية ان حفصة قالت بنت يهودى فبكت فدخل النبى ﷺ وهى تبكى فقال ما يبكيك قالت قالت لى حفصة أنى بنت يهودى فقال النبى ﷺ أنك لابنة نبى وعمك نبى وانك لتحت نبى ففيم تفتخر عليك ثم قال اتقى الله يا حفصة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب والسبب الثالث قوله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب) عن أبى جبيرة بن الضحاك هو أخو ثابت بن الضحاك الانصارى قال فينا نزلت هذه الاية فى بنى سلمة قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله ﷺ يقول يا فلان فيقولون له يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فانزل الله تعالى هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان أخرجه أبو داود فى الترمذى قال كان الرجل منا يكون له اسمان أو ثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره قال فنزلت هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب قال الترمذى حديث حسن قوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم أى لا يعيب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم بعضا فى بعض والمراد بالانفس الاخوان هنا والمعنى لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كانفسكم فاذا عاب عائب أحد يعيب فكانه عاب نفسه وقيل لا يخلو احد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكانه هو العائب لنفسه ولا تنابزوا بالالقاب اى لا تدعوا الانسان بغير ماسمى به وقال ابن عباس التنابز بالالقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى ان يعير بما سلف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر قيل كان الرجل اليهودى والنصرانى يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودى يا نصرانى فنهوا عن ذلك وقيل هو ان تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير وقال بعض العلماء المراد بهذه الالقاب ما يكرهة المنادى به او يفيد ذما له فأما الالقاب التى صارت كالاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وما اشبه ذلك فلا بأس بها إذا لم يكرهها المدعو بها واما الالقاب التى صارت كالاعلام تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل لابى بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلى أبو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) اى بئس الاسم ان تقولوا له يا يهودى أو يا نصرانى بعد ما اسلم او يا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه ان من فعل ما نهى عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق (ومن لم يتب) اى من ذلك كله (فأولئك هم الظالمون) اى الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل

ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن) روى عن انس أنها نزلت فى نساء رسول الله ﷺ حين عيرن ام سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس انها نزلت فى صفية بنت حيى بن اخطب قال لها النساء يهودية بنت يهوديين (ولا تلمزوا انفسكم) أى لا يعيب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم على بعض (ولا تنابزوا بالالقاب) التنابز التفاعل من النبز وهو اللقب وهو ان يدعى الانسان بغير ماسمى به قال عكرمة وهو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقال الحسن كان اليهودى والنصرانى يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودى يا نصرانى فنهوا عنه ذلك قال عطاء هو ان تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير وروى عن ابن عباس قال التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى ان يعير بما سلف من عمله (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) اى بئس الاسم ان يقول يا يهودى او يا فاسق بعد ما امن وتاب وقيل معناه ان من فعل ما نهى عنه من السخرية واللمز والنبز الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق (ومن لم يتب) من ذلك (فأولئك هم الظالمون

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت الآية فى رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما إلى المنزل فيهيء لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسى إلى رجلين فى بعض أسفاره فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيء لهما شيئا فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لاغلبتنى عيناى قال له انطلق إلى محمد ﷺ فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى محمد ﷺ وسأله طعاما فقال له محمد ﷺ انطلق إلى أسامة ابن زيد وقل له إن كان عنده فضل من طعام وأدام فليعطك وكان أسامة خازن محمد ﷺ على رحله فأتاه فقال ماعندى شيء فرجع سلمان اليهما وأخبرهما فقالا كان عند أسامة طعاما ولكن بخل فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالا لو بعثناك إلى بئر سميحه لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به محمد ﷺ فلما جاآ إلى محمد ﷺ قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما قالا والله يا محمد ما تناولنا يومنا هذا لحما قال بل ظللتم تاكلون لحم سلمان وأسامة فانزل الله عز وجل يا أيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وأراد أن يظن بأهل الخير شرا (ان بعض الظن اثم) قال سفيان الثورى الظن ظنان أحدهما اثم وهو أن تظن وتتكلم به والاخر ليس باثم وهو أن تظن ولا تتكلم (ولا تجسسوا) التجسس هو البحث عن عيوب الناس نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من عيوب الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ماستره الله منها أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى انا ابو مصعب عن مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا انا ابو بكر محمد بن محمد بن على بن الحسن الطوسى بها انا ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن إبراهيم الاسفرايني انا ابو بكر احمد بن إبراهيم الاسمعيلى انا عبد الله بن ناحيه ثنا يحيى بن اكثم انا الفضل بن موسى الشيبانى عن الحسين بن واقد عن ابى أوفى بن دلهم عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يا معشر من أمن بلسانه ولم يفض الايمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورات المسلمين يتتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رجل قال ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمؤمن اعظم عند الله حرمة منك وقال زيد بن وهب قيل لابن مسعود هل لك فى الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا فقال انا قد نهينا عن التجسس فان يظهر لنا شيئا ناخذه به

ظلموا الذين قالوا لهم ذلك ، قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت فى رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما إلى المنزل فيهيء لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسى إلى رجلين فى بعض أسفاره فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيء شيئا لهما فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لاغلبتنى عيناى فنمت قال له انطلق إلى رسول الله ﷺ فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان إلى محمد ﷺ وساله طعاما فقال محمد ﷺ انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له إن كان عنده فضل طعام وأدم فليعطك وكان أسامة خازن رسول الله ﷺ وعلى رحله فاتاه فقال ما عندى شيء فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند أسامة طعاما ولكن بخل فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به النبى ﷺ فلما جاء إلى رسول الله ﷺ قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما تاكلان لحم سلمان وأسامة فانزل الله عز وجل يا أيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعنى أن يظن باهل الخير سوء نهى الله المؤمن ان يظن باخيه المؤمن شرا وقيل هو أن يستمع من أخيه المسلم كلاما لا يريد به سوءا ويدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيراه أخوه المسلم فيظن شرا لأن بعض الفعل قد يكون فى الصورة قبيحا وفى نفس الأمر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا أو يكون الرائى مخطئا فاما أهل السوء والفسق المجاهرون بذلك قلنا أن نظن فيهم مثل الذى يظهر منهم (إن بعض الظن إثم) قال سفيان الثورى الظن ظنان أحدهما اثم وهو أن يظن ويتكلم به والاخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن أنواع فمنه واجب ومامور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو الظن الحسن بالأخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالأخ المسلم (ولا تجسسوا) اى لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ماستره الله منها (ق) عن ابى هريرة أن رسول الله ﷺ قال إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير إلى صدره بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولا اعمالكم ولكن ينظر إلى

(ولا يغتب بعضكم بعضا) يقول لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن المفضل الحرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني انا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا احمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان النبي ﷺ قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل افرأيت ان كان في اخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم (١٩٠) يكن فيه ما تقول فقد بهته اخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ابي توبة انا ابو الطاهر الحارثي انا محمد بن يعقوب الكسائي انا عبد الله بن محمود انا ابراهيم ابن عبد الله الخلال انا عبد الله بن المبارك عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انهم ذكروا عند النبي ﷺ رجلا فقالوا ألا يأكل حتى يطعم ولا يرحل حتى يرحل فقال النبي ﷺ اغتبتموه فقالوا انما حدثنا بما فيه قال حسبك اذا ذكرت اخاك بما فيه قوله عز وجل (ايحب احدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه) قال مجاهد لما قيل لهم ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج تأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحم اخيك وهو ميت لا يحس بذلك اخبرنا احمد ابن ابراهيم الشريحي انا أبو اسحق الثعلبي اخبرني ابن فنجويه ثنا ابن ابي شيبة منا الفريابي ثنا محمد بن المصطفى ثنا ابن المغيرة عبد القدوس بن الحجاج حدثني صفوان بن عمرو ثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير عن انس بن مالك عن النبي ﷺ قال لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم ولحومهم فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم قال ميمون بن سيار بينما انا نائم إذا أنا بجنفة زنجي وقائل يقول كل قلت يا عبد الله ولم اكل قال بما اغتبت عبد فلان فقلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت به فكان ميمون لا يغتاب احدا ولا يدع احدا يغتاب عنه احدا (واتقوا الله ان الله تواب رحيم يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) الاية قال ابن عباس نزلت في ثابت بن

قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الامور واكثر ما يقال في الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع الى حديث الغير وقيل معناهما واحد وهو طلب الاخبار وقوله ولا تنافسوا أي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من اسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها قوله ولا تدابروا اي لا يعطي كل واحد منكم اخاه دبره ويقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد النبي ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمؤمن اعظم حرمة عند الله منك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن زيد عن وهب قال اتى ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء نأخذ به اخرجه ابو داود وله عن عقبة بن عامر ان النبي ﷺ قال من راى منكم عورة فسترها كان كمن احيا موؤدة (م) عن ابي هريرة ان النبي ﷺ قال لا يستر عبد عبد في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة * قوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) اي لا يتناول بعضكم بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن ابي هريرة ان النبي ﷺ قال أتدرون ما الغيبة قلت الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قلت وان كان في اخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته اخرجه مسلم عن عائشة قالت قلت للنبي ﷺ حسبك من صفة كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما احب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته اي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من ابلغ الزواجر عن الغيبة * قوله تعالى (ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه) قال مجاهد لما قيل ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غائبا قبل تأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لانه لا يحس بذلك وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان يتألم قلبه إذا ذكره بسوء كما يتألم جسده اذا قطع لحمه والعرض اشرف من اللحم فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحم الناس فترك اعراضهم اولى وقوله لحم اخيه آكد في المنع لان العدو قد يحمله الغضب على اكل لحم عدوه وقوله ميتا ابلغ في الزجر عن انس قال قال النبي ﷺ لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفي نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم أخرجه ابو داود وقال ميمون بن سيار بينما انا نائم إذا بجيفة زنجي وقائل يقول كل يا عبد الله قلت وما اكل قال كل بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب احدا ولا يدع احد يغتاب عنده * قوله تعالى (واتقوا الله) اي في امر الغيبة واجتناب نواهيه (ان الله تواب رحيم) * قوله عز وجل (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى) قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله

فى الرجل الذى لم يفسح له ابن فلانة فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت انا يا نبى الله قال انظر فى وجوه القوم فنظر فقال ما رايت يا ثابت قال رايت أبيض وأحمر وأسود قال فانك لا تفضلهم إلا بالدين والتقوى فنزلت فى ثابت هذه الاية ونزل فى الذى لم يفسح له يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا الاية وقيل لما كان يوم فتح مكة امر محمد صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة واذن فقال عتاب بن أسيد الحمد لله الذى قبض ابى ولم يرهذا اليوم وقال الحرث ابن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهل بن عمرو أن يكره الله شيئا يغيره وقال ابو سفيان انى لا اقول شيئا أخاف أن يخبره رب السماء فنزل جبريل فاخبر نبى الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله هذه الاية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازراء بالفقراء فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يعنى ادم وحواء والمعنى انكم متساوون فى النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم أبناء رجل واحد وامراة واحدة وقيل يحتمل أن يكون المعنى انا خلقنا كل واحد منكم أيها الموجودون من اب وام فان كل واحد منكم خلق كما خلق الاخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل فى النسب (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بفتح الشين وهى رؤوس القبائل مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبائل منهم وقيل لتجمعهم (وقبائل) جمع قبيلة وهى دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم دون العمائر البطون واحدتها بطن وهم كبنى غالب ولؤى من قريش ودون البطون الافخاذ واحدتها فخذ وهم كبنى هاشم وبنى أمية من لؤى ودون الافخاذ الفصائل واحدتها فصيلة بالصاد المهملة كبنى العباس من بنى هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدتها عشيرة وليس بعد العشيرة شىء يوصف وقيل الشعوب للعجم والقبائل للعرب والأسباط من بنى إسرائيل وقيل للشعوب الذين لا ينسبون إلى احد بل ينسبون إلى المدائن والقرى والقبائل الذى ينتسبون إلى اباثهم (لتعارفوا) أى ليعرف بعضكم بعضا فى قرب النسب وبعده لا للتفاخر بالانساب ثم بين الخصلة التى بها يفضل الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) قيل اكرم الكرم التقوى والام اللؤم الفجور وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى عن سمرة بن جندب قال قال محمد صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (ق) عن ابى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب تسألون قالوا نعم قال فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام إذا فقهوا فقهوا بضم القاف على المشهور وحكى كسرها ومعناه إذا تعلموا احكام الشرع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدى الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله واثنى عليه وقال الحمد لله الذى اذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس ان الناس رجلان بر تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم تلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ثم قال اقول قولى هذا واستغفر

قال الحارث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل ابن عمرو ان يرد الله شيئا يغيره وقال ابو سفيان انى لا أقول شيئا أخاف ان يخبر به رب السماء فاتى جبريل فاخبر نبى الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا فدعاهم وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله تعالى هذه الاية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالأموال والازراء بالفقراء فقال يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يعنى ادم وحواء اى انكم متساوون فى النسب (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بفتح الشين وهى رؤس القبائل مثل ربيعة ومضر الأوس والخزرج سموا شعوبا لتشعبهم واجتماعهم كشعب أغصان الشجر والشعب من الأضداد يقال شعث أى جمع وشعب أى فرق (وقبائل هى دون الشعوب واحدتها قبيلة وهى كبكر من ربيعة وتميم من مضر دون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهى كشيبان من بكر ودارم من تميم دون العمائر البطون واحدتها بطن وهى كبنى غالب ولؤى من قريش ودون البطون الافخاذ واحدتها فخذ وهم كبنى هاشم وأمية من بنى لؤى ثم الفصائل والعشائر واحدتها فصيلة وعشيرة وليس بعد العشيرة حى يوصف به وقيل الشعوب من العجم والقبائل العرب والاسباط من بنى إسرائيل وقال أبو روق الشعوب من الذين لا يعتزون إلى أحد بل ينتسبون إلى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينتسبون إلى اباثهم (لتعارفوا) ليعرف بعضكم بعضا فى قرب النسب وبعده لا ليتفاخروا ثم أخبر ان ارفعهم منزلة عند الله اتقاهم فقال (ان اكرمكم عند الله اتقاكم

إن الله عليم خبير) قال قتادة فى هذه الاية ان اكرم الكرم التقوى والأم اللؤم الفجور أخبرنا أبو بكر بن أبى الهيثم الترابى أنا أبو محمد عبد الله بن احمد بن حمويه انا إبراهيم بن خزيم الشاسى ثنا عبد الله بن حميد ثنا يونس بن محمد ثنا سلام بن ابى مطيع عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال النبى ﷺ الحسب المال والكرم التقوى قال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى أخبرنا أبو بكر بن أبى الهيثم أنا عبد الله بن أحمد بن حمويه انا إبراهيم بن خزيم ثنا عبد الله بن حميد انا الضحاك بن مخلد عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ان النبى ﷺ طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجنه فلما خرج لم يجد منا خافنزل على أيدى الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله واثنى عليه وقال الحمد لله الذى اذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا بائها إنما الناس رجلان بر تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم تلا يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم قال أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد هو ابن سلام ثنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن ابى سعيد عن ابى هريرة قال سئل النبى ﷺ اى الناس اكرم قال اكرمهم عند اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبى الله بن نبى الله بن نبى الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألونى قالوا نعم قال فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام إذا فقهوا اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم ابن الحجاج ثنا عمرو الناقد ثنا كثير بن هشام ثنا جعفر ابن برقان عن يزيد بن الاصم عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ ان الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم واعمالكم قوله تعالى (قالت الاعراب امنا) الاية نزلت فى نفر من بنى أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ فى سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين فى السر فافسدوا طرق المدينة بالقذرات واغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى النبى ﷺ ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله ﷺ ويريدون الصدقة ويقولون اعطنا فانزل الله فيهم هذه الاية وقال السدى نزلت فى الأعراب الذين ذكرهم الله فى سورة الفتح وهم اعراب من جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا يقولون امنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا إلى الحديبية تخلفوا فانزل الله عز وجل هذه الاية فيهم قالت الاعراب امنا صدقنا (قل لم تومنوا ولكن قولوا أسلمنا) أنقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبى (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) فاخبر ان حقيقة الايمان التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان وإظهار شرائعه بالابدان لا يكون إيمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا محمد بن غرير الزهرى ثنا يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن صالح عن ابن شهاب اخبرنى عامر بن سعد عن ابيه قال اعطى النبى ﷺ رهطا وانا جالس فيهم قال فترك النبى ﷺ فيهم رجلا

الله لى ولكم والمحجن عصا محنية الرأس كالصولجان وقوله عيبة الجاهلية يعنى كبرها وفخرها (ان الله عليم) اى بظواهركم ويعلم انسابكم (خبير) اى ببواطنكم لا تخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوى زادكم إلى معادكم قيل التقى هو العالم بالله المواظب على الوقوف ببابه المتقرب إلى جنابه وقيل حد التقوى ان يجتنب العبد المناهى ويأتى بالاوامر والفضائل ولا يغتر ولا يامن فان اتفق ان يرتكب منهيا لا يامن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب فى الحال واتكل على المهملة وغره طول الامل فليس بمتق لان المتقى لم يترك ما امر به ويترك مانهى عنه وهو مع ذلك خاش الله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت لحظة إلى نفسه واهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه وجدد له توبة جعلنا الله وإياكم من المتقين * قوله تعالى (قالت الاعراب امنا) الاية نزلت فى نفر من بنى اسد بن خزيمة قدموا على النبى ﷺ فى سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين فى السر فافسدوا طرق المدينة بالقذرات واغلوا اسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى النبى ﷺ ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله ﷺ بذلك ويريدون الصدقة ويقولون اعطنا فانزل الله فيهم هذه الاية وقيل نزلت فى الاعراب الذين ذكرهم الله فى سورة الفتح وهم جهينة ومزينة وأسلم واشجع وغفار كانوا يقولون امنا ليامنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا للحديبية تخلفوا عنها فانزل الله عز وجل قالت الاعراب امنا اى صدقنا (قل لم تؤمنوا) اى لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا اسلمنا) اى استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبى (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) اخبر ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان وإظهار شرائعه بالابدان لا يكون إيمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص (ق) عن سعد بن أبى وقاص قال أعطى النبى ﷺ رهطا وانا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه رجلا منهم هو اعجبهم إلى فقلت مالك عن فلان والله إنى لاراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا واجابه بمثل ذلك ثم قال إنى لاعطى الرجل وغيره احب إلى منه خشية ان يكب فى النار على وجه زاد

لم يعطه وهو أعجبهم إلى فقمت إلى رسول الله ﷺ فسارر ته فقلت مالك عن فلان والله إنى لأراه مؤمنا قال أو مسلما قال فسكت قليلا ثم غلبنى ما أعلم منه فقلت يارسول الله مالك عن فلان فوالله انى لأراه مؤمنا قال أو مسلما فسكت قليلا ثم غلبنى ما أعلم منه فقالت يارسول الله مالك عن فلان فوالله انى لأراه مؤمنا قال أو مسلما قال انى لاعطى الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكب فى النار على وجهه فالاسلام هو الدخول فى السلم وهو الانقياد والطاعة يقال أسلم الرجل إذا دخل فى السلم كما يقال أشتى الرجل إذا دخل فى الشتاء وأصاف إذا دخل فى الصيف وأربع إذا دخل فى الربيع فمن الاسلام ماهو فى طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان كقوله عزوجل لابراهيم عليه السلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومنه ماهو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم (وإن تطيعوا الله ورسوله) ظاهرا وباطنا سرا وعلانية قال ابن عباس تخلصوا الايمان (١٩٣) (لايلتكم) قرأ أبو عمرو يالتكم

فى رواية قال الزهرى فنرى أن الاسلام الكلمة والايمان العمل الصالح لفظ الحميدى أعلم أن الاسلام هو الدخول فى السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ماهو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله لابراهيم عليه السلام أسلم فان أسلمت لرب العالمين ومنه ماهو انقياد باللسان والقلب وذلك قوله ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمأنينة النفس عليه والاسلام هو الدخول فى السلم والخروج من أن يكون حربا للمسلمين مع إظهار الشهادتين فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول * قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لايحصل إلا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام أعم والايمان أخص لكن العام فى صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون أمرا غيره فالعام والخاص مختلفان فى العموم والخصوص متحدان فى الوجود فذلك المؤمن والمسلم * وقوله تعالى (وإن تطيعوا الله ورسوله) أى ظاهرا وباطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا له الايمان (لايلتكم) أى لاينقصكم (من أعمالكم شيئا) اى من ثواب أعمالكم (إن الله غفور رحيم) ثم بين حقيقة الايمان فقال تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أى لم يشكوا فى دينهم (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) أى فى إيمانهم ولما نزلت هاتان الايتان وأتت الأعراب رسول الله ﷺ يحلفون بالله إنهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فأنزل الله عزوجل (قل أتعلمون الله بدينكم) أى تخبرون الله بدينكم الذى أنتم عليه (والله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض) أى لا تخفى عليه خافية (والله بكل شىء عليم) أى لايحتاج إلى إخباركم (يمنون عليك ان أسلموا) هو قولهم أسلمنا ولم نحاربك يمنون بذلك على رسول الله ﷺ فبين بذلك ان إسلامهم لم يكن خالصا (قل لاتمنوا على إسلامكم) أى لاتعتدوا على باسلامكم (بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان) أى لله المنة عليكم ان ارشدكم وأمدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على مازعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى (إن كنتم صادقين) أى مؤمنون (إن الله يعلم غيب السموات والأرض) اى انه سبحانه وتعالى لايخفى عليه شىء فى السموات والأرض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم (والله بصير بما تعملون) اى بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿تفسير سورة ق مكية﴾

(وهى خمس واربعون اية وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة والف واربعمائة واربعة وتسعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عزوجل (ق) قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم السورة وقيل اسم

بالألف كقوله تعالى وما التناهم والاخرون بغير الف وهما لغتان معناهما لا ينقصكم يقال الت يالت الیا ولات يليت ليتا إذا نقص (من أعمالكم شيئا) أى لاينقص من ثواب أعمالكم شيئا (إن الله غفور رحيم) ثم بين حقيقة الايمان فقال (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا فى دينهم (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) فى إيمانهم فلما نزلت هاتان الايتان أتت الأعراب رسول الله ﷺ يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون وعرف الله غير ذلك منهم فأنزل الله عزوجل (قل اتعلمون الله بدينكم) والتعليم ههنا بمعنى الاعلام ولذلك قال بدينكم وادخل الباء فيه يقول اتخبرون الله بدينكم الذى انتم عليه (والله يعلم ما فى السموات وما

فى الارض والله بكل شىء عليم) اى لايحتاج إلى اخباركم (يمنون عليك ان اسلموا قل لاتمنوا على اسلامكم) اى باسلامكم (بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان) وفى مصحف عبد الله إذ هداكم للايمان (إن كنتم صادقين) انكم مؤمنون (إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون) قرأ ابن كثير بالياء وقرأ الاخرون بالياء

﴿سورة ق مكية وهى خمس وأربعون اية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم (ق) قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم من اسماء القرآن وقال القرظى هو مفتاح اسمه القدير والعادر والقاهر القريب والقابض وقال عكرمة والضحاك هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء منه خضرة السماء والسماء

مقببة وعليه كتفاها ويقال هو وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من وراته بمسيرة سنة وقيل معناه قضى الامر أو قضى ماهو كائن كما قالوا فى حم (والقران المجيد) الشريف الكريم على الله الكثير الخير واختلفوا فى جواب هذا القسم فقال أهل الكوفة جوابه بل عجبوا وقيل جوابه محذوف مجازه والقران المجيد لتبعثن وقيل جوابه قوله ما يلفظ من قول وقيل علمنا وجوابات القسم سبعة ان الشديدة كقوله والفجر وليال عشر إن ربك لبالمرصاد وما النفى كقوله والضحى وماوعك ربك واللام المفتوحة كقوله فوربك لنسألنهم أجمعين وان الخفيفة كقوله تعالى إن كنا لفى ضلال مبين ولا كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وقد كقوله تعالى والشمس وضحاها قد أفلح من زكاها بل كقوله والقران المجيد (بل عجبوا أن جاءهم منذر) مخوف (منهم) يعرفون نسبه وصدقه وأمانته (فقال الكافرون هذا شىء عجيب) غريب (أئذا متنا وكنا ترابا) نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه (ذلك رجع) أى رد إلى الحياة (بعيد) وغير كائن اى يبعد إن نبعث بعد الموت قال الله عز وجل (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) أى ما نأكل من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمه شىء قال السدى هو الموت يقول قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى (وعندنا كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن ان يدس ويتغير وقيل حفيظ اى حافظ لعدتهم واسمائهم (بل كذبوا بالحق) بالقران (لما جاءهم فهم فى امر مريج) مختلط قال سعيد بن جبير ومجاهد ملتبس قال قتادة فى هذه الاية من ترك الحق مرج دينه وقال الحسن ما ترك قوم الحق إلا مرج امرهم وذكر الزجاج معنى اختلاط امرهم فقال هو انهم يقولون للنبى ﷺ مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم ويقولون للقران مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل فى هذه الاية من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق إلا مرج عليهم أمرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى (افلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) اى بغير عمد (وزيناها) اى بالكواكب (ومالها من فروج) اى شقوق وصدوع (والأرض مددناها) اى بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسى) اى جبالا ثوابت (وانبتنا فيها من كل زوج بهيج) اى من كل صنف حسن كريم يبتهج به اى يسر به (تبصرة) اى جعلنا ذلك تبصرة (وذكرى) اى تذكرة (لكل عبد منيب) اى راجع إلى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من اناب (ونزلنا من السماء ماء مباركا) اى كثير الخير والبركة فيه حياة كل شىء وهو المطر (فأنبتنا به) اى بذلك الماء (جنات) اى بساتين (وحب الحصيد) يعنى البر والشعير وسائر الحبوب التى تحصد (والنخل باسقات) اى

من أسماء الله وقيل اسم من اسماء القران وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضى الأمر او قضى ماهو كائن وقيل هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التى عليها الأرض والسماء كهيئة القبة وعليه كتفاها وخضرة السماء منه والعالم داخله ولا يعلم ما وراءه إلا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة (والقران المجيد) اى الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا فى جواب القسم قيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى (بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم) إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته وصدقه (فقال الكافرون هذا شىء عجيب) أى معجب غريب (أئذا متنا وكنا ترابا) أى حين نموت ونبلى نبعث وترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه (ذلك رجع بعيد) اى يبعد أن نبعث بعد الموت قال الله تعالى (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) اى ما تأكل الأرض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شىء (وعندنا) اى مع علمنا بذلك (كتاب حفيظ) بمعنى محفوظ اى من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ أى حافظ لعددهم واسمائهم ولما تنقص الأرض وهو اللوح المحفوظ وقد أثبت فيه ما يكون (بل كذبوا بالحق) اى بالقران (لما جاءهم) قيل معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل كذبوا المنذر لما جاءهم (فهم فى امر مريج) اى مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط أمرهم قولهم للنبى ﷺ مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون فى القران مرة سجر ومرة زجر ومرة مفترى فكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل فى هذه الاية من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق إلا مرج عليهم أمرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى (افلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) اى بغير عمد (وزيناها) اى بالكواكب (ومالها من فروج) اى شقوق وصدوع (والأرض مددناها) اى بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسى) اى جبالا ثوابت (وانبتنا فيها من كل زوج بهيج) اى من كل صنف حسن كريم يبتهج به اى يسر به (تبصرة) اى جعلنا ذلك تبصرة (وذكرى) اى تذكرة (لكل عبد منيب) اى راجع إلى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من اناب (ونزلنا من السماء ماء مباركا) اى كثير الخير والبركة فيه حياة كل شىء وهو المطر (فأنبتنا به) اى بذلك الماء (جنات) اى بساتين (وحب الحصيد) يعنى البر والشعير وسائر الحبوب التى تحصد (والنخل باسقات) اى

طوالا

بنيناها) بغير عمد (وزيناها) بالكواكب (ومالها من فروج) شقوق وفتوق وصدوع واحدها فرج (والأرض مددناها) بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت (وانبتنا فيها من كل زوج بهيج) حسن كريم يبهج به اى يسر بنظره (تبصرة) اى جعلنا ذلك تبصرة (وذكرى) اى يبصيرا وتذكيرا (لكل عبد منيب) اى ليبصر وبه ويتذكر به (ونزلناه من السماء ماء مباركا) كثير الخير وفيه حياة كل شىء وهو المطر (فانبتنا به جنات وحب الحصيد) يعنى البر والشعير وسائر الحبوب التى تحصد فاضاف الحب إلى الحصيد وهما واحد لاختلاف اللفظين كما يقال مسجد الجامع وربيع الاول وقيل حب الحصيد اى وحب النبت الحصيد والنخل باسقات) قال مجاهد وعكرمة وقتادة طوالا يقال بسقت النخلة بسوقا إذا طالت وقال سعيد بن جبير مستويات

(لها طلع) ثمر وحمل سمي بذلك لأنه يطلع والطلع أول مايظهر قبل أن ينشق (نضيد) متراكب متراكم منضود بعضه على بعض في أكمامه فاذا خرج من اكمامه فليس بنضيد (رزقا للعباد) أي جعلنا مارزقا للعباد (وأحيينا به) أي بالمطر (بلدة ميتا) انبتنا فيها الكلا (كذلك الخروج) من القبور قوله عز وجل (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الايكة وقوم تبع) وهو تبع الحميري واسمه أسعد أبو كرب قال قتادة ذم الله قومه ولم يذمه ذكرنا قصته في سورة الدخان (كل كذب الرسل) أي كل من هؤلاء المذكورين كذب الرسل (فحق وعيد) وجب لهم عذابي ثم انزل جوابا لقولهم ذلك رجع بعيد (أفعيينا بالخلق الأول) يعني أعجزنا حين خلقناهم أولا فنعيا بالاعادة وهذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث ويقال لكل من عجز عن شيء عي به (بل هم في لبس) أي في شك (من خلق جديد) وهو البعث (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره (ونحن أقرب اليه) اعلم به (من حبل الوريد) لأن ابعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب علم الله شيء. وحبل الوريد عرق العنق وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين يتفرق في سائر البدن والحبل هو الوريد فأضيف إلى نفسه لاختلاف

اللفظين (إذ يتلقى المتلقيان) إذ يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالانسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه (عن اليمين وعن الشمال) أي أحدهما عن يمينه والاخر عن شماله فالذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات (قعيد) أي قاعد ولم يقل قعيدان لأنه أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاكتفى بأحدهما عن الآخر هذا قول أهل البصرة وقال أهل الكوفة أراد قعودا كالرسول يجعل للاثنين والجمع كما قال الله تعالى في الاثنين فقولا انا رسول رب العالمين قيل اراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح لا القاعد الذي هو ضد القائم قال مجاهد القعيد الرصيد (مايلفظ من قول) مايتكلم من كلام فيلفظه أي يرميه من فيه (إلا لديه رقيب) حافظ (عتيد) حاضر أينما كان قال الحسن إن الملائكة يجتنبون الانسان على حالين عند غائطه وعند جماعه وقال مجاهد يكتبان عليه حتى أنينه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان إلا مايؤجر عليه أو يوزر فيه وقال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك ومثله عن الحسن وكان الحسن يعجبه أن ينظف عنفقته أخبرنا أبو سعيد الشريحي انا ابو اسحق الثعلبي انا الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري ثنا اسماعيل بن جعفر بن حمدان ثنا الفضل بن عباس بن مهران ثنا طالوت ثنا حماد بن سلمة انا جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن ابي امامة قال قال رسول الله ﷺ كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر

طوالا وقيل مستويات (لها طلع) أي ثمر يطلع ويظهر ويسمى طلعا قبل أن يتشقق (نضيد) أي متراكب بعضه على بعض في أكمامه فاذا تشقق وخرج من أكمامه فليس بنضيد (رزقا) أي جعلنا ذلك رزقا (للعباد وأحيينا به) أي بالمطر (بلدة ميتا) فأنبتنا فيها الكلا والعشب (كذلك الخروج) أي من القبور أحياء بعد الموت * قوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة) قيل كان لوط مرسلا إلى طائفة من قوم ابراهيم ولذلك قال اخوان لوط (وقوم تبع) هو أبو كرب أسعد تبع الحميري وقد تقدم قصص جميعهم قيل ذم الله عز وجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لأنه هو المكذب المستخف لقومه فلهذا خص بالذكر دونهم (كل كذب الرسل فحق وعيد) أي كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهم فحق وعيدي أي وجب لهم عذابي وقيل فحق وعيدي للرسل بالنصر (أفعيينا بالخلق الأول) هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى اعجزنا حين خلقناهم اولا فنعيا بالاعادة ثانيا وذلك لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وانكروا البعث (بل هم في لبس) اي شك (من خلق جديد) وهو البعث * قوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) اي مايحدث به قلبه فلا تخفى علينا سرائرهم وضمائرهم (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) بيان لكمال علمه اي نحن اعلم به منه والوريد العرق الذي يجري فيه الدم ويصل إلى كل جزء من اجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الآية ان اجزاء الانسان وابعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شيء وقيل يحتمل ان يكون المعنى ونحن اقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجري فيه امرنا كما يجري الدم في عروقه (إذ يتلقى المتلقيان) اي يتلقن الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقة فيكتبانه ويحفظانه عليه عليه (عن اليمين وعن الشمال) يعني ان احدهما عن يمينه والاخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات (قعيد) اي قاعد وكل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل اراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح (مايلفظ من قول) اي مايتكلم من كلام يخرج من فيه (إلا لديه رقيب) اي حافظ (عتيد) اي حاضر اينما كان سوى وقت الغائط وعند جماعة فانهما يتأخران عنه فلا يجوز للانسان ان يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يؤى الملائكة بدونهما

(وجاءت سكرة الموت) غمرته وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله (بالحق) أي بحقيقة الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه أمر الانسان من السعادة والشقاوة ويقال لمن جاءته سكرة الموت (ذلك ما كنت منه تحيد) تميل قال الحسن تهرب قال ابن عباس تكره وأصل الحيد الميل يقال حدت عن الشيء احيد حيدا وحيدا إذا ملت عنه (ونفخ في الصور) يعني نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أي ذلك اليوم يوم الوعيد الذي وعده الله الكفار أن يعذبهم فيه قال مقاتل يعني بالوعيد العذاب أي يوم وقوع الوعيد (وجاءت) ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) يسوقها إلى المحشر (وشهيد) يشهد عليها بما عملت وهو عمله قال الضحاك السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الايد (١٩٦) والأرجل وهي رواية العوفي عن ابن عباس وقال الاخرون هما جميعا من الملائكة فيقول الله لهما

(لقد كنت في غفلة من هذا) اليوم في الدنيا (فكشفنا عنك غطاءك) الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك (فبصرك اليوم حديد) نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا وروى عن مجاهد قال يعني نظرك إلى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك (وقال قرينه) الملك الموكل به (هذا ما لدي عتيد) معد محضر وقيل ما بمعنى من وقال مجاهد يقول هذا الذي وكلتني به من ابن آدم حاضر عندي قد احضرته واحضرت ديوان أعماله فيقول الله عز وجل لقرينه (القيا في جهنم) هذا خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب يقولون ويلك ارحلاها وازجراها وخذاها واطلقاها للواحد قال الفراء وأصل ذلك ان ادنى اعوان الرجل في ابله غنمه وسفره اثنان فجرى كلام الواحد على صاحبيه ومنه قولهم في الشعر للواحد خليلي وقال الزجاج هذا أمر للسائق والشهيد وقيل للتلقين (كل كفار عنيد) عاص معرض عن الحق قال عكرمة ومجاهد مجانب للحق معاند لله (مناع للخير) أي للزكاة المفروضة وكل حق وجب في ماله (معتد) ظالم لا يقر بتوحيد الله (مريب) شاك في التوحيد ومعناه داخل في الريب (الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد) وهو النار (قال قرينه) يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر (ربنا ما اطغيته) ما اضللته وما اغويته (ولكن كان في ضلال بعيد) عن الحق فيتبرأ عنه شيطانه قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل قال قرينه يعني الملك قال سعيد بن جبير يقول الكافر يارب أن الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته يعني مازدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد طويل لا يرجع عنه إلى الحق (قال) يعني يقول الله

منه وهو على تلك الحاله حتى يكتبا ما يتكلم به انهما يكتبان عليه كل شيء يتكلم به حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان إلا ما له اجر وثواب او عليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصري يعجبه ان ينظف عنفقه روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول الله ﷺ كاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنه كتبها صاحب اليمين عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر * قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت) اي غمرته وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله (بالحق) اي بحقيقة الموت وقيل بالحق من امر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة (ذلك ما كنت منه تحيد) اي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذي كنت عنه تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره (ونفخ في الصور) يعني نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) اي ذلك اليوم الذي وعد الله الكفار ان يعذبهم فيه (وجاءت) اي في ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) اي يسوقها إلى المحشر (وشهيد) اي يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهد من انفسهم الايدي والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس (لقد كنت في غفلة من هذا) اي من هذا اليوم في الدنيا (فكشفنا عنك غطاءك) اي الذي كان على قلبك وسمعك وبصرك في الدنيا (فبصرك اليوم حديد) اي قوي ثابت نافذ تبصر ما كنت تتكلم به في الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل تظرك إلى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك (وقال قرينه) يعني الملك الموكل به (هذا ما لدي) اي عندي (عتيد) اي معد محضر وقيل يقول الملك هذا الذي وكلتني به من بني آدم قد احضرته واحضرت ديوان عمله (القيا في جهنم) اي يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا امر للسائق والشهيد (كل كفار) اي شديد الكفر (عتيد) اي عاص معرض عن الحق معاند لله فيما امره به (مناع للخير) اي للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه في ماله (معتد) اي ظالم لا يقر بتوحيد الله (مريب) اي شاك في التوحيد (الذي جعل مع الله الها آخر فألقياه في العذاب الشديد) يعني النار (قال قرينه) يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر (ربنا ما اطغيته) قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا اطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما اطغيته اي ما اضللته وما اغويته (ولكن كان في ضلال بعيد) اي عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعني الملك يقول الكافر رب أن الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته اي مازدت عليه وما كتبت إلا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد اي طويل لا يرجع عنه إلى الحق (قال) الله

(لاتختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد) فى القرآن وأنذرتكم وحذرتكم على لسان الرسول وقضيت عليكم ما أنا قاض (ما يبدل القول لدى) لا تبديل لقولى وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال قوم معنى ما يبدل القول لدى أى لا يكذب القول عندى ولا يغير القول عن وجهه لأنى اعلم الغيب وهذا قول الكلبى واختيار الفراء لأنه قال ما يبدل لدى ولم يقل ما يبدل القول لى (وما أنا بظلام للعبيد) فاعاقبهم بغير جرم (يوم نقول لجهنم) قرأ نافع وأبو بكر بالياء أى يقول الله (١٩٧) لقوله لاتختصموا لدى وقرأ الاخرون بالنون (هل امتلأت) وذلك لما سبق لها من وعده اياها انه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله عز وجل لتصديق خبره وتحقيق وعده (وتقول) جهنم (هل من مزيد) قيل معناه قد امتلأت فلم يبق فى موضع لم يمتلىء فهو استفهام انكار هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل ابن سليمان وقيل هذا استفهام بمعنى الاستزادة وهو قول ابن عباس فى رواية أبى صالح وعلى هذا يكون السؤال بقوله هل امتلأت قبل دخول جميع اهلها فيها وروى عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سيق أعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملؤها شىء فتقول ألست قد أقسمت لتملأنى فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت وليس فى

تعالى (لاتختصموا لدى) أى لا تعتذروا عندى بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنائهم (وقد قدمت اليكم بالوعيد) أى بالقرآن وأنذرتكم على ألسن الرسل وحذرتكم عذابى فى الاخرة لمن كفر (ما يبدل القول لدى) أى لا تبديل لقولى وهو قوله عز وجل لأملأن جهنم وقضيت عليكم ما أنا قاض فلا يغير قولى ولا يبدل وقيل معناه ولا يكذب عندى ولا يغير القول لدى ولم يقل ما يبدل لى (وما أنا بظلام للعبيد) أى فاعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فازيد على اساءة المسىء أو انقص من احسان المحسن * قوله عز وجل (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده (وتقول) يعنى جهنم (هل من مزيد) يعنى تقول قد امتلأت ولم فى موضع لم يمتلىء فهو استفهام انكارى وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلات قبل دخول جميع اهلها فيها وروى عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لأملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سيق أعداء الله إليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملؤها شىء فتقول ألست قد أقسمت لتملانى فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلات فتقول قط قط قد امتلات وليس فى مزيد (ق) عن انس ابن مالك رضى الله عنه ان النبى ﷺ قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزش وفى رواية رب العزة فيها قدمه فيزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشأ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولابى هريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه احدا

(فصل) هذا الحديث من مشاهير احاديث الصفات وللعلماء فيه وفى أمثاله مذهبان أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين انه لا يتكلم فى تأويلها بل نؤمن بانها حق على ما أراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب الثانى وهو قول جمهور المتكلمين أنها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا فى تاويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم المقدم وهو سائغ فى اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير فى قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل ان فى المخلوقات من تسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضى عياض اظهر التاويل انهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعى العقلى على استحالة الجارحة على الله تعالى والله أعلم قوله قط قط أى حسبى حسبى قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه احدا يعنى انه يستحيل الظلم فى حق الله تعالى فمن عذبه بذنب أو بغير ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعالى * قوله تعالى (وأزلفت الجنة) اى قربت وأدنيت (للمتقين) أى الذين اتقوا الشرك (غير بعيد) يعنى انها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل ان يدخلوها (هذا ما توعدون) أى يقال لهم الذى وعدتم به فى الدنيا

مزيد أخبرنا أبو سعيد احمد بن محمد بن العباس الحميدى أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسى أنا أبو حاتم محمد بن ادريس الرازى ثنا آدم ابن ابى اياس العسقلانى ثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن انس ابن مالك قال قال النبى ﷺ لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك ويزوى بعضها إلى بعض ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشىء الله خلقا فيسكنه فضول الجنة (وأزلفت الجنة) قربت وأدنيت (للمتقين) الشرك (غير بعيد) ينظرون اليها قبل أن يدخلوها (هذا ما توعدون) قرأ ابن كثير بالياء والاخرون بالتاء يقال لهم هذا الذى ترونه ما توعدون على ألسنة الانبياء عليهم السلام

(لكل أواب) رجاع الى الطاعة عن المعاصي قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبي ومجاهد الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وقال الضحاك هو التواب وقال ابن عباس وعطاء هو المسبح من قوله يا جبال أوبي معه وقال قتادة هو المصلي (حفيظ) قال ابن عباس الحافظ لأمر الله وعنده ايضا هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها قال قتادة حفيظ لما استودعه الله من قال الضحاك المحافظ على نفسه المتعهد لها قال الشعبي المراقب قال سهل بن عبد الله هو المحافظ على الطاعات والاوامر (من خشي الرحمن بالغيب) محل من جر على نعت الأواب وقيل رفع على الاستئناف ومعنى الاية من خاف الرحمن واطاعه بالغيب ولم يره وقال الضحاك والسدي يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد قال الحسن إذا أرخى الستر وأغلق الباب (وجاء بقلب منيب) مخلص مقبل إلى طاعة الله (ادخلوها) أي يقال لأهل هذه الصفة ادخلوها اى ادخلوا الجنة (١٩٨) (بسلام) بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم (ذلك يوم الخلود لهم ما يشاءون فيها) وذلك انهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ماشاؤا ثم يزيدهم الله من عنده مالم يسألوه وهو قوله (ولدينا مزيد) يعني الزيادة لهم في النعيم مالم يخطر ببالهم وقال جابر وانس هو النظر الى وجه الله الكريم قوله عز وجل (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد) ضربوا وساروا وتقلبوا وطافوا وأصله من النقب وهو الطريق كانهم سلكوا كل طريق (هل من محيص) فلم يجدوا محيصا من امر الله وقيل هل من محيص مفر من الموت فلم يجدوا فيه إنذارا لأهل مكة انهم على مثل سبيلهم لا يجدون مفرا عن الموت يموتون فيصيرون إلى عذاب الله (ان في ذلك) فيما ذكرت من العبر والعذاب وإهلاك القرى (لذكرى) تذكرة وعظة (لمن كان له قلب) قال ابن عباس اى عقل قال الفراء هذا جائز في العربية تقول فقوله ما لك قريب وما قلبك معك اى ما عقلك معك وقيل له قلب حاضر مع الله (او القى السمع) اجتمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره تقول العرب القِ إلي سمعك يعني استمع (وهو شهيد) يعني حاضر القلب ليس بغافل ولاساه قوله عز وجل (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب) إعياء وتعب نزلت في اليهود حيث قالوا يا محمد أخبرنا بما خلق الله من الخلق في هذه الايام الستة فقال خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين والجبال يوم الثلاثاء والمدائن والانهار والاقوات يوم الاربعاء والسموات والملائكة يوم الخميس الى ثلاث ساعات من يوم الجمعة وخلق في اول الثلاث الساعات الاجال وفي الثانية الافة وفي الثالث ادم قالوا صدقت إن اتممت قال وما ذاك قالوا ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فانزل الله تعالى هذه الاية ردا عليهم

على ألسنة الانبياء (لكل اواب) أي رجاع عن المعصية إلى الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وقيل هو التواب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلي (حفيظ) قال ابن عباس الحافظ لأمر الله وعنده هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل هو المحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب لها قيل هو المحافظ على الطاعات والأوامر (من خشي الرحمن بالغيب) أي خاف الرحمن فأطاعه وان لم يره وقيل خافه في الخلوة بحيث لا يراه احد اذا القى الستر واغلق الباب (وجاء بقلب منيب) اى مخلص مقبل على طاعة الله (ادخلوها) أي يقال لأهل هذه الصفة ادخلوا الجنة (بسلام) أي بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم (ذلك يوم الخلود) انه في الجنة لا موت فيها (لهم ما يشاؤن فيها) وذلك انهم يسألون الله حتى تنتهي مسالتهم فيعطون ما سألوا ثم يزيد الله عبيده مالم يسألوا مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى (ولدينا مزيد) وقيل المزيد هو النظر الى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة في كل دار كرامته فهذا هو المزيد * قوله تعالى (وكم اهلكنا قبلهم) اى قبل كفار مكة (من قرن هم اشد منهم بطشا) يعني سطوة والبطش الاخذ بصولة وعنف (فنقبوا في البلاد) اى ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق (هل من محيص) أي فلم يجدوا لهم محيصا اى مهربا من امر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون إلى عذاب الله وفيه تخويف لأهل مكة لأنهم على مثل سبيلهم (إن في ذلك لذكرى) اى ان فيما ذكر من اهلاك القرى تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) قال ابن عباس اى عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله (أو القى السمع) اى استمع اليه القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره (وهو شهيد) اى حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه * قوله تعالى (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب) اى إعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض وما بينهما في ستة ايام أولها الأحد واخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فانزل الله تعالى هذه الاية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره والظاهر ان المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما

(فاصبر على ما يقولون) من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الأمر بقتالهم (وسبح بحمد ربك) اى صل حمدا لله (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الصبح (وقبل الغروب) يعنى صلاة العصر وروى عن ابن عباس قال قبل الغروب الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) يعنى صلاة المغرب والعشاء وقال محمد ومن الليل أى صلاة الليل أى وقت صلى (وادبار السجود) قرأ أهل الحجاز وحمزة وأدبار السجود بكسر الهمز مصدر أدبر أدبارا وقرأ الاخرون بفتحها على جمع الدبر وقال عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب والحسن والشعبى والنخعى والأوزاعى أدبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهى رواية العوفى عن ابن عباس وروى عنه مرفوعا هذا قول أكثر المفسرين اخبرنا عبد الواحد المليحى انا ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان انا ابو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا ابو ايوب الدمشقى ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابو جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة رضى الله عنها قالت ما كان رسول الله ﷺ على شىء من النوافل اشد معاهدة منه على الركعتين امام الصبح اخبرنا ابو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبى انا ابو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى ثنا ابو العباس محمد بن احمد (١٩٩) المحبوبى ثنا ابو عيسى الترمذى ثنا صالح ابن عبد الله ثنا ابو عوانة عن قتادة عن زرارة بن ابى اوفى عن سعيد بن هشام عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها اخبرنا ابو عثمان الضبى انا ابو محمد الجراحى انا ابو العباس المحبوبى ثنا ابو عيسى الترمذى ثنا محمد بن المثنى ثنا بدل بن المحبر ثنا عبد الملك بن معدان عن عاصم بن بهدلة عن ابى وائل عن عبد الله بن مسعود انه قال ما احصى ما سمعت رسول الله ﷺ يقرا فى الركعتين بعد المغرب وفى الركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وقال مجاهد قوله ادبار السجود هو التسبيح باللسان فى ادبار الصلوات المكتوبات اخبرنا ابو الحسين طاهر بن الحسين الدورقى الطوسى بها انا ابو الحسن محمد بن يعقوب ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن ايوب انا مسدد ثنا خالد هو ابن عبد الله ثنا سهيل عن ابى عبيد عن عطاء بن يزيد عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر اخبرنا عبد الواحد المليحى ثنا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا اسحق ثنا يزيد ثنا أبو رقاء عن سعى عن ابى صالح عن ابى هريرة قال قالوا يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال كيف ذاك قال صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتى أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله تسبحون فى دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا

فقوله وما مسنا من لغوب اى ما تعبنا بالخلق الأول حتى لا تقدر على الاعادة ثانيا كما قال الله تعالى افيعينا بالخلق الأول الاية ل اما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو إما تحريف منهم او لم يعلموا تأويله وذلك ان الأحد والاثنين ازمنة مستمرة بعضها بعد بعض فلا كان خلق السموات والأرض ابتدىء يوم الأحد لكان الزمان قبل الأجسام والزمان لا ينفك عن الأجسام فيكون قبل خلق الأجسام اجسام لأن اليوم عبارة عن زمان صير الشمس من الطلوع إلى الغروب وقبل خلق السموات والأرض لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان اى مدة كانت * قوله عز وجل (فاصبر على ما يقولون) الخطاب للنبى ﷺ اى اصبر يا محمد على ما يقولون اى من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الأمر بقتالهم (وسبح بحمد ربك) اى صل حامدا لله (قبل طلوع الشمس) اى صلاة الصبح (وقبل الغروب) يعنى صلاة المغرب قال ابن عباس صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) يعنى صلاة المغرب والعشاء وقيل يعنى صلاة الليل اى وقت صلى (وادبار السجود) قال عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب وغيرهما ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهى رواية عن انس ابن عباس ويروى مرفوعا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لم يكن النبى ﷺ على شىء من النوافل اشد تعاهدا منه على ركعتى الفجر (م) عنها ان النبى ﷺ قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعنى بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما احصى ما سمعت رسول الله ﷺ يقرا فى الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل فى قوله وادبار السجود التسبيح باللسان فى ادبار الصلوات المكتوبات (ح) عن ابن عباس قال امر رسول الله ﷺ ان يسبح فى ادبار الصلوات كلها يعنى قوله وادبار السجود (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال محمد ﷺ من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد فى البحر (ح) عنه ان فقراء المسلمين اتوا رسول الله ﷺ

قوله عزوجل (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب) أى واستمع ياعمد صيحة القيامة والنشور يوم ينادى المنادى قال مقاتل يعنى إسرافيل ينادى بالحشر ياأيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهى وسط الأرض قال الكلبى هو أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا (يوم يسمعون الصيحة بالحق) وهى الصيحة الأخيرة (ذلك يوم الخروج) من القبور (إنا نحن نحيى ونميت والينا المصير يوم تشقق الأرض عنهم سراعا) جمع سريع أى يخرجون سراعا (ذلك حشر علينا) جمع علينا

(يسير نحن اعلم بما يقولون) يعنى كفار مكة فى تكذيبك (وما انت عليهم بجبار) بمسلط تجبرهم على الاسلام إنما بعثت مذكرا (فذكر بالقران من يخاف وعيد) اى ما اوعدت به من عصانى من العذاب قال ابن عباس قالوا يارسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقران من يخاف وعيد

﴿ سورة الذاريات مكية وهى ستون اية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والذاريات ذروا) يعنى الرياح التى تذر التراب ذروا يقال ذرت الريح التراب واذرت (فالحاملات وقرا) يعنى السحاب تحمل ثقلا من الماء (فالجاريات يسرا) وهى السفن تجرى فى الماء جريا سهلا (فالمقسمات امرا) هى الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما امروا به اقسم بهذه الاشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته ثم ذكر المقسم عليه فقال (إنما توعدون) من الثواب والعقاب (لصادق وإن الدين) الحساب والجزاء (لواقع) لكائن ثم ابتدا قسما اخر فقال لبعدها (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوى يقال للنساج إذا نسج الثوب فأجاد ما احسن حبكه قال سعيد بن جبير ذات الزينة قال الحسن حبكت بالنجوم قال مجاهد هى المتقنة البنيان وقال والكلبى والضحاك ذات الطرائق كحبك الماء إذا ضربته الريح وحبك الرمل والشعر الجعد ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وهى جمع حباك وحبيكة وجواب القسم

فقالوا يانبى الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال أو ماذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بامر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتى أحد بمثل ماجئتم به إلا من جاء بمثله تسبحون فى دبر كل صلاة عشر او تحمدون عشرا وتكبرون عشرا ٭ قوله تعالى (واستمع يوم يناد المناد) يعنى استمع يامحمد حديث يوم ينادى المنادى وقيل معناه انتظر صيحة القيامة والنشور قال المفسرون المنادى هو إسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادى بالحشر فيقول ياأيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وهو قوله تعالى (من مكان قريب) قيل ان صخرة بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هى فى وسط الأرض (يوم يسمعون الصيحة بالحق) أى الصيحة الأخيرة (ذلك يوم الخروج) أى من القبور (إنا نحن نحيى) اى فى الدنيا (ونميت) يعنى عند انقضاء الأجل (والينا المصير) اى فى الآخرة وقيل تقديره نميت فى الدنيا ونحيى للبعث والينا المصير بعد البعث (يوم تشقق الأرض عنهم سراعا) اى يخرجون سراعا إلى المحشر وهو قوله تعالى (ذلك حشر علينا يسير) اى هين (نحن اعلم بما يقولون) يعنى كفار مكة فى تكذيبك (وما انت عليهم بجبار) اى بمسلط نجبرهم على الاسلام إنما بعثت مذكرا وذلك قبل ان يؤمر بقتالهم فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) اى اوما اوعدت به من عصانى من العذاب قال ابن عباس قالوا يانبى الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقران من يخاف وعيد اى عظ بالقران من يخاف وعيد والله اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الذاريات مكية ﴾

(وهى ستون اية وثلثمائة وستون كلمة والف وماتان وتسعة وثلاثون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عزوجل (والذاريات ذروا) يعنى الرياح التى تذر التراب (فالحاملات وقرا) يعنى السحاب تحمل ثقلا من الماء (فالجاريات يسرا) يعنى السفن تجرى فى الماء جريا سهلا (فالمقسمات امرا) يعنى الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما امروا به وقيل هم اربعة جبريل صاحب الوحى إلى الأنبياء الامين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة وإسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة فى الرياح لانها تنشىء السحاب وتسيره ثم تحمله وتقله ثم تجرى به جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته والمعنى اقسم بالذاريات بهذه الاشياء وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى (إن ماتوعدون) اى من الثواب والعقاب يوم القيامة (لصادق) اى الحق (وإن الذين) اى الحساب والجزاء (واقع) اى لكائن ثم ابتدا قسم اخر فقال تعالى (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوى وقيل ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء إذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لا ترى

وله (انكم) يا أهل مكة (لفى قول مختلف) فى القرآن وفى محمد ﷺ تقولون فى القران سحر وكهانة وأساطير الأولين وفى محمد ﷺ ساحر وشاعر مجنون وقيل لفى قول مختلف أى مصدق ومكذب (يؤفك عنه من افك) يصرف عن الإيمان به من صرف حتى يكذبه يعنى من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران وقيل عن بمعنى من أجل أى يصرف من أجل هذا القول المختلف أو بسببه عن الإيمان من يصرف وذلك انهم كانوا يتلقون الرجل إذا أراد الايمان فيقولون انه ساحر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان وهذا معنى قول مجاهد (قتل الخراصون) لعن الكذابون يقال تخرص على فلان الباطل وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن دين الاسلام وقال مجاهد هم الكهنة (الذين هم فى غمرة) غفلة وعمى وجهالة (ساهون) لاهون غافلون عن أمر الاخرة والسهو الغفلة عن الشىء وهو ذهاب القلب عنه (يسألون أيان يوم الدين) يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعنى يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله عز وجل (يوم هم) أى يكون هذا الجزاء فى يوم هم (على النار يفتنون) أى يعذبون ويحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار وقيل على بمعنى الباء أى بالنار وتقول لهم خزنة النار (٢٠١) (ذوقوا فتنتكم) عذابكم (هذا الذى كنتم به تستعجلون) فى الدنيا تكذيبا به (إن المتقين فى جنات وعيون اخذين ما اتاهم) أعطاهم (ربهم) من الخير والكرامة (انهم كانوا قبل ذلك) قبل دخولهم الجنة (محسنين) فى الدنيا (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) والهجوع النوم بالليل دون النهار وما صلة والمعنى كانوا يهجعون قليلا من الليل أى يصلون اكثر الليل وقيل معناه كان الليل الذى ينامون فيه كله قليلا وهذا معنى قول سعيد بن جبير عن ابن عباس يعنى كانوا أقل ليلة تمر بهم إلا صلوا فيها شيئا اما من أولها أو من أوسطها قال أنس بن مالك كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء وقال محمد بن على كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة قال مطرف بن عبد الله بن الشخير قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها قال مجاهد كانوا لا ينامون كل الليل ووقف بعضهم على قوله قليلا أى كانوا من الناس قليلا ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون وجعله جحدا أى لا ينامون بالليل البتة بل يقومون للصلاة والعبادة وهو قول الضحاك ومقاتل (وبالأسحار هم يستغفرون) قال الحسن لا ينامون من الليل إلا أقله وربما نشطوا فمدوا إلى السحر ثم أخذوا فى الاستغفار وقال الكلبى ومجاهد ومقاتل وبالاسحار يصلون وذلك أن صلاتهم بالاسحار لطلب المغفرة

أخبرنا عبد الواحد المليحى انا ابو محمد الحسن بن محمد المخلدى انا ابو العباس محمد بن اسحق السراج ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول انا الملك أنا الملك من الذى يدعونى فاستجيب له من الذى يسألنى فاعطيه من الذى يستغفرنى فاغفر له اخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسميل ثنا على بن عبد الله ثنا سليمان بن ابى مسلم عن طاوس سمع

لبعدها من الناس وجواب القسم قوله انكم يعنى يا أهل مكة (لفى قول مختلف) يعنى فى القران وفى النبى صلى الله عليه وسلم يقولون فى القران سحر وكهانة وأساطير الأولين وفى محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وقيل لفى قول مختلف أى مصدق ومكذب (يؤفك عنه من أفك) أى يصرف عن الايمان من صرف حتى يكذبه وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل إذا أراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان به (قتل الخراصون) أى الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول فى النبى ﷺ ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة (الذين هم فى غمرة) أى فى غفلة وعمى وجهالة (ساهون) أى لاهون غافلون عن امر الاخرة والسهو الغفلة عن الشىء وذهاب القلب عنه (يسألون أيان يوم الدين) أى يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعنى يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله تعالى (يوم هم) أى يكون هذا الجزاء فى يوم هم (على النار يفتنون) أى يدخلون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة النار (ذوقوا فتنتكم) أى عذابكم (هذا الذى كنتم به تستعجلون) أى فى الدنيا تكذيبا به * قوله تعالى (إن المتقين فى جنات وعيون) يعنى فى خلال الجنات عيون جارية (اخذين ما اتاهم) أى ما اعطاهم (ربهم) أى من الخير والكرامة (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) اى قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين فى الدنيا ثم وصف احسانهم فقال تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) اى كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون اكثره وقال ابن عباس كانوا اقل ليلة تمر بهم إلا صلوا فيها شيئا اما من اولها او من وسطها عن انس بن مالك فى قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كان يصلون بين المغرب والعشاء اخرجه ابو داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلون العتمة وقيل قل ليلة اتت عليهم هجوها كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا اى من الناس ثم ابتدا من الليل ما يهجعون اى لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله فى الصلاة والعبادة (وبالاسحار هم يستغفرون) اى ربما مدوا عبادتهم إلى وقت السحر ثم اخذوا فى الاستغفار وقيل معناه يستغفرون من تقصيرهم فى العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذى كانوا ينامونه من الليل

ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت (٢٠٢) وما اخرت وما اسررت وما أعلنت وما أنت اعلم به مني انت المتقدم وانت المؤخر لا إله إلا انت ولا إله غيرك قال سفيان وزاد عبد الكريم ابو امية ولا حول ولا قوة إلا بالله اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا صدقة انا الوليد عن الاوزاعي حدثني عمير بن هانيء حدثني جنادة بن ابي امية حدثني عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال رب اغفر لي او قال دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته قوله عز وجل (وفي اموالهم حق للسائل والمحروم) السائل الذي يسأل الناس والمحروم الذي ليس له في الغنيمة سهم ولا يجري عليه من الفيء شيء هذا قول ابن عباس وسعيد بن المسيب قال المحروم الذي ليس له في الاسلام سهم ومعناه في اللغة الذي منع الخير والعطاء وقال قتادة والزهري المحروم المتعفف الذي لا يسأل وقال زيد بن اسلم هو المصاب ثمره او زرعه او نسل ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظي قال المحروم صاحب الحاجة ثم قرأ إنا لمغرمون بل نحن محرمون (وفي الأرض ايات) عبر (للموقنين) إذا ساروا فيها من الجبال والبحار والاشجار والثمار وانواع النبات (وفي نفسكم) ايات اذ كانت نطفة ثم علقة ثم عظما إلى ان نفخ فيها الروح وقال عطاء عن ابن عباس يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبائع وقال ابن الزبير يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من السبيلين

وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له ولمسلم قال فيقول انا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضيء الفجر وزاد في رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم

(فصل) هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان أحدهما وهو مذهب السلف وغيرهم انه يمر كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل ويترك الكلام فيه وفي أمثاله مع الايمان به وتنزيه الرب تبارك وتعالى عن صفات الأجسام المذهب الثاني وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم أن الصعود والنزول من صفات الأجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الأخير من الليل لأن ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة اكثر الناس عن التعريض لنفحات رحمة الله تعالى وفي ذلك الوقت تكون خالصة والرغبة إلى الله تعالى متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة والله تعالى اعلم (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد انت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد انت ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق النبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك امنت وعليك توكلت وإليك انبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت زاد في رواية وما أنت اعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا إله غيرك زاد النسائي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (خ) عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي او قال دعا أستجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه إذا انتبه وله صوت * وقوله عز وجل (وفي أموالهم حق) أي نصيب قيل انه ما يصلون به رحما أو يقرون به اضيفا أو يحملون به كلا او يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل الزكاة المفروضة (للسائل) أي الذي يسأل الناس ويطلب منهم (والمحروم) قيل هو الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه في الفيء شيء قال ابن عباس رضي الله عنهما المحروم الذي ليس له في فيء الاسلام سهم وقيل معناه الذي حرم الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسأل وقيل هو صاحب الجائحة الذي أصيب زرعه وثمره أو نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب واظهر الأقوال انه المتعفف لأنه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسال ولا يكاد الناس يعطون من لا يسال انما يفطن له متيقظ (وفي الارض ايات) اى عبر من البحار والجبال والأشجار والثمار وانواع النبات (للموقنين) اى بالله الذي يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه (وفي انفسكم) اى ايات إذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما إلى ان تنفخ الروح وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد اختلاف

(افلا تبصرون) قال مقاتل أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث (وفى السماء رزقكم) قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل يعنى المطر الذى هو سبب الارزاق (وما توعدون) قال عطاء من الثواب والعقاب وقال مجاهد من الخير والشر وقال الضحاك وما توعدون من الجنة والنار ثم اقسم بنفسه فقال (فورب السماء والأرض إنه لحق) أى ماذكرت من أمر الرزق لحق (مثل) قرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم مثل برفع اللام بدلا من الحق وقرأ الاخرون بالنصب اى كمثل (ما انكم تنطقون) فتقولون لا إله إلا الله وقيل شبه تحقيق ما اخبر عنه بتحقيق نطق الادمى كما تقول انه لحق كما انت ههنا وأنه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء يعنى كما ان كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له ولا يقدر ان يأكل رزق غيره

الألسنة والصور والألوان والطبائع وقيل يريد الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعنى تقويم الادوات والسمع والبصر والنطق والعقل إلى غير ذلك من العجائب المودعة فى ابن ادم (افلا تبصرون) يعنى كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث (وفى السماء رزقكم) قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الارزاق (وما توعدون) يعنى من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم اقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال (فورب السماء والأرض أنه لحق) أى ماذكر من الرزق وغيره (مثل ما انكم تنطقون) اى بلا إله إلا الله وقيل شبه تحقيق ما اخبر عنه بتحقيق نطق الادمى ومعناه أنه لحق كما انك تتكلم وقيل ان معناه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما ان كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له لا يقدر ان يأكل رزق غيره * قوله تعالى (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم) يعنى هل اتاك يا محمد حديث الذين جاؤا إبراهيم بالبشرى فاستمع نقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم فى سورة هود (المكرمين) قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقيل لانهم كانوا ضيف إبراهيم وهو اكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل ن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته إياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما سماهم مكرمين لانهم كانوا غير مدعوين (ق) عن ابى شريح العدوى قال قال رسول الله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) اى غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس قال فى نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل إنما انكر امرهم لانهم دخلوا بغير استئذان وقيل انكر سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الأرض (فراغ) أى عدل ومال (الى أهله فجاء بعجل سمين) اى جيد وكان مشويا قيل كان عامة مال ابراهيم البقر فجاء بعجل) فقربه اليهم) هذا من اداب المضيف ان يقدم الطعام الى الضيف ولا يحوجهم السعى اليه فلما لم يأكلوا (قال الا تأكلون) يعنى انهم حشم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير ان يأمرهم (فاوجس) اى فاضمر (منهم خيفة) لانهم لم يتحركوا بطعامه (قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) أى يبلغ ويعلم وقيل عليم اى نبى (فاقبلت امراته) قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت فى البيت فهو كقول القائل اقبل يفعل كذا اخذ فيه (فى صرة) اى فى صيحة والمعنى انها اخذت تولول وذلك من عادة النساء اذا سمعن شيئا (فصكت وجهها) قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت أصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء أيضا اذا انكرن شيئا (وقالت عجوز عقيم) معناه أتلد عجوز عقيم وذلك لأن سارة لم تلد قبل ذلك (قالوا كذلك قال ربك) اى كما قلنا لك قال ربك أنك ستلدين غلاما (انه هو الحكيم العليم) ثم أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما علم حالهم وأنهم من الملائكة (قال فما خطبكم) اى فما شانكم وما طلبكم (أيها

قوله عز وجل (هل اتاك حديث ضيف إبراهيم) ذكرنا عددهم فى سورة هود (المكرمين) قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقد قال الله تعالى فى وصفهم بل عباد مكرمين وقيل لانهم كانوا ضيف إبراهيم وكان إبراهيم اكرم الخليقة وضيف الكرام مكرمون وقيل لان ابراهيم عليه السلام اكرمهم بتعجيل قراهم والقيام بنفسه عليهم بطلاقة الوجه وقال ابن ابى نجيح عن مجاهد خدمته بنفسه إياهم وروى عن ابن عباس سماهم مغرمين لأنهم جاؤا غير مدعوين وروينا عن النبى ﷺ انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال) إبراهيم (سلام قوم منكرون) أى غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس قال فى نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان

وقال أبو العالية أنكر سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الأرض (فراغ) فعدل ومال (الى اهله فجاء بعجل سمين) مشوى (فقربه اليهم) ليأكلوا فلم يأكلوا (قال الا تأكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فاقبلت امراته فى صرة) أى صيحة قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان وانما هو كقول القائل اقبل يشتمنى بمعنى أخذ فى شتمى أى أخذت تولول كما قال الله تعالى قالت ياويلتى (فصكت وجهها) قال ابن عباس لطمت وجهها وقال الاخرون جمعت اصابعها فضربت جبينها تعجبا كعادة النساء اذا انكرن شيئا وأصل الصك ضرب الشىء بالشىء العريض (وقالت عجوز عقيم) مجازه أتلد عجوز عقيم وكانت سارة لم تلد قبل ذلك (قالوا كذلك قال ربك) أى كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما (انه هو الحكيم العليم قال) ابراهيم (فما خطبكم أيها

المرسلون قالوا انا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة) معلمة (عند ربك للمسرفين) قال ابن عباس للمشركين والشرك اسرف الذنوب واعظمها (فاخرجنا من كان فيها) اى فى قرى قوم لوط (من المؤمنين) وذلك قوله فاسر باهلك بقطع من الليل (فما وجدنا فيها غير بيت) اى غير اهل بيت (من المسلمين) يعنى لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم (وتركنا فيها) اى فى مدينة قوم لوط (اية) عبرة (للذين يخافون العذاب الأليم) أى علامة للخائفين تدلهم على ان الله تعالى اهلكهم فيخافون مثل عذابهم (وفى موسى) اى وتركنا فى ارسال موسى اية وعبرة وقيل هو معطوف على قوله وفى الارض ايات للموقنين وفى موسى (إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين) بحجة ظاهرة (فتولى) اى اعرض وادبر عن الايمان (بركنه) اى بجمعه وجنوده الذين كانوا يتقوى بهم كالركن الذى يقوى به البنيان نظيره قوله تعالى أو آوى إلى ركن شديد (وقال ساحر أو مجنون) قال أبو عبيدة او بمعنى الواو (فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) اغرقناهم فيه (وهو مليم) اى آت (٢٠٤) بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل (وفى عاد) اى وفى اهلاك عاد ايضا اية (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وهى التى لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا (ما تذر من شىء اتت عليه) من انفسهم وانعامهم ومواشيهم وأموالهم (إلا جعلته كالرميم) كالشىء الهالك البالى وهو نبات الارض إذا يبس وديس قال مجاهد كالتبن اليابس قال قتادة كرميم الشجر قال ابو العالية كالتراب المدقوق وقيل اصله من العظم البالى (وفى ثمود إذا قيل لهم تمتعوا حتى حين) يعنى وقت فناء اجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا ثلاثة أيام (فعتوا عن امر ربهم فأخذتهم الصاعقة) يعنى بعد مضى الأيام الثلاثة وهى الموت فى قول ابن عباس قال مقاتل يعنى العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك وقرأ الكسائى الصعقة وهى الصوت الذى يكون هو من الصاعقة (وهم ينظرون) يرون ذلك عيانا (فما استطاعوا من قيام) فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض قال قتادة لم ينهضوا من تلك الصرعه (وما كانوا منتصرين) منتقمين منا قال قتادة ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله (وقوم نوح) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى وقوم بجر الميم أى وفى قوم نوح وقرأ الآخرون بنصبها بالحمل على المعنى وهو أن قوله فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم معناه أغرقناهم كانه قال أغرقنا هم وأغرقنا قوم نوح (من قبل) أى من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون (إنهم كانوا قوما فاسقين والسماء بنيناها بأيد) بقدرة وقوة (وإنا لموسعون) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لقادرون وعنه أيضا لموسعون الرزق على خلقنا وقيل ذو سعة وقال الضحاك أغنياء دليله قوله عز وجل وعلى الموسع قدره قال الحسن المطيقون

المرسلون قالوا إنا ارسلنا إلى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) قيل هو الآجر (مسومة) اى معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا (عند ربك للمسرفين) قال ابن عباس يعنى المشركين لأن الشرك اسرف الذنوب وأعظمها (فاخرجنا من كان فيها) اى فى قرى قوم لوط (من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت) اى اهل بيت (من المسلمين) يعنى لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم لأن الاسلام اعم من الايمان واطلاق العام على الخاص لا مانع منه فاذا سمى المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما (وتركنا فيها) اى فى مدينة قوم لوط (اية) عبرة (للذين يخافون العذاب الاليم) والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على ان الله ملكهم فيخافون مثل عذابهم قوله عز وجل (وفى موسى) اى وتركنا فى إرسال موسى آية وعبرة (اذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين) أى بحجة ظاهرة (فتولى) أى أعرض عن الايمان (بركنه) اى بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم (وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) اى فأغرقناهم فى البحر (وهو مليم) اى آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل (وفى عاد) اى وفى اهلاك عاد ايضا اية وعبرة (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) يعنى التى لا خير فيها ولا بركة فلا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا (ما تذر من شىء اتت عليه) اى من انفسهم وأموالهم وأنعامهم (إلا جعلته كالرميم) اى كالشىء الهالك البالى وهو ما يبس وديس من نبات الارض كالشجر والتبن ونحوه واصله من رم العظم إذا بلى (وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) يعنى إلى وقت انقضاء اجالهم وذلك أنهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) أى تكبروا عن طاعة ربهم (فاخذتهم الصاعقة) أى بعد مضى ثلاثة أيام من بعد عقر الناقة وهى الموت فى قول ابن عباس وقيل اخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك (وهم ينظرون) اى يرون ذلك العذاب عيانا (فما استطاعوا من قيام) اى فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض من تلك الصرعة (وما كانوا منتصرين) اى ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنون بها من امر الله (وقوم نوح) قرىء بكسر الميم ومعناه وفى قوم نوح وقرى بنصبها ومعناه واغرقنا قوم نوح (من قبل) اى من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون (إنهم كانوا قوما فاسقين) اى خارجين عن الطاعة * قوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد) أى بقوة وقدرة (وإنا لموسعون) قيل

(والأرض فرشناها) بسطناها ومهدناها لكم (فنعم الماهدون) الباسطون نحن قال ابن عباس نعم ما وطأت لعبادى (ومن كل شىء خلقنا زوجين) صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والشتاء والصيف والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والجنة والنار والحق والباطل والحلو والمر (لعلكم تذكرون) فتعلمون ان خالق الأزواج فرد (ففروا إلى الله) فاهربوا من عذاب الله إلى ثوابه بالايمان والطاعة قال ابن عباس فروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله فروا مما سوى الله إلى الله (انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله إلها اخر إنى لكم منه نذير مبين كذلك) اى كما كذبك قومك يا محمد وقالوا ساحر او مجنون كذلك (ما اتى الذين من قبلهم) من كفار مكة (من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) قال الله تعالى (اتواصوا به) اى اوصى اولهم اخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤا عليه والالف فيه للتوبيخ (بل هم قوم طاغون) قال ابن عباس حملهم الطغيان فيما اعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك (فتول عنهم) فاعرض عنهم (فما انت بملوم) لا لوم عليك فقد أديت الرسالة وما قصرت فيما امرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الاية حزن رسول الله ﷺ واشتد ذلك على أصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر إذ امر النبى ﷺ ان يتولى عنهم فانزل الله تعالى (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت انفسهم قال مقاتل معناه عظ بالقران كفار مكة فان الذكرى تنفع من فى علم الله ان يؤمن منهم وقال الكلبى عظ بالقران من امن من قومك فان الذكرى تنفعهم (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) قال الكلبى والضحاك وسفيان هذا

هو من السعة أى اوسعنا السماء بحيث صارت الأرض ومايحيطها من السماء والقضاء بالنسبة إلى سعة السماء كالحلقة الملقاة فى الفلاة وقال ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون اى الرزق على خلقنا وقيل معناه واناذو السعة والغنى (والأرض فرشناها) أى بسطناها ومهدناها لكم (فنعم الماهدون) اى نحن (ومن كل شىء خلقنا زوجين) اى صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والإنس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والمر والحامض لعلكم تذكرون) اى فتعلمون ان خالق الأزواج فرد لا نظير له ولا شريك معه (ففروا إلى الله) اى قل يا محمد ففروا إلى الله أى فاهربوا من عذابه إلى ثوابه بالايمان والطاعة وقال ابن عباس ففروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله إلى الله (إنى لكم منه نذير) اى مخوف (مبين) أى بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع (ولا تجعلوا مع الله إلها اخر) أى وحدوه ولا تشركوا به شيئا (إنى لكم منه نذير مبين) قيل إنما كرر قوله إنى لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع إلا مع العمل كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون (كذلك ما أتى الذين من قبلهم) اى من قبل كفار مكة والأمم الخالية (من رسول) يعنى يدعوهم إلى الايمان والطاعة (إلا قالوا ساحر أو مجنون) قال الله تعالى (اتواصوا به) اى أوصى اولهم اخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤا عليه وفيه توبيخ لهم (بل هم قوم طاغون) اى لم يتواصلوا بهذا القول لأنهم لم يتلاقوا على زمان واحد بل جمعتهم على ذلك علة واحدة وهى الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول (فتول عنهم) اى اعرض عنهم (فما انت بملوم) اى لا لوم عليك فقد أديت الرسالة وبذلت المجهود وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذة الاية حزن رسول الله ﷺ واشتد على أصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر إذ امر النبى ﷺ ان يتولى عنهم فأنزل الله عز وجل (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقران كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله انه يؤمن منهم وقيل معناه عظ بالقران من امن من قومك فان الذكرى تنفعهم * قوله عز وجل (وما خلقت الجن والانس) أى من المؤمنين (إلا ليعبدون) قيل هذا خاص باهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والانس من المؤمنين إلا ليعبدون وقيل معناه وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتى والأشقياء منهم إلا لمعصيتى

خاص لاهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون ثم قال فى اية أخرى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقال بعضهم وما خلقت السعداء من الجن والانس إلا لعبادتى والاشقياء منهم إلا لمعصيتى وهذا معنى قول زيد بن أسلم قال هم على ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه إلا ليعبدون اى إلا لآمرهم أن يعبدونى وأدعوهم إلى عبادتى يؤيده قوله عز وجل وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا وقال مجاهد إلا ليعرفونى وهذا أحسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده دليله قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقيل معناه إلا ليخضعوا إلى ويتذللوا ومعنى العبادة فى اللغة التذلل والانقياد فكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله ومتذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجا عما خلق عليه قدر ذرة من نفع ولا ضر وقيل إلا ليعبدون إلا ليوحدون فاما المؤمن فيجده فى الشدة والرخاء وأما الكافر

فيجده فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء بيانه قوله عزوجل فاذا ركبوا فى الفلك دعوا مخلصين له الدين (ما أريد منهم من رزق) أى أو يرزقوا أحدا من خلقى ولا أن يرزقوا أنفسهم (وما أريد أن يطعمون) أى ان يطعموا أحدا من خلقى وإنما أسند الاطعام إلى نفسه لأن الخلق عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد أطعمه كما جاء فى الحديث يقول الله يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمنى أى فلم تطعم عبدى ثم بين ان الرزاق هو لا غيره فقال (إن الله هو الرزاق) يعنى لجميع خلقه (ذو القوة المتين) وهو القوى المقتدر

المبالغ فى القوة والقدرة (فان للذين ظلموا) كفروا من اهل مكة (ذنوبا) نصيبا من العذاب (مثل ذنوب اصحابهم) مثل نصيب صحابهم الذين اهلكوا من قوم نوح وعاد وثمود واصل الذنوب فى اللغة الدلو العظيمة المملوءة ماء ثم استعمل فى الحظ والنصيب (فلا يستعجلون) بالعذاب يعنى انهم اخروا إلى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل) فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة وقيل يوم بدر

﴿سورة الطور مكية وهى تسع واربعون اية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والطور) أراد به الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام بالارض المقدسة أقسم الله تعالى به (وكتاب مسطور) مكتوب (فى رق منشور) الرق ما يكتب فيه وهو أديم المصحف والمنشور المبسوط واختلفوا فى هذا الكتاب قال الكلبى هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير القلم وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة تخرج اليهم يوم القيامة منشوره فاخذ بيمينه واخذ بشماله دليله قوله عزوجل لا ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (والبيت المعمور) بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت فى السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له الصراع حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون

وهو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال على بن ابى طالب إلا ليعبدون أى إلا لامرهم ان يعبدونى وادعوهم إلى عبادتى وقيل معناه إلا ليعرفونى وهذا حسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده وقيل معناه إلا ليخضعوا إلى ويتذللون لأن معنى العبادة فى اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل للمشيئة لا يملك احد لنفسه خروجا عما خلق له وقيل معناه إلا ليوحدونى فاما المؤمن فيوحده اختيارا فى الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده اضطرارا فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء (ما أريد منهم من رزق) اى ما أريد أن يرزقوا أحدا من خلقى ولا ان يرزقوا أنفسهم لانى انا الرزاق المتكفل لعبادى بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها (وما أريد أن يطعمون) اى ان يطعموا أحدا من خلقى وإنما أسند الاطعام إلى نفسه لأن الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد اطعمه لما صح من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ ان الله عزوجل يقول يوم القيامة يا ابن ادم مرضت فلم تعدنى قال يارب كيف أعودك وانت رب العالمين قال أما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتنى عنده يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمنى قال يارب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال ما علمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن ادم استسقيك فلم تسقنى قال يارب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تشقه اما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك عندى اخرجه مسلم ثم بين ان الرزاق هو لا غيره فقال تعالى (إن الله هو الرزاق) اى لجميع خلقه (ذو القوة المتين) يعنى هو القوى الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذى لا يلحقه فى أفعاله مشقة (فان للذين ظلموا اى من اهل مكة (ذنوبا) اى نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) اى مثل نصيب اصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود (فلا يستعجلون) اى بالعذاب لانهم أخروا إلى يوم القيامة يدل عليه قوله عزوجل (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة وقيل يوم بدر والله تعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الطور مكية﴾

(وهى تسع وأربعون اية وثلثمائة واثنتا عشرة كلمة والف وخمسمائة حرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عزوجل (والطور) اراد به الجبل الذى كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام عليه بالارلك المقدسة وقيل بمدين (وكتاب مسطور) اى مكتوب (فى رق) يعنى الاديم الذى يكتب فيه المصحف (منشور) اى ميسوط واختلفوا فى الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير الاقلام وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة يخرج اليهم يوم القيامة منشورا فآخذ بيمينه واخذ بشماله وقيل هو القران (والبيت المعمور) يعنى بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت فى السماء السابعة قدام العرش بحيال الكعبة يقال له الصراح حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض وصح فى حديث المعراج من أفراد مسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور فى السماء السابعة قال فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه وفى رواية أخرى قال فانتهيت إلى بناء فقلت للملك ماهذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون الف ملك

اليه أبدا (والسقف المرفوع) يعنى السماء نظيره قوله عز وجل وجعلنا السماء سقفا محفوظا (والبحر المسجور) قال محمد بن كعب القرظى والضحاك يعنى الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ماروى أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزداد بها نار جهنم كما قال الله تعالى وإذا البحار سجرت وجاء فى الحديث عن عبدالله بن عمرو قال رسول الله ﷺ لا يركبن رجل بحرا إلا غازيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقال مجاهد والكلبى المسجور المملوء يقال سجرت الاناء إذا ملأته وقال الحسن وقتادة وأبو العالية هو اليابس الذى قد ذهب ماؤه ونضب وقال الربيع بن أنس هو المختلط العذب بالملح وروى الضحاك عن النزال بن سبرة على أنه قال فى البحر المسجور هو بحر تحت العرش سعته كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان تمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحا فينبتون فى قبورهم هذا قول مقاتل اقسم (٢٠٧) الله بهذه الأشياء (إن عذاب ربك

لا يعودون يسبحون الله ويقدسونه وفى أفراد البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) يعنى الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ماروى أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزداد بها فى نار جهنم وجاء فى الحديث عن عبدالله بن عمر وقال قال رسول الله ﷺ لا يركبن رجل البحر إلا غازيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملوء وقيل هو اليابس الذى ذهب ماؤه نضب وقيل هو المختلط العذاب بالملح وروى عن على أنه قال البحر المسجور وهو بحر تحت العرش عمره كما بين سبع سموات الى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحا فينبتون من قبورهم اقسم الله بهذه الأشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى (إن عذاب ربك لواقع) يعنى انه لحق وكائن ونازل بالمشركين فى الاخرة (ما له من دافع) اى مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فدفعت له وهو يصلى بأصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور إلى قوله إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبى حين سمعته ولم يكن اسلم يومئذ فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن أنى أقوم من مكانى حتى يقع بى العذاب ثم بين انه متى يقع فقال تعالى (يوم تمور السماء مورا) اى تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة وقيل تتحرك وتختلف أجزاؤها بعضها من بعض وتضطرب (وتسير الجبال سيرا) اى تزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة فى مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بأن لا رجوع ولا عود إلى الدنيا وذلك لأن الأرض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك إنما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بنى آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها أزالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الاخرة (فويل) اى شدة عذاب (يومئذ للمكذبين) اى يوم القيامة (الذين هم فى خوض) اى يخوضون فى الباطل (ويلعبون) اى غافلون لاهون عما يرادبهم (يوم يدعون) اى يدفعون (إلى نار جهنم دعا) يعنى دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايدى الكفار إلى أعناقهم ويجتمعون نواصيهم إلى أقدامهم ويدفعون بهم دفعا إلى النار على وجوههم وزجا فى أقفيتهم حتى يردوا إلى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) اى فى الدنيا (افسحر هذا) وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا ﷺ إلى السحر وانه يغطى على الأبصار فوبخوا بذلك وقيل لهم افسحر هذا (أم أنتم تبصرون اصلوها) اى قاسوا شدتها (فاصبروا) اى على العذاب (أو لا تصبروا) اى عليه سواء عليكم) اى الصبر والجزع (إنما تجزون ما كنتم تعملون) اى من الكفر والتكذيب فى الدنيا * قوله تعالى (إن المتقين فى جنات ونعيم فاكهين) اى معجبين بذلك ناعمين (بما اتاهم ربهم) اى من الخير والكرامة

لواقع) نازل كائن (ماله من دافع) مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لأكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فدفعت اليه وهو يصلى بأصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور إلى قوله أن عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكانما صدع قلبى حين سمعته ولم يكن اسلم يومئذ قال فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن انى أقوم من مكانى حتى يقع بى العذاب ثم بين أنه متى يقع فيقال (يوم تمور السماء مورا) اى تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة قال قتادة تتحرك قال عطاء الخرسانى تختلف أجزاؤها بعضها فى بعض وقيل تضطرب والمور يجمع هذه المعانى فهو فى اللغة الذهاب والمجىء والتردد والدوران والاضطراب (وتسير الجبال سيرا) فتزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا (فويل) فشدة عذاب (يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون) يخوضون فى الباطل يلعبون غافلين لاهين (يوم يدعون) يدفعون (إلى نار جهنم دعا) دفعا بعنف وجفوة وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيديهم إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى اقدامهم ثم يدفعونهم إلى النار دفعا على وجوههم وزجا فى اقفيتهم حتى يردوا النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها (هذه النار الذى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا (افسحر هذا) وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا ﷺ إلى السحر وإلى انه يغطى على الابصار بالسحر فوبخوا به وقيل لهم افسحر هذا (أم أنتم لا تبصرون اصلوها) قاسوا شدتها (فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم) الصبر والجزع (إنما تجزون ما كنتم تعملون ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين) معجبين بذلك ناعمين (بما اتاهم ربهم

ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) ويقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا) مأمون العاقبة من التخمة والسقم (بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة) موضوعة بعضها إلى جنب بعض (وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان) قرأ أبو عمرو أتبعناهم بقطع الألف على التعظيم ذرياتهم بالألف وكسر التاء فيهما لقوله ألحقنا بهم وما ألتناهم ليكونن الكلام على نسق واحد وقرأ الآخرون واتبعتهم بوصل الألف وتشديد التاء بعدها وسكون التاء الأخيرة ثم اختلفوا فى ذريتهم قرأ أهل المدينة الأولى بغير الف وضم التاء والثانية بالألف وكسر التاء وقرأ أهل الشام ويعقوب كلاهما بالألف وكسر التاء فى الثانية وقرأ الاخرون بغير الف فيهما ورفع التاء الأولى ونصبها فى الثانية واختلفوا فى معنى الاية فقال قوم معناها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان يعنى أولادهم الصغار والكبار فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لأحد الأبوين (ألحقنا بهم ذريتهم) المؤمنين فى الجنة بدرجاتهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكرمة لابائهم لتقر بذلك أعينهم وهى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم وقال آخرون معناه والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم البالغون بايمان ألحقنا بهم (٢٠٨) ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان آبائهم وهو قول الضحاك ورواية العوفى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أخبر الله عز وجل أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته فى الجنة كما كان يحب فى الدنيا أن يجتمعوا اليه يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل أبيه من غير أن ينقص الاباء من اعمالهم شيأ فذلك قوله (وما ألتناهم) قرأ ابن كثير بكسر اللام والباقون بفتحها أى ما نقصناهم يعنى الاباء (من عملهم من شىء) أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أخبرنى الحسين بن محمد بن عبد الله الحديثى ثنا سعيد بن محمد بن اسحق الصيرفى ثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة ثنا جنادة بن المفلس ثنا قيس بن الربيع ثنا عمر بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ إن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل ليقر بهم عينه ثم قرأ والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم إلى اخر الاية أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أنا عبد الله بن فنجويه الدينورى ثنا أبو بكر مالك القطيعى ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى عثمان بن أبى شيبة ثنا محمد بن فضل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن على رضى الله عنه قال سألت خديجة رضى الله تعالى عنها عن النبى ﷺ عن ولدين ماتا لها فى الجاهلية فقال رسول الله ﷺ هما فى النار فلما رأى الكراهية فى وجهها قال لو رأيت مكانهما لأبغضتهما قالت يارسول الله فولدى منك قال فى الجنة ثم قال رسول الله ﷺ ان المؤمنين وأولادهم فى الجنة وان المشركين وأولادهم فى النار ثم قرأ رسول الله ﷺ والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم (كل امرىء بما كسب رهين) قال مقاتل كل امرىء كافر بما عمل من الشرك مرتهن فى النار والمؤمن لايكون مرتهنا لقوله عز وجل كل نفس بما كسبت رهينه إلا أصحاب اليمين ثم ذكرما يزدهم من الخير والنعمة فقال

ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا) أى يقال لهم كلوا (واشربوا هنيئا) أى مأمون العاقبة من التخمة والسقم (بما كنتم تعملون) أى فى الدنيا من الايمان والطاعة (متكئين على سرر مصفوفة) أى موضوعة بعضها إلى بعض (وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان) يعنى ألحقنا أولادهم الصغار والكبار بايمانهم فالكبار بايمانهم بأنفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لأحد أبويه (ألحقنا بهم ذريتهم) يعنى المؤمنين فى الجنة بدرجات آبائهم وإن لم يبلغوا بأعمال درجات ابائهم تكرمة لابائهم لتقر بذلك أعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفى رواية أخرى عنه أن معنى الاية والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم يعنى البالغين بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان ابائهم أخبر الله تعالى أنه يجمع لعبده المؤمن من ذريته فى الجنة كما كان يحب فى الدنيا أن يجتمعوا اليه فيدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمله من غير أن ينقص الاباء من أعمالهم شيأ وذلك قوله تعالى (وما ألتناهم من عملهم من شىء) يعنى وما نقصنا الاباء من أعمالهم شيأ عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ أن الله تعالى رفع ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه قرأ والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم إلى اخر الاية عن على قال سألت خديجة النبى ﷺ عن ولدين ما تا لها فى الجاهلية فقال رسول الله ﷺ هما فى النار فلما رأى الكراهية هم وجهها قال لو رأيت مكانهما لأبغضتهما قالت يارسول الله فولدى منك قال فى الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المؤمنين وأولادهم فى الجنة وأن المشركين وأولادهم فى النار ثم قرأ النبى ﷺ والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم أخرج هذين الحديثين البغوى باسناد الثعلبى (كل امرىء) أى كافر (بما كسب) أى عمل من الشرك (رهين) أى مرتهن بعمله فى النار والمؤمن لايكون مرتهنا بعمله لقوم

(وأمددناهم بفاكهة) زيادة على ما كان لهم (ولحم مما يشتهون) من أنواع اللحمان (يتنازعون) يتعاطون ويتناولون (فيها كأسا لا لغو فيها) وهو الباطل وروى ذلك عن قتادة وقال مقاتل بن حيان لا فضول فيها وقال سعيد بن المسيب لا رفث فيها وقال ابن زيد لا سباب ولا تخاصم فيها وقال القتيبي لا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا (ولا تأثيم) أي لا يكون منهم ما يؤثمهم قال الزجاج لا يجري بينهم ما يلغى ولا ما فيه اثم كما يجري في الدنيا بشربة الخمر وقيل لا يأثمون في شربها (ويطوف عليهم) بالخدمة (غلمان لهم كأنهم) في الحسن والبياض والصفاء (لؤلؤ مكنون) مخزون مصون لم تمسه الايدي قال سعيد بن جبير مكنون يعني في الصدف قال عبد الله بن عمرو ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه وروى عن الحسن انه لما تلا هذه الاية قال قالوا يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا (قالوا إنا كنا قبل في أهلنا) في الدنيا (مشفقين) خائفين من العذاب (فمن الله علينا) بالمغفرة (ووقانا عذاب السموم) قال الكلبي عذاب النار وقال الحسن السموم اسم من أسماء جهنم (إنا كنا من قبل) في الدنيا (ندعوه) نخلص له العبادة (انه) قرأ أهل المدينة والكسائي انه بفتح الألف أي لأنه أو بأنه وقرأ الاخرون بالكسر على الاستئناف (هو البر) قال ابن عباس اللطيف وقال الضحاك الصادق فيما وعد (الرحيم فذكر) يا محمد بالقرآن أهل مكة (فما أنت بنعمة ربك) برحمته وعصمته (بكاهن) تبتدع

لقوله كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى (وأمددناهم بفاكهة) يعني زيادة عما كان لهم (ولحم مما يشتهون) أي من أنواع اللحوم (يتنازعون) أي يتعاطون ويتناولون (فيها) أي في الجنة (كاسا لا لغو فيها) أي لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا (ولا تأثيم) أي لا يكون فيها ما يؤثمهم ولا يجري بينهم ما فيه لغو واثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا وقيل لا يأثمون في شربها (ويطوف عليهم) أي للخدمة (غلمان لهم كأنهم) أي في الحسن والبياض والصفاء (لؤلؤ مكنون) أي مخزون مصون لم تمسه الأيدي وقال عبد الله بن عمرو ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه الف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل ليلة البدر على سائر الكواكب * قوله تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يعني يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من الخوف والتعب في الدنيا (قالوا إنا كنا قبل في أهلنا) أي في الدنيا (مشفقين) أي خائفين من العذاب (فمن الله علينا) أي بالمغفرة (ووقانا عذاب السموم) يعني عذاب النار وقيل هو اسم من أسماء جهنم (إنا كنا من قبل) أي في الدنيا (ندعوه) أي نخلص الدعاء والعبادة له (إنه هو البر) قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل البر العطوف على عباده المحسن اليهم الذي عم بره جميع خلقه (الرحيم) بعبيده * قوله عز وجل (فذكر) يعني فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة (فما أنت بنعمة ربك) أي برحمته وعصمته وقيل بانعامه عليك بالنبوة (بكاهن ولا مجنون) الكاهن هو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ويخبر بما في غد من غير وحي والمعنى انك لست كما يقول كفار مكة انه كاهن أو مجنون إنما تنطق بالوحي نزلت في الذين اقتسموا عقاب مكة يرمون النبي ﷺ بالكهانة والسحر والشعر والجنون (أم يقولون) يعني هؤلاء المقتسمين (شاعر) أي هو شاعر (نتربص به) أي ننتظر به (ريب المنون) يعني حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء ويتفرق عنه أصحابه وأن أباه مات وهو شاب ونحن نرجو ان يكون موته كموت أبيه والمنون أسم للموت وللدهر وأصله القطع سميا بذلك لأنهما يقطعان الأجل (قل تربصوا) يعني انتظروا بي الموت (فاني معكم من المتربصين) أي من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبي (أم تأمرهم أحلامهم) أي عقولهم (بهذا) وذلك أن عظماء قريش كانوا يوصفون بالأحلام والعقول فازرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل (أم هم قوم طاغون) يعني يتجاوزون الحد

القران وتخبر بما في غد من غير وحي (ولا مجنون) نزلت في الذين اقتسموا عقبات مكة يرمون النبي ﷺ بالكهانة والسحر والجنون والشعر (أم يقولون) بل يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين (شاعر) أي هو شاعر (نتربص به ريب المنون) حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من قبله من الشعراء ويتفرق أصحابه وأن أباه مات شابا ونحن نرجو ان يكون موته كموت أبيه والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى الموت سميا بذلك لأنهما يقطعان الأجل (قل تربصوا) انتظروا بي الموت (فاني معكم من المتربصين) من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم فتعذبوا يوم بدر بالسيف (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم (بهذا) وذلك أن عظماء قريش كانوا يوصفون بالأحلام والعقول فأزرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل (أم هم) بل هم (قوم طاغون

أم يقولون تقوله) يعني تخلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول تكلف القول ولا يستعمل ذلك إلا في الكذب وليس الأمر كما زعموا (بل لا يؤمنون) بالقرآن استكبارا ثم الزمهم الحجة فقال (فليأتوا بحديث مثله) أي مثل القرآن في نظمه وحسن بيانه (إن كانوا صادقين) ان محمدا تقوله من تلقاء نفسه (أم خلقوا من غير شيء) قال ابن عباس من غير رب ومعناه اخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فلا بد له من خالق فان انكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق (ام هم الخالقون) لأنفسهم وذلك في البطلان أشد لأن مالا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به ذكر هذا المعنى ابو سليمان الخطابي قال الزجاج معناه اخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون وقال ابن كيسان اخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون فهو كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شيء أي لغير شيء أم هم الخالقون لانفسهم فلا يجب عليهم لله أمر (أم خلقوا السموات والأرض) فيكونوا هم الخالقين ليس الأمر كذلك (بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك) قال عكرمة يعني النبوة قال مقاتل ابايديهم مفاتيح ربك بالرسالة (٢١٠) فيضعونها حيث شاؤا قال الكلبي خزائن المطر والرزق (أم هم المصيطرون) المسلطون الجبارون قال عطاء أرباب قاهرون فلا يكونوا تحت أمر ونهي ويفعلون ماشاؤا ويجوز بالسين والصاد جميعا قرأ ابن عامر بالسين ههنا وفي قوله بمسيطر وقرأ حمزة باشمام الزاي فيهما وقرأ ابن كثير ههنا بالسين وبمصيطر بالصاد وقرأ الآخرون بالصاد فيهما (ام لهم سلم) مرقى ومصعد إلى السماء (يستمعون فيه) يعني يستمعون عليه الوحي كقوله ولأصلبنكم في جذوع النخل يعني عليها أي ألهم سلم يرتقون به إلى السماء فيستمعون الوحي ويعلمون أن ماهم عليه حق بالوحي فهم متمسكون به كذلك (فليأت مستمعهم) ان دعوا ذلك (بسلطان مبين) بحجة بينة (أم له البنات ولكم البنون) هذا إنكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون كقوله فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون (أم تسألهم أجرا) جعلا على ماجئتهم به ودعوتهم اليه من الدين (فهم من مغرم مثقلون) أثقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم فمنعهم ذلك عن الاسلام (ام عندهم الغيب) اى علم ماغاب عنهم حتى علموا ان مايخبرهم الرسول من امر القيامة والبعث باطل وقال قتادة هذا جواب لقولهم نتربص به ريب المنون يقول أعندهم علم الغيب حتى علموا ان رسول الله ﷺ يموت قبلهم (فهم يكتبون) قال القتيبي فهم يكتبون اى يحكمون والكتاب الحكم قال النبي ﷺ للرجلين الذين تخاصما اليه اقضي بينكما بكتاب الله اى بحكم الله وقال ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون مافيه ويخبرون الناس به (أم يريدون كيدا) مكرا بك ليهلكوك (فالذين كفروا هم المكيدون) أي هم المجزيون بكيدهم يريد أن ضرر ذلك يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وذلك انهم مكروا به في دار الندوة فقتلوا ببدر

في الطغيان والكفر (أم يقولون تقوله) أي اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل إلا في الكذب والمعنى ليس الأمر كما زعموا (بل لا يؤمنون) أي بالقرآن استكبارا ثم الزمهم الحجة فقال تعالى (فليأتوا بحديث مثله) أي مثل القرآن في نظمه وحسنه وبيانه (إن كانوا صادقين) يعني إن محمد تقوله من قبل نفسه (ام خلقوا من غير شيء) قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى ام خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان انكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق (أم هم الخالقون) أي لأنفسهم وذلك في البطلان أشد لأن مالا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل في معنى الاية أخلقوا باطلا فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون أم هم الخالقون أي لأنفسهم فلا يجب عليهم أمر (أم خلقوا السموات والأرض) يعني ليس الأمر كذلك (بل لا يوقنون) أي بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وأن الله تعالى هو خالقهم وخالق السموات والأرض فليؤمنوا به وليوقنوا أنه ربهم وخالقهم (أم عندهم خزائن ربك) يعني النبوة ومفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وقيل خزائن المطر والرزق (أم هم المسيطرون) أي المسلطون الجبارون وقيل الأرباب القاهرون فلا يكونون تحت أمر ولا نهي ويفعلون ما يشاؤن (أم لهم سلم) يعني مرقى ومصعدا إلى السماء (يستمعون فيه) أي يستمعون عليه الوحي من السماء فيعلمون ان ماهم عليه حق فهم به مستمسكون (فليأت مستمعهم) أي إن ادعوا ذلك (بسلطان مبين) أي بحجة بينة (أم له البنات ولكم البنون) هذا إنكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون لأنفسهم (أم تسئلهم أجر) أي جعلا على ماجئتهم به من النبوة ودعوتهم اليه من مدين (فهم من مغرم مثقلون) يعني اثقلهم ذلك المغرم الذي سالتهم فمنعهم عن الاسلام (ام عندهم الغيب) أي علم الغيب وهو ماغاب عنهم حتى علموا ان مايخبرهم به الرسول من امر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى اعلموا ان محمدا يموت قبلهم (فهم يكتبون) يعني يحكمون قال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون مافيه ويخبرون الناس به (أم يريدون كيدا) أي مكرا بك ليهلكوك (فالذين كفروا هم المكيدون) أي

(أم لهم إله غير الله) يرزقهم وينصرهم (سبحان الله عما يشركون) قال الخليل ما في هذه السورة من ذكر أم كلمة استفهام وليس بعطف (وإن يروا كسفا) قطعة (من السماء ساقطا) هذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم (يقولوا) لمعاندتهم هذا (سحاب مركوم) بعضه على بعض يسقينا (فذرهم حتى يلاقوا) يعاينوا (يومهم الذي فيه يصعقون) أي يموتون أي حتى يعاينوا الموت قرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الياء أي يهلكون (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع (وإن للذين ظلموا) كفروا (عذابا دون ذلك) أي عذابا في الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقال مجاهد هو الجوع والقحط سبع سنين وقال البراء بن عازب هو عذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان العذاب نازل بهم (واصبر لحكم ربك) إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم (فانك بأعيننا) أي بمرأى منا قال ابن عباس ترى ما يعمل بك وقال الزجاج معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إلى مكروهك (وسبح بحمد ربك حين تقوم) قال سعيد بن جبير وعطاء أي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له أخبرنا أبو

المجزيون بكيدهم والمعنى أن ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو أنهم مكروا به في دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر (أم لهم إله غير الله) يعني يرزقهم وينصرهم (سبحان الله عما يشركون) المعنى انه نزه نفسه عما يقولون * قوله تعالى (وإن كسفا من السماء ساقطا) هذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم (يقولوا) لمعاندتهم هذا (سحاب مركوم) أي بعضه على بعض يسقينا (فذرهم حتى يلاقوا) أي يعاينوا (يومهم الذي فيه يصعقون) أي يموتون ويهلكون (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع (وان للذين ظلموا) أي كفروا (عذابا دون ذلك) أي عذابا في الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي أن العذاب نازل بهم * قوله عز وجل (واصبر لحكم ربك) أي الى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم به (فانك بأعيننا) أي بمرأى منا قال ابن عباس ترى ما يعمل بك وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أي وقل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة لك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك إلا كان كفارة لما بينهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكرك الله بالليل حين تقوم من الفراش إلى أن تدخل في الصلاة وعن عاصم بن حميد قال سألت عائشة بأي شيء كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل فقالت سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك كان إذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة أخرجه ابو داود والنسائي وقيل إذا قمت إلى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روى عن عائشة قالت كان النبي ﷺ

عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد القفال انا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردي أنا أبو أحمد بكر بن محمد الصيرفي ثنا أحمد ابن عبد الله النرسي ثنا حجاج ابن محمد عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك إلا كان كفارة لما بينهما وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معناه صل لله حين تقوم من مقامك وقال الضحاك والربيع إذا قمت إلى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي ثنا ابو العباس المحبوبي ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا الحسن بن عرفة ويحيى بن موسى قال ثنا ابو معاوية عن حارثة بن ابي الرجال عن عمرة عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقال الكلبي هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش إلى أن يدخل في صلاته اخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني انا ابو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي انا ابو علي محمد بن احمد بن عمر اللؤلؤي ثنا ابو داود ابن سليمان الاشعث ثنا محمد بن نافع ثنا زيد بن حباب اخبرني معاوية بن صالح انا ازهر بن سعيد الحرازي عن عاصم بن حميد قال سألت عائشة رضي الله تعالى عنها بأي شيء كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل فقالت كان إذا قام كبر الله عشرا وحمد الله عشرا وسبح الله عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة

(ومن الليل فسبحه) أى صل له قال مقاتل يعنى صلاة المغرب والعشاء (وادبار النجوم) يعنى ركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم أى تغيب بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين وقال الضحاك هو فريضة صلاة الصبح اخبرنا أبو الحسن السرخسى انا زاهر بن احمد أنا أبو اسحق الهاشمى انا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ قرأ فى المغرب بالطور

﴿ سورة النجم مكية وهى اثنتان وستون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (٢١٢) (والنجم إذا هوى) قال ابن عباس فى رواية الوالبى والعوفى يعنى الثريا إذا سقطت وغابت وهويه مغيبه والعرب تسمى الثريا نجما وجاء فى الحديث عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا ما طلع النجم قط وفى الأرض من العاهة شىء إلا رفع واراد بالنجم الثريا وقال مجاهد هى نجوم السماء كلها حين تغرب لفظه واحد ومعناه الجمع سمى الكوكب نجما لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والقرن والنبت إذا طلع وروى عن عكرمة عن ابن عباس انه الرجوم من النجوم يعنى ما ترمى بها الشياطين عند استراقهم السمع وقال ابو حمزة الثمالى هى النجوم إذا انتثرت يوم القيامة وقيل المراد بالنجم القرآن سمى نجما لأنه نزل نجوما متفرقة فى عشرين سنة وسمى التفريق تنجيما والمفرق منجما هذا قول ابن عباس فى رواية عطاء وقول الكلبى والهوى النزول من اعلى إلى أسفل وقال الأخفش النجم هو النبت الذى لا ساق له ومنه قوله عز وجل والنجم والشجر يسجدان وهويه سقوطه على الأرض وقال جعفر الصادق يعنى محمدا ﷺ إذا نزل من السماء إلى الأرض ليلة المعراج والهوى النزول يقال هوى يهوى هويا إذا نزل مثل مضى يمضى مضيا وجواب القسم قوله (ما ضل صاحبكم) يعنى محمدا ﷺ ما ضل عن طريق الهدى (وما غوى وما ينطق عن الهوى) يعنى بالهوى يريد لا يتكلم بالباطل وذلك أنهم قالوا ان محمدا ﷺ يقول القرآن من تلقاء نفسه (ان هو) ما نطقه فى الدين وقيل القرآن (إلا وحى يوحى) يعنى وحى من الله يوحى اليه (علمه شديد القوى) وهو جبريل والقوى جمع القوة (ذو مرة) قوة وشدة فى خلقه يعنى جبريل قال ابن عباس ذو مرة يعنى ذو منظر حسن وقال قتادة ذو خلق طويل حسن (فاستوى) يعنى جبريل (وهو) يعنى محمدا ﷺ واكثر كلام العرب إذا ارادوا العطف فى مثل هذا ان يظهروا كناية المعطوف عليه فيقولون استوى هو وفلان وقلما يقولون استوى وفلان ونظير هذا قوله ائذا

إذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك أخرجه الترمذى وأبو داود وقد تكلم فى أحد رواته * وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) أى فصل له يعنى صلاة المغرب والعشاء (وأدبار النجوم) يعنى الركعتين قبل صلاة الفجر ذلك حين تدبر النجوم أى تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين يدل عليه ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل ادبار النجوم هى فريضة صلاة الصبح (ق) عن جبير بن مطعم قال سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النجم مكية ﴾

(وهى اثنتان وستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله عز وجل (والنجم إذا هوى) قال ابن عباس يعنى الثريا إذا سقطت وغابت والعرب تسمى الثريا نجما ومنه قولهم إذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعى كساء وجاء فى حديث عن ابى هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفى الأرض من العاهة شىء إلا رفع اراد بالنجم الثريا وقيل هى نجوم السماء كلها وهويها غروبها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وروى عن ابن عباس أنه الرجوم من النجوم وهى ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هى النجوم إذا انتثرت يوم القيامة وقيل أراد بالنجم القرآن سمى نجما لأنه نزل نجوما متفرقة فى عشرين سنة وهو قول ابن عباس أيضا وقيل النجم هو النبت الذى لا ساق له وهويه سقوطه إذا يبس على الأرض وقيل النجم هو محمد ﷺ وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى (ما ضل صاحبكم) يعنى محمدا ﷺ ما ضل عن طريق الهدى (وما غوى) أى ما جهل وقيل الفرق بين الضلال والغى ان الضلال هو ان لا يجد السالك إلى مقصده طريقا أصلا والغواية ان لا يكون له طريق إلى مقصده مستقيم وقيل ان الضلال اكثر استعمالا من الغواية (وما ينطق عن الهوى) أى بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك أنهم قالوا ان محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه (ان هو) اى ما هو يعنى القرآن وقيل نطقه فى الدين (إلا وحى) من الله (يوحى) اليه (علمه شديد القوى) يعنى جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله اليه عز وجل وكونه شديد القوى أنه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحى على الأنبياء أسرع من رجعة الطرف (ذومرة) أى ذو قوة وشدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن (فاستوى) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام (وهو) محمدا صلى الله عليه وسلم

كنا تراباو باؤنا آعطف الاياء على المكنى فى كنا من غير إظهار نحن ومعنى الاية استوى جبريل ومحمد عليهما السلام ليلة المعراج بالأفق الأعلى وهو أقصى الدنيا عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعنى جبريل وهو كناية عن جبريل أيضا أى قام فى صورته التى خلقه الله وهو بالأفق الأعلى وذلك ان جبريل كان يأتى النبى ﷺ فى صورة الآدميين كما كان يأتى النبيين فسأله النبى ﷺ أن يريه نفسه على صورته التى جبل عليها فأراه نفسه مرة فى الارض ومرة فى السماء فاما فى الأرض ففى الأفق الأعلى والمراد بالأعلى جانب المشرق وذلك ان محمدا ﷺ كان بحراء فطلع جبريل من المشرق فسد الأفق إلى المغرب فخر النبى ﷺ مغشيا عليه فنزل جبريل فى صورة الآدميين وضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنا فتدلى وأما فى السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا نبينا ﷺ قوله عز وجل (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) اختلفوا فى معناه أخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو أسامة ثنا زكريا بن ابى زائدة عن ابى الأشوع عن الشعبى عن مسروق قال قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا (٢١٣) فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قالت

وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج (بالأفق الأعلى) عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعنى جبريل وهو كناية عن جبريل ايضا أى قام فى صورته التى خلقه الله فيها وهو بالأفق الأعلى وذلك ان جبريل عليه السلام كان ياتى النبى ﷺ فى صورة الادميين كما كان ياتى الانبياء قبله فساله النبى ﷺ ان يرد نفسه على صورته التى جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء فاما التى فى الأرض فبالأفق الأعلى والمراد بالأفق الأعلى جانب المشرق وذلك ان النبى ﷺ كان بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من ناحية المشرق فسد الافق إلى المغرب فخر النبى ﷺ مغشيا عليه فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الادميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله تعالى ثم دنا فتدلى وأما التى فى السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من الأنبياء على تلك الصورة إلى خلق عليها إلا نبينا محمد ﷺ * قوله تعالى (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) اختلف العلماء فى معنى هذه الاية فروى عن مسروق بن الأجدع قال قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قالت ذلك جبريل كان ياتيه فى صورة الرجل وأنه أتاه فى هذه المرة فى صورته التى صورته فسد الأفق اخرجاه فى الصحيحين وعن زر ابن حبيش فى قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى وفى قوله ما كذب الفؤاد ما رأى وفى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال رأى جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح زاد فى رواية أخرى رأى جبريل فى صورته أخرجه مسلم والبخارى فى قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى إلى عبده ما أوحى فعلى هذا يكون معنى الاية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فتدلى إلى سمعة النبى ﷺ فكان منه قاب قوسين أو أدنى أى بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل فى الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لأن التدلى سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عز وجل من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدلى أى فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وقد ورد فى الصحيحين فى حديث المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن ابى نمر عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذه رواية أبى سلمة عن ابن عباس والتدلى هو النزول إلى النبى ﷺ قال الحافظ

ذلك جبريل كان يأتيه فى صورة الرجل وأنه أتاه هذه المرة فى صورته التى هى صورته فسد الأفق اخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا طلق ابن غنام ثنا زائدة عن الشيبانى قال سألت زرا عن قوله فكان قاب قوسين او أدنى قال أخبرنا عبد الله يعنى ابن مسعود ان النبى ﷺ راى جبريل له ستمائة جناح فمعنى الاية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الاعلى من الارض فتدلى فنزل إلى النبى ﷺ فكان منه قاب قوسين أو أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل فى الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم

تدلى فدنا لأن التدانى سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عز وجل محمد ﷺ فتدلى فقرب منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى وروينا فى قصة المعراج عن شريك بن عبد الله عن انس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذه رواية ابى سلمة عن ابن سلمة عن ابن عباس والتدلى هو النزول إلى الشىء حتى يقرب منه وقال مجاهد دنا جبريل من ربه وقال الضحاك دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه فتدلى فاهوى للسجود فكان قاب قوسين أو أدنى ومعنى قوله قاب قوسين أى قدر قوسين والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن المقدار والقوس ما يرمى به فى قول مجاهد وعكرمة وعطاء عن ابن عباس فاخبر انه كان بين جبريل وبين محمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين قال مجاهد معناه حيث الوتر من القوس وهذا إشارة إلى توكيد القصد وأصله ان الحليفين من العرب كانا إذا ارادا عقد الصفا والعهد خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريد ان بذلك أنهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين أى قدر ذراعين وهو قول سعيد بن جبير وشقيق بن سلمة والقوس الذراع يقاس بها كل شىء أو ادنى بل اقرب

(فأوحى) أى أوحى الله (إلى عبده ما أوحى) محمد ﷺ قال ابن عباس فى رواية عطاء والكلبى والحسن والربيع وابن زيد معناه أوحى إلى محمد ﷺ ما أوحى اليه ربه عز وجل قال سعيد بن جبير اوحى اليه ألم يجدك يتيما فآوى إلى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت وعلى الأمم حتى تدخلها امتك (ما كذب الفؤاد ما رأى) قرأ أبو جعفر ما كذب بتشديد الذال اى ما كذب قلب محمد ﷺ ما رأى بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرأ الاخرون بالتخفيف أى ما كذب فؤاد محمد ﷺ الذى رأى بل صدقه يقال كذبه إذا قال له الكذب وصدقه إذا قال له الصدق مجازه ما كذب الفؤاد فيما رأى واختلفوا فى الذى رآه فقال قوم رأى جبريل وهو قول ابن مسعود وعائشة اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن ابى شيبة ثنا حفص هو ابن غياث (٢١٤) عن الشيبانى عن زر عن عبد الله قال ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأى جبريل وله ستمائة جناح

وقال اخرون هو الله عز وجل ثم اختلفوا فى معنى الرؤية فقال بعضهم جعل بصره فى فؤاده فرأى بفؤاده وهو قول ابن عباس اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو سعيد الأشج ثنا وكيع ثنا الأعمش عن زياد بن الحصين عن ابى العالية عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا ﷺ بالرؤية وكانت عائشة رضى الله عنها

عبد الحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث أنس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن انس فلم يأت أحد منهم بما أتى به وفى رواية شريك قدم واخر وزاد ونقص فيحتمل أن هذا اللفظ من زيادة شريك وفى الحديث وقال الضحاك دنا محمد ﷺ من ربه عز وجل فتدلى أى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى والقاب القدر والقوس الذى يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فأخبر انه كان بين جبريل ومحمد ﷺ مقدار قوسين وهذا إشارة إلى تأكيد القرب وأصله أن الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفا والعهد بينهما خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك أنهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التى يقاس بها من قاس يقيس أو أدنى بل أقرب (فأوحى) يعنى فاوحى الله (إلى عبده) محمد ﷺ (ما أوحى) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أوحى جبريل إلى محمد ﷺ ما أوحى اليه ربه عز وجل قال سعيد بن جبير أوحى اليه ألم يجدك يتيما فاوى إلى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل أوحى اليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت وعلى الأمم حتى تدخلها امتك * قوله عز وجل (ما كذب الفؤاد) قرىء بالتشديد اى ما كذب محمد ﷺ (ما رأى) يعنى بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرىء بالتخفيف يعنى ما كذب محمد الذى راه بل صدقه والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رأى واختلفوا فى الذى رآه فقيل رأى جبريل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعائشة وقيل هو الله عز وجل ثم اختلفوا فى معنى الرؤية فقيل جعل جبريل بصره فى فؤاده وهو قول ابن عباس (م) عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه حقيقة وهو قول أنس بن مالك والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه عز وجل وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله عز وجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية وقال كعب إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه موسى مرتين أخرجه الترمذى باطول من هذا وكانت عائشة تقول لم ير النبى ﷺ ربه وتحمل الاية على رؤية جبريل عن مسروق قال قلت لعائشة يا أماه هل رأى محمد ربه فقالت لقد وقف شعرى مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه

تقول لم ير النبى ﷺ ربه وتحمل الاية على رؤيته جبريل عليه السلام عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى وكيع عن اسمعيل بن ابى خالد عن عامر عن مسروق قال قلت لعائشة يا أماه هل رأى محمد ﷺ ربه فقال لقد تكلمت بشىء قف له شعرى مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ومن حدثك انه كتم شيئا فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الاية ولكنه رأى جبريل فى صورتين مرتين أخبرنا إسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبى شيبة بن وكيع عن يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق بن ابى ذر قال سألت النبى ﷺ هل رأيت ربك

قال نور انى أراه (أفتمارونه على مايرى) قرأ حمزة والكسائى ويعقوب أفتمرونه بفتح التاء بلا ألف أى أفتجحدونه تقول العرب مريت الرجل حقه إذا جحدته وقرأ الآخرون أفتمارونه بالألف وضم التاء على معنى أفتجادلونه على مايرى وذلك أنهم جادلوه حين أسرى به فقالوا صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا فى الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى أفتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما راه وعلمه (ولقد رآه نزلة أخرى) يعنى راه جبريل فى صورته التى خلق عليه نازلا من السماء نزلة أخرى وذلك أنه راه فى صورته مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء (عند سدرة المنتهى) وعلى قول ابن عباس معنى نزلة أخرى هو أنه كانت للنبى ﷺ عروجات فى تلك الليلة لمسئلته التخفيف من اعداد الصلوات فيكون لكل عروجة نزلة فرأى ربه عز وجل

فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه إلا الله وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ومن حدثك أن محمدا كتم أمرا فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين أخرجاه فى الصحيحين (م) عن أبى ذر قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك قال نور انى أراه * قوله عز وجل (أفتمارونه على مايرى) يعنى أفتجادلونه على مايرى وذلك أنهم جادلوه حين أسرى به وقالوا له صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا فى الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى افتجادلونه جدالا ترومون به دفعا عما راه وعلمه (ولقد راه نزلة أخرى) يعنى راى جبريل فى صورته التى خلق عليها نازلا من السماء نزلة أخرى وذلك أنه راه فى صورته مرتين مرة فى الأرض ومرة عند سدرة المنتهى (م) عن ابى هريرة ولقد راه نزلة أخرى قال راى جبريل وعلى قول ابن عباس يعنى نزلة أخرى هو انه كانت للنبى ﷺ فى تلك الليلة عروجات لمسئلة التخفيف من اعداد الصلوات فيكون لكل عروجة نزلة فرأى ربه عز وجل فى بعضها وروى عن ابن عباس انه راى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه راه بعينه (عند سدرة المنتهى) (م) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لما اسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة واليها ينتهى ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها وقال إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفى رواية الترمذى اليها ينتهى علم الخلائق لا يعلم لهم فوق ذلك وفى حديث المعراج المخرج فى الصحيحين ثم صعد بى إلى السماء السابعة ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها كآذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وفى افراد مسلم من حديث انس قال ثم عرج بنا إلى السماء السابعة وذكره إلى ان قال فيه ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كاذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من نور الله ما غشى تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سال ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة فى اصل العرش على رؤوس حملة العرش واليها علم الخلق وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله عز وجل وعن اسماء بنت ابى بكر قالت سمعت رسول الله ﷺ ذكر عن سدرة المنتهى فقال يسير الراكب فى ظل الفنن منها مائة سنة أو قال يستظل بظلها مائة الف راكب فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال اخرجه الترمذى وقال مقاتل هى شجرة تحمل الحلى والحلل والثمار من جميع الألوان ولوان ورقة وضعت منها فى الارض لاضاءت لاهل الارض وهى شجرة طوبى التى ذكرها الله فى سورة الرعد (عندها جنة المأوى) قال ابن عباس جنة المأوى يأوى إليها جبريل والملائكة وقيل يأوى اليها

التخفيف من اعداد الصلوات فيكون لكل عروجة نزلة فرأى ربه فى بعضها وروينا عنه أنه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه أنه راه بعينه وقوله عند سدرة المنتهى روينا عن عبد الله بن مسعود قال لما أسرى برسول الله ﷺ إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السابعة واليها ينتهى إلى ما يعرج به من الأرض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وروينا فى حديث المعراج ثم صعد بى إلى السماء السابعة فاذا أنا بابراهيم عليه السلام فسلمت عليه ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل اذان الفيلة والسدرة شجرة النبق وقيل لها سدرة المنتهى لأنه اليها ينتهى علم الخلق قال هلال بن يسار سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب إنها سدرة فى أصل العرش على رؤوس حملة العرش واليها ينتهى علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله أخبرنا أبو سعيد الشريحى ثنا أبو إسحق الثعلبى أخبرنى ابن فنجويه ثنا المسوحى ثنا عبد الله بن يعيش ثنا يونس بن بكير ثنا محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدته اسماء بنت ابى بكر قالت سمعت النبى ﷺ يذكر سدرة المنتهى قال يسير الراكب فى ظل الغصن منها مائة عام يستظل فى الغصن منها مائة ألف راكب فيها فراش من ذهب كان ثمرها القلال وقال مقاتل هى شجرة تحمل الحلى والحلل والثمار من جميع الألوان لوان ورقة منها وضعت فى الأرض لاضاءت لأهل الأرض وهى طوبى التى ذكرها الله تعالى فى سورة الرعد (عندها جنة المأوى) قال عطاء عن ابن عباس جنة المأوى جنة يأوى إليها جبريل والملائكة وقال مقاتل والكلبى يأوى اليها أرواح الشهداء

(إذ يغشى السدرة ما يغشى) قال ابن مسعود فراش من ذهب ورويناه في حديث المعراج عن أنس عن رسول الله ﷺ ثم عرج بي إلى سدرة المنتهى فاذا ورقها كان ذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وأوحى إلى ما أوحى ففرض على (٢١٦) خمسين صلاة في كل يوم وليلة وقال مقاتل يغشاها الملائكة أمثال الغربان وقال السدي من

أرواح الشهداء (إذ يغشى السدرة ما يغشى) قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها ملائكة أمثال الغربان وقيل أمثال الطيور حتى يقطعن عليها وقيل غشيها نور الخلائق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالى أمثال الغربان حتى يقعن عليها وقيل هو نور رب العزة ويروى في الحديث قال رأيت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله عز وجل (ما زاغ البصر وما طغى) يعني ما مال بصر النبي ﷺ في ذلك المقام وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا وشمالا ولا جاوز ما رأى وقيل ما أمر به وهذا وصف أدبه ﷺ في ذلك المقام الشريف إذ لم يلتفت إلى شيء سوى ما أمر به وفي معنى هذه الآية أن قلنا أن الذي يغشى السدرة فراش من ذهب يعني لم يلتفت إليه ولم يشتغل به وفيه بيان أدبه ﷺ إذ لم يقطع بصره عن المقصود وإن قلنا الذي يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان أحدهما أنه ﷺ لم يلتفت عنه يمنة ولا يسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه الثاني ما زاغ البصر بصعقة ولا غشية كما أخبر عن موسى بقوله وخر موسى صعقا وذلك أنه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على الجبل قطع نظره وغشي عليه ونبينا ﷺ ثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول وتزل فيه الأقدام وتميل فيه الأبصار فوصف الله عز وجل قوة نبينا ﷺ في ذلك المقام العظيم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى ٭ وقوله تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعني رأى رسول الله ﷺ الآيات العظام وقيل أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى (م) عن عبد الله بن مسعود قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح (خ) عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء

﴿فصل في كلام الشيخ محيي الدين النووي في معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى وهل رأى النبي ﷺ ربه عز وجل ليلة الاسراء﴾ قال القاضي عياض اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الاسراء فأنكرته عائشة كما وقع في صحيح مسلم وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروي عن ابن عباس أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أنه رآه ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل في الدنيا جائزة وسؤال موسى إياها دليل على جوازها إذ لا يجهل نبي ما يجوز أن يمتنع على ربه واختلفوا في أن نبينا ﷺ هل كلم ربه ليلة الاسراء بغير واسطة أم لا فحكى عن الأشعري وقوم من المتكلمين أنه كلمه وعزا بعضهم هذا القول إلى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله ثم دنا فتدلى فالأكثر على أن هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل ومحمد ﷺ أو مختص بأحدهما من الآخر أو من سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من النبي ﷺ الى ربه أو من الله فعلى هذا القول يكون الدنو والتدلي متأولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لاحد له ومن العباد بالحدود فيكون معنى دنو محمد ﷺ وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق انوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه واسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له اظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين أو أدنى هنا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله

الطيور وروى عن ابي العالية عن ابي هريرة رضي الله عنه او غيره قال غشيها نور الخلائق وغشيتها الملائكة من حب الله امثال الغربان حتى يقعن على الشجر قال فكلمه عند ذلك فقال له سل وعن الحسن قال غشيها نور رب العزة فاستنارت ويروى في الحديث رايت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) يعني ما مال بصر محمد صلى الله عليه وسلم يمينا ولا شمالا وما طغى يعني ما جاوز ما راى وقيل ما جاور ما امر به وهذا وصف ادبه في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانبا (لقد راى من ايات ربه الكبرى) يعني الايات العظام وقيل اراد ما راى تلك الليلة في مسيره وعوده دليله قوله انزيه من ايا تنا وقيل معناه لقد راى من ايات ربه الاية الكبرى اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد ابن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبد الله بن معاذ العنبري ثنا ابي ثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال عليه راى جبريل في صورته له ستمائة جناح واخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا حفص ابن عمرو ثنا شعبة عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى رفرفا اخضر سد افق السماء

عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة لرغبة واباتة المنزلة هذا آخر كلام القاضي عياض قال الشيخ محي الدين واما صاحب التحرير فانه اختار اثبات الرؤية قال والحجج في المسئلة وإن كانت كثيرة ولكن لا تمسك إلا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس اتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روى باسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن انس قال رأى محمد ربه عز وجل وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل والاصل في المسئلة حديث ابن عباس حبر هذه الامة وعالمها والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسئلة وراسله هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فأخبره انه راه ولا يقدح في هذا حديث عائشة لأن عائشة لم تخبر انها سمعت النبي ﷺ يقول لم ار ربي وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحيا او من وراء حجاب أو يرسل رسولا ولقوله لا تدركه الأبصار والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة وإذا قد صحت الروايات عن ابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة باثبات الرؤية وجب المصير إلى اثباتها لانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وإنما يتلقى بالسمع ولا يستجيز احد ان يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ثم ان ابن عباس اثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي هذا كلام صاحب التحرير في إثبات الرؤية قال الشيخ محي الدين فالحاصل ان الراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله ﷺ راى ربه عز وجل بعيني رأسه ليلة الاسراء الحديث ابن عباس وغيره مما تقدم وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي ان يتشكك فيه ثم ان عائشة لم تنف الرواية بحديث عن رسول الله ﷺ ولو كان معها حديث لذكرته وإنما اعتمدت على الاستنباط من الايات وسنوضح الجواب عنها فنقول اما احتجاج عائشة رضي الله تعالى عنها بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به وإذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره واما احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحيا الاية فالجواب عنه من أوجه أحدها انه لا يلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الوجه الثاني انه عام مخصوص بما تقدم من الادلة الوجه الثالث ما قاله بعض العلماء ان المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وهذا القول وان محتملا لكن الجمهور على ان المراد بالوحي هنا الهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحيا واما قوله تعالى او من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره منعه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد أن حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة في اول الحديث لقد قف شعري فمعناه قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي ان يقال تقول العرب عند انكار الشيء قف شعري واقشعر جلدي واشمأزت نفسي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي ذر نور اني اراه فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة اني وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف اراه قال الماوردي الضمير في اراه عائد على الله تعالى والمعنى النور يمنعني من الرؤية كما جرت العادة غشاء الانوار والابصار زمنعها من إدراك ما محلت بين الرائي وبينه وفي رواية رايت نورا معناه رايت النور فحسب ولم ار غيره وفي رواية ذاته نور اني اراه ومعناه هو خالق النور المانع من رويته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل ان تكون ذات الله نورا إذ النور من جملة الاجسام والله يتعالى عن ذلك هذا مذهب جميع ائمة المسلمين والله اعلم *

قوله عز وجل (افرايتم اللات والعزى) هذه اسماء اصنام اتخذوها الهة يعبدونها واشتقوا لها اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الاعز أما اللات قال قتادة كانت بالطائف فقال ابن زيد بيت نخلة كانت قريش تعبده وقرا ابن عباس ومجاهد وابو صالح اللات بتشديد التاء وقالوا كان رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقال مجاهد كان في رأس جبل له غنيمة يسلا منها السمن ويأخذ منها الأقط ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيسا فيطعم منه الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقال الكلبي كان رجلا من ثقيف يقال صرمة بن غنم كان يسلا السمن فيضعها على صخرة ثم تأتيه العرب فتلت به أسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف إلى منازلها فعبدتها فعمدت الطائف على موضع اللات وأما العزى قال مجاهد هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد ابن الوليد يضربها بالفاس ويقول

يا عز كفرانك لا سبحانك
اني رايت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال ان خالدا رجع إلى النبي ﷺ فقال قد قلعتها فقال ما رايت قال ما رايت شيئا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما قلعت فعاد ومعه المعول فقلعها واجتث اصلها فخرجت منها امراة عريانة فقتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ واخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد

أبدا وقال الضحاك هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وذلك أنه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بينهما فعاد إلى بطن نخلة وقال لقومه إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم إله يعبدونه وليس لكم فالوا فما تأمرنا قال أنا أصنع لكم كذلك فأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما إلى نخلة فوضع الذي أخذ من الصفا فقال هذا الصفا ثم وضع الذي أخذه من المروة فقال هذه المروة ثم أخذ ثلاثة (٢١٨) أحجار فأسندها إلى شجرة فقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله ﷺ مكة فامر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد إلى العزى فقطعها وقال ابن زيد هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف (ومناة) قرا ابن كثير بالمد والهمزة وقرا العامة بالقصر غير مهموز لان العرب سمت زيد مناة وعبد مناة ولم يسمع فيها المد قال قتادة هي لخزاعة كانت بقديد قالت عائشة رضي الله عنها في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد قال ابن زيد بيت كان بالمشلل يعبده بنو كعب قال الضحاك مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدها اهل مكة وقال بعضهم اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها واختلف القراء في الوقف على اللات ومناة فوقف بعضهم عليهما بالهاء وبعضهم بالتاء وقال بعضهم ما كتب في المصحف بالتاء يوقف عليه بالتاء وما كتب بالهاء فيوقف عليه بالهاء واما قوله (الثالثة نعت لمناة) يعني الثالثة للصنمين في الذكر واما الاخرى فان العرب لا تقول الثالثة الاخرى إنما الاخرى ههنا نعت للثالثة قال الخليل فالياء لوفاق رؤس الاى كقوله مآرب اخرى ولم يقل اخر وقيل في الاية تقديم وتأخير مجازها افرايتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة ومعنى الاية افرايتم اخبرونا ايها الزاعمون ان اللات والعزى ومنات بنات الله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقال الكلبي كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم إذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله تعالى منكرا عليهم

أسماء من أسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الأعز والمعنى أخبرونا عن هذه الالهة التي تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء وكان اللات بالطائف وقيل بنخلة كانت قريش تعبده وقرىء اللات بالتشديد (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اللات رجلا يلت السويق للحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان في رأس جبل له غنيمة يسلا منها السمن ويأخذ منها الأقط ويجمع رسلها ثم يتخذ حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقيل كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلا السمن فيضعه على صخرة فتأتيه العرب فتلت به أسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف إلى مناز لها فمرت الطائف على موضع اللات وأما العزى فقيل هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها فجعل يضربها بالفاس ويقول

يا عز كفرانك لا سبحانك * إني رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها يقال إن خالد رجع إلى النبي ﷺ فقال قد قطعتها فقال ما رأيت شيئا فقال لا فقال ما قطعت فعادها ومعه المعول فقطعها واجتثت اصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا وقيل هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن سالم الغطفاني وقيل أنه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بينهما فرجع إلى بطن نخلة فقال لقومه إن لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم إله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تامرنا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما إلى نخلة فوضع الذي أخذ من الصفا وقال هذا الصفا ثم وضع الذي اخذ من المروة وقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة احجار واسندها إلى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاث حتى افتتح رسول الله ﷺ مكة وامر برفع الحجارة وأمر خالد بن الوليد بالعزى فقطعها وقيل هي بيت بالطائف كان تعبده ثقيف * وقوله تعالى (ومناة) قيل هي الخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة رضي الله عنها في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل هي بيت بالمشلل كانت تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة وكانت تعبدها أهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة أصنام من الحجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها (الثالثة الاخرى) الثالثة نعت لمناة إذ هي الثالثة في الذكر واما الاخرى فان العرب لا تقول الثالثة الاخرى وإنما الاخرى هنا نعت للثلاثة قال الخليل قالها لوفاق رؤس الآى كقوله مآرب أخرى ولم يقل اخر وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره أفرايتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل هي صفة ذم كانه تعالى قال ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة فعلى هذا فالاصنام ترتب مراتب وذلك لان اللات كان صنما على صورة ادمي والعزى شجرة فهي نبات ومناة صخرة فهي جماد وهي في اخريات المراتب ومعنى الاية هل رايتم هذه الاصنام حق الرؤية وإذا رايتموها علمتم انها لا تصلح العبادة لانها لا تضر ولا تنفع وقيل افرايتم ايها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله ألكم

(ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى) قال ابن عباس وقتادة أى قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم قال مجاهد ومقاتل قسمة عوجاء وقال الحسن غير معتدلة قرأ ابن كثير ضئزى بالهمزة وقرأ الاخرون بغير همز قال الكسائى يقال منه ضاز يضيز ضيزا وضاز يضوز ضوزا وضاز يضاز ضازا إذا ظلم ونقص وتقدير ضيزى من الكلام فعلى بضم الفاء لأنها صفة والصفات لا تكون إلا على فعلى بضم الفاء نحو حبلى وانثى وبشرى او فعلى بفتح الفاء نحو غضبى وسكرى وعطشى وليس فى كلام العرب فعلى بكسر الفاء فى النعوت إنما يكون فى الأسماء مثل ذكرى وشعرى وكسرى والضاد ههنا لثلا تنقلب الياء واوا وهى من بنات (٢١٩) الياء كما قالوا فى جميع أبيض بيض والأصل بوض مثل جمر وصفر فاما من قال ضاز يضوز فالاسم منه ضوزى مثل شورى (إن هى) ما هذه الأصنام (إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) حجة وبرهان بما تقولون انها الهة ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة فقال (إن يتبعون إلا الظن) فى قولهم انها الهة (وما تهوى الانفس) وهو ما زين لهم الشيطان (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) البيان بالكتاب والرسول انها ليست بالهة وان العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار (ام للانسان ما تمنى) ايظن الكافر ان له ما يتمنى ويشتهى من شفاعة الأصنام (فلله الاخرة والأولى) ليس كما ظن الكافر وتمنى بل لله الاخرة والأولى لا يملك أحد فيهما شيئا إلا باذنه (وكم من ملك فى السموات) ممن يعبدهم هؤلاء الكفار ويرجون شفاعتهم عند الله (لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله) فى الشفاعة (لمن يشاء ويرضى) يعنى من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضى الله عنه وجمع الكناية قوله شفاعتهم والملك واحد لأن المراد من قوله وكم من ملك الكثرة فهو كقوله فامنكم من احد عنه حاجزين (إن الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى) يعنى بتسمية الانثى حين قالوا انهم بنات الله (وما لهم به من علم) قال مقاتل معناه ما يستيقنون انهم اناث (إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا) والحق بمعنى العلم يعنى لا يقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب أى اظنهم لا ينقذهم من العذاب (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) يعنى القرآن وقيل الايمان (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) ثم صغر رايهم فقال

الذكر وله الأنثى وقيل كان المشركون بمكة يقولون الأصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم إذا بشر بالأنثى كره ذلك فقال الله عز وجل منكرا عليهم (ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى) قال ابن عباس أى قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة (إن هى) أى ما هذه الأصنام (إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) والمعنى انكم سميتوها آلهة وليست بآلهة حقيقة ولا بمعبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها فلا يكون لها مسمى حقيقة (ما أنزل الله بها من سلطان) أى حجة بما تقولون أنها آلهة (إن يتبعون إلا الظن) أى فى قولهم انها (وما تهوى الأنفس) يعنى هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الأصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى شهواتهم والذى ينبغى أن تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بمتابعة هوى النفس (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أى البيان بالكتاب المنزل والنبى المرسل أن الأصنام ليست بآلهة وان العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار * قوله تعالى (أم للانسان ما تمنى) معناه أيظن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهى من شفاعة الأصنام أى ليس الأمر كما يظن ويتمنى (فلله الاخرة والأولى) أى لا يملك أحد فيها شيئا أبدا إلا باذنه وقيل معناه ان الانسان إذا اختار معبودا على ما تمناه واشتهاه فلله الاخرة والأولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء فى الدنيا والاخرة وان شاء أمهله إلى الاخرة (وكم من ملك فى السموات) أى ممن يعبدهم هؤلاء ويرجون شفاعتهم عند الله (لا تغنى شفاعتهم شيئا) يعنى ان الملائكة مع علو منزلتهم لا تغنى شفاعتهم شيئا فكيف تشفع الأصنام مع حقارتها ثم أخبر أن الشفاعة لا تكون إلا باذنه فقال تعالى (إلا من بعد أن يأذن الله) أى فى الشفاعة (لمن يرضى) يعنى من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضى الله عنه وقيل إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة فى الشفاعة لمن شاء الشفاعة له (إن الذين لا يؤمنون بالاخرة) يعنى الكفار الذين أنكروا البعث (ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) يعنى بتسمية الانثى حيث قالوا أنهم بنات الله * فان قلت كيف قال تسمية الأنثى ولم يقل تسمية الاناث * قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ أليق بهذا الموضع لمناسبته رؤوس الاى وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الانثى وذلك لأنهم إذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الأنثى (وما لهم به من علم) يعنى بالله فيشركون به ويجعلون له ولدا وقيل ما يستيقنون ان الملائكة اناث (إن يتبعون إلا الظن) يعنى فى تسمية الملائكة بالاناث (وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا) يعنى لا يقوم الظن مقام العلم الذى هو الحق وقيل الحق معناه انما يدرك الحق الذى هو حقيقة الشىء بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) يعنى القرآن وقيل عن الايمان (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) يعنى أنهم لا يؤمنون بالآخرة حتى يردوها ويعملوا لها وفيه اشارة إلى انكارهم الحشر ثم صغر

(ذلك مبلغهم من العلم) يعنى ذلك نهاية علمهم وقدر عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وقيل لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم أن الملائكة بنات الله وانها تشفع لهم فاعتمدوا على ذلك واعرضوا عن القرآن (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) يعنى هو عالم بالفريقين فيجازيهم (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) وهذا معترض بين الاية الأولى وبين قوله (ليجزى الذين اساؤا بما عملوا) فاللام فى قوله ليجزى متعلق بمعنى الاية الأولى لانه إذا كان أعلم بهم جازى كلا بما يستحقه الذين أساؤا أى أشركوا بما عملوا من الشرك (ويجزى الذين احسنوا بالحسنى) وحدوا ربهم بالحسنى بالجنة وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمسىء إذا كان كثير الملك ولذلك قال ولله ما فى السموات وما فى الأرض ثم وصفهم فقال (الذين يجتنبون كبائر الاثم الفواحش الا اللمم) اختلفوا فى معنى الاية فقال قوم هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الاية الا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ويقع الوقعة ثم ينتهى وهو قول ابى هريرة ومجاهد والحسن ورواية عطاء عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال السدى قال ابو صالح سئلت عن قول الله تعالى الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال لقد اعانك عليها ملك كريم وروينا عن عطاء عن ابن عباس فى قوله الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واى عبد لك لا الما أصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة عليه وقال اخرون هذا استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعل اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا فى معناه فقيل هو ما سلف فى الجاهلية فلا يؤاخذهم به فى الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فانزل الله عز وجل هذه الاية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وابى هريرة ومسروق والشعبى والرواية الأخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال ما رايت شيئا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك او يكذبه ولمسلم قال كتب على بن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد

رأيهم فقال تعالى (ذلك مبلغهم من العلم) يعنى ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم أن آثروا الدنيا على الاخرة وقيل معناه أنهم لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم ان الملائكة بنات الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك واعرضوا عن القرآن والايمان (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) يعنى هو عالم بالفريقين ويجازيهم بأعمالهم (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) وهذه إشارة إلى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الاية الأولى وبين قوله (ليجزى الذين اساؤا بما عملوا) والمعنى إذا كان اعلم بهم جازى كل أحد بما يستحقه فيجزى الذين أساؤا أى اشركوا بما عملوا من الشرك (ويجزى الذين أحسنوا) يعنى وحدوا ربهم (بالحسنى) يعنى الجنة وإنما يقدر بمجازاة المحسن والمسىء اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله ما فى السموات وما فى الأرض ثم وصف المحسنين فقال عز وجل (الذين يجتنبون كبائر الاثم) قيل الاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطئة عن الثواب وقيل ما لا يحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه آثام والكبيرة متعارفة فى كل ذنب تعظيم عقوبته وجمعه كبائر (والفواحش) جمع فاحشة وهى ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وقيل هى ما فحش من الكبائر (إلا اللمم) يعنى إلا ما قل وصغر من الذنوب وقيل هى مقاربة المعصية من قولك المممت بكذا إذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا فى معنى الاية فقيل هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الاية الا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب او يقع الوقعة ثم ينتهى وهو قول ابى هريرة ومجاهد والحسن ورواية عن ابن عباس وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال ابو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاود فذكرت ذلك لابن عباس فقال اعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس فى قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واى عبد لك لا الما اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب وقيل اصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعل اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا فى معناه فقيل هو ما سلف فى الجاهلية فلا يؤاخذهم به فى الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فانزل الله عز وجل هذه الاية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وابى هريرة ومسروق والشعبى والرواية الأخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال ما رايت شيئا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك او يكذبه ولمسلم قال كتب على بن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها

من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا فى معناه فقال بعضهم هو ما سلف فى الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فانزل الله هذه الاية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقال بعضهم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا وهذا قول ابن مسعود وابى هريرة ومسروق والشعبى ورواية طاوس عن ابن عباس اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا محمود بن غيلان انا عبد الرزاق انا معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس قال ما رايت أشبه باللمم مما قاله ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محاله فزنا العين النظر

زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه وقيل اللمم على وجهين احدهما انه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا فى الدنيا ولا عذابا فى الاخرة فذلك الذى تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان مالم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الثانى هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة فيتوب منه وقيل هو مالم على القلب يعنى خطر وقيل اللمم النظرة من غير عمد فهو مغفور فان اعاد النظر فليس بلمم فهو ذنب والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿فصل فى بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة﴾ قال العلماء اكبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لاخفاء به لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فاما ماسواهما من الزنا واللوط وشرب الخمر وشهادة الزور واكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف واكل الربا وغير ذلك من الكبائر التى ورد بها النص فلها تفاصيل واحكام تعرف بها مراتبها ويختلف أمرها باختلاف الأحوال والمفاسد المرتبة عليها فعلى هذا يقال فى كل واحدة منها هى من أكبر الكبائر بالنسبة إلى مادونها وقد جاء عن ابن عباس أنه سئل عن الكبائر اسبع هى قال هى إلى السبعين اقرب وفى رواية إلى سبعمائة اقرب وقد اختلف العلماء فى حد الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل شىء نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ أبو إسحق الاسفرايني وحكاه القاضى عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بان كل مخالفة فهى بالنسبة إلى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصى إلى صغائر وكبائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة واستعمال سلف الأئمة وإذا ثبت انقسام المعاصى إلى صغائر وكبائر فقد اختلف فى ضبطها فروى عن ابن عباس انه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل هى ماوعد الله عليه بنار فى الاخرة اوحد فى الدنيا وقال الغزالى فى البسيط الضابط الشامل فى ضبط الكبيرة إن كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف أو استحداث ندم كالمتهاون فى ارتكابها والمستجرىء عليها اعتيادا فما اشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبير وما تحمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى كتابه القواعد إذا اردت معرفة الفرق بين الكبيرة والصغيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فان نقصت عن اقل مفاسد الكبائر فهى من الصغائر وإن ساوت ادنى مفاسد الكبائر فمن امسك امراة محصنة لمن يزنى بها او أمسك مسلما لمن يقتله فلا شك ان مفسدة ذلك أعظم ممن أكل درهما من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بانهم يستاصلونهم بدلالته فان تسببه إلى هذه المفسدة اعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذلك لو كذب على إنسان كذبا يعلم انه يقتل بسببه ولو كذب على إنسان كذبا يعلم انه ياخذ منه تمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبائر وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما بحيث يصح معه انه يطلق عليه اسم الكبيرة ويوصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا حد الكبيرة ولها امارات منها الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها فى الكتاب أو السنة ومنها ماوصف فاعلها بالفسق او يضاف اليها اللعن كلعن الله من غير منار الأرض ونحو ذلك والله أعلم * وقوله تعالى (إن ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب واناب وروى عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة فى الاسلام يعنى لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومعناه ان الكبيرة ايضا تمحى بالاستغفار والتوبة الصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل فى حد الاصرار هو ان يتكرر منه الصغيرة تكرار يشعر بقلة مبالاته بذنبه وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال تعالى (هو أعلم بكم) يعنى قبل أن يخلقكم وهو قوله (إذ أنشاكم من الأرض) يعنى خلق اباكم ادم من التراب (وإذ أنتم أجنة)

وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك ويكذبه ورواه سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ وزاد والعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطى وقال الكلبى اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا فى الدنيا ولا عذابا فى الاخرة فذلك الذى تكفره الصلوات مالم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقال سعيد ابن المسيب هو مالم على القلب يعنى خطر وقال الحسين بن الفضل اللمم النظرة من غير تعمد فهو مغفور فان اعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب (ان ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس لمن فعل ذلك وتاب تم الكلام ههنا ثم قال (هو اعلم بكم إذ أنشاكم من الأرض) يعنى خلق اباكم ادم من التراب (وإذ انتم أجنة) جمع جنين سمى جنينا لاجتنانه فى البطن

(فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم) قال ابن عباس لا تمدحوها قال الحسن علم الله من كل نفس ماهى صانعة وإلى ماهى صائرة فلا تزكوا أنفسكم فلا تبرؤها عن الاثام ولا تمدحوها بحسن أعمالها قال الكلبى ومقاتل كان الناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا وجهادنا فانزل الله تعالى هذه الاية (هو اعلم بمن اتقى) أى بر وأطاع وأخلص العمل لله تعالى قوله عز وجل (أفرأيت الذى تولى) نزلت فى الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبى ﷺ على دينه فعيره بعض المشركين وقال اتركت دين الأشياخ وضلالتهم قال انى خشيت عذاب الله فضمن الذى عاتبه إن هو أعطاه كذا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد إلى الشرك وأعطى الذى عيره بعض ذلك المال الذى ضمن ومنعه تمامه فأنزل الله عز وجل أفرأيت الذى تولى أدبر عن الايمان (وأعطى) صاحبه (قليلا وأكدى) بخل بالباقى وقال مقاتل أعطى يعنى الوليد (٢٢٢) قليلا من الخير بلسانه وأكدى ثم أكدى يعنى قطعه وامسك ولم يقم على العطية وقال

السدى نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك انه كان ربما يوافق النبى ﷺ فى بعض الأمور وقال محمد بن كعب القرظى نزلت فى ابى جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا محمد إلا بمكارم الاخلاق فذلك قوله وأعطى قليلا وأكدى لم يؤمن به ومعنى اكدى يعنى قطع واصله من الكدية وهى حجر يظهر فى البئر يمنع من الحفر تقول العرب اكدى الحافر واجبل إذا بلغ فى الحفر الكدية والجبل (اعنده علم الغيب فهو يرى) ماغاب عنه ويعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه (ام لم ينبأ) لم يخبر (بما فى صحف موسى) يعنى اسفار التوراة (وإبراهيم) وفى صحف إبراهيم عليه السلام (الذى وفى) تمم واكمل ما امر به قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة عمل بما امر

جمع جنين (فى بطون أمهاتكم) سمى جنينا لاستتاره فى بطن أمه (فلا تزكوا أنفسكم) قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ماهى صانعة وإلى ماهى صائرة فلا تزكوا انفسكم فلا تبرؤها من الاثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل فى معنى الاية هو اعلم بكم ايها المؤمنون علم حالكم من اول خلقكم إلى اخر يومكم فلا تزكوا انفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته انا خير منك وأنا أزكى منك أو أتقى منك فان العلم عند الله وفيه إشارة إلى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى (هو اعلم بمن اتقى) يعنى بمن ابر واطاع واخلص العمل وقيل فى معنى الاية فلا تزكوا أنفسكم يعنى لا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها إلى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب أبيكم ادم وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم قيل نزلت فى ناس كانوا يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله فيهم هذه الاية * قوله عز وجل (افرايت الذى تولى) نزلت فى الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبى ﷺ على دينه فعيره بعض المشركين وقالوا اتركت دين الاشياخ وضللت قال إنى خشيت عذاب الله فضمن له الذى عاتبه إن اعطاه كذا من ماله ورجع إلى الشرك أن يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد إلى الشرك وأعطى للذى عيره بعض الذى ضمن له من المال ومنعه تمامه فانزل افرايت الذى تولى يعنى ادبر واعرض عن الايمان (واعطى) يعنى لصاحبه الذى عيره (قليلا واكدى) يعنى بخل بالباقى وقيل اعطى قليلا يعنى من الخير بلسانه واكدى يعنى قطعه وامسك ولم يعم بالعطية وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك انه كان ربما يوافق النبى ﷺ فى بعض الأمور وقيل نزلت فى أبى جهل وذلك أنه قال والله ما يامرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق فذلك قوله وأعطى قليلا واكدى يعنى لم يومن به ومعنى الاية اكدى يعنى قطع واصله من الكدية وهى حجر يظهر فى البئر يمنع من الحفر (اعنده علم الغيب فهو يرى) يعنى ماغاب عنه يعنى ان صاحبه يتحمل عنه عذابه (ام لم ينبأ) يعنى يخبر (بما فى صحف موسى) يعنى أسفار التوراة (وإبراهيم) يعنى ويخبر بما فى صحف إبراهيم (الذى وفى) يعنى كمل وتمم ما امر به وقيل عمل بما امر به وبلغ رسالات ربه إلى خلقه وقيل وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى بما فرض عليه فى سهام الاسلام وهو قوله وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية والاتمام وقيل فى شان المناسك وروى البغوى بسنده عن ابى امامة عن النبى ﷺ قال إبراهيم الذى وفى عمله كل يوم باربع ركعات اول النهار عن أبى الدرداء وأبى ذر عن النبى ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال ابن ادم اركع لى اربع ركعات من أول النهار اكفك

به وبلغ رسالات ربه إلى خلقه قال مجاهد وفى بما فرض عليه قال الربيع وفى رؤياه وقام بذبح ابنه وقال عطاء الخراسانى اخر استكمل الطاعة وقال ابو العالية وفى سهام الاسلام وهو قوله وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام وقال الضحاك وفى ميثاق المناسك أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا أبو جعفر محمد بن على بن دحيم الشيبانى ثنا إبراهيم ابن إسحق الزهرى ثنا إسحق بن منصور عن إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى امامة عن النبى ﷺ قال إبراهيم الذى وفى صل أربع ركعات أول النهار أخبرنا أبو عثمان الضبى أنا أبو محمد الجراحى ثنا أبو العباس المحبوبى ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا أبو جعفر الشيبانى ثنا أبو مسهر ثنا إسمعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن أبى الدرداء وأبى ذر عن رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال ابن ادم اركع لى اربع ركعات من أول النهار اكفك اخره ثم بين ما فى صحفهما فقال

(ألا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى ومعناه لا تؤخذ نفس باثم غيرها وفى هذا إبطال قول من ضمن للوليد ابن المغيرة بانه يحمل عنه الاثم وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانوا قبل إبراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بذنب أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان إبراهيم فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله ألا تزر وازرة وزر أخرى (وأن ليس للانسان إلا ماسعى) اى عمل كقوله إن سعيكم لشتى وهذا أيضا فى صحف إبراهيم وموسى قال ابن (٢٢٣) عباس هذا منسوخ الحكم فى هذه

آخره أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ثم بين ما فى صحفهما فقال تعالى (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى والمعنى لا تؤخذ نفس باثم غيرها وفى هذا إبطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة أنه يحمل عنه الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل إبراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى ألا تزر وازرة وزر أخرى (وأن ليس للانسان إلا ماسعى) أى عمل وهذا فى صحف إبراهيم وموسى أيضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم فى هذه الشريعة بقوله تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم فادخل الأبناء الجنة بصلاح الاباء وقيل كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى فاما هذه الأمة فلها ماسعوا وماسعى لهم غيرهم لما روى عن ابن عباس أن امرأة رفعت صبيا لها فقالت يارسول الله الهذا حج قال نعم ولك أجر أخرجه مسلم وعنه أن رجلا قال لرسول الله ﷺ إن أمى توفيت أينفعها أن تصدقت عنها قال نعم وفى رواية أن سعد بن عبادة أخا بنى سعد وذكر نحوه وأخرجه البخارى وعن عائشة رضى الله عنها قالت أن رجلا قال لرسول الله ﷺ ان أمى افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر ان تصدقت عنها قال نعم أخرجاه فى الصحيحين وفى حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعى ومالك وأحمد وجماهير العلماء أن حج الصبى منعقد صحيح يثاب عليه وإن كان لا يجزيه عن حجة الاسلام بل يقع تطوعا وقال أبو حنيفة لا يصح حجة وإنما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفى الحديثين الاخرين دليل على أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو إجماع العلماء وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة فى ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الاسلام وكذا لو أوصى بحج تطوع على الأصح عند الشافعى واختلف العلماء فى الصوم إذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعى أن قراءة القرآن لا يصله ثوابها وقال جماعة من أصحابه يصله ثوابها وبه قال أحمد بن حنبل وأما الصلوات وسائر التطوعات فلا يصله عند الشافعى والجمهور وقال أحمد يصله ثواب الجميع والله أعلم وقيل أراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير إلا ماعمل هو فيثاب عليه فى الدنيا بأن يوسع عليه فى رزقه ويعافى فى بدنه حتى لا يبقى له فى الاخرة خير وروى أن عبد الله بن أبى بن سلول كان اعطى العباس قميصا البسه إياه فلما مات ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له فى الاخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان إلا ماسعى هو من باب العدل فاما من باب العدل فاما من باب الفضل فجائز ان يزيده الله مايشاء من فضله وكرمه (وان سعيه سوف يرى) اى يراه فى ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمن وذلك ان الله تعالى يريه اعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما (ثم يجزاه) يعنى السعى (الجزاء الأوفى) يعنى الاتم الأكمل والمعنى ان الانسان يجزى جزاء سعيه الجزاء الأوفى * قوله عز وجل (وإن إلى ربك المنتهى) اى اليه منتهى الخلق ومصيرهم اليه فى الاخرة وهو مجازيهم باعمالهم وفى المخاطب بهذا وجهان احدهما انه عام تقديره وان إلى ربك ايها السامع او العاقل كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للسىء وحث شديد للمحسن ليقلع المسى عن اساءته ويزداد المحسن فى إحسانه الوجه

الشريعة بقوله ألحقنا بهم ذرياتهم فادخل الأبناء الجنة بصلاح الاباء وقال عكرمة كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى فاما هذه الأمة فلهم ماسعوا وماسعى لهم غيرهم لما روى ان امرأة رفعت صبيا لها فقالت يارسول الله الهذا حج قال نعم ولك أجر وقال رجل للنبى ﷺ إن أمى افتلتت نفسها فهل لها اجر إن تصدقت عنها قال نعم وقال الربيع بن أنس وان ليس للانسان إلا ماسعى يعنى الكافر فاما المؤمن فله ماسعى وماسعى له قيل ليس للكافر من الخير إلا ماعمل هو فيثاب عليه فى الدنيا حتى لا يبقى له فى الاخرة خير ويروى أن عبد الله بن أبى كان أعطى العباس قميصا البسه إياه فلما مات أرسل رسول الله ﷺ قميصه ليكفنه فيه فلم يبق له حسنة فى الاخرة يثاب عليها (وأن سعيه سوف يرى) فى ميزانه يوم القيامة من رأيته الشىء (ثم يجزاه الجزاء الأوفى) الأكمل والأتم أى يجزى

الانسان بسعيه يقال جزيت فلانا سعيه وبسعيه قال الشاعر ان اجز علقمة ابن سعد سعيه * لم اجزه ببلاء يوم واحد فجمع بين اللغتين (وان إلى ربك المنتهى) اى منتهى الخلق ومصيرهم اليه وهو مجازيهم باعمالهم وقيل منه ابتداء المنة واليه انتهاء الامال اخبرنا ابو سعيد الشريحى انا ابو اسحق الثعلبى اخبرنى الحسن بن محمد الشيبانى انا محمد بن سليمان بن الفتح الحنبلى ثنا على بن محمد المصرى انا ابو اسحق بن منصور الصعدى انا العباس بن زفر عن ابى جعفر الرازى عن ابيه عن الربيع بن انس عن ابى العالية عن ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وان إلى ربك المنتهى قال لا فكرة فى الرب وهذا مثل ما روى عن ابى هريرة مرفوعا تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق

فانه لا تحيط به الفكرة (وأنه هو أضحك وأبكى) فهذا يدل على أن كل ما يعمله الانسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء قال مجاهد والكلبي أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار وقال الضحاك اضحك الأرض بالنبات وابكى السماء بالمطر قال عطاء ابن أبي مسلم يعني فرح واحزن لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء اخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح انا ابو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد انا قيس هو ابن الربيع الأسدي ثنا سماك بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة اكنت تجالس النبي ﷺ قال نعم وكان اصحابه يجلسون فيتناشدون الشعر ويذكرون (٢٢٤) اشياء من امر الجاهلية فيضحكون ويتبسم معهم إذا ضحكوا يعني النبي ﷺ وقال معمر عن قتادة سئل ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله ﷺ يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم اعظم من الجبل (وانه هو اماتا واحيا) اى اماتا في الدنيا واحيا للبعث وقيل اماتا الاباء واحيا الابناء وقيل اماتا الكافر بالنكرة واحيا المؤمن بالمعرفة (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى) من كل حيوان (من نطفة إذا تمنى) اى تصب في الرحم يقال منى الرجل وامنى قال الضحاك وعطاء بن ابى رياح وقال آخرون تقدر يقال منيت الشيء إذا قدرته (وان عليه النشأة الأخرى) يعنى الخلق الثانى للبعث يوم القيامة و(انه هو اغنى واقنى) قال ابو صالح اغنى الناس بالأموال واقنى يعنى اعطى القنية واصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية قال الضحاك اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال بالابل والبقر والغنم ل قال قتادة والحسن اقنى اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اعطى فارضى قال مجاهد ومقاتل اقنى ارضى بما اعطى وقنع وقال ابن زيد اغنى اكثر واقنى اقل وقرا يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال لهم الاخفش اقنى افقر وقال ابن كيسان اولد (وانه هو رب الشعرى) وهو كوكب خلف الجوزاء وهما شعريان فقال لاحدهما العبور وللاخرى الغميصاء سميت بذلك لانها اخفى من الاخرى والمجرة بينهما واراد هنا الشعرى العبور وكانت خزاعة تعبدها واول من سن لهم ذلك رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لأن النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى طولا فهى مخالفة لها فعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله ﷺ على خلاف العرب في الدين سموه ابن ابى كبشة لخلافه اياهم كخلاف ابى كبشة في عبادة الشعرى

الثاني أن المخاطب بهذا هو النبي ﷺ فعلى هذا ففيه تسلية للنبي ﷺ والمعنى لا تحزن فان إلى ربك المنتهى وقيل في معنى الاية منه ابتداء المنة واليه انتهاء الامال وروى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله وأن إلى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ماروى عن أبي هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة ومعناه لا فكرة في الرب أي انتهى الأمر اليك لانك إذا نظرت إلى سائر الموجودات الممكنة علمت أنه لا بد لها من موجد وإذا علمت أن موجدها هو الله تعالى فقد انتهى الأمر اليه فهو إشارة إلى وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) أي هو القادر على إيجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكاء ففيه دليل على أن جميع ما يعمله الانسان بقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء قيل اضحك اهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار وقيل اضحك الأرض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل افرح وأحزن لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن سمرة قال جلست مع النبي ﷺ أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم إذا ضحكوا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم إذا ضحكوا يعني النبي ﷺ وسئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم أعظم من الجبل (ق) عن أنس قال خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم خنين هو بالخاء المعجمة أي بكاء مع صوت يخرج من الأنف (وانه هو أمات واحيا) أي أمات في الدنيا وأحيا للبعث وقيل اماتا الاباء واحيا الأبناء وقيل اماتا الكافر بالنكرة واحيا المؤمن بالمعرفة (وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى) اى من كل حيوان وهو ايضا من جملة المتضادات التي تتوارد على النقطة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها انثى وهذا شيء لا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وإنما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة (من نطفة إذا تمنى) اى تصب في الرحم وقيل تقدر وفي هذا تنبيه على كمال قدرته لأن النطفة شيء واحد خلق الله منها اعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والأنثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يؤكده بقوله وإنه هو خلق لأنه لم يدع احد إيجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كما لم يقدر احد ان يدعي خلق السموات والأرض (وان عليه النشأة الأخرى) اى الخلق الثاني بعد الموت للبعث يوم القيامة (وانه هو اغنى واقنى) اى اغنى الناس بالأموال واعطى القنية وهي اصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية واقنى بالابل والبقر والغنم وقيل اقنى اى اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اى اعطى فأرضى وقيل اغنى يعني رفع حاجته ولم يتركه محتاجا إلى شيء لأن الغنى ضد الفقر واقنى اى زاد فوق الغنى (وانه هو رب الشعرى) اى انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن

(وأنه أهلك عادا الأولى) قرأ أهل المدينة والبصرة بلام مشددة بعد الدال وبهمز واوه لون عن نافع والعرب تفعل ذلك فتقول قم لأن عنا تريد قم الآن عنا وتكون الوقف عندهم عادو الابتداء أولى بهمزة واحدة مفتوحة بعدها لام مضمومة ويجوز الابتداء لولا بحذف الهمزة المفتوحة وقرأ الاخرون عادا الأولى وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر فكان لهم عقب فكانوا عادا الأخرى (وثمود) وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة (فما أبقى) منهم أحدا (وقوم نوح من قبل) اى أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب (والمؤتفكة) يعنى قرى قوم لوط (اهوى) اسقط اى اهواها جبريل بعد ما رفعها إلى السماء (فغشاها) ألبسها الله (ماغشى) يعنى الحجارة والمنضودة المسومة (فبأى آلاء ربك) نعم ربك أيها الانسان

لهم ذلك الرجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لأن النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهن مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله ﷺ على خلاف العرب فى الدين سموه ابن ابى كبشة تشبيها له فى خلافه إياهم كما خالفهم أبو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضىء خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار أيضا وهما اثنتان يمانية وشامية يقال لاحداهما العبور والاخرى الغميصاء سميت بذلك لانها أخفى العبور والمجرة بينهما وأراد بالشعرى هنا العبور (وانه اهلك عادا الاولى) وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عاد أخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى يعنى اول الخلق هلاكا بعد قوم نوح (وثمود) وهم قوم صالح اهلكهم الله بالصيحة (فما ابقى) يعنى ومنهم احدا (وقوم نوح من قبل) يعنى اهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق (انهم كانوا هم أظلم واطغى) يعنى لطول دعوة نوح إياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب (والمؤتفكة) يعنى قرى قوم لوط (أهوى) اى اسقط وذلك ان جبريل رفعها إلى السماء ثم اهوى بها (فغشاها) اى ألبسها الله (ماغشى) يعنى الحجارة المنضودة المسومة (فبأى الاء ربك تتمارى) اى تشك ايها الانسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة قال ابن عباس تتمارى اى تكذب (هذا نذير) يعنى محمد رسول الله ﷺ (من النذر الأولى) اى رسول من الرسل المتقدمة أرسل اليكم كما ارسل الى قومهم وقيل انذر محمد كما انذرت الرسل من قبله (ازفت الازفة) اى قربت القيامة واقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) اى مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله غير انه لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها رد يعنى إذا غشيت الخلق اهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم احد * قوله تعالى (أفمن هذا الحديث) يعنى القران (تعجبون) تنكرون (وتضحكون) اى استهزاء (ولا تبكون) اى مما فيه من الوعد (وانتم سامدون) اى لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغناء بلغة اهل اليمن وكانوا إذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا واصل السمود فى اللغة رفع الرأس ماخوذ من سمود البعير إذا رفع راسه وجد فى سيره والسامد اللاهى والمعنى وقيل معناه اشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون قيل له وما البرطمة قال الاعراض (فاسجدوا لله) يعنى أيها المؤمنون شكرا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود العرض فى الصلاة (واعبدوا) يعنى اعبدوا الله وإنما قال واعبدوا اما لكونه معلوما واما لان العبادة فى الحقيقة لا تكون إلا لله تعالى (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله ﷺ قرأ النجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا

وقيل أراد الوليد بن المغيرة (تتمارى) تشك وتجادل قال ابن عباس تكذب (هذا نذير) يعنى محمدا (من النذر الأولى) أى رسول من أرسل اليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم وقال قتادة يقول انذر محمد كما انذر الرسل من قبله (ازفت الازفة) دنت القيامة واقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) اى مظهرة مقيمة كقوله تعالى لا يجليها لوقتها إلا هو والهاء فيه للمبالغة أو على تقدير نفس كاشفه ويجوز ان تكون الكاشفة مصدرا كالخيار والعافية والمعنى ليس لها من دون الله كاشف اى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها راد يعنى إذا غشيت الخلق اهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم احد وهذا قول عطاء وقتادة والضحاك (أفمن هذا الحديث) يعنى

القران (تعجبون وتضحكون) الاستهزاء (ولا تبكون) لما فيه من الوعد والوعيد (وانتم سامدون) لاهون غافلون والسمود الغفلة عن الشىء واللهو يقال دع عنا سمودك هذا رزاية الوالبى والعوفى عن ابن عباس وقال عكرمة عنه هو الغناء بلغة اهل اليمن وكانوا إذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا وقال الضحاك اشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون فقيل له ما البرطمة قال الاعراض (فاسجدوا لله واعبدوا) يعنى واعبدوه اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا مسدد ثنا عبد الوارث ثنا ايوب عن عكرمة عن ابن عباس ان النبى ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس اخبرنا عبد الواحد المليحى انا محمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل ثنا نصر بن على اخبرنى ابو احمد ثنا اسرائيل عن ابى اسحق عن الاسود بن يزيد عن عبد الله قال اول سورة انزلت فيها سجدة النجم قال فسجد رسول

الله ﷺ وسجد من خلفه الا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنا ادم بن ابي اياس أنا بن ذئب أنا يزيد بن عبد الله بن قسيط عن عطاء بن يسار عن زيد بن ثابت قال قرأت على النبي ﷺ والنجم فلم يسجد فيها فقلت هذا دليل على ان سجود التلاوة غير واجب قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ان الله لم يكتبها علينا إلا ان يشاء وهو قول الشافعي واحمد وذهب قوم إلى ان وجوب سجود التلاوة على القارىء والمستمع جميعا وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأى

من قريش أخذ كفا من حصباء أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا زاد البخاري في رواية قال أول سورة نزلت فيها سورة النجم وذكره وقال في اخره وهو أمية بن خلف (خ) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس (ق) عن زيد بن ثابت قال قرأت على رسول الله ﷺ النجم فلم يسجد فيها ففي هذا الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي واحمد وقال عمر ابن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا إلا ان نشاء وذهب قوم إلى وجوبها على القارىء والمستمع وهو قول سفيان واصحاب الرأى والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة القمر مكية ﴾

(وهي خمس وخمسون اية وثلثمائة واثنتان واربعون كلمة والف واربعمائة وثلاثون اوعشرون حرفا) (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله عز وجل (اقتربت الساعة) اى دنت القيامة (وانشق القمر) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من ايات رسول الله ﷺ الظاهرة ومعه معجزاته الباهرة يدل عليه ماروى عن أنس ان أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ ان يريهم اية فأراهم انشقاق القمر مرتين اخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر إلى قوله سحر مستمر ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال رسول الله ﷺ اشهد واوفى رواية اخرى قال بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذا انفلق القمر فلقتين فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله ﷺ اشهدوا ولهما عن ابن عباس قال ان القمر انشق في زمن رسول الله ﷺ (م) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فوق الجبل فقال رسول الله ﷺ اللهم اشدد اعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد أعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا مايستطيع ان يسحر الناس كلهم اخرجه الترمذي وزاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بأنهم قد رأوه فكذبوا نهم قال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فسألوا السفارة فقالوا نعم قد رأيناه فأنزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الأحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القران المجيد بذلك فانه ادل دليل واقوى مثبت له وامكانه لايشك فيه مؤمن وقد اخبر عنه الصادق فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه وقال الشيخ محي الدين النووي في شرح صحيح مسلم الزجاج وقد انكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفين الملة وذلك لما اعمى الله قلبه ولا انكار للعقل فيها لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه مايشاء كما يفنيه ويكوره في آخر امره فاما اقوال بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم في رؤيتهم له ومعرفته ولم يختص بها اهل مكة فاجاب العلماء عن هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء او ينظر اليها إلا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل من

﴿ سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(اقتربت الساعة) دنت القيامة

(وانشق القمر) اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن عبد الوهاب انا بشر بن المفضل ثنا سعيد بن ابي عروة عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل مكة سألوا رسول الله ﷺ ان يريهم اية فاراهم القمر شقتين حتى راوا حراء بينهما وقال شيبان عن قتادة فاراهم انشقاق القمر مرتين اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبه وسفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد النبي ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ

وسلم اشهدوا وقال ابو الضحى عن مسروق قال انشق القمر بمكة وقال مقاتل انشق القمر ثم التام بعد ذلك وروى ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فاسالوا السفار فسألوهم فقالوا نعم قد رايناه فانزل الله عز وجل اقتربت الساعة وانشق القمر

العجائل

(وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) أى ذاهب وسوف يذهب ويبطل من قولهم مر الشيء واستمر إذا ذهب مثل قولهم قر واستقر هذا قول مجاهد وقتادة وقال أبو العالية والضحاك مستمر أى قوى شديد يعلو كل سحر من قولهم مر الحبل إذا صلب واشتد وأمررته إنا إذا أحكمت فتله واستمر الشيء إذا قوى واستحكم (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) يعنى كذبوا النبى ﷺ وما عاينوا من قدرة الله عز وجل واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الباطل (وكل أمر مستقر) قال الكلبى لكل أمر حقيقة ما كان منه فى الدنيا فسيظهر وما كان منه فى الاخرة فسيعرف وقال قتادة كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهل الخير والشر مستقر بأهل الشر وقيل كل أمر من خير أو شر مستقر قراره فالخير مستقر بأهله فى الجنة والشر مستقر بأهله فى النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقال مقاتل لكل حديث منتهى وقيل كل ما قدر كائن واقع لا محالة وقرأ أبو (٢٢٧) جعفر مستقر بجر الراء ولا وجه له

العجائب والأنوار والطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدبه إلا احاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرنا من غفلة الناس وكان هذا الانشقاق اية عظيمة حصلت فى الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتأهب غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ فى بعض المجارى والمنازل التى تظهر لبعض أهل الافاق دون بعض كما يكون ظاهر القوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم وقيل فى معنى الاية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين خلافه ولأن الله ذكره بلفظ الماضى وحمل الماضى على المستقبل بعيد يفتقر إلى قرينة تنقله أو دليل يدل عليه وفى قوله تعالى (وإن يروا اية يعرضوا) دليل على وجوده هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك فى زمن رسول الله ﷺ والمعنى وإن يروا آية أى تدل على صدق رسول الله ﷺ والمراد بالاية هنا انشقاق القمر يعرضوا أى عن التصديق بها (ويقولوا سحر مستمر) يعنى دائم مطرد وكل شيء دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الايات فقالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر أى قوى محكم شديد يعلوه يعلو كل سحر وقيل مستمر أى ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وإنما قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعليلا (وكذبوا) يعنى النبى ﷺ وما عاينوا من قدرة الله (واتبعوا أهواءهم) يعنى ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القمر (وكل أمر مستقر) يعنى لكل امر حقيقة فما كان منه فى الدنيا فسيظهر وما كان فى الاخرة فسيعرف وقيل كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهله فى الجنة والشر مستقر بأهله فى النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حين يعرفون حقيقته بالثواب والعقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى وقيل ما قدر فهو كائن وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعنى ليس امره يذاهب كما زعمتم بل كل امر من اموره مستقر وان أمر عمدا رسول الله ﷺ سيظهر إلى غاية يتبين فيها أنه حق (ولقد جاءهم) يعنى أهل مكة (من الأنباء) يعنى من اخبار الأمم الماضية المكذبة فى القرآن (مافيه مزدجر) يعنى منتهى وموعظة (حكمة بالغة) يعنى القرآن حكمة عامة قد بلغت الغاية (فما تغنى النذر) يعنى اى غنى تغنى النذر إذا خالفوهم وكذبوهم (فتول عنهم) يعنى اعرض عنهم نسختها اية القتال (يوم يدع الداع) يعنى اذكر يا محمد يوم لمدع الداعى وهو اسرافيل ينفخ فى الصور قائما على صخرة بيت المقدس (إلى شيء نكر) يعنى منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما له (خشعا) وقرىء خاشعا (أبصارهم) يعنى ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب (يخرجون من الاجداث) يعنى من القبور (كانهم جراد منتشر) مثل فى كثرتهم ونموج

(ولقد جاءهم) يعنى أهل مكة (من الانباء) من أخبار الأمم المكذبة فى القران (مافيه مزدجر) لامنتهى مصدر بمعنى الازدجار أى نهى وعظة يقال زجرته وازدجرته إذا نهيته عن السوء وأصله مزتجر قلبت التاء دالا (حكمة بالغة) يعنى القران حكمة تامة قد بلغت الغاية فى الزجر (فما تغنى النذر) يجوز أن تكون ما نفيا على معنى فليست تغنى النذر ويجوز أن يكون استفهاما والمعنى فاى شيء تغنى النذر إذا خالفوهم وكذبوهم كقوله وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون والنذر جمع نذير (فتول عنهم) أى أعرض عنهم نسختها اية القتال قيل ههنا وقف تام وقيل فتول عنهم (يوم يدع الداع) أى إلى يوم الداعى قال مقاتل هو إسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس (إلى شيء نكر) منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما قرا ابن كثير نكر بسكون الكاف والآخرون بضمها (خشعا ابصارهم) قرا ابو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائى خاشعا على الواحد وقرا الاخرون خشعا بضم الخاء وتشديد الشين على الجمع ويجوز فى اسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد والجمع والتذكير والتأنيث تقول مررت برجال حسن اوجههم وحسنة اوجههم وحسان اوجههم قال الشاعر

ورجال حسن اوجههم * من إياد بن نزار بن معد

وفى قراءة عبد الله خاشعة ابصارهم اى ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب (يخرجون من الأجداث) من القبور (كانهم جراد منتشر) منبث حيارى وذكر المنتشر على لفظ الجراد نظيرها كالفراش المبثوث واراد انهم يخرجون فزعين لاجهة لاحد منهم يقصدها كالجراد لاجهة لها تكون مختلطة بعضها فى بعض

(مهطعين) مسرعين مقبلين (إلى الداع) إلى صوت إسرافيل (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب شديد قوله عز وجل (كذبت قبلهم) يعنى قبل اهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا (وقالوا مجنون وازدجر) يعنى زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد وقالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين وقال مجاهد معنى ازدجر أى استطير جنونا (فدعا) نوح (ربه) وقال (أنى مغلوب) مقهور (فانتصر) فانتقم لى منهم (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) منصب انصبابا شديدا لم ينقطع اربعين يوما وقال يمان قد طبق ما بين السماء والأرض (وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء) يعنى ماء السماء وماء الأرض وإنما قال التقى الماء والالتقاء لا يكون من واحد إنما يكون بين اثنين فصاعدا لأن الماء يكون جمعا واحدا وقرأ عاصم الجحدرى فالتقى الما آن (على امر قد قدر) يعنى قضى عليهم فى أم الكتاب وقال مقاتل قدر الله ان يكون الما آن سواء فكانا على ما قدر (وحملناه) يعنى نوحا (على ذات ألواح ودسر) يعنى سفينة ذات ألواح ذكر النعت وترك الاسم أراد بالألواح خشب السفينة العريضة ودسر أى (٢٢٨) المسامير التى تشدبها الألواح واحدها دسار ودسير يقال دسرت السفينة إذا شددتها بالمسامير وقال الحسن الدسر صدر السفينة سميت بذلك لأنها تدسر الماء بجؤجؤها اى تدفع وقال مجاهد عوارض السفينة وقيل اضلاعها وقال الضحاك الألواح جانباها والدسر اصلها وطرفاها (تجرى بأعيننا) اى بمرأى منا وقال مقاتل بن حيان بحفظنا ومنه قولهم للمودع عين الله عليك وقال سفيان بأمرنا (جزاء لمن كان كفر) يعنى فعلنا به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لأنه كان كفر به وجحد امره وهو نوح عليه السلام وقيل من بمعنى ما اى جزاء لما كان كفر من ايادى الله ونعمه عند الذين اغرقهم اوجزاء لما صنع بنوح واصحابه وقرأ مجاهد جزاء لمن كان كفر بفتح الكاف والفاء يعنى كان الغرق جزاء لمن كان كفر بالله وكذب رسوله (ولقد تركناها) يعنى الفعلة التى فعلنا (اية) يعتبر بها وقيل اراد السفينة قال قتادة أبقاها الله بأقردى من ارض الجزيرة عبرة واية نظرت اليها اوائل هذه الأمة (فهل من مدكر) يعنى متذكر متعظ معتبر خائف مثل عقوبتهم أخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا ابو نعيم ثنا زهير عن ابى اسحق انه سمع رجلا سال الاسود عن قوله فهل من مدكر ومذكر قال سمعت عبد الله يقراها فهل من مدكر وقال سمعت النبى ﷺ يقرؤها فهل من مذكر دالا (فكيف كان عذابى ونذر) يعنى انذارى قال الفراء الانذار والنذر مصدران تقول العرب انذرت انذارا ونذرا كقولهم انفقت انفاقا ونفقة وايقنت ايقانا ويقينا اقيم الاسم مقام المصدر (ولقد يسرنا) سهلنا (القران للذكر) ليتذكر ويعتبر به وقال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شىء من كتب الله يقرا كله ظاهرا إلا القران (فهل من مدكر) متعظ بمواعظه

بعضهم فى بعض خيارى فزعين (مطعين) مسرعين مادى اعناقهم مقبلين (إلى الداع) يعنى إلى صوت الداعى وهو إسرافيل وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم (يقول الكافرون هذا يوم عسر) يعنى صعب شديد وفيه إشارة إلى أن ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين لا على المؤمنين * قوله تعالى (كذبت قبلهم) يعنى قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) يعنى نوحا (وقالوا مجنون وازدجر) يعنى زجروه على دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (فدعا) يعنى نوحا (ربه) وقال (انى مغلوب) يعنى مقهور (فانتصر) يعنى فانتقم لى منهم (ففتحنا أبواب السماء) قيل هو على ظاهره وللسماء ابواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لأنه قد صح فى الحديث ان للسماء أبوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر أن يكون المطر من السحاب (بماء منهمر) يعنى منصب انصبابا شديدا لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الأرض عيونا) يعنى وجعلنا الأرض كلها عيونا تسيل بالماء (فالتقى الماء) يعنى ماء السماء وماء الأرض (على أمر قد قدر) يعنى قضى عليهم فى أم الكتاب وقيل قدر الله أن يكون الما آن سواء فكانا على ما قدر (وحملناه) يعنى نوحا (على ذات الواح) يعنى سفينة ذات الواح واراد بالألواح خشب السفينة العريضة (ودسر) هى المسامير التى تشدبها الألواح وقيل الدسر صدر السفينة وقال هى عوارض السفينة واضلاعها وقيل الألواح جانبا السفينة والدسر اصلها وطرفاها (تجرى) يعنى السفينة (بأعيننا) يعنى بمرأى منا وقيل بحفظنا وقيل بامرنا (جزاء لمن كان كفر) يعنى فعلنا ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لأنه كان كفر به وجحد امره وقيل لمن بمعنى لما اى جزاء لما كان كفر من ايادى الله ونعمه عند الذين اغرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح واصحابه (ولقد تركناها آية) يعنى الفعلة التى فعلنا بهم آية يعتبر بها وقيل اراد السفينة قال قتادة ابقاها الله تعالى بأرض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها أوائل هذه الامة (فهل من مدكر) يعنى متذكر معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم (ق) عن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله ﷺ مذكر فردها على وفى رواية أخرى سمعته يقرؤها فهل من مدكر دالا (فكيف كان عذابى ونذر) يعنى انذارى (ولقد يسرنا القران) يعنى سهلنا القران (للذكر) يعنى ليتذكر ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شىء من كتب الله تعالى يقرا كله ظاهرا إلا القران (فهل من مدكر) يعنى متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعليم القران والاشتغال به لأنه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير والعربى والعجمى

(كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر إنا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) شديدة الهبوب (في يوم نحس مستمر) شديد دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسه فلم يبق منهم احد إلا اهلكه قيل كان ذلك يوم الاربعاء في اخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤسهم فتدق رقابهم وروى انها كانت تنزع الناس من قبورهم (كانهم اعجاز نخل) قال ابن عباس اصولها وقال الضحاك اوراك نخل (منقعر) منقلع من مكانه ساقط على الأرض وواحد الاعجاز عجز مثل عضد واعضاد وإنما قال اعجاز نخل وهي اصولها التي قطعت فروعها لأن الريح كانت تبين رؤسهم من اجسادهم فتبقى اجسادهم بلا رؤس (فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) بالانذار الذي جاءهم به صالح (فقالوا ابشرا) ادميا (منا واحدا نتبعه) ونحن جماعة كثيرة وهو واحد (إنا إذا لفي ضلال) خطا وذهاب عن الصواب (وسعر) قال ابن عباس عذاب وقال الحسن شدة عذاب وقال قتادة عناء يقولون إنا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته قال سفيان بن عيينة هو جمع سعير وقال الفراء جنون يقال ناقة مسعورة إذا كانت خفيفة الرأس هائمة على وجهها وقال وهب وسعر اي بعد عن الحق (أألقي الذكر) أأنزل الذكر الوحي (عليه من بيننا بل هو كذاب أشر) بطر متكبر يريد ان يتعظم علينا بادعائه النبوة والاشر المرح والتجبر (سيعلمون) قرا ابن عامر وحمزة سيعلمون بالتاء على معنى قال صالح لهم وقرا الاخرون بالياء (غدا) حين ينزل بهم العذاب وقال الكلبي يعني يوم القيامة وذكر الغد للتقريب على عادة الناس يقولون إن مع اليوم غدا (من الكذاب الاشر إنا مرسلوا الناقة) اي باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سالوا ان يخرج لهم من صخرة حمراء عشراء فقال الله تعالى إنا مرسلوا الناقة (فتنة لهم) محنة واختيارا لهم (فارتقبهم) فانتظر لهم صانعون (واصطبر) على ارتقابهم وقيل على ما يصيبك من الاذى (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم) وبين الناقة يوم لها ويوم لهم وإنما قال بينهم لأن العرب إذا اخبرت عن بني آدم وعن البهائم غلبت بني آدم على البهائم (كل شرب) نصيب من الماء (محتضر) يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها وإذا كان يومهم حضروا شربهم واحضر وحضر بمعنى واحد قال مجاهد يعني يحضرون الماء إذا غابت الناقة فاذا جاءت الناقة حضروا اللبن (فنادوا صاحبهم) وهو قدار بن سالف (فتعاطى) فتناول الناقة بسيفه (فعقر) اي فعقرها (فكيف كان عذابي ونذر) ثم بين عذابهم فقال (إنا ارسلنا عليهم صيحة واحدة) قال عطاء يريد صيحة جبريل عليه السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) قال ابن عباس هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فاسقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقال ابن زيد هو الشجر البالي الذي تهشم حتى ذرته الريح والمعنى انهم صاروا كيبس الشجر إذا تحطم والعرب تسمي كل شيء كان رطبا فيبس هشيم وقال قتادة كالعظام النخرة المحترقة وقال سعيد بن جبير هو التراب الذي يتناثر من الحائط

وغيرهم * قوله تعالى كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر) اي إنذار لهم بالعذاب إنا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) اي شديدة الهبوب (في يوم نحس) اي يوم شؤم (مستمر) اي دائم الشؤم استمر على جميعهم بنحوسة فلم يبق منهم احد إلا هلك فيه وقيل كان ذلك يوم الاربعاء في اخر الشهر (تنزع الناس) اي الريح تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤسهم فتدق رقابهم (كانهم اعجاز نخل) قال ابن عباس اصول نخل (منقعر) اي منقطع من مكانه ساقط على الأرض قيل كانت الريح تبين رؤسهم من اجسامهم فتبقى اجسامهم بلا رءوس كعجز النخلة الملقاة (فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) اي بالانذار الذي جاء به صالح (فقالوا أبشرا منا واحدا) يعني آدميا واحدا منا (نتبعه) اي ونحن جماعة كثيرون (إنا إذا لفي ضلال) اي خطا وذهاب عن الصواب (وسعر) قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل إنا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل لفي بعد عن الحق (أألقي الذكر عليه) يعني أأنزل الوحي عليه (من بيننا بل هو كذاب اشر) اي بطر متكبر يريد ان يتعظم علينا بادعائه النبوة (سيعلمون غدا) اي حين ينزل بهم العذاب وقيل يعني يوم القيامة وإنما ذكر الغد للتقريب (من الكذاب الاشر) اي صالح ام كذبه (إنا مرسلوا الناقة) اي باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سالوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسالوه ان يخرج لهم من صخرة حمراء ناقة عشراء فقال الله تعالى إنا مرسلوا الناقه (فتنة) اي محنة واختيارا (لهم فارتقبهم) اي فانتظر ماهم صانعون (واصطبر) اي اذاهق (ونبئهم) اي اخبرهم (ان الماء قسمة بينهم) اي بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وإنما قال تعالى بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب) اي نصيب من الماء (محتضر) اي يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها وإذا كان يومهم حضروا شربهم وقيل يعني يحضرون الماء إذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن (فنادوا صاحبهم) يعني قدار بن سالف (فتعاطى) اي فتناول الناقة بسيفه (فعقر) يعني الناقة (فكيف كان عذابي ونذر) ثم بين عذابهم فقال تعالى (إنا ارسلنا عليهم صيحة واحدة) يعني صيحة جبريل (فكانوا كهشيم المحتظر) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يحظر لغنمه حظيرة من الشجر

(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا) ريحا ترميهم بالحصباء وهي الحصا قال الضحاك يعني صغار الحصى وقيل الحصباء هي الحجر الذي دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامي فيكون المعنى على هذا أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم يعني ترميهم بالحجارة ثم استثنى فقال (إلا ال لوط) يعني لوطا وابنتيه (نجيناهم) من العذاب (بسحر نعمة من عندنا) يعني جعلناه نعمة مناداً بهم حيث انجيناهم (كذلك) يعني كما أنعمنا على ال لوط (نجزي من شكر) قال مقاتل من وحد الله لم يعذبه مع المشركين (ولقد انذرهم لوط (بطشتنا) اخذنا اياهم بالعقوبة (فتماروا بالنذر) شكوا بالانذار وكذبوا ولم يصدقوا (ولقد راودوه عن ضيفه) طلبوا ان يسلم اليهم أضيافه (فطمسنا اعينهم) وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا قالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل بك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم (٢٣٠) جبريل بجناحه باذن الله فتركهم عميا يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب فاخرجهم

والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالي الذي يهشم حين تذروه الرياح والمعنى انهم صاروا كيبيس الشجر إذا بلي وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) * قوله تعالى (كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا) يعني الحصباء وهي الحجارة التي دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامي فعلى هذا يكون المعنى انا أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم أي يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى (إلا ال لوط) أي لوطا وابنتيه (نجيناهم) يعني من العذاب (بسحر نعمه من عندنا) أي جعلناه نعمة مناعليهم حيث نجيناهم (كذلك نجزي) أي كما انعمنا على ال لوط كذلك نجزي (من شكر) يعني أن من وحد الله لم يعذبه مع المشركين (ولقد انذرهم) أي لوط (بطشتنا) يعني أخذنا اياهم بالعقوبة (فتماروا بالنذر) أي شكوا بالانذار ولم يصدقوا وكذبوا (ولقد راوده عن ضيفه) أي طلبوا منه أن يسلم اليهم أضيافه (فطمسنا اعينهم) وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب وأخرجهم لوط عميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا أعينهم يعني صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق وقيل طمس الله ابصارهم فلم يروا والرسل فقالوا القدر اينا هم حين دخلوا فأين ذهبوا فلم يروهم (فذوقوا عذابي ونذر) يعني ما انذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) اي جاءهم وقت الصبح (عذاب مستقر) يعني دائم استقر فيهم حتى افضى بهم إلى عذاب الاخرة (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) * قوله عز وجل (ولقد جاء آل فرعون النذر) يعني موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام وقيل النذر الايات التي انذرهم بها موسى (كذبوا بايانا كلها) يعني الايات التسع (فأخذناهم) يعني بالعذاب (اخذ عزيز مقتدر) يعني غالب في انتقامه قادر على اهلاكهم لا يعجزه عما اراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (اكفاركم خير من اولئكم) يعني اقوى واشد من الذين احللت بهم نقمتي مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وال فرعون وهذا استفهام انكاري ليسوا بأقوى منهم (ام لكم براءة) يعني من العذاب (في الزبر) اي في الكتب انه لن يصيبكم ما اصاب الامم الخالية (ام يقولون) يعني كفار مكة (نحن جميع) يعني امرنا (منتصر) يعني من اعدائنا والمعنى نحن يدا واحد من خالفنا منتصرون ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الاى وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم يعني كل واحد منهم عالم قال الله تعالى (سيهزم الجمع) يعني كفار مكة (ويولون الدبر) يعني

فطمسنا اعينهم يعني صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق هذا قول اكثر المفسرين وقال الضحاك طمس الله ابصارهم فلم يروا الرسل فقالوا قد رايناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فلم يروهم فرجعوا (فذوقوا عذابي ونذر) اي ما انذركم به لوط من عذاب (ولقد صبحهم بكرة) جاءهم وقت الصبح (عذاب مستقر) دائم استقر فيهم حتى افضى بهم إلى عذاب الاخرة وقيل عذاب حق (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر ولقد جاء ال فرعون النذر) يعني موسى وهرون عليهما السلام وقيل هي الايات التي أنذرهم بها موسى (كذبوا بايانا كلها) وهي الايات التسع (فاخذناهم) بالعذاب (اخذ عزيز) غالب في انتقامه (مقتدر) قادر على اهلاكهم لا يعجزه ما اراد بهم ثم خوف اهل مكة فقال (اكفاركم خير من اولئكم) اشد واقوى من الذين احللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام بمعنى الانكار اي ليسوا بأقوى منهم (ام لكم براءة) من العذاب (في الزبر) في الكتب انه لن يصيبكم ما اصاب الامم الخالية (ام يقولون) يعني كفار مكة (نحن جميع منتصر) قال الكلبي نحن جميع امرنا منتصر من اعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصر ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الاى قال الله تعالى (سيهزم الجمع) قرا يعقوب سنهزم بالنون الجمع نصب وقرا الاخرون بالياء وضمها الجمع رفع على غير تسمية الفاعل يعني كفار مكة (ويولون الدبر) يعني الادبار فوحد لأجل رؤس الاى كما يقال ضربنا منهم الرؤس وضربنا منهم الراس إذا كان الواحد يؤدي معنى الجمع اخبر الله انهم يولون ادبارهم منهزمين فصدق الله وعده وهزمهم يوم

بدر أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الوهاب ثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي ﷺ وهو في قبته يوم بدر اللهم اني أنشدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر يعني أعظم داهية

الأدبار فوحد لأجل رؤس الاى وقيل في الافراد إشارة إلى أنهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف أحد عن الهزيمة ولا يثبت أحد للزحف فهم في ذلك كرجل واحد (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ وهو في قبة يوم بدر اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد هذا اليوم أبدا فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك فخرج وهو في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري يعني جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعلمت تأويلها بل الساعة موعدهم جميعا والساعة أدهى وأمر يعني أعظم داهية وأشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر * قوله عز وجل (ان المجرمين) يعني المشركين (في ضلال وسعر) قيل في بعد عن الحق وسعر يعني نارا تسعر عليهم وقيل في ضلال في الدنيا ونار مسعرة في الاخرة وقيل في ضلال يعني عن طريق الجنة وسعر يعني عذاب الاخرة ثم بين عذابهم فقال تعالى (يوم يسحبون) يعني يجرون (في النار على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) يعني ذوقوا أيها المكذبون لمحمد ﷺ مس سقر (إنا كل شيء خلقناه بقدر) يعني مقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له وقال ابن عباس كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك ﴿فصل في سبب نزول الاية وما ورد في القدر وما قيل فيه﴾ (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء (م) عن ابى هريرة قال جاءت مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الاية إن المجرمين في ضلال وسعر إلى قوله إنا كل شيء خلقناه بقدر (م) عن طاوس قال أدركت ناسا من أصحاب النبي ﷺ يقولون كل شيء بقدر الله تعالى قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال النبي ﷺ كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز عن علي بن ابى طالب قال قال رسول الله ﷺ لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر أخرجه الترمذي عن جابر قال قال رسول الله ﷺ لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث وفي حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ففيه ذم القدرية عن حذيفة قال قال النبي ﷺ لكل أمة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم من شيعة الدجال وحق على أن يلحقهم بالدجال

وبلية وأشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر (إن المجرمين) المشركين (في ضلال وسعر) قيل في ضلال بعد الحق قال الضحاك وسعر يعني نارا تسعر عليهم وقيل في ضلال ذهاب عن طريق الجنة في الاخرة وسعر نار مسعرة قال الحسين ابن فضل ان المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الاخرة وقال قتادة في عناء وعذاب ثم بين عذابهم فقال (يوم يسحبون) يجرون (في النار على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر) يعني ماخلقناه فقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ قال الحسن قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين القرشي أنا مسلم غالب بن علي الرازي أنا أبو بشر يعقوب بن عبد الجليل بن يعقوب ثنا أبو يزيد حاتم ابن محبوب أنا أحمد بن نصر النيسابوري أنا عبد الله بن الوليد العدني أنا الثوري عن زياد بن اسمعيل السهمي

عن محمد بن عباد المخزومي عن ابى هريرة قال جاءت مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت الاية ان المجرمين في ضلال وسعر إلى قوله إنا كل شيء خلقناه بقدر أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد شريك الشافعي الخدشاهي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجويدري أنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي أنا عبد الله بن وهب اخبرني أبو هانيء الخولاني عن ابى عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت النبي ﷺ يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال وكان عرشه على الماء أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زياد بن سعد عن

أخرجه أبو داود وله عن أبي هريرة مثله وزاد فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم في الكلام * وعن ابن عباس قال قال النبي ﷺ صنفان من امتي ليس لهما في الاسلام نصيب المرجئة والقدرية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب * وروى ابن الجوزي في تفسيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أمر مناديا فينادي نداء يسمعه الأولون والاخرون أين خصماء الله فتقوم القدرية فيأمر بهم إلى النار يقول الله ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر قال ابن الجوزي وإنما قيل خصماء الله لأنهم يخاصمون في انه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها وروى عن الحسن قال والله لو ان قدريا صام حتى يصير كالجبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم أخذ ظلما حتى يذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في سقر ثم قيل له ذق مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسن ما قدرها الله تعالى وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وأنها مستأنفة العلم يعني إنما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال اصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا * وحكى أبو محمد ابن قتيبة في كتابه غريب الحديث وأبو المعالي إمام الحرمين في كتابه الارشاد في أصول الدين أن بعض القدرية قالوا السنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم إثبات القدر قال ابن قتيبة إمام الحرمين هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح فان أهل الحق يفوضون أمورهم إلى الله تعالى ويضيفون القدر والأفعال إلى الله تعالى هؤلاء الجهلة يضيفونه إلى أنفسهم ومدعي الشيء لنفسه ومضيفه اليها أولى بأن ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال إمام الحرمين وقد قال رسول الله ﷺ القدرية مجوس هذه الأمة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الارداة كما قسمت المجوس فصرفت الخير إلى يزدان الشر إلى اهرمن ولا خفاء باختصاب عذاب الحديث القدرية وحديث القدرية مجوس هذه الأمة رواه أبو حازم عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ وأخرجه أبو داود في سننه والحاكم أبو عبد الله في المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخ ان صح سماع ابي حازم عن ابن عمر وقال الخطابي انما جعلهم رسول الله ﷺ مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس لقولهم بالأصلين النور والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصار أثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره والله سبحانه وتعالى خالق كل شيء الخير والشر جميعاً لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وإيجادا وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله تعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الأمر كما يتوهمونه وإنما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى مما يكون من اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات أي خلقهن وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل العقد والحل من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك أئمة المتكلمين احسن تقرير بدلائله القطعية السمعية والعقلية والله اعلم * وأما معاني الأحاديث المتقدمة بقوله جاء مشركو قريش إلى قوله

عمرو بن مسلم عن طاوس اليماني قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيء بقدر الله قال وسمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول قال النبي ﷺ كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني أنا أحمد بن حازم بن ابي عروة أنا يعلى بن عبيد وعبد الله بن موسى وأبو نعيم عن سيان عن منصور عن ربعي بن حراش عن رجل عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله ﷺ لا يؤمن عبد يؤمن بأربع يشهد ان لا إله إلا الله وانى رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر زاد عبد الله خيره وشره ورواه أبو داود عن شعبة عن منصور وقال عن ربعي عن علي ولم يقل عن رجل وهذا أصح

إنا كل شيء خلقناه بقدر المرام بالقدر هنا القدر المعروف وهو ماقدره الله وقضاه وسبق به علمه وإرادته فكل ذلك مقدر فى الأزل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك قوله وكتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة فى اللوح المحفوظ أوغيره لاأصل القدر فان ذلك أزلى لاأول له وقوله وعرشه على الماء أى قبل أن يخلق السموات والارض وقوله كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو قال الكيس والعجز العجز عدم القدرة وقيل هو ترك مايجب فعله بالتسويف به وتأخيره عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم فى أمور الدنيا والآخرة والكيس ضد العجز هو النشاط والحذق بالأمور ومعنى الحديث ان العاجز قدر عجزه والكيس قدر كيسه * قوله تعالى (وما أمرنا إلا واحدة) اى وما امرنا إلا مرة واحدة وقيل معناه وما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة كن فيكون لامراجعة فيه فعلى هذا إذا أراد الله سبحانه وتعالى شيأ قال له كن فيكون فهنا بان فرق بين الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة فيه بيان انه لاحاجة إلى تكرير القول بل هو اشارة إلى نفاء الامر (كلمح بالبصر) قال ابن عباس يريد أن قضائى فى خلقى أسرع من لمح البصر وعن ابن عباس أيضا معناه وما أمرنا بمجيء الساعة فى السرعة إلا كطرف البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) اى اشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الامم السالفة (فهل من مدكر) اى متعظ بان ذلك حق فيخاف ويعتبر (وكل شيء فعلوه) يعنى الاشياع من خير وشر (فى الزبر) اى فى كتب الحفظة فى اللوح المحفوظ (وكل صغير وكبير) اى من الخلق واعمالهم وآجالهم (مستطر) اى مكتوب * قوله عز وجل (إن المتقين فى جنات) اى بساتين (ونهر) اى انهارا وإنما وحده لموافقة رؤوس الاى واراد انهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقيل معناه ضياء وسعة ومنه النهار والمعنى لاليل عندهم (فى مقعد صدق) أى فى مجلس حق لالغو فيه ولاتأثيم وقيل فى مجلس حسن وقيل فى مقعد لاكذب فيه لأن الله صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو فى مقعد صدق (عند مليك) قيل معناه قرب المنزلة والتشريف لامعنى المكان (مقتدر) اى قادر لايعجزه شيء وقيل مقتدر بين عند مليك أمره فى الملك والاقتدار اعظم شيء فلا شيء إلا وهو تحت ملكه

وقدرته فاى منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة
كلها والسعادة باسرها قال جعفر الصادق
وصف الله تعالى المكان بالصدق
فلايقعد فيه إلا اهل الصدق
والله أعلم بمراده
واسرار كتابه

﴿تم الجزء السادس من تفسير الخازن ويليه الجزء السابع وأوله سورة الرحمن﴾

(وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) قوله واحدة ترجع إلى المعنى دون اللفظ أى وما أمرنا إلا مرة واحدة وقيل معناه وما امرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة كن فيكون لامراجعة فيها كلمح بالبصر قال عطاء عن ابن عباس) يريد ان قضائى فى خلقى أسرع من لمح البصر وقال الكلبى عنه وما أمرنا بمجيء الساعة فى السرعة إلا كطرف البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) اشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الأمم السالفة (فهل من مذكر) متعظ يعلم ان ذلك حق فيخاف ويعتبر (وكل شيء فعلوه) يعنى فعله الاشياع من خير وشر (فى الزبر) فى كتاب الحفظة وقيل فى اللوح المحفوظ (وكل صغير وكبير) من الخلق وأعمالهم وآجالهم (مستطر) مكتوب يقال سطرت واستطرت وكتبت واكتتبت (ان المتقين فى جنات) بساتين (ونهر) اى انهار وحده لاجل رؤس الآى واراد انها الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقال الضحاك يعنى فى ضياء وسعة ومنه النهار وقرأ الاعرج ونهر بضمتين جمع النهار يعنى لاليل لهم (فى مقعد صدق) فى مجلس حق لالغو فيه ولاتأثيم (عند مليك مقتدر) ملك قادر لايعجزه شيء قال جعفر الصادق رضى الله عنه مدح الله المكان بالصدق فلايقعد فيه الا اهل الصدق

﴿ فهرست الجزء السادس من تفسير القرآن العظيم للإمام على بن محمد المعروف بالخازن ﴾

صحيفة	
٢	﴿ تفسير سورة يس عليه الصلاة ﴾
٤	والسلام ذكر بعث عيسى الرسل إلى اهل انطاكية
١٤	﴿ تفسير سورة والصافات ﴾
٢٣	ذكر الاشارة إلى قصة الذبح
٢٦	ذكر قصة بعث الله تعالى الياس نبيا إلى بنى إسرائيل
٣٤	﴿ تفسير سورة ص ﴾
٤١	فصل فى تنزيه سيدنا داود عما لا يليق به
٥٣	فصل فى حديث اتانى ربى فى احسن صورة
٥٥	﴿ تفسير سورة الزمر ﴾
٦٨	فصل فى احاديث تتعلق بقوله تعالى قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم الخ
٧٣	﴿ تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر ﴾
٨٣	فصل فى ذكر الدجال
٨٧	﴿ تفسير سورة فصلت ﴾
٩٧	﴿ تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى ﴾
١٠٣	فصل فى ذكر التوبة وحكمها
١٠٨	﴿ تفسير سورة الزخرف ﴾
١١٩	﴿ تفسير سورة الدخان ﴾
١٢٣	ذكر قصة تبع على ماذكره ابن اسحق الخ
١٢٦	﴿ تفسير سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة ﴾
١٣٠	﴿ تفسير سورة الاحقاف ﴾
١٣٨	ذكر القصة فى ذلك اى قوله تعالى (وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن الخ)
١٤٤	﴿ تفسير سورة محمد ﷺ ﴾
١٤٥	فصل فى حكم الاية يعنى قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الخ)
١٥٦	﴿ تفسير سورة الفتح ﴾
١٦٥	ذكر غزوة خيبر
١٧٠	ذكر صلح الحديبية
١٧٩	فصل فى فضل اصحاب رسول الله ﷺ
١٨١	﴿ تفسير سورة الحجرات ﴾
١٨٧	فصل فى حكم قتال البغاة
١٩٣	﴿ تفسير سورة ق ﴾
١٩٧	فصل فى الكلام على قوله ﷺ لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد الخ
٢٠٠	﴿ تفسير سورة الذاريات ﴾
٢٠٢	فصل هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان (وهو قوله ﷺ ينزل ربنا كل ليله إلى سماء الدنيا الخ
٢٠٦	﴿ تفسير سورة الطور ﴾
٢١٢	﴿ تفسير سورة النجم ﴾
٢١٦	فصل من كلام الشيخ محى الدين النواوى فى معنى قوله تعالى ولقد راه نزلة أخرى وهل راى النبى صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الإسراء
٢٢١	فصل فى بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة
٢٢٦	﴿ تفسير سورة القمر ﴾
٢٣١	فصل فى سبب نزول قوله تعالى انا كل شىء خلقناه بقدر وما ورد فى القدرة وما قيل فيه

﴿ تمت ﴾

﴿ فهرست الجزء السادس من كتاب معالم التنزيل لمحيى السنة ابى محمد الحسين الفراء البغوى ﴾
﴿ الذى بهامش الخازن ﴾

صحيفه

٢ ﴿ سورة يس ﴾
١٤ ﴿ سورة الصافات ﴾
٣٤ ﴿ سورة ص ﴾
٥٥ ﴿ سورة الزمر ﴾
٧٣ ﴿ سورة المؤمن ﴾
٨٧ ﴿ سورة فصلت ﴾
٩٧ ﴿ سورة شورى ﴾
١٠٨ ﴿ سورة الزخرف ﴾
١١٩ ﴿ سورة الدخان ﴾
١٢٦ ﴿ سورة الجاثية ﴾
١٣٠ ﴿ سورة الاحقاف ﴾
١٤٤ ﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ﴾
١٥٦ ﴿ سورة الفتح ﴾
١٨١ ﴿ سورة الحجرات ﴾
١٩٣ ﴿ سورة ق ﴾
٢٠٠ ﴿ سورة الذاريات ﴾
٢٠٦ ﴿ سورة الطور ﴾
٢١٢ ﴿ سورة النجم ﴾
٢٢٦ ﴿ سورة القمر ﴾

﴿ تمت ﴾

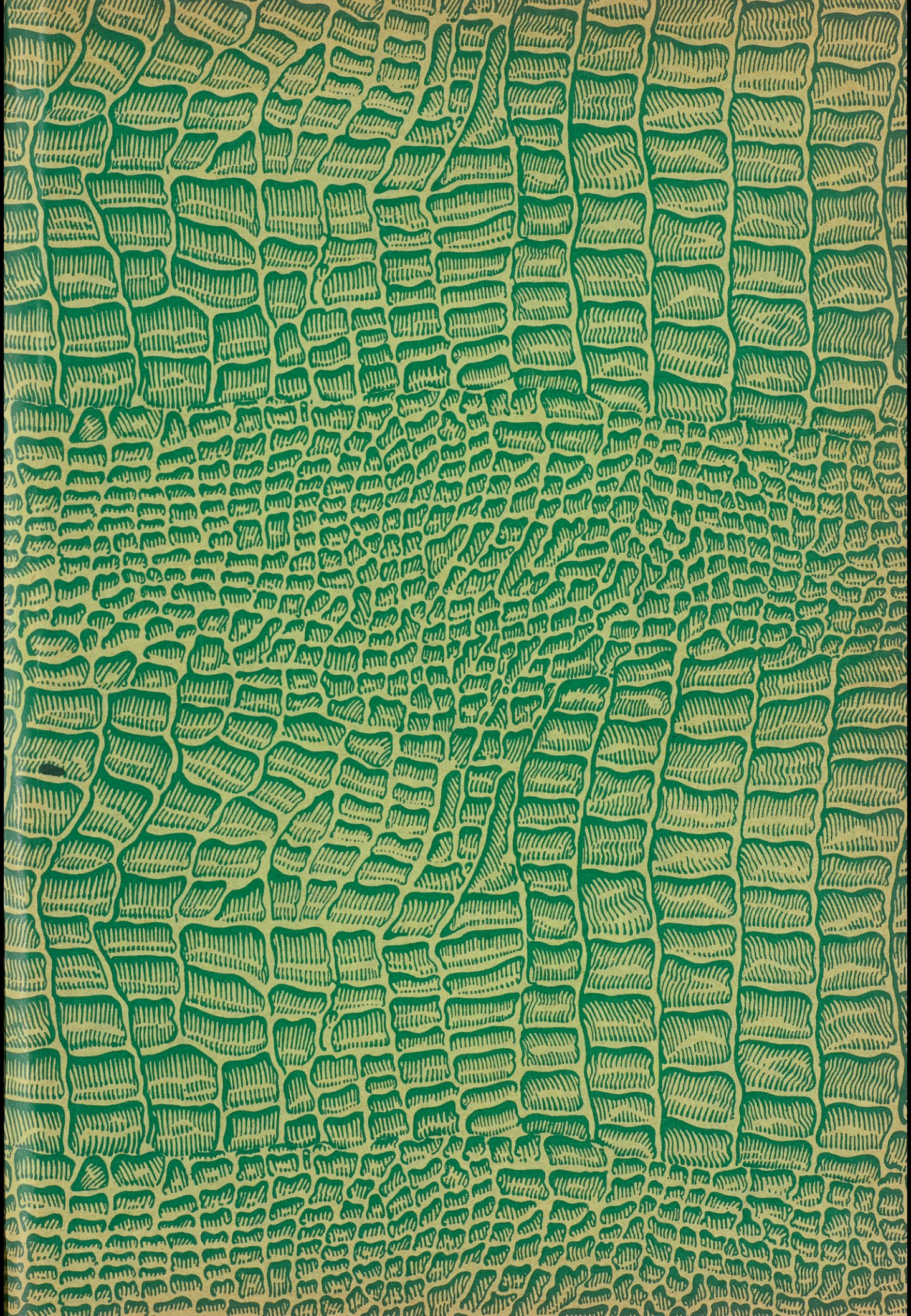

COLUMBIA UNIVERSITY
0026814820

893.7K84
DA7
v. 6

DEC 1 4 1961